

عبد الرحمن الشرقاوي

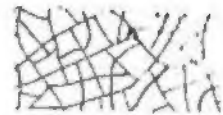
Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com/>

الأرض

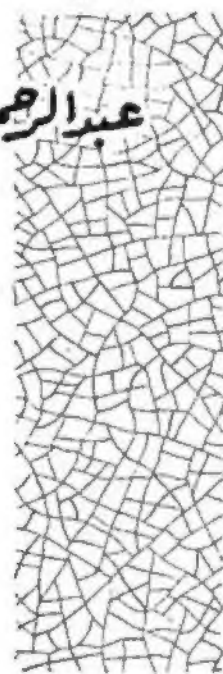


من الأدب العربي الحديث



روايات
عربية

عبد الرحمن السرقاوي



الأرض

Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com/>

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمسلة

أنا أعرف قريتي تماما ..

وأعرف أنها لم تكن تستطيع أن تقف حذو شيء أو تشغل شيء على الإطلاق في تلك السنوات التي يلعبها دائما صراع لا يهدأ من أجل التوت.

من الحق أن فتیان القرية الذين يجدون العمل والطعام قد يشغلون أحيانا بغتة تشج فجة ولكنها مائكة تنزوج ويحمل إلى بيتها الصندوق الأحمر المخطط ، حتى تغرق القرية بسرمة من الممس الشائع المعروف عن خيبة الزوج في أول ليلة .. ثم تخرج الزوجة من بفسه هذا في الصباح المبكر لتلا الماء من النهر الصغير وهي تلوح ببدها المصبوبة بالحنساء .

وأنا أعرف أن القلائل الذين يملكون أرضا في القرية ، كانوا وحدهم يشغلون بالضرائب المتجمدة على الأرض ، وبالنصراف الذي يطالبهم بهمال الحكومة ، وبهددهم دائما بالحجز على الأطين .

على أن بقية الرجال والفتيان لم يكن بينهم من تنتزع الأرض من أيدي الملاك أم تظل ، مادام كل واحد منهم يجب أن يبحث آخر الأمر عن حقل يصل فيه طول النهار .. وفي الحق أنهم يحاولون أبدا أن يخفوا مسكاتهم الشامتة كلما شاهدوا الضرائب يدخل - ومعه خفير بينديته - إلى بيت أحد الذين يملكون أرضا في القرية .

ولكن وصيفة شغلت قريتي كما لم تشغلها فتاة أخرى ، وكما لم تشغلها أبدا قصص الأيام الأولى من الزواج ، أو حديث المال والصراف والمحجوزات .

وعندما عدت إلى قريتي في ذلك الصيف بعد أن حصلت على الابتدائية ، خيل إلى من كثرة ما سمعت عن وصيفة أنني لا أعرفها .

لم يسألني الصبيان كمادتهم كل صيف عن مصر وما بمصر ، ولم يطلب واحد منهم - كما تعودوا - أن أحدث أمامه باللغة الإنجليزية أو أضحك بالإنجليزية أو أفتح له كتابا ليقرأ فيه الكلام الذي يكتب ، وإنما حدثني الجميع عن وصيفة ، ونحن واقفون بعد العصر بالقرب من دكان الشيخ يوسف بقال القرية ، في الطريق الرئيسي الذي يمتد من القرية إلى جسر النهر .

وسألت الأولاد الذين وقفوا معي عن وصيفة هذه من تكون . فشد أحدهم طاقبته الصوف الرمادية على رأسه وزأم :

- هيه .. يعني نسيت ؟ يعني مصر تخليك تنسى وصيفة ؟

وابتسم الصغار ولم يكن قد تذكرت بعد ، فرفع أحدهم حاجبيه وقال وهو يلعق ريقه :

- بئي مائسرفي وصيفة التي كانت طول النهار بتنظ مصانا غر .. التومة من قيمة أربع خمس سنين ..

وقال ولد آخر وهو يستند إلى عصا صغير من التوت كما يستند الكبار إلى الشوايخ :

- حاكم هيه غارت بسرمة يا جدمان ، وهيه لسه راجعة من البندر إلى الشنا ..

ثم التفت إلى وهو يحك جسده :

- لكن بئي يعني مائتش فاكرها ؟! .. وصيفة مرارك يا أخي !! ..

وشحك الأولاد .. وتذكرت وأنا أضحك كل ما كان بيني وبين وصيفة أ .

كنا قليل أن اذهب إلى المدرسة الابتدائية . بعام واحد نستحم في رعة صغيرة إلى جوار دور القرية ، وكنا نحن الصغار من أولاد وبنات نمرغ أجسادنا على التراب ونكسو وجوهنا ونؤوسنا بالطين لنصبح شكل المغاريت .. لم نغفر إلى التربة الصغيرة ، ونغطف في الماء المثلث بالطين ، وزرعينا يغسل بصباح الأوز والبط الذي يسبح إلى جوارنا ويستقبلنا مصفقا بأجنحته ..

وذاث يوم التقينا كلنا على هذه التومة الصغيرة قبل صلاة الظهر كما نعودنا دائما .. وقبل أن نخلع ملابسنا قالت لنا وصيفة بتألق :

- تيجو يا ميايل نستحمه في البحر ؟

والسبت وصيفة أنها تعرف مكانا في النهر غير عميق نستطيع أن نستحم فيه ، وتقف على أرجلنا في الماء ..

ولم تكن في تلك الأيام قد استلطنا أن نقرب ماء النهر ، وأن كنا لنحلم أن نسبح فيه ونعبره ذات يوم كالكبار ..

كانت وصيفة هي أكبرنا ، تعرف كثيرا من الأشياء التي لا نصرلها نحن ، تعرف النهر وتحمل جرمتها الصغيرة وتذهب إليه لتعلا كما يلا النساء ..

كانت وحدها تستطيع أن تتلقى أشجار التوت ، وتهرها علينا فائل الثمار الطيبة ، وكانت وحدها تنط على أشجار « الزرلخت » وتبضع المقود من حباله الصغيرة .. وكانت تطلع جبيزة عبد الهادي الخيفة الارتفاع وتنزل سرمة وممها كوم من الثمن الجميز لوزعه علينا لنلعب به أو نأكله وهو أخضر .

كانت هي وحدها التي تستطيع أن تصنع هذا كله .

وهكذا تعودت وصيفة أن تفتح أمامنا أسرار الأشياء لتبهتنا وتعودت

وهكذا تعودت وصيفة أن تفتح أمامنا أسرار الأشياء لتبهتنا وتعودت

وهكذا تعودت وصيفة أن تفتح أمامنا أسرار الأشياء لتبهتنا وتعودت

وهكذا تعودت وصيفة أن تفتح أمامنا أسرار الأشياء لتبهتنا وتعودت

وهكذا تعودت وصيفة أن تفتح أمامنا أسرار الأشياء لتبهتنا وتعودت

وهكذا تعودت وصيفة أن تفتح أمامنا أسرار الأشياء لتبهتنا وتعودت

أن ترد في ملاقة على الرجال الذين يصرخون في وجوها ونحو نلعب .
وتشتمهم أن نر الأسر .

ولم تكذ وصيفة فتترح علينا أن نذهب لنستحم في النهر بعيداً !
عن الأول والبط وعن دور القرية حتى مضينا نحري وراءها فرحين .
لنضرب الماء بأيدينا وأرجلنا ونقفز في الماء بظهورنا كالذين يكبروننا
من العمر ..

وقادتنا وصيفة الى مكان قريب من ساقية مهجورة وبدانا نخلع
ملابسنا ..

كان واضحاً ان وصيفة هي اكبرنا ، فلبدنها شبيه قوى يأبدان
النساء .

ولنا مد تعودنا عندما نخلع ملابسنا عند التمرة الصغيرة ان ننظر
الى وصيفة معجبين ، فلم يكن فينا ولد أو فتاة فوق الثامنة ، أما هي
فكانت تعبر الحادية عشرة بإحدى الضمر والردفين ذات جسد محدد
الخطوط .. وكان يروق لنا - نحن الأولاد - أن نتحس جسدها
من على الصدر والظهر ..

وخلعنا ملابسنا وكومناها كلها تحت شجرة ثم نزلنا إلى النهر
ومشينا في الماء بخيلاء نخلعها الرهبة .. وأقبل بعض نساء ليمان
بالقرب منا ونظرت اليها أحداهن ، ثم جرت نحونا وهي تمسك ذيل
جلبائها الأسود بأسنانها وانقضت على وصيفة من بيننا فقصصتها في
فخلها وهي تصيح :

- اطلمي يا مغسوخة .. انت محشورة ليه في وسط الصبيان ..
فصرخت إليها وصيفة متحذرة كعادتها كلما شتمها رجل أو امرأة :
- الله ! .. وانت مالك ؟ .. أنت كنتي أمي ولا أبوي .. اوعي كده
.. ما حدش له ضرب على .. أنا بنت شيخ الفخر .

وإذا ذلك قدفتها امرأة أخرى بحفنة من الطين قائلة :

- ياوكستي ! هو انت لسة صغيرة .. دا خراط البنات قرب ينيلك
.. دا انت غلبتي خضره ..
افصاحت فيها وصيفة :

- وانتى مالك ياكسيفة بباردة .. يا بتاعة المزاله ..

وعجبنا نحن لجرأة وصيفة ووقفنا في الماء لثنيين .. غير ان امرأة
ثالثة هددتنا بأن نحمل ملابسنا الى اهلنا في القرية ولتتركنا
عراة ..

فأسرعا بمغادرة الماء والشتائم للاحق وصيفة .
ولمعنا وصيفة غارتدنا ملابسنا ، وهي تقول لى :

- ليحيى نروح عند ساقية عبد الهادي ابن عمك نلعب هناك في
الفل تحت الجميزة !

ونعمست انا للفكرة ، وجريت إلى ساقية ابن عمي ، وجرى من
خلفي الأولاد ووصيفة .

وسبقتنا وصيفة الى الساقية فاستلقت الى جذع شجرة قديمة
بحوار الساقية على حافة النهر حيث تقوم مصلى ذات سور منخفض
تحت للال الجميزة .

وجلسنا حول وصيفة وبدانا كلنا ننظر اليها متلهفين الى معسرة
اللمبة التي ستفترجها ، بينما كان عبد الهادي من بعيد يهوى بفأسه
على الأرض .

ونظرت وصيفة الى عبد الهادي وهبت لنفسها : « الحمد لله
لسه مايلوش » .. ثم تلفتت حولها ، تسأل من خضرة فقال لها أحد
الأولاد ان خضرة اليوم تنقى الدودة في هربة محمود بك مع غيرها من
الصغار .. فتنهذت وصيفة وبلعت ريقها ، ونظرت في وجوها جميعاً ..
وانظرننا ان تترح لعبة ، وكانت تعرف الكثير ،
ولكنها لم تترح علينا لعبة ..

وانما بدأت تروى لنا مشاهدته هي بنفسها في زفاف أختها بالأمس
الى فتى من القرية يعيش في البندر ويلبس على جلبابه الجاكّة
والطربوش ..

فاختها دخلت الى القاعة ومعها الداية كعادتها العرائس ، وتسللت
وصيفة ومعها خضرة الى قاعة العروسة .. وانتظر الجميع
العريس .

ودخل العريس يلبس جلباباً من حرير التز وطربوشاً فاتحاً مائلاً
على جبينه ولم يكن معه المنديل الأبيض الذي يدخل به كل عريس .
وإذا وجد العريس قائمه مزودة بالداية وأم العروس والصغيرات
ولف في وسط القاعة غاضباً ، وطرد الجميع وأصر على ان يبقى وحيداً
مع عروسه ..

وخرجت الداية تلطم على وجهها تروى شيخ الخفراء والد العروس
من بدع عريس البندر .. ودخل محمد أبو سويلم غاضباً الى
القاعة وضرب العريس بالكف على صدغه ، وطلب منه ان يدخل بمى
ابنعه العروس كما يدخل كل العرسان على البنات الثريات في
القرية ..

وبعد قليل دخلت الداية ولف العريس حول إصبه متديلاً أبيض ،
وعسلت وصيفة وخضرة الى الحجرة من جديد .

كنا نسمع من وصيفة يشغف كبير ، وقلوبنا الصغيرة تدق
واقترينا منها ونحن جالسون حولها ، وهي تحكي بلدة ، وعيناهما
الواسعتان مفتوحتان في تألق وشفتاهما تنفجان قليلا عن لحظتات مسمت
وابتسام .. ولكن بعضنا البعض ونحن نتلصق بها ونطلب منها ان تكلم
على طول وتكمل لنا حكاية اخوها والعريس والمندبل الابهى ..

ومضت وصيفة تروي لنا كل شيء : منذ صرخت اخوها حتى انطلقت
الزغاريد عندما رمى على الواقفين امام قاعة العروسين مندبل ابيض
عليه نقط من الدم ومضى الرجل في طرقات القرية يحملون على
اطراف الشماريخ مناديل بيضاء ، تملؤها بفق دم قائم وهم يرفقون:
« الحلو احمه » ومن وراءهم حلقات نساء يرقصن ويصفقن يابدين
المرفوعة ، ورؤوسهن مائلة ، وهن يثنين في نفخ سريع :

« قولوا لابراهيم ان كان جعان يتعشى » ..

« بنت الابن شرقتنا الليلة » ..

ثم تترك وصيفة عن القصة شيئا ..

وعندما انتهت منها سكتنا ، ووقف بعضنا يبحث لنفسه جوار
المصلى من قطعة من ظل الجميزة ..

وفجأة نظرت وصيفة الى المصلى وقالت :

« تعرفوا نلعب ايه يا عمال ؟ تعالوا نعمل فرح ..

واختارت وصيفة ابطال اللعبة .. فاقترحت ان تكون هي العروسة
وبعشت من فتاة تقوم بدور الداية وتمتد لو ان خضرة كانت معنا بدلا
من بقائها طول النهار تنقى دود القطن في حقول بعيدة .. وعلى اية حال
فقد اختارت فتاة لدور الداية .. اما العريس .. فقد اختارتنى أنا لأن
لي صلة باليندر فاخوتي في القاهرة يتعلمون ، ومسمى للبنفر لي
الاخير !

واختارت وصيفة المصلى لتكون مخدما للزوج ، ودخلت المصلى
ودخلت ورادها الداية الصغيرة واخيرا دخلت أنا ..

وظل الصغار خارج المصلى .. البنات يفرغن ويثفن ، والاولاد
يمسكون عصيا صغيرة من التوت يلوحون بها وينتظرون ..

غير ان اللعبة لم تتم رغم ان العروس كانت قد تهيات تماما لإتمام
اللمبة .. فقد اقبل الشيخ الشناوي فجأة !

والشيخ الشناوي هو فقيه القرية ومفتيها ، وخطيب مسجدها
وملاوتها الشرعى ، ومعلم الاولاد فيها ، وواعظ الكبار ..

وهو رجل طويل مريض تسخم الجثة ، غليظ القفا ، عظيم الكرش،
يحب الزوالد والطعام ، وكنا نحسب نحن الصغار انه يستطيع ان يضع

في بطنه بقرة .. وهو رجل يحبه الجميع ويفضحون معه ولا يكاد يوجد
في القرية رجل لم يذق عصا سيدنا الشيخ الشناوي عندما كان يثرا
في الكتاب ..

وسمنا نحن من وراء سور المصلى شاة الصغار ينقطع ، واصواتهم
يرتفع مضطربة مختلطة بحركات الاقدام على التراب ..

ولم اللحظة الحاسمة انتهت لنا اصوات الصغار :

« سيدنا الشيخ الشناوي .. يادى الحوسة .. اجري يا بنت ..

قوم ياولة .. اجري يا واد اجري ! .. سيدنا طب يا جدهان ..

وسمنا الشيخ الشناوي نفسه بصوته المتهدج الوقور الذي يعمل
الينا ذكرى تلاوة القرآن من اللوح الصفين في الكتاب ، كان الشيخ
ما يزال على الجسر عند الجميزة يشغف في الصغار :

« انجر منك له لها .. انجروا بعيد من المصلية احسن نجسوها

.. يعنى طهايين قوى .. الى اهاليكو ما بنهوب ناحية الجامع ..

وايتمد صوت الصغار وسمنا رنين حيات مسيحة سيدنا وصوته

بمرمر بايات من القرآن .. واقترب الشيخ ، فتمخط وبصق بعيدا ..

ام خلج حذاه ودخل المصلى .. والهواء يعمل الى وجوهنا رذاذ بصادقه

وكنا نحن - وصيفة والداية الصغيرة وأنا - نشعر أننا دوهمنسا

بعضا .. فالتفتنا بصدور المصلى المصنوع من الحصىرة والطين ، وحاولنا

ان نفعل انفسنا بالخوس المفروش على ارض المصلى ولكننا لم نملك

الفرصة لنضلع من حالنا ..

وقمت علينا عين سيدنا فذهل .. وحملق فينا وقد راح لونه ..

واستقرت اليه النظر فوجدته يتراجع قليلا ويثلف بسرمة وهو يتنم

بعلام لم افهمه ، ثم يبيل براسه ليتأمل كل بدن وصيفة .. ويتراجع

وهو يقول :

« امود باه من الخبيث والخيالة .. امود .. امود باه من الشيطان

الرجيم .. اللهم .. اللهم .. انسى ولا جان ؟ .. قل امود رب الفاق

مر ثم ما خلق .. قل امود يرب الناس ملك الناس اله الناس ..

وجف ريني ، والتصقت بوصيفة ، والتصقت بي الداية الصغيرة

.. فصرخت وصيفة باكية :

« معلوش والنبي ياسيدنا .. اتا ماليش دومة .. هه !! والنبي

هو الى دخل عليه وقال تعالى ياوصيفة نلعب لعبة العروسية

والعريس ..

وهنا اطمأن سيدنا وارتفع صوته في التفجار :

.. هو اندو ؟! يا آنجاس ياخانير .. وفي المصلى كمان لا والله
 (ويخفي في البحر) ..!!

وعلا ما الرب ، وتاكدا ان سيدنا سيرمينا في البحر حقا فقد كان
 يهدهع أي شيء في القرية ويروي له حديثا أو قصة ليبر ما صنع ..
 واحضنت وصيفة مستنجدة ، واحتضنتي بوجل شديد ، وأزمنت
 الدابة الصغيرة فوقنا وكنا مانزال على حالنا استعدادا للحظة الزفاف
 .. فانهال سيدنا بيديه الثقيلتين علينا :

— وكمان قداسي ؟ ترقدوا على بعض قداسي ياكثرة يا فجرة ؟ غوروا
 من هنا .. غوروا ..
 لم صفق بيدي ، وهز رأسه قائلا :

.. يا اخواني هي البلد دي جرى لها ايه ؟ كلها متنبلة بنبلة كدهه
 من مصغرها لكبرها ، أعوذ بالله يا اخواني .. يا عبد الهادي .. تعالى
 يا عبد الهادي تعالى ..!!

وكان عبد الهادي يهوى بالقاس على ارضه المبتدة تحت بطن الجسر
 امام الساقية على مرمى البصر .. فاقبل مسرعا على نداء سيدنا بينما
 سيظهر علينا الفرع ولم نعد نعرف ماذا نصنع .. وظل سيدنا يقول
 لنفسه :

— يا خويا العيال دي مايتقيلش ليه .. طالعين على البحر في وسط
 المياه ؟! يعني لو خطفتكم جنبه ؟ الهى تخطفكم جنبه بدل ما تطلعو
 فسدانين ؟! ..

وظافت برؤوسنا صور سريعة من الجنية تظهر على النهر بأصابع
 حمراء في ساعات الظهور لطيف الصغار ، فاذا رأت صغيرا يمشي وحده
 هابلته بالأصابع الحمراء قائلة : تعالوا كلوا بلح .. فاذا ذهب واحد
 اليها اخلته الى أعماق النهر بلا عودة .

ولكن قصة الجنية التي اشار اليها سيدنا ، والتي سمعناها من
 الأمهات دائما لم تكن هي التي تخيفنا بالتحديد ؟! ..

كان هناك سيدنا هو كل مايرعشنا في تلك اللحظة ..
 واطل سيدنا من جديد على وصيفة وكانت مانزال على حالها ففسز
 رأسه وفوج بيديه قائلا :

— باسنفك سودة يادى البنت .. دا انتي على وش جواز .
 لم ماد يطل عليها وهي لتتصق بي وزرع :

— فزوا اطلعوا بره المصلية دا اتزو نجستوها .. افقروا هنا هه
 بره مسور المصلية .

وسال سيدنا وصيفة :



— أنت بنت مين ؟

فقلت وصيفة وهي تقف الى جوارى خارج المصلى باكية !

— بنت شيخ الغر .

— بنت محمد ابو سليم ؟ والله النار يتخلف تراب يا اولاد !

وكان عبد الهادي قد اقبل ، يمسح عرق جبينه بظهر كفه .. وقل
عبد الهادي :

— خير ايه ياسيدنا ؟

وقيل ان يجيبه سيدنا كان قد فطن الى وجودي انا فخصص شفتيه
وقال متمجبا :

— ماشاء الله !!

ومضى سيدنا يروي لعبد الهادي كل ما رآه بالفاظ ملاني خجلا
ولزعا واضحك عبد الهادي فاسك بشعري قائلا وضحكاته تتوالى :

— يعني طالع فرخ من يومك !

غير ان الشيخ الشناوى لم يضحك ، وانما نهر عبد الهادي وتحدث
طويلا من اهتمام ابي بتاديبى بأداب الدين وسمنا الفاظا رهيبا نستط
من فم الشيخ .

سمنا لأول مرة كلمة الفحشاء .. وسمنا لأول مرة كلمة الزنا
.. الزنا الذى قال عنه سيدنا انه يغرب البيوت !!

وظل الشيخ يتحدث من النار والزنا والغراب .
ورأيت عبد الهادي يلتقط عصا رفيعة من الأرض ويضرب بها
وصيفة قائلا :

— طب هوه لسه صغير مايعرفش الحاجات دى ولا يفهم العيب ..

لكن انت يا متصوفة الرقية ؟! انتى الى تعمري دار ؟ مايعرفش غير
اللعب الاخير ده .. هو ذا لعب ؟!

واذ كان عبد الهادي يضرب وصيفة وهي تبكي ، جرت الفتاة
التي كانت تقوم بدور الدابة .. فالتقط عبد الهادي طوبة وقذفها الى
ظهرها صائحا :

— امسنى جالك سخونة ..

ولكن الدابة الصفرة تابعت جريها على الجسر وهي تتحسن ظهورها
وجرت من وادها وصيفة ، وجريت انا ..

واذا أصبحت وصيفة بعيدا عن سيدنا وعبد الهادي ، التفتت قائلة:
« جالك ضارب يا عبد الهادي انت وسيدنا » .

واخذتني الرهبة وأنا اجرى ، وما زال صوت سيدنا ينطلق وقد
احمر سدناه المتفخا وهو يتحدث عن الفاحشة والنار وخراب
البيوت !!

وفي الحق انا لم نفهم سر مايفضب علينا الشيخ الشناوى . لقد
لنا سدناه اللامية ونحن نلعب .. كنت انا ووصيفة والدابة الصغرى
نلعبك طول الوقت في الفصل ، والصغار يشقون وراء السور المنخفض
فرحين . ولم نشعر ابدا اننا نرتكب شيئا يستحق هذا كله .. ووصفة
عاسمة يستحق النار ..

لاني ابي عد قال لي ذات مرة : « لا تكذب فالدين يكذبون ويحرقون
بالنار » .

ولم اذهب بعد ذلك في تلك السن منذ قال لي ابي هذا الكلام يرغم
اني رايت لتيرين يكذبون ويحرقون غيرهم في النار ، ورأيت آخرين
يكذبون فيحرق غيرهم بالنار ، وعلى أية حال فلم يكن أحد قد قال
لي بعد ان الصغار حين يلعبون .. يمكن ان يلعبوا بأشياء يحرقون من
اجلها بالنار !

ولم اجرؤ على ان اسأل ابي في هذا ابدا ..

وللي الشيخ الشناوى عندما زارنا في ذلك المساء همس في اذن
اي بلفاج ، وارتفع صوته مغالبا يمولد لاهل الله .. وهز ابي راسه
لم ناداي ، وضربني ، ولم يقل لي لماذا يضربني .. غير اني فهمت ، فلم
اهد الى هذه اللعبة مرة اخرى . وعرفت انها كالكذب يمكن ان تجعلني
احرق بالنار ، وربما لعبها آخرون فلم تهرقهم النار وانما احرقوا غيرهم
بالنار !

ولم اسأل ابي عن تفسير لكل هذا .. ولكني حاولت ان اسأل
وصيفة ، فقد كانت تعرف الاسرار .

غير اني لم اعد اراها .. لم تعد تخرج الى التربة قبل الظهر ولم
اعد تجلس على باب دارها في المساء وتضع شطنتا مقلوبا على الأرض
وتدور عابدة ، وتقني ونحن من حولها نرد ونسمع .

ونفادون ان اهلها ضربوا بعد المغرب ومنعوا من اللعب ، وأن محمد
ابو سالم شيخ الخفراء فرض على عبد الهادي ان يقيم على المصلى
.. ورا عاليا وبنا ينطق حتى لا يتسلل اليها الصغار .

وسافرت الى القاهرة بعد ذلك بعام لأقيم مع اخوتي الكبار اسعدا
لاهل المدرسة الابتدائية .. ولما عدت الى قريتي في أول صيف عرفت
ان وصيفة سافرت مع أختها الى عاصمة الاقليم . حيث يعمل زوج
الاهل .. اما في مدرسة الزراعة المتوسطة ..

ومرت اربعة اعوام .. خمسة .. وانتهت من دراستي الابتدائية
والا انا الى قريتي مع الصنف محملا بالكتب ، وباحلام المدرسة الثانوية

واحلام البنطلون الطويل والحاجطة المفوخة ذات الجيب العنصر من داخلها ، والكراخنة التي تتراقص مع الريح ، والحذاء القصير من ورجوت أمي - وأنا أقبل يدها - أن توسط عند أبي ليحول مصروفي اليومي الى مصروف شهري محترم بما أني حصلت على الإبتدائية ..

واخذت أمي النفس بقطع فضية لعل جيب بنطلوني ، وانتشي بتصور نفسي أضع يدي في جيب البنطلون لأبعت بالنفود فانتعيرنيته الجميل .

وحلمت بساعة وطلبته من أمي ولكنها قالت لي أن الساعة تعطيل للدين في مثل سني ، وأن الساعة كالشعر الطويل ميزة للذين يدرسون في السنوات النهائية من المدارس العالية كاخوتي الكبار !!

ومع ذلك فقد ظلمت أحلم بالساعة واتخيل نفسي وأنا أدرس اللغة الفرنسية وأنظر في الساعة ، وهنكت أياها في لحظات الحلم أوبرأوي وبدي على حركة من يلقى نظرة خاطفة على ساعة يده !

وحلمت أكثر من هذا بأنني أسير في المظاهرات التي يقوم بها طلبة المدارس الثانوية وأطلق حضجرتي بالهتافات التي تنطلق بها الحناجر .. وكنت قد سمعت من أخوتي الكبار كثيرا جدا مما صنعوه في الجامعة عندما فصل طه حسين من الجامعة .. واسم طه حسين إذ ذاك يملأ نفوسنا برهبة غامضة !!

وفي قمار هذه الأحلام كنت قد نسيت وصيفة .. وظل أصداء صباي في القرية يتحدثون عنها أمامي ، ولكني أقبلت أروي للصغار كثيرا مما شاهدته في القاهرة .. وفي ذلك العام بالذات شهادت في القاهرة مالم أشاهده في عام آخر من قبل .

ولم يسألني الصغار كما تعودوا أن يسألوا من مصر ولكن بدات أن احدهم عما رأيت في مصر !

وفي تلك الأيام كانت القاهرة لانهما أبدا .. وكنت أعرف من أحاديث أخوتي الكبار ومن الجرائد التي يعملونها أن رجلا اسمه صدقي يحكم مصر بالحديد والنار بعد أن ألقي الدستور لحساب الانجليز . وكنت إذ اء أطلق في القاهرة جنود الانجليز حمر الوجوه ليحموا له سلطانه على رقاب الناس !

وكنت في المدرسة المحمدية الإبتدائية أسمع دوى الرصاص كل يوم وأعرف عندما أنصرف الى البيت في العصر ، أن دوى الرصاص كان يرزل القاهرة كلها ومع ذلك ففي صباح كل يوم كانت اقتصابات العمال وهتافات الطلبة تم من جديد أوتار الحياة .

والانجليز ..

واقنح طلاب المدرسة الخديوية علينا باب المدرسة ذات صباح من مارس واضطرب الناظر والمدرسون وضباط المدرسة ، ولكننا اندفعنا مع طلاب الثأري . وقد أهبنا الفرح وسرنا في مركب كبير يتسابع بيننا واحد . ونسر كل واحد بقلبه يتنبض وبجمعه يحمي والدم يملأ في العروق ومضينا نرد هتافات الكبار في شوارع الحامدة الجديدة وأزدحمت الشرفات بالنساء يصقن لنا ، وفتحت الشبائك وظهرت الفتيات المختبات خلف الشيش ، وصقن بحماس ..

وفجأة واجهتنا جماعة من الجنود الانجليز حمر الوجوه .. كانوا يسدون نحونا بالبنادق ، وتعالى الصراخات من الشرفات والشبائيك .. وصاح فني منا : « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » .. وطلبت النساء في ضراعة أن ترجع الى الوراء .. ورجعنا قليلا الى الوراء .. فوجدنا جنودا مصريين ، سمر الوجوه كالرجال في قرشي وبسنادون بعضهم بنفس الأسماء .. أسماء الرجال في قرشي ، ولكنهم كانوا يحملون العصي الخفيفة ، يقرعون بها الرؤوس والأرض !!

مضيت أروي لزملائي في القرية كل هذا .. احلامي بالمدرسة الثانوية ولمشاهدته في القاهرة .. حديث البنطلون الطويل ، والانجليز والساعة ، وصدقي ، والدستور ، والانجليز .. وكانوا يسكنون أحيانا ويسمعون يشنف ، وأحيانا يتحدثون عن وصيفة في الكبار ، ويسمع أنا بعجب ..

ووجدتهم يعرفون صدقي .. وسألني أحدهم مرة : - هوه صدقي قد أبه ! يعني هو اللي يغلب ولا الواد عبد الهادي لو نزلوا لبعض لعب مصا ؟

فرد عليه آخرون أن صدقي هذا كائن عجيب يغلب مائة عبد الهادي ولكن في غير لعب المصا .. وأنه يأكل خبزا كله من القمح .. وهو لا يعرف خبز الدرة الذي يأكلونه في القرية .. وهو يشرب الماء بالثاج من الحنفية لا من الزبر !!

وسألني ولد آخر أن كان صدقي يستطيع في المرة الواحدة أن يأكل عشرين رقبيا من خبز القمح ، ويشرب ملء جرة من ماء نقي كماء طامبة المسجد !

ولم استطع أن أجيب .. وسألني أحد زملاء طقوتلي عن هذا الدستور الذي هتفنا بحبائه

وكانت المدرسة الخديوية الثانوية تخرج الى الطريق كل صباح
فتنهت بحياة الدستور والاستقلال والحرية ويقفون صدى
والانجليز .

واقتمح طلاب المدرسة الخديوية علينا باب المدرسة ذات صباح
من مارس واضطرب الناظر والمدرسون وضباط المدرسة ، ولكننا
اندفعنا مع طلاب الثانى . وقد هبتنا الفرح وسرنا فى موكب كبير
يتصاحب بتهافت واحد ، وشعر كل واحد بقلبه ينبض وبجسمه يهوى
والدم يقلى فى العروق ومضينا نرد هتافات الكبار فى شوارع العاصمة
الجديدة واندمجت الشرافات بالنساء يصفقن لنا ، وفتحت الشيايبك
وظهرت الفتيات المختبات خلف الشيشى ، وصفقن بحماس ..

وقفاة واجهتنا جماعة من الجنود الانجليز حمر الوجوه .. كانوا
يسعدون نحموا الشناق ، وتماثلت الصرخات من الشرافات والشيايبك
.. وصاح ناس منا : « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » .. وطلبت
النساء فى فراحة أن نرجع الى الوراء .. ورجعنا قليلا الى الوراء ..
فوجدنا جنودا مصريين ، سمر الوجوه كالرجال فى قريش ويسادون
بعضهم بنفس الاسماء .. اسماء الرجال فى قريش ، ولكنهم كانوا
يحملون المعنى الفليطية ، يقرءون بها التروس والأرض ..

مضيت اروحى لزملاي فى القرية كل هذا .. اخلاي بالمدرسة
الثانوية وما شاهدته فى القاهرة .. حديث البنطلون الطويل ، والانجليز
والساعة ، وصدقى ، والدستور ، والانجليز .. وكانوا يسكتون أحيانا
ويسمعون يصفق ، وأحيانا يتحدثون عن وصيفة فى الكبار ، ويسمع
أنا بصيح ..

ووجدتهم يعرفون صدقى .. وسألنى احدهم مرة :
- هوه صدقى قد ايه ؟ يعنى هو الى يغلب ولا الواد عبد الهادى
لو نزلوا لبعض لعب عصا ؟

فرد عليه آخرون أن صدقى هذا كائن عجيب يغلب مائة عبد الهادى
ولكن فى غير لعب العصا .. وأنه ياكل خبزا كله من القمع .. وهو لا
يعرف خبز الدارة الذى ياكلونه فى القرية .. وهو يشرب الماء بالكلاج
من الضنفة لا من الزبر ..

وسألنى ولد آخر ان كان صدقى يستطيع فى المرة الواحدة ان ياكل
عشرين رغيفا من خبز القمع ، ويشرب ماء جرة من ماء نقى كماء طلمبة
المسجد ..

ولم أستطع أن أجيب ..

وسألنى أحد زملاء طقوتى عن هذا الدستور الذى هفتنا بحيانه

واحلام بالبنطلون الطويل والجاكيت المفتوحة ذات الجيب الصغير فى
داخلها ، والكرافتة التى تتراقص مع الريح ، والحداء القصير .

ورجوت امى - وأنا أقبل يدها - أن تتوسط عند أبى ليحصل
مصرفونى اليومى الى مصرف شهنرى محترم بما أبى حصلت على
الابتدائية ..

واخذت امى النفس يقطع فضية تملا جيب بنطلونى ، وانتشى
بتصور نفسى أضع يدى فى جيب البنطلون لأعبث بالنفود فاقتمع برينى .
الجيبيل .

وحلمت بساعة وطلبتها من امى ولكنها قالت لى ان الساعة تعطيل
الذين فى مثل سننى ، وان الساعة كالشعر الطويل ميزة للذين يدرسون
فى السنوات النهائية من المدارس العالية كالخوى الكبار ..

ومع ذلك فقد ظلمت احلم بالساعة واتخيل نفسى وأنا ادرس اللغة
الفرنسية وانظر فى الساعة ، وهتفت اياما فى لحظات العلم أوبراسوى
وبدى على حركة من يلقى نظرة خاطفة على ساعة يده ..

وحلمت أكثر من هذا بأننى أسير فى المظاهرات التى يقوم بها
طلبة المدارس الثانوية وأطلق حنجرتى بالهتافات التى تنطلق بهما
الحنجر .. وكنت قد سمعت من أخوى الكبار كثيرا جدا مما صنعه
فى الجامعة عندما فصل طه حسين من الجامعة .. واسم طه حسين
اذ ذاك يملا نفوسنا برهبة فاضفة ..

وفى غمار هذه الاحلام كنت قد نسيت وصيفة .. وظل اصدقاء
صباي فى القرية يتحدثون منها امامى ، ولكنى اقبلت اروحى للصغار
كثيرا مما شاهدته فى القاهرة .. وفى ذلك العام بالذات شهادت
فى القاهرة مالم اشاهده فى عام آخر من قبل .

ولم يسألنى الصغار كما تعودوا ان يسألوا من مصر ولكن بدات ان
احدهم معا رايت فى مصر ..

وفى تلك الايام كانت القاهرة لاتهدأ ابدا .. وكنت اعرف من احاديث
أخوى الكبار ومن الجرائد التى يحملونها أن رجلا اسمه صدقى يحكم
مصر بالتحديد والنار بعد أن ألغى الدستور لحساب الانجليز . وكنت اراه
يطلق فى القاهرة جنود الانجليز حمر الوجوه ليحموا له سلطانه صلب
رقاب الناس !

وكنت فى المدرسة المحمدية الابتدائية اسمع دوى الرصاص كل يوم
وأعرف عندما انصرف الى البيت فى العصر ، ان دوى الرصاص كان
نزول القاهرة كلها ومع ذلك ففي صباح كل يوم كانت اغتصابات العمال
وهتافات الطلبة تهب من جديد اوتار الحياة .

مع الكبار وأوشكنا أن نقتل من أجله .. ولكنني لم أستطيع أن أجيب ،
وقلت له أن الكبار يعرفون ، فحدثني هو عن فلاحين سجنوا وضربوا
في المركز من أجل الدستور وعن الشيخ حسونة ناظر المدرسة في
القرية المجاورة وقال لي أنه نقل إلى بلد في آخر الدنيا من أجل
الدستور .

واقترع من الذي ولد آخر وهمس أن شيخ الخفراء هم محمد
أبو سويلم والد وصيفة فند فصل من وظيفته في جزائر الدستور فالتقية
قاطعت الانتخابات التي يجربها صدقي ويدخل فيها حزب الشعب ،
ولم يذهب رجل إلى الصناديق ليغطي صوته ، وطلب المأمور من محمد
أبو سويلم أن يسوق الرجال إلى صندوق الانتخابات ، ولكنه رفض ..
ورآهم يجمعون أصوات المؤتي فتشابه ..!

وأخذني ولد من يدى وأبتعد بي خطوين من دكان الشيخ يوسف ،
الذي كنا نقف أمامه في قضاء الطريق ، ليقول لي أن الشيخ يوسف
نزعته منه ملكية نصف فدان من الفدان الذي يملكه بعد هذاب الدستور!

ومضى زملائي يرددون لي أشياء من الدستور ، ووسعرت أنهم في
القرية يعرفون عن الدستور - بكثير من المرات - أضعاف ما أعرف أنا
رغم أنهم لم يشتركوا مثلي في مظاهرات من أجل الدستور ..

وملأني الأكابر للشيخ حسونة الذي كان ناظرا على في المدرسة الأرولة
بالقرية المجاورة ..

واحبست بالشفاق على الشيخ يوسف ، وهم محمد أبو سويلم
والد وصيفة صديقة صباي ..

وعرفت أن محمد أبو سويلم يشتغل بنفسه الآن في نصف الفدان
الذي يملكه وقد هادت وصيفة من عند أختها في البندر لتساعد
أبائها ..

فصل فصل الرجل لم يعد الخفراء يساعدونه كما كانوا من قبل وهو
بعد لا يستطيع أن يؤجر الأنظار ليزرعوا له !

عادت وصيفة من عند أختها ، وهبطت القرية بجلباب ماون كبشات
البندر .

ومنذ هبطت وصيفة إلى القرية ، والقرية مشغولة بها .. وهي
وحدها دون بقية الفلاحة تمشي بجلبابها الملون لتعلم من على الجسر
وتزوح وتبني بجلبابها هذا إلى الحقل ، غير حافلة بما تثير من همسات
الفلاحين .

ويقولون أن هم محمد أبو سويلم لا يستطيع أن يشتري لوصيفة
الجلباب الأسود المهود الذي تلبسه كل الفتيات والنساء في القرية .

وبقول اخرون يستطيع أن يشتري هذا الجلباب ولكنه لا يريد أن يكسر
حاطر وصيفة فهو يتركها تلبس كامل البندر بعد أن حرما من الإقامة
مع البندريات .

وسمعت ان وصيفة أصبحت كالشهد ، وأنها تتحدث بلغة أهل
البندر وسمعت أن محمد أفندي المدرس الأوامي طلبها من أبها ، ورغم
أنه يقبض أربعة جنيهات كاملة كل شهر فان محمد أبو سويلم لا يريد أن
يروحها من أهل البلد ..

وسمعت أن عبد الهادي قرأ الفاتحة سرا مع زوج أختها الذي يعمل
بمدرسة الزراعة المتوسطة في عاصمة الاقليم ، وهما صديقان قديما ..

وسمعت أن عبيد ابن خال وصيفة طلبها من أمها ، ولكنه عاد من
مصر متعللا برفض محمد أبو سويلم .
وهكذا مضيت في دوامة من الحديث عن وصيفة .

وأقبل العصر على قريتي وأنا مع زملائي في الطريق الواسع أمام
دكان الشيخ يوسف نتحدث عن كل شيء .. ومر حمار مجرور عليه شاب
يلبس طاقية يبدو من تحتها شعره الطويل وقد ظهرت خصلة ترتفع
على جبهته .. وكان جلبابه المخطط متسخا بمض الشيء .. ركان يقعد
على الحمار ورجلاه تتدليان من ناحية واحدة ، وفي القرية يسمون هذه
الطريقة « بالخسروان » وهمس ولد !

.. أهه .. أهه .. عبيد ابن خال وصيفة طول عمره في مصر من
يوم أبوه ما طلع من البلد فليشان يشتغل سايس .. وبعد أبوه ما مات
قعدله سنتين ثلاثة ورجع قال يساعد محمد أبو سويلم .. ولكن دالا هو
عارف بزورع ولا يقنع .. شوف ياخويا راكب خسروان ازاي تقولشي
بندة إبعادية !!

ومضى الحمار المجرور بعيدا حتى اختفى في احد دروب القرية
وأخلت أسراب الفتيات تمشي إلى النهر بالجرار الفارغة .. ومن بعد
من جهة النهر تهادت فتيات يلبسن ثيابهن الطويلة السوداء الا واحدة
منهن تلبس ثوبا ملونا .. وكان يرفع بينهن صوت واحد وسط
الضحكات ..

كن عائدات من النهر ، وقد مالت الجرار المليئة على رؤوسهن في
اتساق واحد .. الإجرة واحدة كانت أكثرهن ميلا ..

وكأنت صاحبتها أطول الفتيات قامة ، وأبنتن خطوة ، وكأنت
وحدها تلبس ثوبا ملونا ضيقا من على خصرها ، وتضع فوق رأسها
طرحة سوداء شوافا ، تظهر من تحتها حمرة قافضة لمنديل الرأس الذي
يلقي على جبهتها المريضة الناصعة كرات صغيرة زاهية من التماس .

وهمس بي علام :

— أهى وصعها أهه نا ترى جانتكر ؟

وأغرب سرب الغنيات .. كن يسكنن مع بعضهن وقد هدد
فسكنهن الرؤوس مسجعة إلى الأمام وبظرائهن تنجرون في الطريق ..
إلا واحدة كانت عيدها الواسع تلميل نظرات بعيدة إلى الأمام ..

وسمعت وصيحه تقول إلى صاة مريمعه الصوب .

— احتشى يا حصرة بلى أحسن أحم دخلنا أهله .. بقينا في وسط
البلد ..

وتقدم أسرب .. ولاحت لي وصعته بصاء بشفعه صه أكثر مما
تحتمل أرض فرنى ذات البيوت الوطنية الدائكة .

كانت ناصعة البحر ، مثلثة ، واسعة البدن ، ذات يهدين متماصتين
.. وكانت يدها التي لشد بها حرتها تكشف قليلا عن ساعد رقرقي به
أساور من لجاج أرق حافظ البريق !

وكانت تقدم الغنياب وحدها ..

وحدها دائما ..

وكانت وحدها ليس « الشيشب » يقرع كصها في دقات متناهمة
منتظمة ..

لم تكن باهرة الحسن ، ولكن وجهها كان يفيض بصعرة جميلة تجعل
في بياض كاللؤلؤ السطحي ، وتكسو أحمرار حديها بشعوب غات ..

وكان شعرها الأسود الكثيف المسترسل على كتفيها من تحت المديلة
الأحمر وكان معها الواسع العريض اللثمين ، وأنها الصبر الكور وذاتها
العريضة المرتفعة في كبرياء .. وكان صدرها المغم البارز .. كان كل
هذا .. وسعرها المتألق .. جعل لها بين الغنيات سعرا خاصا ..

وأصحت وصيعة قرصة منا ، وانقطع حديث الغنيات ..

وناديتها وهي تمر أمامنا : وصيعة أ .

ولم نلظر إليها وذهل الأنصيان من حولي وسمعتهم يهيمون أن أحدا
في القرية لم يعملها من قبل ..

.. فمن يحدث وصيعة في الطريق لا يسلم أبدا .. وهمس غلام وهو
يشير إلى حفية أن وصفة ستدور الآل لتصب الماء على رأسي من جرتها
كما سمعت مع آخرين ..

وتقدمت أنا إليها وأدب لها عني لأنها كرت إلى هذا الحد ،
واحت وصيعة معها قليلا لتراني فقد كنت أقصر منها بشكل واضح

.. وارتفعت طرائي إلى دراعها أنعاري وهبط على كل جدها الش ..
الصن .. وبانثني حصرة راعه :

— الله .. أنت حيت ؟ أراى مصر ؟ .. حمد الله على أسلامه ..

نا نحتكم ياللى بروجوا مصر !!

وانتسبت وصيعة وأبطأت في مشيتها قليلا وقامت متسعة :

— الله .. يا حلاوة .. هو أنت ؟ .. أريك ؟ .. والله رمال !

وصحك وجهه كله والتممت صيعة سريق جميل ، وأصاحت المعاجد
السارة في رأسها وكنتها حركات من المديحة .. ولاح في حديها عماريان
مطيرين لسمتها عدوه حية .

وتأملت سيرها وهي تقول :

— حيت لبناك حاجة حاوة من مصر ؟

ولم أحب فلم اكي قد فكرت في هذا أبدا ..

ولم يكذب يعضي أول أسوع من أحارة الصيف حتى هرب اسماء
كثرة من وصيعة .. عرب أن عواي وهو من مربي ود في التربة .
أحد يوما تسير وحدها بجرتها إلى الحصر ، بينما كان هو يجلس في
حقل الطيخ أبدي يحرسه ، والمساء ستر أول ظلاله على الدور والحقول
والماء .. وأد مرت وصيعة أمام حقل السطخ الذي يحرسه صفق : و
يصبح طريا :

— أهلا وسهلا .. الأفضل يا جدد أ .

كان الطريق فارغا ، والعلاجون قد هادوا بالنهائم إلى اندور ووصيعة
تمضي دور أن تلتفت إلى ترحيب علواني بوجوده وحيدة في لفساء
الحقول .. وشجعت وحدها عوانى فتقدم معها وهو يحمل بطيحه
كيرة قائلا :

— أنا عبد الأسبياد ولو قطعوا مراسيلي . أنا عبد الأسبياد . خذى
السطخة دي ! .. ذا السي قد الهدية .. خذى السطخة الحلوة دي طرى

بها على قلبك في العر ده ..
وفأحاته وصيعة تقولها :

— حاك وجع قلبك يا هرباوى يا صانع .

وأطلق علوانى صيحة متكررة قصيرة وحك ته :

— به ؟ .. مقبول منك .. حاوة قوى المهارشة دي .. حاكم ض ..
الحبيب زى أكل الزبيب .

وسد عليها الطريق ومد إليها يديه بالسطخة ، فذقت يد وأسند
حرتها بيد صالوخة :

— أنت فكر بعثت إليه ياوادم ياغرابوى أنت يا واد ؟ .. دانت حته
حدام بتحرص بطيح شيخ اسلد ! سارف لى واحدة مسه ياخطاف ؟ يا
حاب الغراب لأمه !

وضحت علوانى ونكرت عحكاته وطالت ..
ومد يده قنالا :

— حدى بس يا شيخه ! ..

فصاحت وصيفة وهي تبتمد من يده الممتدة

— جاتت أسى فى خطافيت .. كن ابدك دى ياقول لك .. امعد
ابدك دى عسى .. والا نسي عشرم بتخوف ابعيال الهس الى ريب
.. اب لا اسمرك لا أنت ولا حتى شيخ اسلد بتدعت .. آمال يا أخى لو
كنت تحتكم على قراطيل ارضى !

على ان علوانى لم يتركها تذهب فمد ظلت يده ممدودة بالبطيخه
وهو يقول !

— كله مصول منك بس اقسى انهديه .. دى العمارة بسيطة برضه
واا شيخ حرب يا وصيفة .. حدى يا بت !
فانصرفت وصيفة :

— اخرس قطع لسائت .. بته بتك انت واللى جابوله ! ذا انت مررت
ميشي ياوادم ياغرابوى .. بت ؟ قال بت قال ؟! ذاا ستك وناح راسك،
وستت اسيدالك كمان ، هو أنت ياوادم يا خطاف فاهم اننا مش عارفه
شعملك وملاعيك .. ذا أنت حرمشى انزل البحر .. قال ايه الايتك
عالم على حميرة عبد الهادى رى عربت القباله وممال لصى عليا من بعد
واحد بنمتجمه .. والسى واللى ذا لو ابويا عارف ولا هند الهادى
ولا محمد اسدى ولا ابيا واحد من ابني رايعين حايين يتولوا عليه لكنا
قطمورا وتنتك دى اللى واقعة على عرق !

— كلامك حلو .. وانسى كلامك حار .. طب وايمسك السى انتى
عمرلك ما التكتيت مع حد الى الملك كله قدما التكتيت معابا دلوقت ! قولى
كمان قولى .. قولى ابيا حاجة ..

لم مد يده بالبطيخة حتى لامست يده صدرها وهو يكمل .

— طب يا ستى .. ولا ترعلى .. خدى البطيخة دى حق عرب
ووصلح نقى ..

وهما وضعت وصيفة حربها على الأرض بسرعة وقالت له بحق :
— طب هات .

وامسكت البطيخة فقلدها بكل ثوبها فى وجه علوانى .

وتركه يتروح ، واندمعت ألى أسهر .. الى المكان الذى تملأ منه
القرية الماء ، ويستحم فيه النساء غير بعيد من جيمرة عبد الهادى ، وراء
دغل من البوص المرتفع يحجب البحر من الجسر ..

شافت حد الفصة .. ومنذ شامت لم يحرؤ واحد من فتيات القرية
ان يتعرى لوصيفة .. فبعوانى رجل تهواه غير واحدة من بساء القرية .
وبهايه بعض الرجال ، فهو كايه الذى نزع الى القرية ، شجاع يتقن
ضرب النار ، حبيب اليد فى لعب العصا ، وقد ورث من أبيه مهنته
موا .. حيانا يرعى اقسام الملاك الكبير فى القرى المجاورة ، وأحيانا
يحرص حدائق البرتقال أو حقول البطيخ ها أو هناك ..

وكان يعلك بديقية قديمة يسميها « المتروطة » ورثها من أبيه
الذى اقبل الى القرية ذات شئاء .. ورث عوانى من أبيه ابديقية ،
وورث معها شجاعة اسب ، والجرأة ولا شيء بعد .

وعلى أية حال فسد كان رجال الليل الاعراب وصعاليك القرية
يحسبون له ألف حساب .

وقد أصبحت قصة وصيفة وعلوانى طلى كل لسان حتى فدا فتيا
القرية واطفالها عندما يتسلسرون يقولون : « دى بعنى ولا بطيخة
طوانى ! »

وحجتها قصة البطيخة من معاكسة الفتيان الآخرين .

وانصرف من وصيفه كل الذين فكروا فى خطيبته مد اعلن ابوها انه
لن يزوحها من اهل البلد .

اما عبد الهادى فلم يياس ابدا .. وقال للشيخ يوسف بقال القرية :
— ابوها لا راغى يدبى حل ولا عند .. كل ما أجي اقول به ادبى
فقاد نافع يقول لى تتمدل ، بعنى هو رايح يجوزها لابن السلطان .. ذكره
اخذها من جوز اختها .

وقال له الشيخ يوسف وهو يسلم عليه ليدخل باب الجدم قبل
صلاة العشاء ذات ليلة :

— والله ما له حق ابدا محمد أبو سويلم فى انعامك دى .. هو اس
تلوع كده .. ذا الناس كلها تمنى تناسبك يا عبد الهادى .. ذا لولا ان
سنى بحبة مايزلمهاش الا واحد اسدى كنت أحجزها لك وأجيبها
لحد الدار .

وانصرف عبد الهادى شاكرًا للشيخ يوسف عواطفه .. ومضى الى
داره يفكر فى انه سيأخذ وصيفة من روح اختها .. وروح اختها صديقه
القديم .. عاشا معا طعونة واحدة وقرأ معا فى كتاب الشيخ انسبوى

وفي المدرسة الأولى به في القرية المجاورة وذهب معا لزيارته أخت وصيه أيام العطلة ، وأنفعا مما شربا جيللا ملاه بالمواويل .. وعنى عبد الهادي في أول أيام رواج صديقه باستحضار حجاب من أحد العازمين المقيمين بقرية مجاوره ليمنحه الحجاب من السحر الذي يمشه الحصاد في محاذ الأرواح الجدد .

وحل الحجاب عقدة الزوج بالعمل ، وسافر يروحته سعيدا الى أفسس ، ولم يسر صديقه عبد الهادي فكان يرسل اليه أحدث ما تصدره المدينة من كتب المواويل ، وأرسل اليه نسخة كاملة من النبيلة ، وسيف بن ذي يرس .

وكانت وصيفة تعرف هذا كله وتعرف أن عبد الهادي هو وحده الذي يستطيع أن يصلح بين أختها وروح أختها كلما راء عاصمة الأقليم ووجد في البيت مشاجرة .

وكانت وصيفة تنظر الى عبد الهادي في حيرة ، وتعرف أنه يريد أن يحطها ، وتفكر أحيانا في أنها يجب أن تتزوج رجلا يلبس الطربوش كما تزوجت أختها ، ومع ذلك فقد كان يسرها أن ترى عبد الهادي يحل مع الرجال وهي تعنى في أي شيء في القرية .

ومازالت وصيفة كما كانت وهي طفلة تصب الحناء والرقص وتمسك المعصا ، وتضع على وجهها طرحة سوداء ، وتدخل في حلقات الرجال الذين يصقون كف الحرب فتزفص معتسمة وهي تعنى في هم سريع :

« وفري صديقه .. »

فردد الرجال :

« عائلمة .. »

وتعود تعنى :

« والحلوة تبلى له » عائلمة ..

جدهع ياني ورا الحيط ..

انت حلى ولا خيف ..

انا ضيف ومعايا سيف ..

أقطع رموس الظالين ..

فردد الرجال :

« الظالين .. الظالين .. »

مازالت وصيفة ترقص وتعنى وتفتن الجميع ، وبجشاشها الجميع ، وكنت أنا مولما لفناء الفتيات بقرتي .. وكان عبد الهادي يصرف هذا .

ودأت يوم جاء عبد الهادي الى داره قبل العصر وطلب منى اب اذهب معه الى فرح كير .. وكان يسير جلدبا فصافسا من الكشمير الكحل ، وبسك بيده الشرجح الطويل ذا الشفرة الواسعة بين هواة لعب المعصا في قريتنا والقرى المجاورة .

وبعد العصر تقدم الطبل البيدي رفه أفرح ، وسرب مع عبد الهادي ، مرهوا به ومن وراثنا زغاريد النساء ، وغناء محتلط ، ووقف الطبل فجأة في مضاع واسع ، واتحد الناس شكل حلقة ، وبدأ عبد الهادي يلعب المعصا مع رجل مشهور ماهر من قرية مجاوره .. وعرب عبد الهادي الأرض بعضاه ووثب .. وفعل الرجل الذي كان يقف بعيدا بمنس الشيء ، وأخذ عبد الهادي يدور حول نفسه ويقرف عسا رميته ثم يرقف ويقوم ويلف ويتولى ورميله يصنع بمنس الأشياء ، وأخيرا انقض عبد الهادي في غربة معاجلة على عسا رميته الألعاب الماهر .. وضح الناس فرحين :

« يلوم الحساس يا عبد الهادي .. براوه يا جدهع .. تسيم ايدك .. »

ولم يضرب عبد الهادي زمينه .. إنما عانقه في سماعة ، وكان الرجل الآخر مزلكا ، ولكنه لم يملك الا عناق عبد الهادي .. ومضى الطبل بالناس مرة أخرى ثم توقف للعب المعصا ..

وطل عبد الهادي يلعب اللعب ويعرف ويرقد وينوم ويدور .. وفي كل مرة كانت الزغاريد تتصاعد والفتيان يصيحون في حماس وتمسك لصد الهادي .

وفي آخر موكب الرجال كان الصبيان يلعبون المعصا بأعسواد رفيعة من التوت ويلتدون حركات عبد الهادي .. وانتهت الزفة لعبد الى بيته ..

وعندما اقبل الليل جاء عبد الهادي وأحلى لاسمع فناء وصيفة .. وأمسك معصه الطويلة بيد وأمسكى بالأخرى .. وانطلقا الى درب طويل في القرية وأمام إحدى دوره كانت الدلك الخشبية قد صمدت وحلست عليها بعض الرجال .. بينما جلس على الأرض هدد كير من النساء والفتيات - وحلستا في آخر الدكة حوار الفتيات .. ورأس وصيفة في أنصدر وقال لى عبد الهادي أن العريس هو ابن خالها الذي كان يعمل بالقاهرة .

وكانت الطلة الصغيرة أمام وصيفة ، وقد وثقت خضرة ثرقص وبعض الفتيات ينظرن الى حركاتها في خجل ، وانطلق صوت وصيفة للصام ، ورأسها مائلة ، وحاجبها يرتفان قليلا ووجهها مشرق مبسم

حالم .. ويطرأها الفأمة المعترة بتحه الى الباحية التى احلست فيها
وعند الهادى .

كانت ترتط معها بمندبل ، وصوتها الداعى بعضى احيانا فى بحة
فيمنحه جمالا جارقا ، وما برحت وصيهه ترتع يديها عن الطلبة وتحرر
ساعدها المشمر البصر فتحدث الاساور الزجاجية ريبا بدلا الاسماع .
ولم تتوقف وصيةه عن الماء ابدا ، حتى هلما كانوا ياحذون منها
اطفيه ليشدوا جلدها على النار ..
وبدأت تسمى :

« اا كل ما اطيب وصائلك بذلك تمضيلى »

« عشبان ما انت الحلوة والجميل معنى »

كان النعم حريا هادئا يتساقط من بحة صوتها فى جلال عميق ،
كأساة .. ودايت راسى وأنا احاول سطرانى المنصحة ان اواجه عيبيها
العاثتين فى راسها المائل بشوة السم .. وسمعت صد الهادى يوشوش
« امضيك ليه ياوصيفة .. دانت تضيقى بد .. طب قولى لا يوكى » .
واحيرا سكنت وصيهه عن انماء فقامت تهر كيدى الطويل ، وترهب
شعرها ييدها ، ولمسمع وجهها بكمها .. وجلست مكانها خفرة تلقى
اغنية خليعة بصوت متعثر :
« على السرير ودلعتى ليه ليه يا مناه » .

وترددت الغنيات فى الرذ طيها ، بينما مشت وصيةه حتى اصيحت
غريبة مى ، واشرت اليها يراسى ضاحكا فرحا ووجهى ينضرم وداست
فى طريقها على بعض الغنيات وثقلت الاحتجاجات عليها بايتسامة ..
وعندما نلعتى ضربتى على صدرى ييدها ضاحكة ، وسحنت نفسها
قويا من انها وزلزلت قاذلة وهى مازال تضحك :

« عجبك الماء ؟ .. والنبي ما تضحك عليا اصل احنا فلاحين ..
مانعوشى فما مصر ؟ »

وسحنت انفها ييدها ، ثم اخفت بها ثعما الضاحك ..
ولم اجبها ، وشعرت بسعادة قوية تعمرنى ويدها الطرية ترت
صدرى ..

وقلت لها قبة فى شيه همس :

« التى مش سالتينى حنت لك ايه من مصر ؟ انا جيت لك حاجة
خلوه .. قرازة ربيحه !! »

كنت همس فى حذر ، وعند الهادى الى حواى يتحدث الى رجل
وقف وراء الدكة الخشبية .

وسالى وصيةه فى همس لاحت فرح :

« صحيح .. والنبي .. قرازة عتر .. هيه مين ؟ »

« تعالى حديها متى دلوقت صد ساقية عبد الهادى »

بعالت نفسى الهمس :

« طيب .. دلوقت اشحت جلايه سوده واطلع لك هب طول .. »

يس ترتع علسان نسمع المواويل .. فيه اثنين معاوية .. واحد يقول
والثاني يعطى ..

وسكنت قليلا ثم قالب وهى تعمز بعينيها :

« قانلى فى المصينة دلوقت .. »

وضحكك وترجرج وجهها بعمرات ابشر ، وتائق كله .. ثم انصرفت
وشعرت بقلبي يعقق وأنا احاول ان انتزع نفسى من مكانى .. وانسحبت
بعد قليل دون ان اقول كلمة لميد الهادى .. وكان هو ما يزال يتحدث
الى الرجل الواقف من خلفه فى موضوع لم اتيته .

وعندما خرجت من الدرب الضيق الذى كنت فيه ، شعرت بالديا
تفتح امامى .. وبكل وحدة الكون لغضى على نفسى بالسكينة .. ومضيت
فى الطريق الى الجسر .. الى الحميرة .. ومضى اذكريات ! ..





طلب امتى على الطريق انترب اى احمر ..
 كن الطريق حاديا ..
 أنا وحدى .. والليل !..

وكان نحو حدارا فى ثقت الليسه من الضيف . وبدا
 الطريق امامى موحشا طويلا لا نهاية له .

لم يكن فى اسماء قمر ، والحقول لا ترسل السمات .. وكانت
 الجوم فوق رأسى تمنع كمبور معاريف فى ظلمات من فوقها ظلمات ' ..
 وانتهى الطريق المترب ، وصعدت اى الحمر ، حوار النهر .
 الذى يحجبه غاب الوصى من حوى اى حير .

وملأنى صور من الحبية ، انى تخرج فى الليل وتجلس على احمر
 فى شكل امرأة ملاحه بيضاء طويله الشعر الى حوار بلاصى ملهى بالماء .
 وتنادى من يمر على الجسر ليسعدها على رفع الملاصى ماذا ذهب ليه
 انسان جدته من فورها الى الموج الساكن انظم الى حيث لا يسمع منه
 احد بعد شيئا .

طالما سمعت عن هذه الحبية فى قريتى ، وان كنت لا اعرف احدا
 على الاطلاق مضى اليها .

تذكرت اسماء اثنين قتلوا على الحمر قبل او اولد . ولنى طلعونى
 الاولى . .

منى يا ترى تخرج معاريتهم ان لم تخرج فى هذه اللحظات السوداء
 من الليل ؟ .

ونقلت على دوامة من الاشياخ والمسخو التى سمعت منها من اهل
 قريتى ، مختلطة بصور المومياة وقرانكشتين التى رايتها فى دور السينما
 بالقاهرة .

وكنت اصرخ من الرعب والوحدة ، ولكنى حفت من صوى .
 وحاولت ان ارجع الى عبد الهادى او الى بيتى ، غير انى كبت قد قطعت
 معظم الطريق الى حميرة عبد الهادى .

ولاخت لى الحميرة من بعيد كشخ هائل له الف ذراع يقف شامحا
 فى الليل المظلم .

واحمرا رايب وجه وصيغه تحت الحميره تجلس فى ثوب اسود
 مالهة وسط الظلال .. ولكن وجهها كان يضى وتبدو ملامحه الوسيمة
 واضحه فى الظلام ..

وصيبت لابه لا تخاف ، وحجبت من نفسى بعض اشيء .. ولم
 اكد احرب مها حتى نالت دقات قنبى ، وشمرت فى الاعماق من صدرى
 بمثل قرق الطبول .

فقد اكتشمت فجأة وان اتقدم لانف الى حوار وصيعة ، اما لم
 توجد وحدنا من قبل ابدا وحتى عندما كنا صغارا !! فقد تعودنا ان
 يلعب مع صغار آخرين ، وكان الكبار يثورون ويقولون اشياء رهبة اذا
 عثروا بقلع وطعمة بعبين معدرين ، فقد علمهم سيدنا الشيخ الشساوى
 ان الشيطان يدخل بين كل اثنى تطو الى ذكر . . حتى الاطفال ! .

وهكذا تعودنا نحن الصغار ان نلعب فى جماعات ، وحين لعبت مع
 وصيعة لعبة العريس والعروسة لم تكن وحيدا فقد كانت معنا الهادية
 الصغرة وجمع كبير من صبيان وبنات .

هلى ان الامر لم يكن لمبا هذه المرة ..
 وأنا لم اعد بعد صغرا لاجل اسرار النداء بين متى وفئة ، ومع
 ذلك فما كنت ادرك هلى التحقيق كل اسرار هذا النداء .

كنت فى الثانية عشرة ، وقد سمحت باعوامى الفنية انفضة لآكون
 وحدى مع فئة تصطرم فى اعينها لونه انب امرأة ، ومن حولنا
 الليل الساحل العريض .

وريت لثمنى ، فقد كنت قبل هذا النداء بحمسة احوام ، انا فى
 الترمه مع وصيعة واجدها بيسر من اى مكان فى جسدها ، والنفس
 لى دهشة واستطلاع قوامها العدى انطلق الذى ينشج يوبا بصد
 يوم .. وكانت هى تصنع نفس الاشياء .

كنت اعرف كل جزء فى بدننا ، وكانت هى الاخرى تعرف كل شىء
 فى ، ولم يكن احدا يرتفع من الاخر ..

اما فى هذا انشاء تحت حميرة عبد الهادى ، فقد احدثت انظر برعه
 الى صدرها الملى وبدنها المغمم البدين ، نفس البدن الذى عرفته
 ولخصست كل جزء فيه ، عندما كنا اطفالا ..

ظلمت انظر الى هذا البدن نفسه ، وأنا اعانى مع هذا كله دوى البضات
 لى قلبى ، واشعر بعمايا عديدة كالاسرار الهائلة تستلنى لى جسدى
 الرابع .

ومدت وصيعة يدها الى وقالت لى ثبات وساطة :
 - واقف لى لى ليه ؟ . انت خايف ؟ . تعالى اقدم ربحى ! ..

كان الليل يبنى كل خلاله الداكه انوره على المصلى والحجيرة
والساقية وأسهر والحمول ، ويسكب على كل الاشياء لونا واحدا لا
يتميز .

ولم يكن سهر صوت ، ولا للحمول ..

لا شيء غير سمكات تواتب من حبي الى حبي وتلطم وجه الماء بذبولها
الرميحه ، وتضمة رتيبة تصاعد من الحمول ، والغضاء بعد هذا راكد
مثل بالحرارة ، وبأصداه حادثة كلاب تسبح في انغرية من بعيد ، ثم
ذقات قلبية وصوت انماضي ، وهمس الراحة توسوس به حنجرة وصيغه
في رروح ا .

ورفعت طرف جسدي الأبيض من الحلق لأجلس على جلع انجيمه
الى جوار وصيغه ويدي على صدرى أحوال ان احس بها دوى
النضات ..

واغتربت وصيغه بوجهها من وجهي ، وشمرت بأفاسها لتراسل
هادئة .. وسألتني في همس مسح ان كنت أذكر آخر لقاء كان يسا ..
ها في هذه المصلى اا .

وباعتني الضجل ، ولكني ضحكت ، وضحكت هي واخذت تسترجع
حالة التشيخ الشناوي حين دخل المصلى هلبا في لحظة الزفاف
بالتعديد ا .

لم يكن في صوتها اضطراب .. فقد كانت تضحك بيسر ، وتريد
ان تتحدث بلا انقطاع .. ولاحظت في كلماتها خطيما من لهجة قرين
ولهجة عاصمة الاقليم ..
ولم أقل لها شيئا ..

ومدت وصيغه يدها فوضعتها على ذراعي ، ونهضت طالعة منى ان
امسى معها الى المصلى بعيدا عن طريق الحمر .

ووقعت متفتشيا ، واستندت الى الجور المتعل بالليل ، وراينا من
بعيد شعاعا أصفر يعقب على صفحة المياه السوداء .

وحملني الى المنظر صورا من قصص فرام نشرتها المجلات التي كان
اخوتي الكبار في القاهرة يعالون في ابعادها حتى وقراها انا خفية ..
وظنت صور من خارج القرية تلج على ، وأردم راسي بالأعلام العرايية التي
كنت أشاهدها في دور السينما بالقاهرة ، وتذكرت كلمات اقراها في
الترجمة العربية لعيلم امريكي غرامي ، رأيت في سيمما أجنبية - خلسة
من وراء احوري - قد كانوا ككل الغلاب الكثر في ذلك الوقت يتشددون
في مقابلة السينما الأجنبية ، والبضائع الأجنبية وكل ما هو اجنبي .

واهرب من التمتع احده ، فاجت على صور مما عاينه او رايته
في السينما .. واستجيت شحاتني وحادوث ان امست وصيغه من
كتيبها لأقول لها كلاما ملتبس ثم اغيب معها في ساق حار حتى الصباح
.. فلما كد رايت في الاعلام وقرات في انصص اني كانت تشر في
حظة الفكاهة والخاصة والصباح وروايات مسامرات شهراد ؟ ولكن
يبدى احاطت بحره من خضر وصيغه ، ولم تلم كتبيها .. فمت
لهمي « حبا » يجب على وصيغه الا ان تنسى اي الوراء وتنبذ
وتقول : « يا دنياي ! » فلما كد كنت تقول انصص الشباقة
التي قرأتها في القاهرة .

انها كما قرأت فلما ، طويلة مبيضة في حمامها كبرياء كامييرة هدية
.. ولكنني لسوء الحظ لم أكن بعد قد أصبحت كذا من فرسان الصور
الوسطى - كما كانت تقول القصص التي قرأتها اا .

وسمع ذلك فقد بادرت فامسكت وصيغه من خصرها بعنف ، وشددت
حولها ذراعي ، وفي صوت هامس حاولت ان أحبه حونا .. وقعت
الحول :

- يا غرامي .. احبك ..

ووقعت وصيغه وامسكت ذراعي بيدها انحنسة ، وقالت :

- آه .. زعق شوية .. على حسرت حبه ..

وامدت فبيها ما قلته بصوت نصف هامس هذه المرة ..

وانتظرت منه ان تعلق عينيها في ذبول ، او تنظر الى المحمول
بمعين نصف معلقة على الأقل ، وانتظرت منه ان يرفرف او يشوق ، وانتظرت من
وان تنفث ادبها ، وانتظرت منه ان يسط ويسألني : اصحيح .. يا حبيبي !.. وانتظرت
صبرها ان يملو او يسط ويسألني : اصحيح .. يا حبيبي !.. وانتظرت
منه بهذا كله ان تتلقى براسها هي كتفي وتنبذ شحراها السوداء لتكشف
كالأجاجة المطرة عنى وجهها ، فأرفع رأسها بين راحتي ، وانتظر في
عينيها بهيام شديد ، ثم ينفض كل واحد عما على الآخر في قبلة .
وأحدتها عن جمالها ، وتحدثني عن جوانها .. ولا تغترق الا مع الفجر !

انتظرت ان يحدث هذا كله كما قرأت في القصص المصرية ورأيت
في الاعلام امريكية .. ولكن وصيغه لم تصنع شيئا على الاطلاق من
كل هذا . بل سمحت نفسها سريعا من انهما ، ودعكت وجهها بيديها ،
وفتحت عينيها الواسعتين المكعرتين قائلة :

- يا احتي بلا وكسة !! انت بتتكملي كده ليه يا احويا ؟ .. واللى
ما انا فاهمة منك حاجتن تحلق ! أصل أنا ما اعرفش الكلام الاجيبيرى

التي ابت ينعوه ده .. ماتقول يا احويا كده بالمتشر .. هابر ايه ..
عاير ايه يا صاى ؟

وم اقل شيئا .. فمشيت وصيفة نعيدا عى لتبصق فى ماء النهر
وهي تقول ،

— تماى هدا تقعد على حرف البحر ..

ولم تفتطرى مجلسى هي على الساقية ، واعطى ظهرها ، وبطرت
بوجهها الى النهر الصغير ، واحدت تتشم بأصبعه سمعت منها :

قدام بيت اللى بأجيبه

شجرة وظله ومضى وهو

ان كنت حايب من ابويه

دا ما ابوى يحبك زى أنا

وان كنت حايب من عمى

دا أنا عمى يحب الصهينا

وان كنت ما حاضدى

لاقلع خلعاتى واغوم أنا ..

وقبل ان افرغ من مشوى بصوتها ، قطعت عندها لتسألنى :

— امال عين اللى قلت عليه .. عين قرآزة العتر يا اخويه ؟

ولم اعرف كيف اقول .. واحدت انظر الى الضوء الشاسع الذى
يتقدم من بعيد على صفحة المياه السوداء ومن حوله هيممة رائقة ..

وتعثر صوتى فى حلقى ، وأنا احاول ان اقول اى كلام وبانغتنى
سخرية مليئة بالخبرات حتى الأديب ، وابتلمت ريقى واخذت اتصنح

وأما احاول ان اطرد الكلمات العاصفة فى حلقى ،

واستطلعت آخر الأمر ان اعترف لوصيفة انى لم احبل اليها زجاجة
عطر ، ولكنى حملت لها عشرة قروش نس رجاعة تستطيع ان تشتريها

هكذا تلعب انى اختها فى عاصمة الاقليم ،

وتناولت وصيفة قطعة الشود من يدى بسرعة كالها تخطفها ، وونت
فجأة ، وقد تهلل وجهها واشرق ، ووقعت فيه الضاربات .. واوشكت

ان تتمش بجاعة بثر الساقية ، فوثبت اليها اسدها ، وقلنى يشب معى فى
اشفاق كبير ، ووقفا على الأرض معاً الى جوار البئر .. فقبلتنى من راسى

صاكرة .. ثم وقفا واحدت تمسح لى حلقى ، وجرت بعيدا عن ظلال
حدار الساقية الى الفضاء على حافة النهر تتأمل القطعة وتقلها فى يدها

فى حرص وفرح وهي تقول :

— حلالة يا أمه .. بريزه ! بريزه جالها ..

وعادت بسرعة فوجئت عند سور المصلى ، وارتكت عليه وهي تطلق
ضحكات مكسرة سعيدة ..

وفي بطة واعترأ وحدر فتحت الجدياب من على صدرها ثم وصحت
فهملة البود بحت يهدا .. وارنيت نظراتى على صدرها الوهمى الساطع

وهدبت يهديها ، واحتلحت وشعرت بده غريبة تنب فى كل يدى ..

وشدنى وصيفة يديها هي قوة ، وهي تترك الى سسور المصلى
وقالت :

— فاكر لما لعبا هي المصلية آخر مرة .. آخر مرة لعبا فيها واحدا
صغيرين كانت فى المصلية .. وأول مرة حالمب فيها واحدا كبار حاكون

برخه فى المصلية ..

واحدت وصيفة تضحك وبهر بعسا ، فطلت لها ان سور المصلى قد
ارفع اليوم ، فثابت لى والضاوات على حديها وعيهاها تتألم انما نحن

انظما قد كبرنا ..

وسكتت قليلا قبل ان تقول لى ان سيدنا الشيخ الشماوى لا يستطيع
اللغة أن يفسد علينا اللهب ..

كانت تترقص وهي تتكلم وقد سرت فرحة جديدة فى كل عروقها ،
واسمعت منها العيان بثور قريب احاذ ..

وامسات احساسا بأى رجل رغم سنواتى الاثنى عشرة ..

وبكن وصيفة طلت وهي تترقص تحدثنى بسخرية عن الشيخ
الشماوى وتتمتع وتبرز يهديها المترع ..

ولماني هذا كله بالرعب .. وحيل الى ان لديها هي فى يدها الفائز
ابدى يوعضنى اشياء كثيرة تستطيع أن تتحدى بها الشيخ ، وكل شيوح

الأرض ، اما أنا فلم اكن قد أصبحت بعد مالكا لشيء اتحدى به ..

وكان ذكر الشيخ الشماوى ما زال يصل الى صور النار والحاشية
وحراب البيوت ، ويصل الى بصمة حاصصة غضبة أبى ويثير فى نفس

الوقت الواما من الرب ترترلى حتى الصباح ..

وحيل الى ان أبى ربما أرسل الى من يبحث عى لى الفرح .. فماد
لو لم يجدنى .. وشيل الى أبى ربما رأيته أمامى فجأة ، يقف بينى وبين

وصفة وغصبتة تحمل الى شيئا كاللغة ..

وقلت لوصيفة وصوتى يرتش :

— اسمعى يا وصيفة .. اما لازم أزوح دنوكت ..

فقالت باستحجاب :

.. حايث من ديه .. دا انا اللي معنى احاف أكثر منك .. أهو انت اسمك راجل .. لكن هو فيه حد من اليد يقدر يطبخ البحر دلوقت .. السواقي بطانة والساس مشغولة في الفرج والدنيا كحل .. ماتحافتي ياغيي .. حتى الزاد صواني اللي داينا مفروس على الجسر يحسرس المطبخ طوب الليل راحر متنتفح في الفرج .. ماتخافني أبدا ..

وسيعبر على عريان رغصة حارة في ان احتسب وصيفة .. وان آكلها في صدرها الملى .. وجرها الساطع ، ودقها وشمتها المليثني ، وحدها الكور ذي الغنوات ..

ومدبت يدي اليها فامسكت بي ، ولعت ذراعها حولي ، وشسعت بفتنه بدنها يبعد من جلبابي ..
وسألتني عن فتيات مصر وما يصنعن وما أصبح بهن ! ..

ولم أقل لها شيئا فلم أكن أعرف ماذا تصي وصيفة ! ..
فصحت تلاخفي بالأسئلة عن سماء المدينة كيف يليس .. كيف ياكس .. وكيف يصنعن مع لرجال ، هل تستخدم الواحدة مهن برجاعة عطر ؟ هل تملك كل واحدة مهن بكونا .. واين تضع نقودها .. هل معنى ؟ بريرة .. في كل يوم ، ففي القرية لا يكاد شيخ البلد نفسه يملك و بريرة .. وروعت ذراعها عني وانتظرت مني جوابا عن هذا كله .. ولم أحب فمسا كت أعرف شيئا عن كل هذا .. وأنا اشمع في احوتي الكبار ان الدنيا كلها أزمة ، وابهم في امريكي يرمون الدرة والسن في البحر وفي الصحن يمتنون من الجوع ..

وكنت اشمع من أبي ان الأزمة هزمت اساس .. فالعطر يساع بانساب والملاحون يستقون في ايدي المراكب ، والدين يملكون أرضا تحجر عليها الحكومة من ارض صربية اسمها المال .. والذين يبيعون القمح في الأجران المحجور عليها يسجون ولو أنهم باعوا القمح الذي يملكونه ..

وكنت أعرف من المدرسة ان كثيرا من التلاميذ يقلبون بأحذية مبرقة وكنت أرى زملائي في المدرسة امخذهني يداورن جواربهم المنقوبة في احشيتهم .. وكان بعضهم يسير بحدق حتى لا تلاحظ انهم انثوب في السطوانات وكان أبي في اول كل عام يصلح لي بذلة أحد اخوتي الكبار ، ولم يدا .. أحد في التلاميذ يعرف البذل الجديدة في اوائل الدراسة أو في الأعياد .. الا القليل ..

وحذت وصيفة عن بعض هذا وقلت لها ان اسير في شوارع مصر يسبون : رموسهم متخينة وعلى الوجوه وجوم ، حتى لقد حسبتهم

لا يصحكون .. اما النساء في القاهرة ملا يكاد أحد يرى وجوههم من تحت الحجاب ولكن السجود العارية والسائيت ترتفع الى ما فوق الركبة لكشف اول السيقان ..

وتهدب وصيفة قليلا ، ثم دست يدها في صدرها وتحسست العملة الفضية وعادت عياني لستقيان على مبيت تهديها الراشعين ..
وسكننا ..

وشدت انا بفكري في الطريقة التي احصل بها على نقود .. انسى اظن اصبح ساعات كمنة وامي ناقشني فيما أصبح بالسود ما دمت أكل واشرب ، ويميل الي البيت كله بالتفصيل لبعض الوقت ، وعجبت لنفسى لاسي بعد المحمود انشاق الذي بدلته لأحصل على هذه القروش العشرة تارلت عنها يسر واعطيتها لوصفة ، عر آني على الرغم من كل شيء شعرت براحة تيسر واعطيتها لوصفة ، عر آني على الرغم من كل شيء قديرة ما ربت استمتع بذكرى حلوة من شعاع هادي .. بويه التمتع في عيشته ذات مرة وحي أطفال ليلا قلوب الجديدة اذ دالك ببهجة حب عجيب ..

وليت انظر في الفضة من حولي وأنا سعيد .. وابتعنت هن وصيفة قليلا وقترت من النور الذي كان يسري على صفحة البهر .. ووضعت لها اصوات رجال وساء يتحدثون في سمية كبيرة بشراع واقبلت وصيفة ووقعت بجوارى ونظرت الى السهر قليلا ..

ثم قالت :

.. المركب ذي وايحه مصر ..

وتعانت زفرتها في هذه ..

وقلت لها انى انسى ان مجلس رزق الى مكان بعيد في هذا الليل .. فلم تقل شيئا .. ومرت لحظة صمت ورات وصيفة ترفع يدها وتلف جسدى بذراعها في قوة وتحصني وتضع خدها على رأسي ذلة ..

.. مش بنات مصر ييمولوا كنه ؟ ..

ولم أحب امام المفاجأة وأغلقت أفكر قيسا صحت قروشي بوصيفة .. وبدأ اليوم يزحف الى قلبي لاني اعطيت وصيفة نقودا وخيل الى انى اشتريت منها لحظيات سعيدة .. وكأنا انا واحد من الذين يقدسون الفتيات الفقيرات بالمال ..

واحد من الذين يتحدث عنهم القصص التي قرأتها .. وغاطني هذا التصور لمحيث وصيفة بعيدا وأوشكت ان اصبح في وجهها بما في نفسي ، فلو انى لم اعدها برحاحة عطر لما اقلت الى

جميرة في هذه الساعة من الليل ولو لم أعطها الغروشي العشرة لاصبرت
معد حتى .

غير أن وصيفة لم تكن بشعر بأني اشترت منها شيئاً أو حاولت
شراء شيء ، فصدما دفتها ضحكك وقالت :

– ما تحاشش ..

وعادت تعانقني .

ثم جدتني من يدي إلى داخل المصلى فوقفنا معا على الأرض وهي
تحتضني بقوة ونهلت بصوت واضح بينما كانت صور البار والمأخضة
وشراء فتاة فقيرة تملأ مني اللب ناليدم وترقق أحسامي بالعار .

وأجيرا وقمت وصيفة في صيقي ودفعت يدها في صدرى بقوة وهي
تقول بألم :

– دا امت داين عليك لسه صغير قوي .. أمال مطنسي البحر ليه ..
يا خويا بلا تيلة .

واستحييت أنا بلا كلمة إلى خارج المصلى وأنا أعاني وحرا شديدا في
كل جسمي .

وشرحت لها ما كنت أعاني وحدتها من العار الذي يرهق أحسامي
لأنني اشترى منها لحظات جميلة لهرت رأسها قائلة باستغفاف :

– والني ما أنا فاهية حاجة من الكلام إلى أنت بتقوليه .. حاكم
أنا ما اعرفشي كلام المدارس والالبديات .

وتحركت بعيدا عن المصلى لأصعد إلى الجسر فاستوقفتني لتقول في
خراعة :

– اسمع .. وحياة أبوك وحياة ربنا وحياة النبي وحياة ترب الميتين
بتوعك اوهي تقول لحد على إلى حصل ده .. اوهي وحياة أبوك وأمك
وأخواتك .. اوعي تقول لأبها واحد .. هه .. خلي عيشنا كده في
الس .. دا أنا عسري ما عملتنا .. وبمدين أولاد الحرام يطعموا فيه ..
آه يا غاييتي .. اوهي يا فسادي .. حاكم بلدنا دي بلد خيابة .

ثم قبيلتني في رأسي وهزت كفتي في جنو وثأني وهي ما تزال تقول
– اوعي والنبي وحياة غلاوتي عندك .

وعصرت أنا بأني أريد أن أكي اشتاقا على وصيفة وتمتيت لو أجد
نفس في تلك اللحظة وحلا قويا يستطيع أن يعميها .

وأكدت لها أسي لن أقول لأحد وتابعت صبري وهي ورائي وغادرتنا
البحيرة وبنات خطانا تمخرس في تراب الجسر أمام حقل عبد الهادي ..
ولكسا توقفا معا واستندتا إلى الورااء دفعة واحدة وكانت ترتجف .

كان لأرغول من ورائنا قد أطلق بسمانه فبها وبعد قليل رأينا الصو
الشحاح في البحر بخادسا والسبعية تمضي ، محبلة بالتنس .

ودلرنت وصيفة كأنها تخرج من ذكر مميت .
– بوه فطيمة .. دا أما افكرته عند الهادي .

وهرتني كلماتها ورجفتها .. ولكن أعوام الأرغول في الليل الصامت
امتلكتنا تماما .. وجرت وصيفة عائدة إلى الساقية وهي تقول :

– فمال .. فمال لقمع عني حرف البحر .. فمال ششعد عليه
المسخرة .

وحسريت وراها وجلست إلى جوار المصلى عند منحدر إلى البحر
يقوعا منه المصلون ، وحاولت وصيفة أن ترقع صوتها لتنادي « يا ريس
البحر » فبهرتها ولكنها بقوة .

كنت أعرف نوع الكلمات التي يتبادلها الملاحون مع الجالسين على
البر باسم « فمد المسخرة » كانوا يسبحون بكل شيء : بالآباء والأمهات
وكل العلاقات ويقولون العاطا مكشوفة .

وخجلت وصيفة فلم تحاول أن تشد المسخرة بعد وأصمتت إلى الأرغول
في صمت وانطلق من هلي السفينة صوت جاف مرتفع يضي :

غليون واسع جمالات على النيا الشرقية

أيا عاشق السمسات البيض تقتل ولا ليك دية

أيا عاشق البنات السم .. خسر بلا مية

وملائتي الفسوة .. وأحسست بطاقات هائلة وبالقدرة على أن أصنع
كل شيء وملت على وصيفة وقبيلتها في حننا .

فضحكك وهزت نفسها دون أن تلتفت إلى ..

وانتعد الصوت قليلا قليلا .. حتى ذاب في صمت الليل .
ووجحت وصيفة وزحفت على نفسها المראה والأحلام فقالت بصوت

يشبه البكاء :

– لو كانت الوحدة للاقى الأكل والشرب قدانها ، وتقدم طول عمرها
كده تقني وترقص ولا تملحشني هم حاجة في الدنيا ؟

وسكنت قليلا ثم خلعت التمشيب من قدمها وغيرت من جلستها وملت
قدمها إلى الماء وتركت قدميها تبتنان في الماء وسرت في الماء مررة جميلة
تحت قدميها واستمرت تقول :

– لو كنت أصبح الاتي في دارنا رلعة مليانة برايز .

ثم التفتت إلى .. ومالت نخدها نحو فسي وقبيلتها مرة أخرى فضحكك
ورفعت قدميها من الماء وحففتها بطرف ثيابها ونهضت قائلة أن أها

يروى الشرائى فى حمله البعيد فى حوص التربة الكثيرة ويحب أن تذهب
اليه الآن بالعتاء .

وأيدت لها معادى من أن تذهب وحدها فانطريق بين التربة وحوص
التربة طرين محيف .
غير أنها قالت باستخفاف واعتزاز .

— هوه فيه حد فى البلد يقد يهوب حاجتى ؟ دانا بت وراجل كمن
ياجدع ، هو يعنى عتشان محمد أبو سويلم ما أتروى من مشيخة النفر
تقوم الطير لأكمل لحمه .. يا أحي لا ..
وتحركت فى طريق العودة .. وطلبت منى أن أسببها وابتعد عنها
حتى لا يراها أحد ..

وسألتها وان لمعى ان كنت تخاف من علوانى ادى يجلس الآن فى
حمله بلا ريب ، فعدت خاضية انها لا تخاف أحداً فى القرية كلها ولا يهوبا
أحد ، لقد عاشت فى البندر خمسة أعوام مع أختها فعدت هناك أشياء
كثيرة ، فعلاوى وشيخ البلد ادى يشغله وحتى ابعدته نفسه لا يساوون
فى البندر شيئاً ، وقد حدها روح أختها انه رأى المأمور الذى يهر الدنيا
يرتعب أمام الحكمدار ورأى الحكمدار يرتعب أمام المدير ورأى المدير
يكاد يقل يد وزير كان فى زيارة مدرسة الزراعة بمعاينة الاقليم .

انها لا تخاف من علوانى ولا من سيده شيخ البلد ولا من المأمور وقد
رأت بنفسها طلبة مدرسة الزراعة يخرجون فى مظاهرات الى الشوارع
ويغربون المأمور الذى يهمل الرعشة الى قلب أكبر رجل فى المركز .
وسكنت لحظة ثم قالت انها ضربت علوانى فى الصبح بطشت
القميل عندما دخل دارها ووقف صامتا ينظر اليها ويقفها بعينه وهى
تصل ملابس ابيها فمشى بلا كلمة .

وقلت له ان علوانى يريد ارجو .. وهنا ضحكك وصيغه وقالت
لى أن علوانى يصنع أجراً عند ابيها يرمى له اسم أن اشترى شىء أو
يحرس له بطيخاً ، وإذا كان علوانى يريد أن يتزوج فليبه أن يتزوج إحدى
العتيات اللواتى يستعملن فى الحمول بالآجرة لانهن لا يمكن حملها
يستعملن فيه .

ثم تجسست صدرها ورأسها المصوب واستمرت تقول أن الذى
لا يملك فى القرية أرضاً لا يملك فيها شيئاً على الإطلاق حتى الشريف .
وهذا أسوع من العتيا هو الذى شجع علوانى .

وسكنت قليلاً ثم عادت تقول وجد تعبرت برة صوبها ، ان هؤلاء
العتيات مسكينات يعشن على النعمة ، ويدهن فى التراحين الى الرادى





لم أستطع أن أنام في تلك الليلة بعد سهرة في مرآتي
أفكر في وصيفة وتمنيت لو أنني أستطيع أن أجد
واسعة الصبي .
لو كنت كبيراً بعض الشيء لتزوجتها . .
أنزوحها ؟ . .

أن فكرة كهذه تقلب في الدنيا . . فأبى وأبى وأبى كلهم لا يمكن
أن يوافقوا على ذلك ، فاما لا أستطيع بعد أن أكون رجلاً ، فلا أرواح في
الغاية هشة .

وعندما أصبحت ، أحسست بشوق جارف إلى رؤية وصيفة وتمنيت
لو أنني لقيتها كل ليلة تحت الجحيرة . . وأحدثت استعبد الكلمات التي
قديتها لها ، والكلمات التي قالتها لي . . وأسرت أذني في رأسى كلمات
كثيرة كان يجب أن أقولها وصممت على أن الفصح وأقول لها هذه
الكلمات . .

ولكنني لم ألقها وعندما كنت أفكر في أن أذهب إلى دارها ناداني أبي
وطلب مني أن أجلس هناك لأذهب معه إلى عاصمة الاقليم لأسعى في
عند طبيب العيون . .

كنت أعرف جيداً هذا العذاب الذي إلقاه في كل صيف عند طبيب
العيون ولكنني لم أستطع أن أرفضه .

وكان دكتور العيون رجلاً يلبس المنظار الأسود ولا يتكلم وكان
صارماً حاد الصوت ، يتحدث إلى أبي كما ذهبا إليه عن المستور
والانتخابات والأرمة وما يصنع الانجليز .

وكان واضحاً لي أن أبي يحب بإحاديته ويوافق على كثير جداً من
آرائه .

وذهبت في ذلك الصباح إلى الدكتور مع أبي في العربة المحطورية إلى
عاصمة الاقليم وبعد أن فرغت من زيارة دكتور العيون طلبت من أبي بطاقة
سوداء عاشتراها لي وتركتني على مقهى يملكه رجل أرمي وأحدث أكل
قطع البقالة وحدتي وأكتب الصحف حتى عاد أبي . .
وجلسنا إلى جواره في العربة وأنا صامتة . .

وهناك يمضن يوماً بيوم ولا يبلغ ثمن الواحدة منهم هـد رجال مثل علواني
أكثر من كور أدرة يسرقه الرجل من حبل يحرسه .

ولم أفهم جيداً كل ما قانتة لي وصيفه ولكنها كانت متائرة . . ومشيت
أما وسمعتها بمصمص شفتيها وهي تقول :

— عيسى عليك يا حفرة . . آهو أنتي مائسويش في أي مولد أكثر
من كف حلاوة سمسية .

ومضيت في طريقى أمام وصيفة وسمعت رنة شيشيها من بعيد
وهي ورأني يشق الظلمات بذهب الدرع مهيأ كاره يتحدى قوى الجماد .



وحشيت وأنا جالس الى جوار أبي ان أفكر في وصيفة . . وطلبت
نحطه مضطرب التفكير ثم شرد فكري في المدرسة الثانوية وهي أحلامي
تاليدله المفتوحة ذات البساطون الطويلين وطلبت في أبي ابنة الجديدة .
واحتس أبي قليلا ، فقد كانت البندلة الجديدة تكلمه أكثر مما يطق ، كغيره
من الآباء في تلك الأيام . . وكان أنرجل منهم يداري عن أولاده انيباره
بما لي ويحاول جاهدا ان يقنع مطهره أمام الناس . . وهو لا يملك مودا
بضمها في جيبه لأيام طوا . وبعد قليل انبسم أبي وطلب مني ان انتظر
هنا ربما في أوائس الاجازة ، وربما يسهل قبل دخول المدارس .



وكنت العربية قد قطعت الطريق في عاصمة الاقليم على جسر النهر
الى قريتنا ولم يعد الا الطريق انصيق الذي يصل بين الجسر والقرية .
ودعشت العربية في هذا الطريق ، فسمحت من بعيد ثوبا ملونا مسح
ثلاثة جلايين سود . . انها هي وصيفة . .

كان اثر = مرهم المس = ما يرال في عيني ، ورفعت مضطرب الاسود
الذي اشتراه لي أبي فطلب مني أبي ان البسه والا احلمه الا في الليل .
وحشلت واضطربت وحشيت ان يكون أبي قد لاحظ أبي حاولت
احلاس النظر الى وصيفة . .

وسارت بنا العربية المضطرب وتحت الفتيات في الطريق وادرن
رؤوسهن المحملة بالجرار المنيشة . . ولكن وصيفة لم تدر رأسها كما
فقد كانت ترشق نظراتها الى داخل العربية . . الى أنا ، وكانت تبتسم

وقلقت قلبي بين صوغى . . وكنت أنا أقف من العربية وعندما وقفت
العربية أمام بيتنا التفت الى الوراء لوجدت وصيفة تقبل مع زميلاتها
وصعدت أبي الى البيت وابطأت أنا قليلا فقال لي :

- يتكلم كده ليه . . اطلع ربح عينيك من الشمس .

وطلعت أربع عيني من الشمس ، ومن شبالك الطابق الثاني وجدت
وصيفة أمام البيت في الطريق وهي تدبر وجهها قليلا الى الباب . . وتاكدت
انها تبحت عني وتبتسم لو أقف إليها واقع أمامها تماما وأطلب منها موعدا
آخر عند الجميرة . . ولكنها مرت الى دارها ولم افارق الشباك مضطربا
ان تعود وصيفة فتخرج الى الجسر لتملا مرة أخرى . . ولكنها لم تخرج
ولم تمر أمامي من الطريق .

وبعد المهر استطعت ان أنسدل . واقف أمام باب البيت في انتظار
فدومها ، ولم تكذ تقبل حتى ناديتها أمام الفتيات . . وضحكت وابصمت
الفتيات ، وقلت لها هاهنا :

— قابليسي رى امبارج .. بعد الشما *

وخرجت بعد صلاة الشما مباشرة ابحت عنها عند الجيرة .. لم
اسفر بالخوف من الطريق هذه المرة ولم اشعر بالوحشة من حولي في
انصاف السباتي .. كنت افكر في وصيفة وفي اشتيا لم اعدنا ولم اصنعها
يجب ان نقولها واصفها *

وعمرت بعض البطيخ ادى يحرسه علواني ، فلم اجد اثرا له ..
وانهيت الى الجيرة ولكني لم اجد احدا ..
واحدثت ابحت عند لساقية وادخل المصلى .. ولكني بلا جدوى ..
وعدت مضمنا وانا اتمنت زرائي في كل حلوة ابحت عن وصيفة ..
وقضت بجسر كنه وبدأت اجدد في الطريق اضيق الى انقري وما
رلت املت وزائى .. فربما رايت وصيفة ..
وسحت حبال امرأة تبس السواد ..

اجرا فهدد وصيفة بلا كلام .. ورجعت مسرها الى الجسر .. ولكني
وجدت الخيال يدخل حبالا .. ثم يختم في الظلام ..
كان هو قتل البطيخ الذى يحرسه علواني .. وهرني غيظ مخيف ..
ان وصيفة تسخر بي لاني ما رلت طملا ..

وسيطرت على فكرة ان وصيفة لم تكن مخصصة ايندا حين حدثتني من
عدواني .. ربما كانت تدها خفية وترجوه هو ايضا الا يروى لاحد قصة
اللقاء ، ثامنا كما صنعت منى منذ ليلة واحدة ..

ربما كان لها مع علواني شقيق آخر ، في السر وفي المصلى بايدات.
واضطربت بالحق ، ولم ادر كيف اصنع ..

ولكني مضيت في الطريق حتي وصلت باب دارى ، وامام باب البيت
وجدت عبد الهادى ..

وتلقاني مرحيا كانه كان يحدث عني وقال لي ان ابى قلب البسطة
بالسؤال على .. وحسن في ادى ان ادخل ، وسيطوع هو بالقول لابي
اننى كنت في دارة الحب وبصماني الا اخرج مرة اخرى في الليل ..
والج عني عبد الهادى ان ادخل الى البيت مسرعا لانه يريد ان يروح
الى الساقية ..

كنت اعرف انه يصعد الى الجسر عندما تدور ساقيته ، ليسهر
عندما طول الدبل يقطع الوقت بقاء حواويل الطويلة التي تروى قصصا
اسرها عن ابطال الحدة والحب ، يسا الماء يجري في قناة صغيرة تمر

من تحت الجسر الى حمله ، ثم تطوف بالحق كل ، تاركة الماء يسكب
مها عر فجوات عديدة شقتها الناس ، وكنت اجلس مع عبد الهادى على
ساقيته احيانا في النهار اسمع الحواويل والحكيكيات ، ثم يصحبني الى
بيتني في مهبط الليل ويعود هو ليسبق الليل كنه وحيدا مع الناس والماء
والزرع وابطال الحواويل .. لكتم تميت ان اسهر معه ، ولكني احدا من
اهلى لم يسمح لي بهذا ابدا ، حتى عبد الهادى نفسه ، كان يرى اسهر
على الساقية لا يتيق بي ، انا ادى اتعلم في مصر ..

عني ان ساقية عبد الهادى لم تكن تدور في نلت ايلية انطلة نادرة
من انصيف ، ولم اكن حتى البسلة لاسال عبد الهادى الى ابى يصحى ،
فاحفاء وصيفة امام احتل الذى يحرسه علواني كان ذهية كبيرة ...
وعده داهية اخرى تاني الى اسبم في الاولى ، ففقد اكتشف ابى اننى
خرجت من البيت دون ادب منه بعد صلاة الشما ، وببسا كنت امسك
في طريقة اتسلل بها الى المنزل لاصح بدلتى وكل ما لدى من ملابس تحت
حليبي فبلى ان القى ابى ، لاحف من جسمي وقع عصاه الرقيقة ان لم
تعلق شعاعه عبد الهادى في تليصني من انصرط هذه المرة .. وببسا
صورة لعصا تحتط امامي بشيح وصيفة ، اذ يجيد الهادى يسألني :

— انت كنت مالبجر تحصل ايه دلوقت ..

م يكن عبد الهادى فلما قابلي يحل على وجهه اى تعبير .. فغير
ابه عندما سألني شعنت الايتسامة المكرة في قسماته ، كاسا هو يعرف
جيذا مع من كنت ..

واحتدم في نفسي الحق وقلت له وانا اكاد ابكى :

— است متى عاور تقرا لافحة وصيفة ؟ طب اطلع البصر بقى شوهها
مع مبي ؟

واهترت العصا الطويلة في يد عبد الهادى وقال مبهورا :

— ايه ...

ثم املت مسرها في الطريق الى الجسر ، وقد لسى شعاعته التي
وعدي بها عبد ابى ..

وهبطت السلالم امام مرثى ، لاعدو معه ، ولكنه كان يضي مسرعا
والنعت الى قنلا :

— ارجع ..

ورجعت انا مثقل القلب ، وتسللت الى حيث وصعت كل ما لدى
من ملابس فوق حصى تحت الخلاب .. وقابلت ابى كاسي كرة ..
فاسبم اول الامر ، ولكنه احبى انتسامة .. ونام الى عصاه ..

وإندرمى إلا أخرج من البيت مرة أخرى بعد صلاة العشاء .
وبت لبنتى وأمامى وجه أبى فى عصاه ندى يتخالعه الانقسام ، وفكرى
هناك على الحصر .. حيث احتفى شبح وصيغته .

أكاس هي وصيغة بالتأكيد ؟ ..
ربما لم تكن هي .. ولكن لا بد أنها كانت هي ..
من يدرى ؟ ..

أبى علوانى وحده يعرف .. وسيعرف عبد الهادى كل شيء .. وأعرف
أبأ فى الصباح عندما أقابل عبد الهادى ..
ورجعت إلى رأسى من جديد أحلام المدرسة الثانوية التى سادسها
أنها بعد شهر والبطون الطويل أبى سالبسه لأول مرة وأعود إلى
الغربة به ، ويصوت غليظ فأبهر وصيغته وأحجمها ..



أما عبد الهادى فقد ظل يدفع فى الطريق أبى الحصر
حتى غاب فى الليل تماماً ، وعصاه تفرع الأرض نصف
انتشيت الذى فى الصمت الحالت ، وغيبدا كحباب
الظلام .

وبع عبد الهادى حقل أبيطع الذى يحرسه علوانى عروب لحظة على
رأس الحقل ، وفتح عيشه ثم رز جففيه ، وحاول أن يهزق يطمسراته
احادة العاصبة طلمات الليل التى كانت تمتزج بسواد الأرض .

ولم يستطع عبد الهادى أن يرى شيئاً .. ولم يستطع حتى أن
سمع صرنا أبعد من صوت أماسه التى بردت فى أمته نعوه ..

وأصمت بعصاه ، وهرف فى العشاء ، ثم أصمت بعصاه بدقيه ، وشعر
ساعديه ووضع أمصا على كتفيه ، وأسند أبها مؤخرة رأسه ، وأرضى
عليها يديه ، ودخل حقل البطم .

ومشى عبد الهادى قليلاً فى تعفر ، ثم توقف عند مكان من الحقل
بعود أن يجلس فيه علوانى ، وينام .. ولم يجد عبد الهادى غير بقايا
بطيخة مفتوحة على الأرض ركبها بقدمه .. ثم وجد للة بها ماء بارد ،
مشرب بصوت مرتفع ، ومصمص بلسانه وشفتيه وأطلق نفساً ثقيلاً ثم
دفعها إلى جوار كوب غليظ لثنياب ، وبراد أسود .

ولح عبد الهادى الحرام أنصوف الذى يتخطى به علوانى من ندى
المعبر .

كان متكوماً .. فتباينت أنفاس عبد الهادى ، وأصططرم ، واضع
على الحرام بيد ، ويده الأخرى تحكم عسك العصا ، وزبح الحرام المتكوم
سريعة وتوتب .. ولم يجد تحته شيئاً غير الأرض السوداء فرمأ بمنف
بغشاء الارتياح .

وعاد يضع عصاه على كتفه وراء قماه ، ويرخى عنى العصا ساعديه ،
وأحد يذرع حقل البطم من أوله إلى آخره وينظر فى الأرض ويركض
بعده الكبل السوداء ، ولكنه كان دائماً يركل الطمخ .

لم يستطع أبداً أن يسمع شيئاً غير أماسه الثانوية .
وصعد إلى الحصر ، وأحد ينظر فى العصا من حوله وهو ينادى من
حشر وتحد :

.. يا عبودي .. يا واد يا عرياني ..

ولكنه لم يظهر جواب .

وتذكر عبد الهادي فجأة أنه ترك عبودي عند الشيخ يوسف بقالة
القربة .. ذهب إليه بعد انصرافه من العرج .

فلوأي العربي اندي يعيش في القرية بلا أعصم ولا أحوال وبلا
أرض ولا شيء على لإطلاق .. غير انبذية ، والمهارة في السحطيط ،
والأجرة أنتي بأجدها على الحراسة .. علواني هذا لا يجده شي بلا
وحده الا مجلس الشيخ يوسف .. فهو يهبط إلى القرية بعد كل مغرب
ليشترى الشاي والسكر والدخان ويسمر قليلا مع بعض فيان انصرية
أدم ذكاب انيقال ثم يعود إلى الحقل بعد أن تمام القرية .

وتذكر عبد الهادي أنه رأى علواني بعد المغرب يصطك مع حصرة
وهي يبيع يديها وراء ثور تنتظر ما يسقط منه لضمة فوق رأسها مع
ما جعته من روث البهائم .. انه يذكر الكلام الخارج اندي قالته حصرة
عن الثور ..

وحصرة فتنة ترقص في كل فرح ، وتحدث عن العلاقات الجنسية بلا
حرج وتبيع نفسها في امواله والأفراح ومواسم الدرة والقصب والأعياد
والفص مملية من المين أو يكف من الحلاوة المسسية ، أو ربما بكيران
حصرة من الدرة وأعواد من القصب ..

وارتاح عبد الهادي قليلا .. وصمم لنفسه أن علواني يشبه حصرة
تماما .. وإن ما جمع بينهما ومن حق .. فهي أيضا تعيش في القرية
بلا أرض ولا أهل .. وأقربها قد تباركوا عنها منذ تركوها . لنبيته
الأعرب ، صمم في ضميمته الصغيرة ذات ثلاثين فدانا .. وطورها
بمحمود بيه .. بعد أن حطمته مستحم .

كانت ذاك سمره نضرة راسخة المهدين .. وعادت إلى القرية
لتمش على عشا في الحقل ، أو لتمسك القمح في البيوت الثلاث التي
بخصي لسأؤها .

ومضى عبد الهادي بهمهم بأعسة حزينة ، واتجه إلى ساقيته مارا
بالمك الذي سلا منه النساء ، ويرمع منه صوب حصرة إلى الهمار
بالكنيمات الحارجة ، وحركات الدراع التي تثير حيل النساء من حولها ،
كلها رات محمد أسدي المدرس الإلزامي بحر شمسته أطروس ، وحلبانه
المجملط الإفريقي ، وششمه القمع ، وطنيته الطويلة البيضاء .

ومثل عبد الهادي ينش على الحصر ومر بساقيته وعاد في الاتجاه
الأخر .. وأحد يذرع الجسر .

وحفافة قطع الأعمية عندما وجد نفسه أمام مكان مهجور كان مأكليه
ملحن يمينها محمود بك ثم حترقت وسطلت ولم يعد يصلح لشيء إلا
ملاات حصرة وهي يدمع لها .

ودق قلبه نصف .. أتكون وصيفة هنا مع أحد .. مع محمد
أبدي !!

أتكوب حصرة قد جعت وصيفة هنا .

وحبيت رأسه ، وأمد يدها كل ركني في المكان ، حتى الجحور التي
سكنها الثعابين .. ولم تفر بشيء ، ولم يسبح نفسها ..

وعاد ينش على الجسر ، وساح الهيمية بفائه الحزين حتى اقترب
من ساقبه وقد انتهت الأعمية الحزينة .

وحاحت نفسه في صمت وعلام ولغضاء .. وشعر بالحاجة إلى أن
يجت أحدا ..

أن هذه الأرض الواسعة أبي محمد أبي حواره تملؤها أحسا بالشباب
والرسوخ والشرف .. لم يكن يرى فيها شيئا في الليل ، ومع ذلك فقد
كان يعرفها .. يعرفها جيدا ، يعرف وجهها وقبوتها وكل مسلك فيها ..
ويعرف شكل أعواد الدرة العسة التي بدأت تبتق من الأرض على مهل .

انه الآن ليقت إلى جور الأرض التي يملكها هو ، والتي ورثها من
أبيه ، وحمل العاس الصغير عنها ، وهو صبي .. أنها نفس المقررة التي
حملها أبوه عندما كان طفلا .. حتى إذا كبر عند الهادي ومات أبوه ،
كبرت العاس معه !

انه ليعرف قصة هذه الأرض كلها مثل كان يدق الودد للحامسة ..
وهو في الثامنة من عمره لترعى أبيه سيم يحسب .. أنه مازال يذكر
قصة هذه الأرض .. ولما ساءل أبدا ، وسيجعلها عنه ولده من
صده .. لقد أدركها تحت الدرة والبرسيم وأعطى مع أول
الأشياء التي أدركها في الحياة .. وررعبا أبوه حذقة ثم قلعا نفسه
سنوات .. وررعبا فيها هو القداس فرست له لكثير .. وررعبا فيها
انصب فرمت له الكثير .. وررعبا فيها العلة ولعل فله يخبه أبدا ،
وررعت رأسه على الدوام .

اشتري لها أنواع السماد ، وطر برها وبرعها وبرعها ، ولم يفرط
فيها يوما واحدا ولم تفرط هي قط .

فدنا ! مدان قطعة واحدة ..

أن هذا الدنان لشجع له مكانا حسنا في القرية . وسجع له إذا

ذهب الى عاصمته الاقليم ان يجلس على معنى الحواشي الارسي اندي
يجلس عليه معه عمه ، وعمده ابلة والكبر هالك .
مدان ١٩٠٩

كم من الناس في القرية يملك مدانا مثله ؟
ان العمدة نفسه لا يملك اكثر منه ، وقد اكمل له عائلته رمان
الصودية بمقود صورية .

انه واحد من عشر رجال في القرية يملكون هذا بقدر او اكثر منه
.. ومع ذلك فلو ان احدهم انكبير لموظف في مصر ترك به المدان الآخر !
ولكن لا بهم .. فليسعد اخوه وروحة اخيه وأولاد اخيه بديحار
العدس .. فبعد يهدي هذا في القرية ، واعدته معروسة في ارضه ،
يشعر بهوه لا يعرفها اخوه الموظف في مصر مدينة الحكومة !

وحسن عبد الهادي فيسلا على ارض الحرس امام الحبيرة ، ولم
سيجارة .. والى هنية المشهور بالناحية الى ان يحدث احدا .. وكفى
لو ان معه وصيفة - روحة له - تجلس الى الساقية ادم نور كبير يدور
بالساقية ، وهو يروي ارضه من بعد : هي تلي على الساقية ، وهو
يعنى هناك وسط الماء المذبح ..

وهو عبد الهادي راحة بجوى ، وتهود ورمى مسيحجانه .. وهذا
بهمهم :

يا ولدي .. يا ولدي .. ياسيدي .. هآ ..
وشعر بصبه صعدت لكل شيء : توصيفة وعلواني وحصرة ولكم ما في
القرية .. ثم اطلق صوته خرسا هادئا :

سكين مختار ، مقصور الحباح ، ولا طيار
حقل انجماء يوم على ارض انجيب ولا طار ..
وارتفع صوته قليلا ، وتروى في انفسه الواسع الحاح ، واسم
دعى ..

كان لبلد الهادي، يحمل رنين صوته الخاف انجربين مشتتيا يرجع
ساعة تدور على انشغالها ، آخر .. وسمع من بعد صوتا يقول في طرفه ،
هآ .. جلاوت بعد الهادي ، اي داس قول موال احصر قول
.. باحصى ب نالو قسا احصر !

وقوب هذا الهادي وصاح :

سلاحة ، اسبح اعرف

معنى من فوزه على احصر حتى باح جعل الطبخ ابي يعمرسه
.. وبي وري دارا وسبح كركرة الشاي فوق النار .



غير ان علواني توقف فجأة ومال براسه يصفى فسمع ههبة من بعيد *

— معاك المرء يتعاك * * همزه ان كان معاك ونعالي هما يشويش لبه
تحت نطن الجسد *

فأجاب عليه وقد امكنه الاهتمام :
- يدين فيه رجالة استظفوا على البلد *

بررّوهوا، به .. یعنی عايرلوا، الایعدي ولا یعنی هذا التسمية " دا
البند تسرق اليها معاهم " .

المهجة هاربة من القرية واتضح في الظلام شكل بسكيت يجرى ومن ورائها بسكيت آخر ، وقال علواي حامسا باطمئنان :

ثم صحك مستطردا ساخرا بنفسه :

• دول ناس من البندر .
روصم علواى السدقية مكابها ، وظهر الرجلان يوحسوح ، كان

والله اعلم بالصواب (المصدر: امام الخميني، الهدى والعنوان، ص ٢٢٢)

ونزل الرجل ذو الجليظ عن البسكليت وأمسكها بيده ، فقال الرجل
 ذو الطربوش وهو يهبط من البسكليت ويتركها للرجل الآخر :

• اتصلوا • اتصلوا • بحبيب عشا •
وراحه صوت عمواني مصطفي لهجة بدوية

وقال الرجل ذو العجائب :
- اسمي يا أحبا انت وهما ٠٠ مني هيكم معنق ساقيته ٠٠ من ليكم

ثم استمع يقول لعلواني في خمس :

— سائیه ، محدثی ہما معلق سواقی *

المهندس ، والمهندس على أية حال لا يأتي على بسكليت ١٤

• ولكن لا أحد في القوية يستطيع أن يدفع هذا الريال في هذه السنة السوداء •

فادع الأندى يقول بصراحة :

٥٥

— لا واليبي يا جناب الباشمهندس ، وحياء مقامك وركبتك .. والله
حاجه من دي ابد يا حاضرة الهندية واحيا اصحاب قاعدتين هنا كده
يعنى .. اصل الحكاية يا حاضرة الحكومة ...

فدخله الرجل ذو الجلاب :

— امال ايه اذيت ابنى شعباها عالجس من قصة سبعة وحرب
تستحق في المصطفى .. انه دي .. مش باعتها بدور الساقيا ؟
فقال عذواني .

— بنت ٠٠؟ وهيه البنت حاتح الساقية .. طب ودين انهمسة ؟ هو
عدوك اهل انت وهوه ؟!

فصاح فيه الاممدي :

— اخرس ..

وهمس عبد الهادي كانه يخرج من حلم :

— جت ٠٠؟ شعبها فين .. هيه وين ؟ ..

ولم يهتم احد بما قال .. وعاد الاممدي يقول :

— هو احب ما عديش شغل غيركم .. ايه دا ٠٠؟ حاسسكم لكم طول
الميل عثمان نصيب السواقى دايرا ، يعنى تكسر لكم سواقى الجسر كلها
من بوقت ونخلص ٠٠؟

فقال عبد الهادي محققا :

— ليه ؟! تكسروا سواقى الجسر ؟ ليه ٠٠؟ وحتى ان لقيوها دايرة؟
دا لبسة قدامها خمسة ايام رى يا جديح .. خمسة ايام دليانهم برى فيهم
علي كيمنا وتدور سواقينا علي كيف كيمنا ولا حدش له كلمة عديدا ..
ولا وحشكو لويل ٠٠

وناز الاممدي على عبد الهادي وانتمت الى الرجل ذي الجلاب يسأله
عن مسالة اريال ، فمس في اذنه ان اندي كان قبله كان ياخذ رايلا من
لعلاجي لمعضي المعين .. ولكن الحالة الآن تستحق حسيين قرشا عن
كل ساقية ..

اضطرب الاممدي وشتم العامل وتوعده عندما يعودان الى الهندسة ..
فصاح عذواني بشانة وصاح :

— دعه .. دي الحكومة وقعت في بعضها ..

سما احد عبد الهادي يرقع ، ويحاول ان يناقش الاممدي ورام
لا .. يحاول ان سبي المناقشة التي دخلها متافعا متقررا ثم صاح في
٠٠ الهادي ان دورة الرى ليست تكمل سنة فقد اصبحت حصة ايام بدلا

من عشرة ون العرب كان آخر موعد يحيى للسواقى فيه ان بدور وعبد
الله .. انشأه بهذا المعنى مد ايام ..

فصاح عبد الهادي :

— عمده ٠٠؟ عمده ايه يا جديح صلي ع انسى .. انا حمر .. هه بعد
٠٠ .. حيلة العمده شى النى في رجلي ٠٠ حليه ييجي يحوشى واما
ارهونك في البير ..

وصح الاممدي وعاد يصيح ان هذه هي اواخر الحكومة ..

فقال عبد الهادي :

— حكومة ؟ سلامات يا حكومة .. ما احب ابرعه لنا رجل في الحكومة
٠٠ .. حد عندك ٠٠ احويه مصطفى مستخدم في مصر في اسماحة مايتشى
مول لنا كده ليه ؟ قال الحكومة قال ا عطشوا الارض وصوبوا
الحكومة ..

وبطط الرجل ذو الجلاب وقال لعبد الهادي .

— راجح .. دابا عاريت .. راجل طيب ونفهم .. كلام الحكومه
احه كده .. دورة الرى في الرعام هذا تكون حسي ايام فقط لا هير ..
وبعد كده لا هير رى من البحر ولا من التربة .. بلاش مملكة يتي ..
لا كتره ..

فقال عبد الهادي متحديا :

— لا يا شيخ .. خمسة ٠٠؟ خمسة ايام .. يا جديح قول كلام هير
٠٠ .. يعنى نعطش الدر .. يعنى تمولوه لنا من العطش .. طب دا فيها
خلق لسه ما نعطش اشراقى .. بالية غرا يا حراتى .. هو جرى ايه
السنة دي ٠٠؟

وهمس علواني محاولا ان يتدخل :

— يا عبد الهادي دا الحكومة بقول كده .. خلاص يتي ..

فصاح عبد الهادي باعلى صوته وهو يضرب الارض بعصاه :

— حكومة ايه دي يا وله ؟ حكومة ايه دي بس ما تفنقونيش يا حي ؟
ياحد سما بنس المية ازاى ؟ مين ذا اللي ياخذ سما خمسة ايام من العشرة
تنوعه ٠٠ .. له ٠٠ ونقية المية رابعة فين ؟ هه ٠٠ يتي بطلوا السواقى
هنا وبعملوا اسرعة الكثيره هناك ٠٠؟ ليه بقي ٠٠ مين اللي فوقنا مياحد
المسه ٠٠ المحروبة ارض الباشا التي اشترها جديد وماتسواش كلب
داكها ٠٠ ياسلام ياسلام ٠٠؟ ياسلام كده على الحكومة ٠٠ وحياتى النسي
ايه ماى محاشة ما اندا .. تقفلوا التربة وتطلوا السواقى والنسي
لمحري دماها قبل مياها ٠٠ وسع يا جديح ٠٠

وضرب عبد الهادي الأرض بعصاه وقسم الطريق وحرك الإحدى
ورميته ، وعند يهدي يمشي مسرعاً إلى القرية وعصاه تشق صمت الظلام
وهو يردد :

— سلامات يا حكومة .. هيه دي بقي أوامر الحكومة .. سلامات
سلامات .. طب وإيمان السي لأدورها بعد نكره .. هي نكره .. هه ..
حلى حد ييجي يكسرها بقي وأنا أكسر رقبته وأدلسها في الطين *
وكان الرجل قد ركبا .. وأطلقا على الجسر في الطريق إلى المدينة
عاصمة الأقليم ..

وحرك لعاب اللؤلؤ على حافة البهر وبرزت منه فتاة تلبس السمود
.. وقالت لنفسها بهمس :

— جولي انهرت من جذور العاب .. قطعة يا أهل البندر .. مشوار
ايه الأخير ده التي كانت باعتاني فيه وصيفة لمتة ولد ما يخلصني طول
رجلها .. هو عشت ما يتعلم في مصر ذي البندر .. طب ودا يجمع
في ايه ؟ آه لو كانت هي التي طلبت البنية دي كمان رى ما صدمت ليلة
امبارح ، وشموها رجالة البندر دول ..

ولم يشعر بها عموماً .. فقد كان ما يراد ينظر في ظهر الرجلين
وحين طمان إلى أنهما ابتعد تماماً .. بصق على الأرض قائلاً :

— هيه خلاص الحكومة عاصدهاش شغلانة غير يقدمنا .. مرة ترفع
ومرة تحبس وحايه الآخر تحوش عما الميسه .. يبالا انحر سمت له
حكومة لخصه *

وشحكت المارة .. وأحس بها علواني .. فالتفت إليها مدققاً بينما
حرجت هي تنقص وتقلد لغة الرجلين بسخرية

— إيه إيه كذا .. أنا .. إيتا .. قطعة يا أهل البندر وانتو لسانكو
ممسوج كده رى الخوازي .. رجالة ايه دول يا אחتي .. دول باين
عليهم ...

وقاطعها علواني :
— هس .. ايه اللي جابك دلوقتي يا حصرة ؟ طب تعالى بقي
ثم قال مغارلاً :

— حاديني بطيخه ياللي ترغدي .. تعالى .. تعالى ياللي تمحشي ..
وحرت اليه خصرة فرحة وهي تقول :

— حانك يا شبح العرب أهه ..
وقمرت إلى حقله ، وهي تترافض وتهرئ لئيبها المترهبين ، وتمسح
بجبهها الخاف المقلد *

وبكن حصرة وقعت مكانها متباطئة ثم قالت مردهة :

— بس اوعي يا אחويا تمس فيه رى ما عيت في سهمك سم شعبي
إن حالي .. اوعي يدحك عني رى ما دحكك هينها ..

فقال علواني :

— مردهة .. ومالها سهم دلوقتي ما يعرفولوا عليها بقت حاجة كبيرة في
مدر .. وأنا كب دحكك عنيها بأحصره ..

ثم سكت قليلاً قبل أن يقول

— وحياه السي كنت حاسرق لب كيلة الدرلة لكن ما مكنشش .. تعالى
.. تعالى يا مقصورة الرقبة .. عيب الطليخ كده قدامك احتشاري على
مدحك ..

وسكت علواني قليلاً واحد يتحسني بقدمه انصافية الحجارة التي
معلى البندقية وأدار رأسه إلى حيث كان عبد الهادي يسير قائلاً

— والله من يوم شعبان ما متي والواحد ما عارف يسلك مامسورة
السلفية ..

والتفت خصرة إليه وزمت بصرها إلى حيث كان يسعى عبد الهادي
وغالت بزوه :

— يا سلام هيك يا عبد الهادي .. واحد يالدينا ..

فقال علواني بزوه :

— آيوه .. ذكر صحيح .. يضرب بلد لوحده ..

ثم شد يد خصرة وجلس وأمسها بجانبه وهو يقول ضاحكاً :

— الأكادة انتي حلوة .. زى الحلاوة الطحينية ياللي تنزغدي في
ذلك ..

وشد الحزام عليها ، فالتفت حصرة وهي تفره على صدره بكفها :

— مات الطليخة الاول ..

ولكرها علواني وهو يقول :

— لو كذا صحح ثلاثي الغبط دا كنه بتاعتا ..

وصحكت خصرة قائلة :

— نارت .. آه ..

وشدت الحزام .. بينما كان عبد الهادي يدخل القرية راسح
الخطوات ، الثورة يعلو بها دمه ، وعصاه تحرك صمت الظلمات ،



عندما عاد عبد الهادي الى داره في تلك الليلة لم يعثر
في وصيفه بعد - بعد شغفه حديث ابرى - ورجال
الهندسة وما يصنعون وامر ان يحكموه .
واحد ينف اسحائر ويشغل سيجارة من سيجارة حتى
فرغت عبة الدخان .

كان يعكر في الساقية والترعة ودورة المياه اسي عصمت الى النصف
ويحول لتدير اهر الدرة اصغيرة انفسه التي بدأت تظهر وتكسو
الارض بالحضرة الحلوة التي اسماها عبد الهادي دالما وترغ في طراوتها
من كل حلقا ، ابها اول ذرة خضراء تظهر في صخرة الشراقي ابواسمه
من حوض الحصر .

اتراها تدل وتموت لمحد ان الحكومة ارادت هذا .

اتترك عبد الهادي اذنيه المبكرة لتحكبات رجال الهندسة -
العلاج الشاشر ابدى لم تخب منه زرة من قبل .

وصمم عبد الهادي على ان يحافظ على ورعه مهما كلف الامر .
ان يترك الدرة تنوب . سيدبر اساقبة بعد عصر المد ليشرب زرهه
ويروي على مهل .

وعندما اشرفت الشمس على القرية ويدات انسابهم ترحم الدروب في
طريقها الى انحوف كانت النساء الداهيات الى النهر يشدن عن كل ما
حري بين عبد الهادي ورجال الري .

واحد رجال القرية يتولون الحكاية لمصصهم وهم يسوقون الحمير
والموالي .

فعولاني قد ملا القرية بالنتصه . ورونها حصرة ايضا دواب ان تقور
لاحد لماذا كانت على الحصر في الليل .

ومحمد ابو سويلم هو الآخر كى يحكى ما حدث له لكن من قاطله .
اد فاجاه رجال الهندسة في حوض لترعة وامرهم ان يسد الترعة ،
وعندما انبرص هجوه يعقلب شندد ولحقوا بان المركز كله يعرف انه
حل مشايخ . صد الحكومة .

وسد محمد ابو سويلم الترعة بالعمل لتقصر النهر . وترك نقبة
اربع الشراقي عطش في تحرق الى الماء .

ولكن محمد ابو سويلم عزم على ري الارض .

وحرج محمد بن سليم داعين الى حوض الترعة قبل ان تلبس
شمس الصبح وتفتح البسد .

صنع منه رجال آخرون .

وحرج عسك الهادي الى الساقية عادارها . ومعنى يحوص في
حمله نقداده العرية ويهوى على الارض بياسه ليصبح الطريق اسام
الماء وبرك على الساقية ولدا صغيرا استأجره بقرش ليدور وراء البقرة
العملة ويدفعها بيده او بالداء كلما توقفت من الاعياء .

وظل عبد الهادي في حصة الى ما بعد العصر ومر رجال انرى وراي
رجال الري ساقية عبد الهادي تدور فظلوا وكتبوا اسمه في ورقه
معهم كما كتبوا اسم محمد ابو سويلم من قبل . وجرى اولد الصير
الذي كان يحرص الساقية كايما مرتبنا من انحوف . جرى الى اقربه
دوب ان الحكومة كسرت كل السواني على الحصر .

وكان محمد ابو سويلم قد عد الى داره من الضحى وشاع في القرية
ان رجال الري كتبوا اسمه في ورقة .

والقرية تعرف بتجربتها ان الحكومة حين تكتب اسم رجل في
وردها . فهو رجل لا سلامة له ابدا .

ودهب رجال من القرية الى مم محمد ابو سويلم يسألونه ويحففون
عنه .

وكانت انتنه وصيفة في وسط الدار تخلص اسم الرحي . وتكديرها
على حبات من الدرة واقامت وصيفة ورفعت الرحي على راسها ثم دحات
ها الى لقاعة وعادت تختلط بالناس . وماجت دار محمد ابو سويلم
ان يسألونه عما حدث له مع رجال الحكومة .

واردم وسط الدار بالنساء والفتيات وجلس الرجال على المصطبة
مارح الدار .

وامام المصطبة ثنى بعض الرجال ركبهم وجلسوا مستلدين في
الاهم .

واقف الاولاد براحمون النساء والرجال . ولدسون رؤوسهم
كالحا انظم حديث . وكان بعض الرجال يهر الاولاد ويسددهم لبعض
الاولاد . ولكنهم يعوذون لتشمسوا كالتقطط ويصفون لما يقال بالهول
والجل .

ورال احد الفتيان عنه محمد ابو سويلم من هؤلاء الرجال الذين
الاولاد في ورقة . احادوا يطالبونه مرة اخرى نان يرسل اسماء
الاولاد . وخرج اصواتهم الى انتخابات جديدة يعربها حرب الشعب .

ولم يناد محمد أبو سويلم بالرد عليه .. بل أسرع الشيخ يوسف
بذل العربة فغطب حاجبيه وصاح فيه :

— جاني ذاهية في راحة فمك .. احبا في ايه .. وانت في ايه
.. انت يا واد انت ابن مبي ٥٤

— ابن احب شعبان ..

— ولدت لحاله .. جاتكو شولة .. مرحتش معاه ليه مطرح ما
راج ٥٥ هي اليد دي مش حاتخلص في البلاوي .. اسمعي نهم
قوي في الحجاب .. باكتفي ساتين في طمعة البهار على شعر ورقه
الدفان .. اقول له بحسب كيزاب ذرة بقول لا ثلاثة .. طب باربعة ..
يقول لي بتلاثة .. نفى دي سد ؟؟ تقول هي بتوع الهندرة انهم بتوع
الانتخابات ؟ .. لا .. جايين يحدوا المال بدب اصراف .. هه
استبط ..

ولدخل محمد أبو سويلم وبدأ يشرح بصوت هادي عارفته الرهشة
التي سيطرت عليه عندما هاد من اشرة ..

وأحس شيخ الصحراء السابق بلون من الامتيان العائقي الذي مارسه
طويلا عندما اُخذ يؤكد للذين من حوله ان رجال هندسة أخرى يقبلون
من اجل الماء لا من اجل الانتخابات أو المال ..

على ان حكومة حزب الشعب التي أرسلت رجالا يصيبون العلاحين
على انتخاب رجالها .. هي نفسها التي تحرم أرض العلاحين من المياه
وترسل مستعظمين من اقارب العلاحين يبعثوا وامرأها على الوقاب ..
ولها من بعض التين ان محمد أبو سويلم سيبلغ النبيلة في السجى
ما داموا قد كتبوا اسمه في اوراق الحكومة ..
واحتلظت شعبة الدس لبعض الوقت ..

كانوا يجلسون من اول الضحى .. منذ عاد محمد أبو سويلم من حوضي
الترعة ولم يبق منهم واحد الى بيته ليأكل .. ولم يأكل محمد أبو سويلم
نفسه .. وكان المغرب قد أوشك أن يهبط على القرية .. وهم مارالوا
يتحدثون ويفكرن في طريقة ومحمد أبو سويلم يحق وهذا وسجد ..
وبسكت وهو دائما يهبط كما على كف ليتوكل في حيرة وغفط ..
— ياخذوا منا بعض دور اليه .. ياخذوا صا حصة امام بزم ..

له .. ونزوي الأرض ازاي ؟ ..
وأقبل عبد الهادي متدقما قبل أن يهبط المغرب .. كان حافيا تد
ترك مدامه وجلبابه عند الساقية وجاء بقميصه .. وقدماء مثقلان مطس
الحقل ..

وسلم عبد الهادي وقام له احد القاعدن تجلس مكانه على المصطبة
امام الدار .. ونزال وسط الدار مع الناس ..

ومعهم انباء بسم عبد الباقى واربعه صوت حصره بعد
٥١ .. ما جرى بين عبد الهادي وزجال نزي ..

فان حصره نزوي وهي تنصنع وبعد لوجه الأمدى ..
ولم محمد أبو سويلم في عبد الهادي وحان :

— قل لي بقي يا عبد الهادي .. ايه الحبر وايه أسير .. ص
٥٢ .. ايه اني حاب حدوها دي كلها حبيبوا بيه ايه .. حبيد دعوها في
طهم لا اليه دي راحة لمن قول بي لا يا بهار احس ياو لاد .. حدوا ص
٥٣ .. الحبر وسكتنا لهم .. وروا ل الشيخ حسونة في آخر الدنيا
و.. حابهم .. وحجروا على صن البلد وسكتنا بهم .. الله .. ويهروا
٥٤ .. الارسي من العنشي كمال .. هو احب حلاص كده بشيا هنيه .. هي
٥٥ .. لاس كده بنت كلها حريم .. يعيش رجله ؟

وسكت عبد الهادي وعسلات وحيد لهن في نور .. وعيناه تومضان
بالنور .. ودعت صدره انمازي المكسو بالشمع الكيف الاسود المتسرب
.. وتردبت الاعاص قوية في خياشيمه ..

وهس أحد الأولاد لجده :

— شوب شعرة الأسد التي في صدر عبد الهادي .. بيدك الشعرة
ان من الأسد ..

وأجاب زميله همسا :

٥٦ .. دا شراي خالصي .. بعض له بعض كدها يا بهار اسوح .. دا المعاريت
٥٧ .. ط عذابه .. دا بوع الله يا ابي يضرب الهندرة كلها .. يسوقهم
يا همسا ..

وسج الولد الأول بصوت مرفع :

— ياو لاد ..

وانسل أحد الرجال الجالس عصا صغيرة وهن بها على الأولاد
وهم يصرخ فيهم :

— روح يا واد عبد أمك .. روح انت وهو ..

وارفع صوت الشيخ الشناوي طابا من الجالسين أن يصعلوا
٥٨ .. من النبي .. بينما كانت وهمية في الدحل بفاتحتها المديدة .. ترفع
رأسها في تطلع .. وتختلس نظرات الى الوجع الجالسين ..

لم تستطع أن ترى أحدا ..

٥٩ .. ظهروهم جميعا الى إلحاف بدها الباب .. ولم يكن حد
٦٠ .. غير أولاد يتسللون الى الرجال بعد أن أمعدوا ..

وتردوت على الأقواء همسات الصلاة على النبي ..

وشرد عبد الهادي قليلا ٠٠ بعد كانت وصيفة هي الأخرى نصي
وبرقص في هذا المكان بالذات ٠٠ ومن قبلها كان حبل آخر يصنع
نسي الشيء ٠٠ كانت أختها الكبيرة أنى تزوجت في عاصمه الأسم
رسميات. من بعد وصيفة حس حديد يني نفس الأعاني الحملة الحربة
٠٠ ويرقص ينص الحركات السريعة ٠٠ ويدمع الدقات على طنب
معير مقلوب .

وحاول الشيخ يوسف أن نكاح ولكن صحة الصغيرات عبرت صوته
فرمق في البات :

— هو أنا سايب الدكان عشان اسمع فاشك ٠٠ عير ٠٠ فرى منك
لها ٠٠ هيه البلد دي يا حويه نقت بلد غوازي والا ٠٠ ؟

وتحرك أنشيخ يوسف الي ناحية اهتمت لفامب فتدة صغيرة وحملت
الطشت وجرت ٠٠ وأسرع وراها الأخریات ٠٠

وعدم عبد الهادي طالبا قلة ليشرب ٠٠
وفي وسط الدار رأى وصيفة فقال بها نصوب ارفع ٠
— اسفيا ٠٠ هندكوش قبة ساقعة .
واحمض صوته وهو يقول مدعها .
فريت على حيكم عطشان سنايتوني

بالقة اشبوم ٠٠ وأنا الدالي شيكوتوني
وضحكت وصيفة في حذر ٠٠ فسألها هاصب ٠٠ لماذا صعدت الي
جسر البحر منل للة ٠٠ فاضطربت وصيفة وانكرت ٠٠

ولكنه عاد يسأل هانسا ٠٠ عن سر وحوذها على اسعر رينه محي .
رجال الرى لأول مرة .

فصعدت بازيجاح ٠٠ وقالت باعمال وأنى ان أنى كانت هي الحمر
في تلك الليلة هي حضرة ٠٠

ثم ذهبت لتخبر القبة . وصيد بولطه له قالت شحاده وم ٠٠
تالي :

— انت حانفعد تهمني في كلام فارغ ٠٠ اسمع يا عبد الهادي .
لما أقولك ٠٠ بى أنت لا أنت حوري ٠٠ ولا أنت أنوى ٠٠ منك ومالي
نقه ٠٠

وتضاق عبد الهادي من ارتقع صوتها ، وعاد الي الهسي :

— الله ٠٠ نس ٠٠ حد يسعك ٠٠ هو أنت ترصه معش تهمني
ما اللم تخشى في رقتك ٠٠ نصي لو كنه طلمت البحر بالنبل وحد من
سوع الهبرة أقرص لك — نصي كنه وبلاكله — مش برصه في وشنا
كلنا .

واهرب وصيفه وشعر بالدم لأنها اعطبت الفون لعبد الهادي
وفي اغريه يتحدون في خشونه على الدوام ٠٠ ونصوب مرتفع
٠٠ حتى عندما تستخدم منهم المواقف ٠٠ وهم يستمعون دائما كلمات
فاسية فلم يتج لهم أبدا أن يرموا الي الحياة الذي يمسك لبنا في
الطبع والمفاملة ٠٠ لم يتج بهم ان يكونوا راقا ٠٠ عذاب ٠٠

ورفعت وصيفه يديها نصرت به صدر عبد الهادي ٠٠ كعذار ٠٠
ولكن صوت محمد سوليم ارتفع من الخارج :

— ذهدي يا عبد الهادي ٠٠ أنت رجب زين ٠٠ ؟

فاجبه عبد الهادي باستنكار وحشوة :

— نصي حاشيتي ؟ ٠٠ الله يايا محمد ؟ ٠٠

فقال ابو سوليم بصيق :

— ودا كله شرب ياخذع ٠٠ دأني كى نصي غيط بجانا .

ورجع عبد الهادي الفلة من الأرض وأخرج منها بئر شففيه ثم هاد
بحس الي المصطبة ٠٠ وهو يصيح منه ٠٠ يبروم في رصا ٠٠ واستلمه
محمد أمدي بنظرة استنكار ٠٠ وهو رأسه وصرب الهواء بالمشمة
الحوص وقال :

— عطلتنا يا جذع ٠٠

وصاح عبد الهادي بضيق :

— عطلتكوا ٠٠ عطلتكوا عن ايه ٠٠ من فطر اسكه الحديد ؟ بلى من
ساعة انا صاحيت وانت قاعد سالت ٠٠ أول ما تطبق تقول عطلت ٠٠
معاكوا عن ايه بس ؟ ٠٠ هو يعيش تصرف عبد حد خيري ٠٠ مانشوس
انك تصرفه بيه يا محمد أمدي ٠٠ يانى معاك شهادة .

فقال محمد أمدي متحذيا بعدم اكتراث .

— هو انت أنى حانصرف لبنا أموريا ٠٠ هو انت عندك تصرف ٠٠
انك تصرف تصرف ؟ ٠٠ انت سيء التصرف .

فلمعت عبد الهادي حوله وقال مصطفا الحنم :

— لا اله الا الله ٠٠ حري ايه يا محمد أمدي ٠٠

فوق محمد أمدي مصطربا ٠٠ وامسك المشمة تحت ابطة ٠٠ ولوح
بالأفان قائلا :

— واد ؟ ٠٠ بتقولني يا واد ؟ ٠٠ لا ٠٠ انت انلى واد ٠٠ وواد ٠٠ وستمن
ولد آمان ٠٠ هه ٠٠

ووصح عبد الهادي بده على ركبته في عطف ونكبة وحف فحشا
ووقف الي محمد أمدي الذي كان يقف متاهتا مرتعنا من الحق والمشمة

بحوض تحت انطه • ووقف بينهم الشيخ يوسف بجسده • وحرك
 محمد أبو سليم فيلا في محله وصاح
 - اعدت بي أنا وهو • احنا في ايه والوا في ايه • انه كلام
 كمال ده •
 ودفق الشيخ يوسف يده في صدر عبد الهادي ومحمد هادي
 وهو يفر •
 - ايه • ايه • اصبروا بعض اصبروا • حاكم البلد فاحه قري
 • اصبروا بعض ولاش تتكلم • •
 وصاح محمد أبو سليم يهني راسه صا •
 - حبسوا نفي • اعدت يا عبد الهادي • اعدت يا محمد هادي • •
 وهدت • •

واكمل الشيخ يوسف رهو يجلس محله اعدت
 - ياسيدي ما كل مولود ولد • است ويد عبد الهادي ولد • •
 وايا ولد • • وكل مولود ولد • • ياسيدي حكت على ياسيدا انا وهو
 • يا احويا اعدت بقي • •
 وجلس عبد الهادي • • واشغل يده سيجارة بيما كان محمد هادي
 يعول وهو يهرق الدمعة
 - اي نعم • • لكي هاتقوش يا ولد • • محدش يقول لي يا ولد • •
 واشعل هيد الهادي سيجارته • • وتعل قلمة صميرة في التبع وهو
 يقول بصوت هادي كاشما فيظه
 - طلب حكت على يا محمد الهادي • • حكت على • • ما تظوش في
 الكلام باقي • •

وتنسم محمد أبو سليم •
 - بس نفي يا عبد الهادي • • لعقل رينة • • ادي انت اديت
 وحلصنا • • بس يا محمد هادي • •
 وعاد الشيخ لشاوي من صلاة المغرب • • ووراه بعض الرجال • •
 واجدوا مكانهم على مصطبة • •
 وبدأت الأصوات تخلط وهم يبحثون عن طريقة • • يدعوون بهسا
 قصاص الحكومة لبارل بهم على غير ميعاد • •
 واقتراح احد الرجال ان يذهبوا الى العمدة • • فصاح الشيخ يوسف
 - دا وحى الجامع • • هبط عليك الوحى بكده في الجامع • • الله
 حبس معات يا شيخ • • عمدة انه نا راحل • •؟ وحياة النبي دا ما بركب
 دسي كور دره • • عمدة • • عمدة قال • • بعد اللي علونا فيما • •؟ نفي
 • • له • •؟

وماطه محمد أبو سليم قائلا :

- امينه • • ما في كى انصايب جاية من تحت راس البية •

وبدى كثير من الحلسين • • ودهشهم ان يحدث الشيخ يوسف
 ومحمد أبو سليم عن العمدة بهذا الأسلوب وهو الشيخ الشاوي رأسه
 مستمرا هذه الطهجة • • ولكنه لم يفتش صراحه •

وقال عبد الهادي قطع الطهجة •

- احب متش الى بيكنا على عمدة • • عمدة ايه • •؟

ولان عواوي قد اقبل يسأل عن الشيخ يوسف ومال على أذنه • •
 فصاح فيه الشيخ يوسف :

- الدكارة مغولة دلوقتي • • استنى بعد صلاة الفضا • • ساعيتنا
 اشوف رأى ويك • • هو انت ها يتلحقني تلعب اشيا والسكى • •

وجلس عواوي على قدميه دون ان يمس جسده الأرض • • هي
 مواجة المصطبة وأرجى يديه على ركبتيه الى جور أقدام جلسوا عليه • •
 وقال متمتعا يستخط

- البفر مانا مافيشي الا لسان • • مافيش فب ولا رحمة ولا
 حية • •؟ يعني مافيش رحمة • •؟

وعاد محمد أبو سليم يؤكد للناس انه لى يستشير العمدة ولن
 يشركه مع رجال القرية • • هي أمر بهم القرية • • عهد العمدة يعرف
 ان الحكومة لحدت بخاص مويد • • هي عشرة أيام • • خمسة • •
 ولكنه لم يقل لحد في القرية • • رغم يطنى حادم الجامع بطلقة • •
 بيبة القرية • • كما تعود في مثل هذه الحالات • • ولم يخطر على
 الشيخ الشاوي • • ولكن هذا لكي نفاجا القرية - وهي تخالف أوامر
 الحكومة - فيحكم على رجال فيها بالحرمة • • رجال بينهم هو • •
 واكمل الشيخ يوسف قائلا ان هذا العمدة هو الذي ساعد الحكومة
 في الانتعاشات بعد أن قاضتها الدنيا كلها • • وكان يكتب بضميمة
 الأسماء كما يريد • • وحده بعض الرجال وقال لهم بشقة ان دستور حكومة
 الشعب سيجلب معه البركات • • فإذا بالمستور الجديد يحرم القرية من
 ابيانة المسخرة • • ويحول أهمها يرهون الأرض من الفقر • • ويسمح
 بالحكومة بان تقصع يدها على أرض اغلاطين باسم الحبر من أجل انصايب
 امسخرة • • وأخيرا • • اذا بهذا الدستور يحرم القرية من ماء الري • •

ودخل عواوي متمتعا • • وصاح :

- يا سلام على كلامك اللي كده حكم يا يا الشيخ يوسف • •

ونظب الشيخ يوسف محاولا أن يخفي اغتيابه ومهم •

- أم • •

وساد انصمت ..

وبعد قليل وصبح محمد أفندي المشبه على حجره .. ورفع راحته
حالا انه وحده العكرة ، نصائية ..

وسبح قليلا وصمت على لأرض .. وهوت بصمحه الى حوار قدم
أحد المصلحين ثم أخرج مبدئيا أبيص حال لونه في الزهرة النضيفة ..
ومسح فمه .. وهو رأسه ..

واقترح محمد أفندي أن يكتب عريضة الى وزير الأشغال وقال ان
محمود ك يستطيع أن يحملها اليه فهو في معارفه .. وربما استطاع أن
يقابل بها رئيس الحكومة اسماعيل صدقي نفسه ..

واقترش محمد أبو سويلم على كتابة عريضة الى الحكومة .. وقال
ان الحرية صمتة ان الحكومة تعاف ولا تحشى ..

فحاول محمد أفندي أن يشرح فكرته من العريضة ولكن محمدا
أبو سويلم صاح مقاطعا :

— خلى الحكومة تقول يأجده .. خليفهم يقولوا .. متى نقصوا مواعيد
الرى .. حاصر .. خليفهم يقولوا يس .. واللى في القلب في التلب ..
خليفهم يتكلموا على كيفهم واحدا نروي على كيفنا ..

ورد محمد أفندي أنه لا مانع أن تروى القرية كما تشاء دون أن تحفل
تكلام الحكومة .. ولكن كتابة عريضة بهجة شديدة ملبد جدا لأنه يهز
الحكومة .. وربما عدلت عن رأيها الجديد في مواعيد الرى ..

واهترت الرؤوس لهذه العكرة .. وأبدى عبد الهادي طرية الشديد
.. وقال لمحمد أفندي متحمسا كأنه يسترضيه .. وقد فاضت نفسه
بالراحة والخصاس :

— قوم يا محمد أفندي اكتبها على طول .. قوم اكتبها وهاتها لنا
نصم وننصم عليها .. كده التشاريف ولا لا يأجده .. وحط فيها
كمتين من اللي يتقولونهم لبعض يا خوجات المدرسة .. قول فيها ..
لا سيما .. وعدنا .. وقبلنا .. هه .. وحط فيها حاجات من اللي
فرينها لنا مرة في جريدة الجهاد ..

ولكن عثواني وقف معترضا :

— طب وعم الشيخ يوسف ماله ؟ ماهو عارف الكلام انس يصحك ده
يا عبد الهادي وعارف أكثر منه كمان .. ما يكتبها .. اكتبها انت يا عم
الشيخ .. ونلم لك في دايير الحاجية قيمة ريال ولا ثلاث براير .. اتمنك
كتابة العريضة ..

واقترش عبد الهادي قائلا لعملاي صاحكا .. وقد فهم نوع الرشوة
نسى يريد فعديها بالشيخ يوسف :

— يا شيخ العرب .. يا جدرع .. اصعب حالهده ، وحده لك قرفة ..
الشيخ يوسف مستعص .. يسى حلى عنه انت .. أخو محمد أفندي
حايكتها حنمه للينه ..

ولكى محمد أبو سويلم قال بهوده ..
— والشيخ الضباوى هايكتهاش بيه ..؟ يحط لنا فيها آيتي
مستبرك بيههم .. يمكن يجيبوا دارع الحكومة ..
فاعترض عبد الهادي مازحا بيمت :

— يه .. سيدنا دا بقى يحط لنا فيها البار والحساب والعماب ..
معد الحكومة وتوحش المبه كمان وكمان .. وبمول طب حطني الملايكة
بتوع سيدنا تترل لهم اميه من النساء ..

فاضطرب الشيخ الضباوى واهتر كرشه وصعداه .. ورفع عصاه
امنيطة القصية .. واهال على عبد الهادي يشتمه ويتهدده بسداد
اليم ..

وكان عبد الهادي وكل شباب القرية .. قد تعودوا أن يتموا على
رؤوسهم باسمي كل شقائق الشيخ ووعيده في بعض الأحيان ..

ووقف الشيخ الضباوى ومحمد أبو سويلم يجديبه .. وعبد الهادي
يصضح حلسة .. واستتم الشيخ يقول .

— ونشدك كمان .. يا ضلاني .. يا قبيلى امدين .. يا منجوس
.. بتتمسحر على الملايكة .. بقى لا يتصلى .. ولا حتى كلم لسانك من
اللكوت الأعلى .. دا انت حتى بظلم الجمعة .. داا بقالى ثلاث جميع
ماشعكش في الصلاة ..

فقال عبد الهادي وهو ما يزال يصحك :

— ندرن على ياسيدينا والسر أمانة ان العريضة دي صممت ورجعوا
لنا المية ناي رى ما كانت لاعمل مولد لاهل الله يا شيخ .. مسوط بقى
.. والله لاقلب بك فيه جدى .. متى نتحب لحمة السلوب .. حتى أهل
الله ياكلوا وينسبوا .. وانت كمان فاكل وتبسط ..

وهذا الشيخ قليلا وبدا ان الابتسامة تتسدل على وجهه المليء الاثيب
.. فقال وهو يهقه :

— الله يحازيك يا شيخ .. طب اقلب لنا خروف ..
— خروايب .. هه .. زى بعضه .. يسى يرجعوا لنا اليه رى
ما كانت ..

— طلب العريضة على كنهه يا عبد الهادي قدام الرجالة ..
وقرأ عبد الهادي العريضة بين راحتيه .. وعنده انتهى منها مسح
وجهه براحيته تماماً كما فعل سيدنا .. والآخرون ..
قال محمد أمدي بهلوه

— خلاص يني حيا أكسب أب العريضة .. حيا كنهها مفعلة .. نجح
بين الرجاء الهادي ولاستكر المسارح .. حيا كتبها بأسلوب
المطلوي ..

وبعث الناس وهم يسبحونه .. كلهم حيا عبد الهادي .. وبهنا
في هذا المطلوي ، وهذا الأسلوب في يكون ١٩٠ وماذا يكون ..
ومحمد أمدي رجع هادي الصوت .. قصير .. سجل .. رقيق
الجسم .. طويل الرقبة .. يحن دمه بأنظام ، ونصف شاربته بعريته
لا يعصها أحد غيره في القرية ..

وهو يقرأ اصحبت أحياناً .. ويقرأ لرجال القرية بعض المقالات التي
محبها بصوره الهادي العتيق ..
نه جالب بعينه على اندام ، محطط ، واضح خطوط .. وشبيه
الأصغر وقع اللون .. ولطافية المربعة البيضاء على رأسه تميل عرسيت
شعره الطويل المنسج هو اشهر الطويل الوحيد المسبق بين رجال
القرية ..

وكان محمد أمدي يملأ وجهه بالعطر .. ويهتم باختيار ابوابه
باعتقه في عاصمة الاقليم .. ويضع في جيبه زجاجة صغيرة محكمة
الاعلاق لندوة الزائفة ..

واحد محمد أمدي يشتمل وقع انكساث التي قالها في الوجوه المحلفة
المتحبة ..
تم تسال ان كان يبدأ الآن بكتابة العريضة .. فوافق الجميع ..
وقام محمد أمدي الى بيته ليحضّر الورق ..
وقال عبد الهادي :

— قوم يني يا شيخ يوسف هات لنا الريشة والدواة ..
وعنده عاد محمد أمدي ولشيخ يوسف يادوات الكتابة .. كان
محمد أبو سويلم قد انتقل الى داخل الدار .. وأمسك بفسحة المبيسة
رقم عشرة .. انتهى لا يوقدها الا في المناسبات الكبرى ..

وقب محمد أبو سويلم بالمبيسة على راس محمد أمدي الذي كان
جلس وحده على دكة خشبية فرشت بحضير مردكش .. وبقية الرجال
هموا أمامه .. وهو يقرأ كل كلمة بكتها .. وقد أسسها الورقة في
رأسه وحجرة يد أحد الرجال الواقفين أمامه ..

وعندهما انتهت العريضة قراها محمد أمدي كنهه بعد لته
وبوت مرهوا وهو يخطي بعض العريضة .. ونظر طويلا في وجوه
سامعية .. وشرح انكساث الذي عترض عليها بعض الرجال ابوابهم ..
وبعد طلب الشيخ الشماوي من اساس الدين لا يفهمون أن يسكنوا
.. وسكنوا حتى انتهى محمد أمدي في فودة العريضة كنهها ..
ثم قام الشيخ بسوي وخرج من الدار .. وأحد حقة من راب
الراس .. ووضعها على العريضة .. ابي مدها محمد أمدي على
ركبته بخص ..

وعندهما نشعب اعداد بأرباب .. وجف .. حال محمد أمدي ..
— خلاص يا زجاجة ..
وقال محمد أبو سويلم بغير
— خلاص العريضة يا جده ..

وأمسك محمد أمدي بهما .. وبدأ الشيخ يوسف يوقع في بعض
واحترام ، واستعاد الشيخ بشاري في الشبيبة ، ودعا بالبركة ..
وقال على ركبته محمد أمدي ووقع على العريضة وهو يكرر الله ..
وأخرج لشيخ يوسف من جيبه عبة بها حبر جاف وفتحها بعناية ..
وطلب من الموجودين أن يحضروا الختامهم وأصابعهم .. وأخذ هو نفسه
يمسك كل أصبح أو حبر ويضعه على العريضة في صرمة .. وسط
الصبغ الصالح ..

وعنده انتهى الناس من توقيع العريضة وبصمها طلب الشيخ
الشماوي منهم أن يقرأوا العريضة للبركة قراوها ..
وأمسك محمد أمدي العريضة وطواها في عبة .. ثم غطها بورقة
أخرى .. وهم بالانصراف وهو يقول انه سيدهب بها الى محمود بن في
الصباح الباكر .. ولكن يجب أولا أن يحدث العدة قريب دهب معه ..

واعترض محمد أبو سويلم طويلا وناقشه الشيخ الشماوي وبعض
الرجال وأحسبت أصواتهم وصم محمد أمدي على أن يذهب الى العدة
بالعريضة ويعرضها عليه .. وأخيرا سكنت محمد أبو سويلم مدعا ..
وبحرك محمد أمدي الى الباب بالعريضة .. وكانت حصرة تلف مع
وصيفة وساء قليلات فرغدت حصرة وبدأت تضي :

مقي يمسكها .. وأخا السبوعة
وسيوفا دهب .. وحيا السبوعة
وصاح محمد أبو سويلم فيها بغيرها فسكنت .. وسط معاول
الرجل بنجاح العريضة ..

ومضى محمد أمدى إلى باب أمدار وهو يقول بصوت مرفع انه الآن
داهب إلى العمدة وعدا من العصر .. سيكون عند محمود بك ..

فكان محمد أبو سويلم :

— بس إياك العبد ما يملش فيها منسوب ..

وسكت قليلا ثم أكم

— حاكم هو أبو الملاعب ..

فقال الشيخ يوسف :

— منسوب !؟ هاينكش .. هاينكش أبدا .. ودي تبني بلد ايه دي
بقي ..

وبدا الرجال يخرجون وراء محمد أمدى ..

ولاحظت حصرة أن وصيفة تابت محمد أمدى بظفرة أصحاب ..
وهستت في أدها بكلمات .. أضربت في وجهها المار ..

وحرج عبد الهادي فاضطربت وصيفة .. وأمرى عليها التحية في
ظفرة سريعة مبيتة ..

وارداد اضطرابها ..

وعادت حصرة تهس في أدها ..

ففاض نون وصيفة وابتمست ..

كانت هذه هي أول مرة تشعر فيها وصيفة بشيء مجهول يزحف إلى
عقبها ، ويكاد يعضه ..

وهستت لها حصرة وهي تتحسس قلبها متعذبة :

— عبد الهادي ! ..

فتهدب وصيفة وسكت ، فقالت حصرة :

— يبقى سي محمد ، يبقى محمد أمدى .. عبد الهادي وللا محمد
أمدى .. متى تقوى ؟ ..

فانتبهت وصيفة على نفسها فجأة .. وضرم وجهها .. وبهرت
حصرة مدب .. وارتعش بدنها ورأسها في حيرة وملاحقت أعماقها
وكادت تصعقها الدموع ..



من أسبوع كامل على كتابة العريضة ، والقرية تنظر
.. وبعد صلاة الجمعة ، رجع الشيخ الشناوي من على
أرض المسجد كتابه العتيق الأصغر الذي يقرأ منه كل
حمة خطية ، ودسه في جيبه .. ووقف في مكانه من
المسجد عند القبلة وطرب من الناس أن ينتظروا ..

وسار في خطوات بطيئة .. وهو يسمح كرشه الصند ولحيته
الشبيهة تهتز على وقع تمتمات التسييح .. حتى بلغ الدكة التي يجلس
عليها مقرئ الجمعة في قلب المسجد ..

ووقف الشيخ الشناوي على دكته بقامته المديدة وجلبابه المظيف التي
لا يلبسها إلا كل جمعة ، وأمامه على الحصير المرق المتأكل جلس الفلاحون:
بعضهم يحدق القدم بالأظفار والآخر يمدون الرؤوس متطلعين ..

وقال الشيخ الشناوي إن الله يرسل من السماء ماء فيحيي به الأرض
بعد موتها ..

وسكت الفلاحون ..

إنهم منذ أيام ينتظرون هذا الماء بانتعدي .. ولم يحدث بعد شيء
على الإطلاق طمعي: الأرض المسكبة من العيش: لا أمر من الحكومة ، ولا
مجرة من السماء ..

واسفح الشيخ الشناوي يلوح بيديه ويتحدث عن حكمة الله وعن
صنعه التي أنزلها على القرية لأنها تصفه فلا تصني .. كما أنزل عبه
على عاد وثمود ..

وفي كل مقطع قبل أن يستريح كان يذكر الملاحين بأن الله قادر على
أن يرسل من السماء ماء فيحيي به الأرض ..

ونحرك أحد الملاحين في صخر وسبائل آخر في همس .. ماذا
صبيهم الآن من عاد وثمود .. أن كل ما يصي القرية هو الماء وما تصفه
حكومة حرب الشعب بالأرض ..

وسلم رجل في آخر الحامع ووقف قائلا :

— ده كلام ايه ده ياسيدنا ؟ يبقى يصي هو ربنا حاسرل الظفرة في

الضيف غلغان خاطرك ؟! وهو ربما يعني كان هو الذي حاشى إليه ؟
هو خلاص يعيش عند صنداب غير بدنا *

وهج سيدنا ومد يده في الفراغ .. كأنه يبحث عن عصاة .. ولم يكن معه عصاة بالطبع ، فامر الجالسين بأن يخرجوا هذا الولد اسكتوا لدى ركيه انيس فوجوده في الجامع بجاسة ولم يحرك احد من الملاحين .. وقام الملاح الشاب وحده وهو يكتم ضحكة قائلا :

.. ياسيدي يركبة يا جامع .. اما كان حايوبي يه من الوعد ده عى قطع انرق ؟ طب ذا انا مساحر من الجبهه قبعه ما هب الركتين وارجع على طول ..

وامرغ حارج الجامع وركض الى عربة محمود بك .
اما الشيخ الشساوى فقد اشتد حسه وصاح
- ياك تقهب بالمربة في جهنم وبئس المصير .

ثم تقابعت من فمه آيات العذاب والذمار واحاوت لا بهاية بها تصعب انجعيم وحكايات عن فرعون وموسى ، كان يروى الأحاديث بلسة أهل القرية ولا يسي أبدا بان يقول الكلمات المصطنعة التي اوردتها كتب الأحاديث . وكان مولدا بخصه موسى ومرعون وعاد ونمود يرويها كما لو انها كانت قبل وقعت في القرية تمام نفس اللغة وبعض الاشارات ، وتمثل عبد الهادي وهو يسمع .

واسمحب في هدوء فارداد غضب الشيخ وم يقل شيئا .. لم يكن عبد الهادي حالي البسال ولم يكن لديه وقت للصلاة أكثر مما راح في المسجد *

وعندما التقى بالشيخ الشساوى بعد صلاة العشاء على مصطبة محمد ابو سويلم كما تعود عاتبه سيدنا لأنه ترك الجامع قبل أن ينتهى الوعد . ولم يحبه عبد الهادي ولم يحاول استرضائه *

وعاد سيدنا على المصطبة يكرر ما قاله في الجامع وما قاله على نفس المصطبة عند أيام :

- ان اللغة تحل على القرية لأنها لا تسمى وتعصى أوامر الله .

على ان عبد الهادي لم يحاول أن يناقشه .

لقد تعود أن يسمع نفس الحكايات والأحداث في كل ليلة وهو سامت ..

وعبد الهادي مشغول بمسأله الماء حقا .. ولكنه قد بدأ يشغل بشيء آخر .. لاحظ ان حصره الى تعيش في القرية بلا أرض ولا أمل لا سمحه والتي تستطيع ان تقول أى كلام وتصبح أى شيء .. حصرة

هذه الصائفة قد بدأت تنودد على منزل محمد ابو سويلم أكثر مما يسكنونه في اذن وصبيه وطلق صمكات يسمعها الرجال الجالسون على المصطبة ..

وعبد الهادي يعرف ان محمد امضى يستعمل حصرة آجينا لتدبر به بقاء مع بعض الفتيات والنساء الخبيات *

وقد لاحظ عبد الهادي ايضا ان وصيفة يحرص على أن يحمل القهوة نفسها الى الرجال حين يكون محمد امضى حاسبا معهم أما عندما لا يكون محمد امضى موجودا فهي ترسل حصره بصينية القهوة .. أو تهرى على المصيبة بمجان فيقوم ابوها ويعود بالقهوة ، ومع ذلك فبعد الهادي ليس فارغ القلب تماما برامد هذه الأشياء ويندع ما يمكن ان يقع بين وصيفة وحصرة ومحمد امضى .. ان مسألة انه انذى قطعتة الحكومة عن القرية تطارد فكره بالهار وبالبيل *

وكان عبد الهادي يسمع ما يفوه بالشيخ الشساوى ويحجب * من الحق أنه لم يحاول على الاطلاق أن يناقشه ولكنه كان يعسكر دائما في كل ما يقوله سيدنا *

ان الشيخ الشساوى هذا يتحدث بلا الحفظ عن اللغة التي حلت بالقرية لأن أهلها لا يصلون ، والشيخ الشساوى أحيانا يتحدث في الجلال عن أمر الله الذي قصي بأن يحرم القرية من الماء حيلة إمام ليعم به الناسا قريب محمود ، ثم جراه وحى لأنه يؤذى الركبة والسرية بسح اركاة ..

ولكن اشاشا لا يصلى تماما كقرية .. ولش كان يخرج اركاة فدا ذلك الا لأنه يملك الكثير ، أما القرية فكم من الرجال فيها يملك ما يدفعه لركاة ؟ انها ليست كقرى البعيدة بسى سمع عنها عبد الهادي .. هذه القرى التي لا يملك أهلها من أرضها شيئا وما يشغلون أبنارها بحساب مالان لأرض .. ان يملك أحيانا ارضى عند قرية *

ومع ذلك فان أهل قرية عبد الهادي لا يمكنون ما يدفعونه لركاة .. وهى تلك القرى البعيدة التي سمع عنها لا يدفع صاحب الأرض ركة ولا يؤدى صلاة .. ومع ذلك فانه يجري في أرضه ولحسوب تتكسب في محاربة وعصب الله لا يعرف طريقه إليه .. وهذا لرجل يسرق من الأعداء وسرب الخمر في بهار رمضان .. ويمتصب القضاة أنى معجزة وينص بعد كل هذا ضد عن غضب الله .. ولا يحجر الحكومة على أرضه مدق عليه الماء ..

ظل عبد الهادي يفكر في كل هذا .. وعجب لهذا الذي قد سمع .. شرح الشساوى *

وبعد خمس عبد الهادي لمسه ذات ليلة قبل اليوم بأن الشيخ
 الشاوي ، وكان يملك أرضاً في القرية لما قال هذا الكلام ..
 لو أن الشيخ أرضاً يحتل عرقه بترابها .. ولو أنه رآها تنشق
 من الجحش تحت عييه بعد أن شفى فيها .. وراى أدركه الصغيرة العسة
 نذرى كافضل يموتون .. لو عرف الشيخ الشاوي كل هذا .. لست ..
 لو كن سيدنا يمش قيراطاً واحداً على الأرض .. ولو أنه عمل فيه
 الناس ، واحشى عليه وحمر له السموات .. لما اعتقد أن أمر الله هو الذي
 حرم التربة من الماء ليعم به الباشا وليرى أحاديث أخرى .. ولأن أن
 الحكومة - لا الله - هي التي تحرم أرض الملاحي من الماء وتميت أهوا
 أسرة العسة .. ولأنك أن الحكومة وحدها - لا الله - هي التي تصنع
 الناس ..

إن سيدنا هو الآخر كخضرة . لديه شيء يبعه لمدن يندكون المال
 والجاه والكلمة .. ولا يبعه إلا أن يبيع الشيء الذي يملكه .. ولتلك
 بعد هذا أرض القرية ..
 إن الذي يندكون أرضاً في القرية يضعون أيديهم في النار .. أما
 سيدنا فهو كخضرة يده في الماء .. ولهاذ فهو يقول كما يشاء ولو كان
 به الأرض لالتقى ؟

وهكذا كان عبد الهادي يفكر فبدأ بقوله الشيخ الشاوي وألحت
 عليه أفكاره هذه عن الشيخ - وبوما بعد يوم - لم يعد يحتل أن يسمع
 من الشيخ حديثاً عن الجنة والنار والصلاة واللغة والمقاب والركاة
 والزنا والغراب والحزاء والوفاء ..

كان كلما استعاد وحده كلام سيدنا تفاهت أمامه صور فأحقة من
 الأرض الملحة من العطش ولأدرة التي اصفرت ، ويرحف على صدره
 كابوس ثقيل .. وتعالى الأفكار الخسة وأسه وترهق منه الأعصاب ..

ومع ذلك بعد ظل عبد الهادي يجلس مع الشيخ الشاوي بعد كل
 عشاء على مصطبة محمد أبو سويلم ومهما محمد أبدي ، وكان عبد الهادي
 يحسن البطرات إلى وصيفة جيسا تقدم لهم القهوة .. بطرات فحشا
 لعين والحث عن الطماسة ، والحمد الواسع بأن يرزق أرضه في أمان
 وبسك وروحة وأولاداً ..

ودات ليلة قدمت وصيفة صبية الهوة إلى أبيها ليورع الفهرة على
 الرجال فامر محمد أبدي في حقه رشعة وتناول منها الصبية وعطره
 مع أمه المصطبة ..

وانسم عبد الهادي .. وسأل محمد أبدي في صوت مرتفع واضح
 الصديق عن مصير العرصة ، وعيناه تلعبان في مكر ..

وسكت محمد أبدي قليلاً فس أن يقول أنه سمع من العرصة ..
 محبوبة بك ثار عندما قرأها وأبهم لفلها بقله الهديب وعده البية أن يكتب
 حصة عرصة أخرى .. فطامه عبد الهادي بصوت أكثر ارتفاعاً
 - ما أصاب عارفي ده كله .. أنا بإسأل عن امريله التي حيكسب
 محمود .. ما أصاب عارفي حكاية المريضة الأولى يسمى محمد ..
 وعارفي أن محمود بك قال أراي الملاحي يقولوا كلام ري ده ع الحكومة
 .. وهال كمان مين ابن الحمار التي كتب المريضة ؟ .. عارفي يا أحويا
 عارفين .. ورأسين قري على الدور كله ..

واعتق وجه محمد أبدي واحتجج ..
 كان صوت عبد الهادي يصل إلى داخل دار محمد أبو سويلم حين
 عادت وصيفة لجلس يتقون المثل على قلب الطوب إلى جوار حصرة
 ونصفي إلى حسانها المتلاعبة العابية ..
 وأحس عبد الهادي يصحج محمد أبدي فامتلاً بشوة فامصة وهو
 يراه مرتبكا أمامه ..

محمد الهادي قد عطن أن أن محمد أبدي ربما كان قد أرسل حصره
 إلى وصيفة لتقودها إليه .. وفصل عبد الهادي أن لا يتكلم وظل برأب
 وصيفة وكل شيء من بعيد ..

لم يتج عبد الهادي لوصيفة أن تخرج من دارها في الليل .. وقد
 تعود أن يظل جالساً على المصطبة بعد أن يصرف الشيخ الشاوي وحتى
 بعد أن يصرف محمد أبدي إلى أن يفتق محمد أبو سويلم باب داره عامه
 هو وابنته وزوجته ..

وشعر عبد الهادي أن محمد أبدي يوشك أن يترايب من الحاصل
 ، الصديق لفهم مزيجاً في ضعكة باردة ..

- معنى لسه مافرقش أن محمود بك قال طيب ابن الحمار .. والا
 مافرقش .. ده الصدة حكى الدنيا كلها .. وألت محكي لك كس
 .. إلا أنه .. يامحمد أبدي ده أنا فاهنت قري .. فاهنت قري يا حور
 وفاهم الدور .. أنا فاهم الدور .. فاهم قري وحياة البس .. قري قري
 .. حاكم المسألة طيبته ..

واكمل عبد الهادي لنفسه هامساً :
 - دول ماكابوش أرضه جسه .. يقتصم كل شهر .. وندوس منهم
 دار الدنيا .. أني أحمار ده كمان ..

وقبل أن يحيط محمد أبدي .. وقبل أن يسمي عبد الهادي من
 همسه لنفسه قدحل الشيخ الشاوي في الحديث ..

٠٠ يحسرتي ياوصيفة دي تنقي فتنة وانعثة حرام ٠٠ دي العنة أشد من القفل ٠٠

وطمايت وصيفة اني ما قاله حصرة ٠٠

وكانت حصرة تمطلي نفسها حقاً لفتيان القرية بأي شيء يقدمونه حتى بخيارة طرية في يوم حار ، وكانت تقوم بخدمات كثيرة لمحمد أمسيدي ولعبد الهادي مع أحيويات ٠٠ ولكنها مع ذلك كانت تعرف أن الفتنة أشد من انهن وبحرصن اني آخر حسد على أسرار الفتيات والنساء اللواتي تتوسط عندهن لمحمد أمسيدي أو لغيره من شباب القرية ٠٠

و في الحق أن عبد الهادي هو الذي غفل وحده الى شيء ما بين وصيفة ومحمد أمسيدي ٠٠ ربما لأنه أحسن تصرف وصيفة ٠٠ واختارها للمعاشرة مع محمد أمسيدي ٠٠ هذا الاهتمام الذي كان يتعد مظهره دائماً في صلتها بالقوة وغيرها بالصنيعة الى الرجال حين يكون معهم محمد أمسيدي ٠٠ واستطاع عبد الهادي أن يحمي كل ما حدث ٠٠

أدرك أن خضرة همت بإسارتها للنساء والرجال أن وصيفة معجبة بمحمد أمسيدي ٠ ويمكن أن يكون محمد أمسيدي حديثها هي وصيفة فكلمت هي وصيفة عنه لفتها وصيفة عن الخوض في حديث كهذا ٠٠ فسالت عليها خضرة وقالت لها كلمات مفصولة صريحة عن علاقات الرجال والنساء وسمعت في يسر كل الرغبة التي تعابها وصيفة والاضطراب الذي تخفيه وراء ستار ثقيل من الحياء والخوف والحرع ٠ ربما حدث هذا فتعلمت وصيفة وخزنها بالمباغلة واضطربت وهي تجد روحها عارية تماماً أمام خضرة فطردت خضرة من دارها ٠٠ غير أن محمد أمسيدي كان قد وعده خضرة بخمسة قروش لو أنها نجحت في تدبير خضرة بيته وبين وصيفة وأعطاهما بأمن قرشين كمقدم أتعاب ٠ وعدت خضرة تتجالت على وصيفة ٠٠ وما زالت بها تحدثها وتقلب دماغها حتى تعترف لها وصيفة بأنها تريد محمد أمسيدي وتكن في الحلال ٠٠ وفي الحلال وعده ٠٠ حال عاز محمد أمسيدي الزواج منها فهي تحب أن تلقاه في خلوة ٠٠ ولكنها تخاف من عبد الهادي ومن أبيها ٠٠ وقالت حصرة كل هذا تحدث أمسيدي قسداً بشعر نضيق من عبد الهادي ونظرك في طريقة ما مودة للقاء وصيفة دون أن تتورط في خطبتها من أنها ٠

كان عبد الهادي قد أدرك هذا كله من معرفته الخاصة لطريقة حصرة مع نساء أحرار أو أراذل هو ٠٠ ومن مراقبته الباطلة لمحمد أمسيدي وخضرة وصيفة ٠

وأدرك عبد الهادي مع كل هذا حق محمد أمسيدي به وحرجه كلما

يكلم أبيه ولم يكن عبد الهادي على أية حال يعنى عن محمد أمسيدي بشئ انشاع ٠

غير أنه في تلك الأيام كانت ابقرية لا تستطيع أن تعكر طويلا في شئ عبر الله الذي مننته الحكومة ٠

وفي تلك الأيام بالذات كان أهل القرية جميعا قد عرفوا أن مساء الأيام الخمسة أحدث منهم لتعطى لأرض الباشا القريبة من المركز عاصمة الإقليم ٠

ومع ذلك فقد كان العلاحون يحاولون أن يرووا أرضهم من البحر والصغير أو التربة الكبيرة بطريقة ما في ساعات الظهر التي لا يسر حلالها رجال ترى متعصبين أثناء هذه المحاولات لأهاليات شيخ البلد الذي أقسم لهم أنه بصفتهم نائب الحكومة ٠ سيوقعهم كفهم في عصابة ويكتب أسماهم في ورقة ويرسلها مباشرة لتفريعة الى المركز ليحسبهم الحكام هناك ٠

وعلى الرغم من هذه التهديدات فقد كان العلاحون يذهبون بحسبون سحرين نائب الحكومة ويسأونته لماذا تأخذ الحكومة منهم مائة المييل لعطيه لباشا الذي يملك ماكينات تحلب الماء من بطن الأرض ٠

وفي تساؤل العلاحين من سر تصرف الحكومة معهم لم يصدقوا أبدا ما كان يقوله الشيخ السناري من النعنة والجفاء الوهاك ٠٠

أهم يعرفون بتعاديهم وحدها أن الحكومات التي تعمل تعتمد في الانشادات هي رجال المركز وأصوات المولى والعالمين وتقصص ععدة سر قرية وشيخ جعرا من أخرى وتقتل مدرسا من هنا وباطرا من هناك ٠٠ هذه الحكومات نفسها هي التي تصح الباشا دائما كل ما يريد ٠٠ ولقد أوشكت إحدى هذه الحكومات منذ أعوام فتلألأ أن تستزع الأرض من أيدي العلاحين في عشرين قرية لتشيء طريقا يمر بعزبة الباشا الغرب من المركز ويصل بين المركز وطريق القاهرة رغم أن الحصر هو الطريق الطبيعي القديم الذي تأتي منه هريات الحكام في أيام الانتخابات وحسما تقع الحرائم ولو أنهم أصلحوه لما نزعوا سبها واحدا من علاج ٠٠

العلاجوب يعرفون هذا كله ٠٠ ويعرفون أن الباشا قد سى لنفسه قصرا كبيرا على حدود أرضه على الطريق الذي كان يريد شقه ٠٠ ولكن تلك الحكومة سمعت فلم يفكر أحد في شق هذا الطريق سره أخرى وعاد التفكير المدمر في إصلاح طريق الحصر وأنشأوا ولم يكمل بناء قصره ٠٠ ولم تعد له كلمة في القاهرة ٠٠ وأدرك قسده محمود ذلك هو الآخر ولم تعد له كلمة عند الحكام في المركز عاصمة الأقليم

ويعرف الملاحون مع كل هذا أن الحكومة التي لم يكن لها نصيب
كلام مائة .. قد أجرت الانتخابات معتمدة عليهم هو الأجساد لا على
أصوات الموتى ورجال المركز .. ولكنها ذهبت لأن الإختيار أرادوا أن
يذهب .

الملاحون يعرفون هذا ويعرفون أن الحكومة الجديدة قد جاءت
مقسمة حرب أشنع وبدأ الصده بعد كثرة الانتخابات ويكتب أسماء
الأموات والمجنون في القرية ويحصد الرجال بالقوة وعلى الرغم من أن
القرية خاضت الانتخابات فقد أصبح لها نائب هو .. باشا .. وأصبح
من رجالها أعضاء في لجنة الثلاثين التي كانت تحارب السائب ورغم
البند كلها قاطعت الانتخابات ولم يذهبوا إلا لحرب الحكومة والمتعصبين
يه ، بالحكومة تقول أنها تمثل مصر وأن حزب يمثل الشعب .. والملاحون
يعرفون أن الشيخ يوسف كان من بين الأعضاء الثلاثين ومع هذا فقد
كان يسخط على الحكومة في المنار وأسير ويسخط في سره على أبيه
محمود وعلى الحكومة والنائب وحزب الشعب .. ولقد بدم على
اشتراكه في الانتخابات وظل شهيرا طويلا يشعر بالخجل وعاد يقف مع
أقربه .. وعندما أمتع من دبح المال .. كما أمتع أهل مصرية ،
وحجرت الحكومة على بعض ما يظن .. أعلن سخطه وتعود أن يجلس
في دكانه ويشتم حزب الشعب والعمدة وأبائا النائب والحكومة
جميعا .. وأحد يمدد المقالع والشامات التي ترتكبها الحكومة ..

وكان ملاحون يدركون أنه في غدار كل هذا فصل محمد أبو موسى
- الرجل النجم - من مسيحه انفراد .. وعلى الشيخ حسونه جان
محمد أيمدي وأصبح مدرسا في آخر الدنيا .. بعد أن كان السائر
المعترم في المدرسة الأولية بالقرية الحدود .. بينما أوقع حسوب
العمدة من جديد وعاد محمود بيه يزق ويخبط في أساس من يمين
وشمال ويصرب الملاحين بالكذب والرجس ويرسل من لا يروقه من أهل
أخرى المحاورة إلى المركز ليدوق العذاب ..

وما زالوا يدركون أن رجالا من قرى أخرى مروا عليه في هرسه
أصميرة وهم يركوب الحمير قاصين « دستور » ذون أن يربوا فلم يزل
لواحد منهم « دستورك مصف » كما هي العدة وإنما أرسلهم إلى المركز
وأقدم كل واحد منهم أماما في أنحس حيث شرب دول الدل هذا
حلوا له نصف شاربته وظل مصرب ومصرب .. ثم ما برح هذا
مصرب .. حتى قال لهم كما صبا أمه أمراه ..

كان ملاحون يعرفون هذا .. ويعرفون أيضا أن الباشا قد شاع
ينعم براء قصره الكثير وبدأوا يوقعون سيد انصم هذا الباشا لحصن



جون جاز

الشعب ان يشق الطرق الزراعي الذي يريده وان يسرع لاجل هذا الطريق ما بنى لهم الأرض .. الأرض التي هي عندهم كل الأرض واليوم وكل العد ..

وكان الفلاحون حين يتذكرون كيف بدأ الأمر بحرماتهم من الماء من اجل الباشا يهرون الرؤوس وفي المسوس منهم تحتق الحشرات وقلوبهم تخفق بالوحل وبخوف حزين قلق من المخيأ في الغيب ..



طال الشيخ يوسف في ذكره لا يرحه وكلما حاول بعض الغنيان أن ينفوا ماله بهرم الشيخ يوسف ، حتى الأولاد الذين كانوا يسمون أمام أندكان في انحاء كان الشيخ يوسف يصيقي بهم ويبن آباءهم ويصرخهم ..

ول بعد يخطر أن يجلس احدهم على جاذع اجميزة الملمة امام دكانه مستنده الى التراب المتراكم على مر السنوات .

كان اشيخ يوسف حجباً من نفسه فقد عرف أن محمود بهـ مرق اعريضة ..

وفي الحق انه مع خجته هذا كان مسروراً لأن محمود بك قال في كاتب اعريضة محمد امدي ابن احمبار - لقد كان هو يشعر في احمابعه بأنه اجدر من محمد امدي بكتابة الصريضة فقد درس في الاظهر يصنع نسبي بينما لم يذهب محمد امدي الى مصر ام الديوا اكثر من مرة .. لأنه درس في عاصمة الاقليم وابوه - ابو محمد امدي - لم ير مصر على الاطلاق ،

وكان الشيخ يوسف يشعر بضيق هائل من محمد امدي فهو منذ حين يوح له بان يتزوج من ابنته ولكن محمد امدي لا يهتم به شيئاً الأمر .. لم ان محمد امدي هذا قد اقرضه مرة عدة جنيهات ليواجه بها حاجات اسحار الكبار في عاصمة الاقليم .. ولم يشكاً محمد امدي ان يقرضه لله في الله كب كان يريد الشيخ يوسف وانما صم على ان يرتن حراً من ارضه . ودلعل تركه له الشيخ يوسف حياً الجزء الباقي من ارضه وركها محمد امدي بلا حياء ..

وسمع الشيخ يوسف رجلاً في القرية يهيمون بان محمد امدي ابو سولم كان في حي عندما تحوف من العمدة والاعيب العمدة .. وسمعهم يومومه هو ومحمد امدي والشيخ الشاوي لانهم سمعوا على ان يذهب العمدة بالبريضة الى محمود بك .. فمحمود بك لا يمكن ان يسمى في العام قرار لهدمسة الذي صدر لعائلة ارض الثالث مما مصلحته هو في العام هذا القرار ؟ ان كان من اجل ارضه انى



مع في رمان العربية فيمكن ان يروي عن ارفع من قرار الهندسة .
وكذلك ارض العمدة والركبة في كلمة محمود بك التي لا ترد .

هكذا كان يتحدث الملاحون ويرى كلامهم في اذن الشيخ يوسف
فيلاهم باسمه وانحسرة والملاحون يعرفون ان العمدة هو رجل محمود
بك ورجل حرب الشعب ..

والشيخ يوسف نفسه معتنع بكل هذا .. وبكل مايقوله الملاحون
.. ومع ذلك فلم يستطع ان يذهب ليعطي محمد أبو سوالم ومفتري له
نسطه .. لقد جاب ان تده اسد كلها بهذه العظيمة ..

ودات مساهم عبد الهادي للشيخ يوسف يساهم من الحسرة
والسيرة وسر انعطافه ..

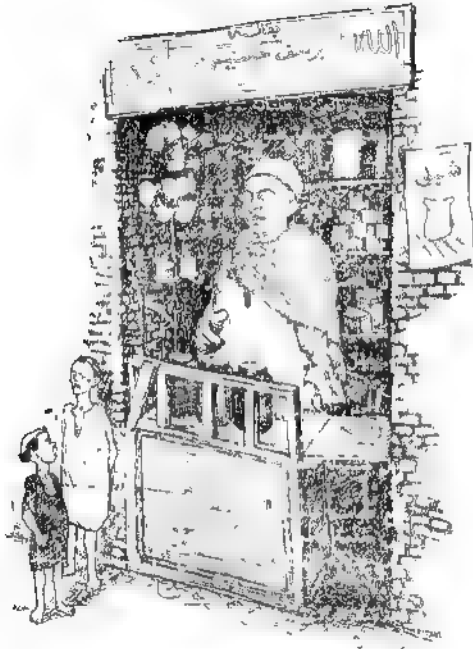
وتردد الشيخ يوسف قل ان يتكلم .. فبعد كان عوايي اذ دات
واقعا يحصل ان يشتري منه الشيء والسكر ..

ولكن الشيخ يوسف اعترف بانه محسور وان حسرته قوية ..
وسكت قليلا .. ثم قال انه حر ابلك ابي محبيه .. وانهم اعطوا
حيثما حتى اطمأناوا الى العمدة ومحمود بك .. ثم اتقسم ان محمد
بو سوالم ورجل محرب بفهم - وهم انه لاقرأ - أكثر من الذين قرأوا .

وصمت قليلا ثم اكد ان قرار الهندسة لم يطبق على محمود بك
بالطبع .. وان محمود بك لا يمكن ان يسحب الى العاه قرار صدر من
أجل الباشا .. تعجب كما يقول الملاحون ..

فقال عبد الهادي متحمسا :

- يا أجي اذا كما احنا فدرنا بحد شوية فيه محبنا بهم الأرض ..
وشيوخ البلد ايه .. هاض به شوية وانحمد .. يعني محمود باباوانند
ما يعرفوش .. بقي ده كلام يحس غايث يا شيخ يوسف (..
بحدوا اليه من عين الحن يا هم .. طب هي الهندسة رايحه تعمل ايه
لحمود بيه ؟ .. قل لي كده .. ما تقول .. واهو محمود بييه بداري
العمدة والعمد راجله .. يا راجل ده من يوم الحكومة الخمسيرا دي
يا حكمت ابر .. ومحمود بيه يقولشي مدير ايدريه .. حجاب عربييه
بحور خيل داير بها من العربة للمركز ومن المركز للمصرية وهاهه لك
محمود كده .. ركبته .. ركبته صحيحة .. ركبته صلب عدان .. متى
لاين عدان عني ..



الام
عش الحسرة
محمود

سـ واحداً بنى مشيخاً به ورا محمد ائدى ابن احماد ده ؟ باراجين
سينك من ذوات الأربع دول .. ووا منهم من يوم ما حه صدقني سموا
ياخدوا اثنين جيهه معيش غيرهم .. أساسى أنا اتلى عارف .. سينك
من الأندليه .. كل المواطنين مهاباتهم قسب .. التى كان يباحده ١٥ بعد
ما يطعش الكرتة من أنطليم ويتخرج من اندارس الطليا بنى ياخذ ١٢
معيش غيرهم ..

وهو الشيخ يوسف رأسه قليلا في ركب عن الكلام يدى قله لم
استمر يقول :

سـ الا قولنى .. محمد ائدى حاب العهم ميسر آ.. من ابوه وار
يعنى حاب العهم من أبوه .. يا راجل والله ده ابوه قله انقطع من اكل
المش والعيش اندرة لحد ما مات .. وقال إيه حاي حصره يشتري من
عمدى حلوة طحينية .. يا سلام يا أولاد .. والله يا شيخ ده أنا بو
كملت في الأزهر لكتبت فعت عليه حاصلى يا جسدع .. كبت بقيت لحد
معتش عليه .. والا باطل .. ده ان زملاني اتلى جاوروا ممة وفجواكلهم
دلوقت بظار ووعاظ ومعتشين ومدرسين في الابتدائي الميرى .. قال
محمد ائدى .. قال .. يكتب هريضة واحيا مئى وراه .. ما احى
قول به يروح يدور على بنت صابغة لحدس عليها تفرش ..

واختار عبد الهادى الى اعمامه وبذلك كل انشده اتلى احتسباس
خصرة وهي لستضحك مع وصيحه ..

ولم يقل عبد الهادى شيئا ..

ونظر طويلا اتى انشيخ يوسف واحد يرفع فيه من صدر انشيخ
وراه بنك الدكان الى حمامته اصغيرة ذات الشال الأبيض المتصح ..
ورجيه المقتصد السقيم المتفنى الذى لا يتنسم وكان عليه غبار مسعر
هويل ..

وعاد انشيخ يوسف يقول :

سـ حاكم احب الله حايه ..

وهو عبد الهادى رأسه مواجعا .. وشبهه الشيخ يوسف ان
عبد الهادى رأسه عه وأنه من اممكن ان يعود فيتحدث مع محمد
ابو سويلم ويسمع منه محمد ابو سويلم وعند الهادى والاخرون
غطاب نعا .. وانتم ..

وتنزع في وجهه اسجل الاسمر الملى بالمصوب سرور طارىء ومصح
أرته الزمادى الذى يعطى شبة انسا امعوسة في استمرار دائم ..
وانسور عوارى العرسة وشحمه اسماطة انشيخ يوسف فاعصر
بعد طول الصمت ليومول وهو يروح بدراعيه :

سـ يا سلام يا عم النسيج يوسف .. كلامك حق .. كله حكم ..
بسى يا حسارة .. يا أبأ النسيج يوسف لو كنت أنت .. يعنى آه ..
يا أبأ النسيج .. بو بطل .. يعنى لو تحلى ..

وقاطعه انشيخ يوسف ضاحكا قائلا لعلوانى ان العلامه لا علاقة
لها بكلامه النحل ، هو ان يعطيه انشاي والسكر على كل حال ما لم يدفع
المناحر عليه .. والكلام برة .. واندمع برة ..

وصحبت عبد الهادى واخرج قريبا رماه على انبث البدى دان
الشيخ يوسف يدف امامه من داخل الدكان .. ثم ضرب عبد الهادى
كتب علوانى بيده مطمئا وقال للشيخ :

سـ ادى لشيخ العرب طلباته ..

ومضى الشيخ يوسف يفتح الادراج ليحضر لعلوانى انشاي والسكر
بيضا تهنى وجهه علوانى وابسط يده واحد يبرى كيف احده محدومه
شيخ البلد وامره ان يسحب معه البندقية المرفوعة وممره على السواقى
اتى لدور حبسه .. وبعد ان انتهى فشح الحبراء من اطراف على سواقى
اجسى امر اساس ان يوقوف وشتم هدد .. ثم مضى الى التربة الكبيرة
يتنش .. وفى الطريق قال لعلوانى انه يرى الناس معدومين ، وطلب منه
آخر الامر ان يذهب ويده ليقطع التربة التى اجرت هندسة الرى الماء
فيها لتسمى ارسى محمود ك وحده ، فتمز المياه المثقلة بالطين فى التربة
من ارض الغربة دون ان يسمح للغربة بالرى منها ..

وهذا انخفض صوت علوانى ثم اوشك ان يهسى وهو يبرى كيف
انتفضى شيخ البلد حين طلبه منه ان يذهب دون ان يراه احد فيقطع
جسر التربة حتى اذا ازوت ارضه سدها كانها لم تنقطع ..

وهو انشيخ يوسف رأسه ورفى وهو يسمح هذا الكلام ..

ولم يدل شيئا ببعض الوقت ونظر يدير نظره بين عبد الهادى
والغراع ..

ثم رفع صمته ذات انشال ينسج وحك الشمرات الرمادية
عصيرة فى مقدمه رأسه وهو يقول :

سـ سامع يا هاد الهادى ؟ .. سامع .. شبيب شيخ البلد
يعمل إيه ..

فجاب عبد الهادى سحرا فى مرارة :

سـ والا انجمدة التى بيعش اشتريه عيسى عيبك .. حاكم الميسة دى
منه انود .. هو واليه وارثيها ..

وتم مضى الشيخ يوسف وانما وضع صمته ونظر بصوس الى رجل
يصف وراء عبد الهادى وقال له تعصب ودهشة وحوف :

حديه بعد ، يرى قد ذوا الى عاصمه الاقليم وانصلوا بانسرك
بكد يصح الصلاح حتى كال ابركر يصح بالعمدة في النيقون وسمع
انعمدة كلاما قريبا من المصور بعد ان يسمع من ملاحظ (سوليس
بعرضا صرخا بظراوته وليوته وابيه وامه انص ،
وامتلا العمدة بالحقق .. ولكنه حمد الله به وبين نفسه لان احد
لم يسمع ما قلته به الملاحظ او المأمور ..

كان العمدة رجلا اصغر صغير انجسد ، دقيق أشكوكين ، حفيظ
الصوت .. وكانت ليجته انصصرة بيضاء نظيفة .. تضام مهابه خاصه
على ما حفرته الكشوحه في وجهه .. وكنت الانشامة تشيع دانسا
على صعيده .. حتى عندما يهبط ..

وانعمده هو احد الذين ذهبوا الى الأزهر قبل ان يذهب اليهم
الشيخ يوسف بنسراب طوان واقاموا في القاهرة حينا حتى اذا لحن
بهم حين آخر عادوا .. وتركوا أحلامهم في القاهرة ابدية الضحمة
، واقنوا = في هذه الغربة أو تلك = في حياة ليلها المطمع ولكن
لا أحلام ..

ولم يكد العمدة يستريح من حمد الله لأ احد لم يسمع شيئا من
كلام المأمور أو الملاحظ وبصفة خاصة الملاحظ حتى وصته أشكساره
للقانونية ليها تنبيه الى وجوب مراعاة لائحة الري الجديدة والى انه
سيكون مسئولا من الجامعة في المرة القادمة ما لم يقدم استبعاد الدس
حاليا .. وقام العمدة من فورته متحمسا ليلعب الى محمود بك في
مرتبه المحورة ليشاركه لملاحظ الوئيس وليوسطه هذه الحكام في
المركز فلا يحولونه مسئوليته محالفة القرية للوائح ارى .

ركب انعمدة الى محمود بك ووراه عبد انطلي الحفير المفضل .
وقدما عاد العمدة كان يدس في جيبيه ورقة وضع في قلبه رجاء

كبير ..
ان العمدة رحى يعرف كيف يعيش في أي زمان .. وصل بينه في
مكانه وهو يحس للحكام في المركز وللدن يملكون الكلمة هي هؤلاء
الحاكمين .. وسمع أي شيء وهو يتشمس ..

وكان هم العمدة كله هو ان يبعد أوامر الحكومة مهبط تكي .. اما
ما يمكن ان يصيب القرة من هذه الأوامر فلم يكن يصبه على الإطلاق ..
هو كما تعلم في الأزهر طبع اولي الأمر ويؤمن ان حسدا من أركان
اندس ..

ولئن طردوا منه ان يعلمهم اهل القرية جميعا لصرهم بالرسايس
لا تأخر لحظة .. ولقدمهم بنسائهم ورحالهم .. وشميرهم معظمن الى
أه ارضي ربه ، ولا تظنر من ربه بعد هذا ان برصيه .

— غير انه يا وله .. لاسي رسمي كده وحاي هنا تهب انه ؛
ايه يا واد ب عد الصاطي ..

والتمت عبد الهادي وراه فوجد احد انعمده يليس طربوشه
الأسود الطويل وجليانه انماق ويدف مشدودا : اسديقيه على كعبه
وقدماه عازبان ..

ورجع الحفير وجهه .. وعياه نظران في غير شيء وطب من الشيخ
يوسف وعبد الهادي ان يكلموا حضرة انعمده الامر هام ،

فعال عبد الهادي في استعجاب ؛
— طلب عور يا عبد الصاطي .. عور است ..

ولكن عبد الصاطي لم يحركه وظل يلح في ثبات ورجاه ان يذهبوا
الى الدوار معه ليكملوا حضرة انعمده ..
وتردد الشيخ يوسف قبل ان يبعد كلاما ..

ولكنه قبل الامر انه لا يستطيع ان يذهب اساعه ويترك
الدكال .. غير انه بعد ان يطلع سيدهب الى الدوار هي انور ..

ثم تساءل هنا يريد انعمده .. فعال له الحفير عبد الصاطي ان
لا يعرف من الامر شيئا .. وعاد يلح عنيهما ان يذهبا الى الدوار ومع
كل واحد حتمه .. ووقف كأنه مسمر امام الدكان .

فصح الشيخ يوسف مسكرا

— حتم ؟؟ حتم ؟؟ ايه يذهب الصاطي ؟؟ ده اما قساري في
الأزهر اكثر من العمدة بشارك .. بقي دي بند ؟؟ لم تقاي هاقولي
يا وله .. هو حياه عاب الاحسام ليه .. رايح يحتم البلد على ايه ..
وربك عبد الهادي دكان الشيخ يوسف وعفي في صمت الى محمد
ابو سويلم ؛

اما الشيخ يوسف فقد ظل يصغي بيديه متعجب .. ويشسبتم
الحفير .. بينما انعمده يلح عليه في ان يذهب الى الدوار ..

وانصرف الحفير بعد قليل ؛ وفي علوان يسان الشيخ يوسف هنا
يريد العمدة منه .. ويلمح له بحدمات يمكن ان يؤديه ليربح الشيخ
يوسف من انعمده .. والشيخ يوسف صامت تربيع يده أي عمامته
فيصيحها أي أمام لم الي حلف ورفعهما احيدا ليحت رأسه ثم يمسور
فصصب وهو صامت في انديام .. وفي انجح ان انعمده عبد الصاطي
كال يعرف من الامر شيئا ولكنه لم تكن يعرف الامر كله ..

فقد من رجال هندسه اترى في مستصف اللية انسارجه فوجدو
آثار مياه في القنوا المتندة تحت بطي الحبر واكسدوا ان العمول

وهكذا دفع بكثير من العلاجي الى المركز ليعدهم علما عائلصوا
اسحاكات حكومة حرب الشعب واتموا من دفع صرية الارض .

وهكذا تسبب في فصل محمد أبو سويم من منجحه انجفاء .
وكان العمدة في عهد الحكومات التي تستخدم رجال المركز واصوات
الوحي في الانتخابات .. كان يعتمد على محمود بك ..

وفي عهد الحكومات الأخرى كان يسعى لحام كثير في عاصمه
الاقليم لتخذه الدائرة بانأى عنها عندما يذهب الملاحون الى اصاديق
احرارا لا يسوقهم المساك ولا يزيب اراذلهم أحد .

وفي عهد الحكومات التي لا يعرف بها العمدة بونا بعدد .. كان
يعتمد على ابنه . وفي الحق أن العمدة حين وسنه اول اشتدرة
لتحديد مواعيد الري لم يسكت وانما أرسل عبد العاطي ليطوف على
الذين يملكون ارضا ويستمع اوامر اهلهم .. غير ان هذا اصاب
لم يعمل الأمر وظل يقلبه بينه وبين نفسه وقال للمصدة كذب انه اذيع
التاس .. بينما مضى يؤكد لنفسه ان العمدة شاخ وخرف .. وأصبح
يقول كلاما غير محقول .. لقد اتعت زوجته الشبهة السببه
البيشاء ..

وحين رجع العمدة من عند محمود بك أمر الحفراء ان يلبسوا ابري
الرسمي وان يقفوا صف واحد في الفناء لتسبح امام سبيلهم الدوار
واستند الحفراء بالعمل ووضعا في العنابيس الكبيرة ورشوا ارض الحوش
بالماء وانتظروا العمدة حتى اذا فرغ من عشائه خرج عليهم بالحسنة
وانعمطان والصال الشاهي والحذاء الاسود وكل هينته التي يماين بها
الحكام .. ووقف العمدة على سلم الدوار ووراءه عبد العاطي يبدقيه
وامامه الحفراء بالطرايش السوداء الطويلة : المذنبه على الكتف
والاقدام الحادة تدب التراب الملل بماء الارض ..

وأخذ العمدة يشتم الحفراء لانهم لم يلبسوا اهل اعره اول اشارة
جذدت مواعيد الري الجديدة .. ولاحظ ان عبد العاطي وراءه يكرر
كلامه وشتمائه فالتفت اليه ونهره قائلا بصوته الهادي وكلماته الطيبة
— هو انت الزكيل تناس .. انحر من راية .. حتى في نصف ..
هو ائنه العمدة والا أنا ..

وقفر عبد العاطي الى النصف وحشر نديه وسط انجفاء وقصد
سرت مبهم هجمة التعاطف وانضمت الكتوم ..

واحتدم غضب العمدة وترايدت شتمائه وأخذ تنهم انجفمسراء
بانهم تركوا العلاجي يسرقون الماء ؟ فالري في غير مواعيده يعتبر عبد
الحكام سرقة للماء .. وسكت العمدة قليلا .. ثم عاد يقول في صوب

رهيب ان اللوائح والموايين وشئون البسط والربط تصر ابري في غير
المواعيد المحددة خريبه .. خريبه سرقة
ومعاب همهمه الصحت اكنوم وانحب .. فمضى العمدة قنالا
بسط وهو يسط الكلمات :

— طب روحو كلكم مرعوبين ..
وانضبت الضحكات اكنومة وقال أحدهم وهو يحاول ان يحكي
صحيحه

— ده ده .. طب ما احب روييا أرضك يا حصرة العمدة .. ذي
برسه اسمها سرقة عند الحكام وعند اللوائح والموايين التي يتصرون
عنها ؟ .. والا اليه لما تروح أرضك ما يعاش اسمها سرقة ؟ .. مدام
في أرض الحكام .

وقال ان يتكلم العمدة استطرد جهر آخر يقول سمعنا بلا صحتك .
— سرقة ايه وهاب ايه يا صديق .. اليه ما هي ماشية في البحر
والترعة .. يمشي حائض لا .. هو احنا ك نفس عنها حبيطة ؟ ..
الا سرقة ذي يا صديق .. سرقة بيه .. ما هي مه رشا .. هي السرقة
في اليه كمان .. هي تلب حبيطه ؟ ..

واضطرب صف الحفراء وبن العمدة سلام الدوار وصبروته
يرفع صارحا :

— الله .. الله .. اياك تحبب هيكو حبيطه .. يا كذا غصير ..
يا بند ماهاش شيخ خمر .. هيه بلد من غير عمدة يا واد انت وهو ..
كلام ده ايه ده بوحه .. ياواد اليه ذي بغات الحكومة وانصكم
سي .. الحكومة تدري مبر ري ما هي هائرة وتدري اني هي هاوره كمان
.. مفهوم ؟ ..
ولم يكن هذا مفهومنا ..

ووضح ان من المستحيل ان يصبح هذا مفهوم .. فمسد وحم
انجفاء وانطلعت صوبهم في اشواق الى هذا الذي يقوله العمدة .
وتلفوا الى بعضهم كاتب يتساردون ان كان هذا حقا .. وان كانت
حياتهم نفسا يمكن ان تصبح ملك للحكومة والحكام .. انهم يعرفون
ان الماء ملك للأرض وللررع الذي يأخذ منه .. وبه ان يأخذ منه كمان
يريد بلا حساب حتى يروى تماما ..

وأخذ العمدة يذب صوته في الوحرة وهو يبتك من تصه .
وانسكتت قطرات العرق في فحرات انشجوحة من وجهه .. سببا
تقدم عبد العاطي .. يسأل ان كانت الشمس والهواء ايضا ملتصك
للحكومة ؟ .. وماذا في ماء المطر ؟ .. وانطق من الوجوم شححك

محجن .. واضطرب القلب واحد اجفراء في سخايتهم يعزبون الا من
المحلة يرحلهم ويظن من فيه بطيى واسعد اعصده قليلا قليلا فسميه
رباشي من تحت اندام الجفراء .. وصح .. وظل يصيح حتى سعل
وبظرت امراته الشانه اسميه من الشاك وودعت فعلا تنتم
وهزت راسها وتصبحت رجحها وهذلت يدها على ذنبها وبحورها
ومصرها واصرفت الى داخل اندوار .. وعلمت هذاب الضحة قليلا
تقدم العمدة من اجفراء واستعد هدوء صوته وهو يقول في هذه
وعمق :

== الله .. الله .. يا سي عبد العاطي .. طبع عني راي انشاع ..
ومن اساء ان اناك ذيب ؟ .. هه هه .. قل لي يا عبد العاطي يا ربايه
محمد ابو سويلم يعني نا واد بعد ما تركت في الغر وعمتكك حدام
حصومي وكشفكك على حرمي تبني تمشع قدامي على الحكومة؟ ..

فقال عبد العاطي نبات :

== ما انت كل حاجة يا حضرة العمدة سألنا مفهوم .. يعني
حاييني مفهوم من غير ما هو مفهوم .. فصدنا عرف .. يعني ايه قول
الحكومة هي الشمس لا تسوي اربع تسويه بالوانع رجحه والا ايه ..
يعني الشمس وصحتها ابي يراها سيدنا الشيخ السماوي ذي .. ذي
يعني مش هي ابي تسوي الزرع ؟ ..

وعاد الضحك من حذو العمدة ان يتكلم ولكن صوب
عبد العاطي ارتفع قائلا :

== وكمان يعني البطرة حكمها انه ؟ .. اعطى يعني الي يقول سيدنا
عبيد ان ربا هو ابي مرزبا يعني .. يعني ..

واحد العمدة يصيح فيه :

== انت يا واد شغفمي .. تتكلم وان ناكلم .. وعلى حسبك على
حسي .. الله .. الله .. يا سد ..

ولكن عبد العاطي ظل يتحدث .. وعندما هذاب صخرة اصعدت
الجنطة بتعلمت اجفراء سمعه العمدة يقول :

== واليه بتاعة البحر والترعة ذي .. بتاعة ابي حكومة .. مش
تعمل بتاعة الحكومة .. يعني بتاعة ابي حكومة تتحكم الر ان شادته
حتى تكون حكومة جواحذ .. والا بتاعة الحكومة ابي راحت وال
تتاعت الحكومة الجديدة ذي التي اسمها حزب الشعب ؟ .. يعني
الحكومة ذي يعني كانت حات اليه من دارها ..

وصاح العمدة :

نسي يا بهيم .. انت سمعنا ؟ ..

وشعر العمدة انه يها انس اهانة .. وكان يعلو وكل مدله الحبل

يرتفع .. فتهدج صوته وهو يكذب يرا :

== الله .. الله .. انه يا بلد .. اريد يا ولد .. انجيسر هاب
العصايا من جوة ..

ودهب عبد العاطي الى داخل الدوار وعاد يصيح في الخيران وقد
لعت عليها اسلاك محكمة ووصع عبد العاطي يندقته على السلم ثم
هبط ببطء وهو يرمز ومن حوله الصمت ووقف ينظر الى الارض ..
الميلة في احتجاج صابت ثم احضر قائلا :

== الارض هيا مبولة .. بدلة الحكومة تنطسين .. والا اقلع له ..
نصحت الجفراء واحابه العمدة بشيق :

== اترقد مطرح ما ترقد .. اياك ترقد ما تقومش ..

ودهب عبد العاطي الى املي اسلم ورقه على البلاط ومشي اليه
العمدة ببطء ثم امسك العصا بالحكم ورمعها وهو ينظر الى ضامر
عبد العاطي وانزل حبه بانصاف وظل يصرب وعند العاطي يتلمص العصا
في سكون .. وشعر العمدة بيده ثقله ووقف الجفراء ينظرون الى
عبد العاطي ناشعاف ونفوسهم تحيض بالانم .. ولم يصرح عبد العاطي
اندا .. وراى العمدة يرمى العصا بعيدا ويصيح :

== قوم بقى فور .. نازل بيت غريب وكانى بالذ لك سيجارة .. كاي
باهرش لك في حقه بتكلك .. جاتكو الم .. روحوا كلكم مروعدين ..

وابتسم عبد العاطي ثم قام ووقف مع زملائه متصفا ..

وهذات الضحكات تتردد في الخلق ذوب ان تطلق ..

ومشي العمدة قليلا ليدخل اندوار ونهس جيبه واخرج بهرس
بالع ورقة مطوية .. كانت هي الورقة التي هاد بها من يد محمودت
وكانها تذكر انه جمع الجفراء ليقول لهم شيئا من هذه الورقة مالتت
اليهم وناداهم بعقبا :

== تعالوا هيا .. روحوا لواء احتام البلد .. حتم .. حتم .. ختم .. ايند
تسبوا ختم .. وهاتولي الشيخ الشماوي .. يالا .. يالا .. انخرو
من قدامي .. اجعوا من وشي .. واياك تحبوا ولا ترجعوا من غير
اشيخ الشماوي .. وللا تسوا حتم .. وهاتولي عبد الهادي واشيخ
بوسف كمان .. واو سويلم .. وكل رجالة البلد .. مفهوم .. هاتوا
الاول شوية ذلك دخلوهم الحوش .. مفهوم .. وغور مباحم يا واد
يا عبد العاطي ..

ودخل العمدة إلى الدوار .. وأخذ الحبراء يتعمقون ثم دهسوه متضاحكين وأخذوا يحمون من الدوار بعض الدكك الحشبية وكل الاحتام .

حمل الحبراء دكة من منزل محمد أمضى ودكة أخرى من منزل الشيخ الشاري وثلاثة من دور أساحية البحرية .. ولم يعكر واحد منهم أن يطلب دكة من محمد أبو سويلم أو عبد الهادي أو الشيخ يوسف .

ولكن عبد العاطي وهو يجمع الأخنام ألح على الشيخ يوسف وعبد الهادي أن يذهب لثلاثة العمدة .

وانصرف عبد الهادي إلى محمد أبو سويلم وتركه علواني مع الشيخ يوسف وهاد الحبراء بالشيخ الشاري وبعض الذين يعرفون القراءة .

وقال العمدة شيخ الشناوي أن محمود بث أعطاه هريضة جديدة وهي أحسن ألف مرة من المريضة القديمة التي مرزها . ومحمود بك يطلب توقيعات أهل القرية على هذه العريضة .. ثم ترسل بعد هذا إلى محمود بك ليجمع عليها توقيعات كل القرى التي يؤذيها ظلم الرى الحديد .

وبعد هذا يحملها محمود بك بنفسه إلى مصر ويقبل بها الحكام هناك .

وأضاف العمدة أن محمود بك يطلب أن تفرغ القرية الآن من التوقيع ووضع الاحتام لتصل إليه العريضة في الفور ليستطيع تعديل المواهب من دور أرى أحد .

ووقع الشيخ الشناوي على ورقة بيضاء دون أن يسأل .. ووقع وراءه بعض الذين يعرفون القراءة وأخذ انضاحون بفهم الاحتام تبع أمضى الشيخ الشناوي .. والشيخ الشناوي يستجملهم ويشتم من يطلب قراءة العريضة .. وبعد أن جمعت هذه أختتم على العريضة قام الشيخ الشناوي من عند العمدة وأطلق في القرية بجسمه المذموم المكرش وسبحته بهمهم باندعوات وزرع في كل من يقبضه أن يسمع حتمه إلى دوار العمدة للتوقيع على العريضة الحديدية .

ومن منزل محمد أبو سويلم ظلم بعد أحداً على المصطبة ولم يلحق نورا من شباك المدرة ، ووقف على الباب نصف المطلق يقول :

— يا ساتر .. يا أهل الله .. يا ساتر .. يا أهل الله ..

وصر الباب عندما دقعه الشيخ الشناوي وبهمم إلى ظلمات وسط الدار وهو ينادي على محمد أبو سويلم .

ومن باب في ركن الدار خرجت وصيعة وهي تحمل في رأسها لمة الصبح الصغيرة بلها الهريل الأصفر اندى يتراقص مرسلاً مع الشماغ الباحت حيطاً من الدخان وطب من سيدنا أن يتمصل باندحون إلى المدرة لتعمل به انهوه ولكنه سألها ففهم من أبيها فمبالت له وصيعة أن عبد الهادي أيضاً مات يسأل منه .. يمكن أن يقرأ معا في دار عبد الهادي أو دكان الشيخ يوسف .

فقال سيدنا يسأل أن الدكان معلق ، ودار عبد الهادي بيده وهي على كل حال مظلمة ، فاطرقت وصيعة لحظه وأسدت بيدها لمسبب الصفيح على رأسها واقتربت إليه أن يتمصل بالحلوس في المدرة لتذهب هي تداي أباهما من حرب عبد الهادي ..

وتردد سيدنا قليلاً ولكن وصيعة سبقت إلى المدرة فأوتدده المصاح الكبير وأحكمت عليه وضع الرجاجة .

وجلس سيدنا وهو يقول :

— دي ليلة بحق وحقيق .. ليته ما يعمم بيده إلا ربنا .. دورى عليهم يا نسي وهاتيم .. والله أنا ما أنا قدر أبقى .

وخرجت وصيعة من المدرة وهيمت لأمها بكلمات ثم ركب الدار . وعندما خرجت إلى اسكة سمعت الشيخ الشناوي يقول أنه لا يطبق المدرة في أسحر والهواء على المصطبة أحسن ..

وقعد خارج الدار في انتظارهم وهو بهمهم :

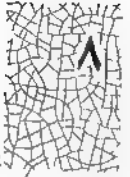
— دي ليلة بحق وحقيق ..

وانشدت وصيعة ومصباح أنصباح من رأسها يسكب على وجهها وكل يديها شمعاً هادئاً يصلطه ظلال الدخان ..

كان قلبها يذوق بحرف غامض وهي تسمع كلمات الشيخ (دي ليته بحق وحقيق) ..

في ألحى أنها كاتب ليله ..





سارت وصيغة تفرع أرض العربية بشئنها وترسل
ربته التولية الربية في الليل أنصاب ، ورأسها
يرتفع فوق نديها المتصب محملا في جدر بانسجة
الصحيح ..

وكانت الأنسام هادئة فائرة والطريق بين البيوت الملمعة لا يعمره
غير نواح الكلاب .. لم يكن في الطريق أحد من أنعماء ،
ومن حين إلى آخر لاحظت وصيغة دون أن تحول رأسها مرور
بعض الغتبان ..
وكانوا يتهايمسون عندما صادفوها وهم عائدون من دوار تعمدة
إلى دورهم بعد أن وضعوا الإختام ..
وتنصها بعضهم بنظراله وحس أنها تمضي إلى دار عبد الهادي
وربما كانت قد خطت له بالفعل ، بينما قال رجل ثان أنها ذاهبة لثقل
محمد ألسدي عند المقابر القديمة الخيمة ،
فقال آخرون إن هذا لا يمكن ..

وانتهى الطريق الضيق الذي كانت تمضي فيه وصيغة بلا انعكس
.. بين الدور الواطئة الداكنة الممتدة الأبواب ،
وانفتح أمامها الطريق ومال ..
وبدا يمشي في صف واحد من البيوت وعن يسارها الحقول ..
وتنهلت وصيغة وهي تستقبل هواء الحقول بالمصباح على رأسها
وهبت سمات طلقة فأطاعت المصباح ..

وموجت وصيغة قليلا ولكنها التفتت حولها فوجدت العمر يمسر
الكلان يشوه قوى باهر وسفرت من نفسها في عشقة مكتومة لانها
حيث المصباح ..

وسمعت همهمة تأتي من ناحية دار عبد الهادي فلم تمل إلى الحزن
وواصلت سيرها إلى بيت عبد الهادي الذي تتراعى أمامه حقول حوص
الترعة المؤدية إلى المقابر القديمة والمقابر الجديدة ..

وعلى كوم مستو من التراب وجدت عبد الهادي ، على حصر
ومعه أبوها محمد أبو سويلم والشيخ يوسف ..
نضيق :

— دهدي .. كل حبة تعول لي كل لعة .. جاك رقيه .. ماس
لك اطعم انت بانها والنشا ..

وسمعت وصيغة صحتك عبد الهادي تحلط بصوت البمله التي
يعصفها وزغيف أدرة الجاب يتكرس في يده ..

واقتربت وصيغة فحشت رائحة المش وأحن القديم ..
إن أم عبد الهادي بارعه في صعدة الجين القديم ولحسها ربح قوى

بشر الشبهة ..
لو كانت أم عبد الهادي توح لها بسر أنصعة !!

وأخذ محمد أبو سويلم ينظر إلى الحقول الممتدة أمامه في فسوء
القدر .. كانت تتراعى وراء السجبل تحت أضواء الأرقق الدائري وفي

وسطها تقوم القصور السوداء ..
وهو محمد أبو سويلم رأسه وهو ينظر إلى الأديم الواسع العريض

الذي يحقق بعيدان صغيرة من الدرة وأعطن ،
وقال في حزب :

— يبقى هايزين يطفشوا لما العيدان دي ؟ دي لسه صغار ومحتاجه
للمية !

ولكن محمد أبو سويلم قطع التأملات ، واستأنف حديثه كال
قد بدأه من المريضة الحديدية التي سمع أن العملة عاد بها من عند

محمود بئ ، وأخذ يجمع بها الإختام والتوقيعات ،
ولمعت وصيغة باب بيت عبد الهادي ووقفت على حافة الكوم تقول

في حياء :
— ساجير ،

واهتز عبد الهادي ، والتفت الشيخ يوسف ومحمد أبو سويلم
على المرافقة ..

فلم يكن أحد قد شعر بها وهي معلقة ..
وحين سألها أبوها عما جده بها لى هذا الوقت التأخر بعد هيلاة

النشأة ، قالت له أنها خرجت من لحظة ليتبث فيه ، هالشيخ الشبوي
ينظره في الدار ..

ورقع عبد الهادي يده من الطعام ، وحرك صروسه بسطه وهجر
يعصر ، لحنى ارتفاع صوت البحر العذب ويسمع كل كلمه تقسوبا

وصيغة ،
ورآه وساحة الوجه ، وضبيئة ، لدة العود ..

وأخذ عبد الهادي ينظر إليها ، وقلبه يدق ، وفي أعماقه سسل
العم ..

كانت تقف امامهم بعامتها المديدة، وشعرها الاسود الدخيل، وحياتها الصانع تشيع فيه الحياة . . ومن ورائها ظلال الحبيس والشجر الداكن ضد الافق ، والشمع الهاديء الاروق يسكب في هدوء حزين !

وجاءت نفس عبد الهادي وارتمت نضائه وتسمى لو دخلت وصيفة الى داره ولم تخرج منها ابدا .
ليتها تعيش معه الى آخر الزمان !
وقال في صوت حنون :
- انفضلي يا وصيفة ، انفضلي العشا ،
فقالت بحياء :
- بالهنا لك .

واشرقت نفس عبد الهادي في العود ناشية هدية ، ودهت به الرعية التي لا تقاوم بان يعيش سعيدا يملك ارضه بلا قلق ، وبذلك في داره امرأة حانية كوصيفة . . وصيفة . . لاية امرأة اخرى !

واوشك ان يقوم فيقوم جسدها البديع ، ويضعها في الامعاء من صدره او يلقبها في داخل داره لتظل فيه ولا تخرج من هذه .

وقام محمد ابو سويم مستائدا ليلحق بالشيوخ النساوي ، ولكن عبد الهادي اعترض في شقيق وطلب من وصيفة ان تدخل الى داره ليستريح ، ويروح هو ليحضر الشيخ الشنناوي . . وتردد محمد ابو سويم قليلا لم طلب من وصيفة ان تدخل لتسام على عبد الهادي، وعود .

ودخل وصيفة الى دار عبد الهادي ، فترقرت امامه الاحلام من حديد ، وشعر في دمه بشل لديد ، واضد وجهه بصورة من السمادة .

وتحرك عبد الهادي ليحضر الشيخ النساوي ولكن محمد ابو سويم اقترح ان يذهب هو فقد تاحر الوقت . والى عبد الهادي همه في البقاء فحضر محمد ابو سويم ان يرجع الى داره بعد ان تسلم وصيفة على ام عبد الهادي .

وقطع الشيخ يوسف المائقة بسؤال لا مناسبة له عن محمد امدى اين اجمعي اللبله ؟

وبعث عبد الهادي وتسمر في مكانه ا
ولكن محمد ابو سويم قال بساطة ان محمد امدى في اندوار بلاشك .
وقال الشيخ يوسف انه ليس في الدوار ، والحجرا كانوا يسألون همه في كل ناحية .
واحقى وجه عبد الهادي .

وحرحت وصيفة من عند امه فلما يامل في كل بدنها ووجهها .
ايكن ان تكون مقلة من عبد محمد امدى ؟ ايكن ليده التقيبه اسامعه ان تكون قد عثت بفسدها هذا الى الشريف ؟

وتسمى عبد الهادي بـ ان كل نسمة من يد رجس لبني امرأة تنسك في مكانها حمرة شائبة واضحه كيلا يجدر بها رجال آخرون يمسد ؟ او يتعذب قلب عاشق طيب من انظون !

لماذا لا يصح الله شيئا كهذا . . بدلا من ان يسمح بحرمان العلاجي من الماء ؟ !

ووقفت وصيفة امام الرجال لتظن ان يقوم ابوها . . وتحرك محمد ابو سويم ليمس ، ومن وراء وصيفة ينسكب نور العمر باسكية على الحقل ، ولقى منه وجه وصيفة هدوءا ثيبلا رائعا يمر الغيوب .

وسامها عبد الهادي مسجرا عن محمد امدى .
ورومت هي من لهجته التي تحمل اتهاما مخيفا ، فاجابت بعصب واستنكر انها لا تعرف ولا يعلم ان تعرف !

وشعر بها عبد الهادي تكاد تترايل ، واحست هي بما يمزو ،
فعاد يسأل ان كان محمد امدى لم يمر على ابيها بالدار .

اصحح انها هي كانت في الدار ؟ !
فلم تجب . .

ورد محمد ابو سويم في فسطح ان ابنته قالت مرة انها كنت في الدار فلا داعي للكلام الكثير . .

رمعى ، ومن ورائه وصيفة ،
ولم يستطع عبد الهادي ان يجلس في مكانه ، واحس الشيخ يوسف بقلته ، فطلب منه ان يقوم معه الى دار محمد ابو سويم ليقابل الشيخ

النساوي وعرف ما حصل في « العريضة » الجديدة .
ولكن عبد الهادي كان مثقل النفس فعاد باسترخاء :

- يعني حاجصين ايه ؟! على كل حال انا مش ماضي في العريضة ،
واهو الصالح رباح بقى !

وفي الصباح كانت العريضة ما زالت في دوار العمدة يجمع عليها ما بقي من الاحكام والوقيعات .

وكان عبد الهادي ينشئ في الطريق من حقله الى القرية ، فحائل بعض اعتنا ، وسمع منهم ان اعمدة ثائر يتمثل بقية الاخام ليذهب للعريضة الى محمود بك . . فقد اوصاه محمود بك ان تنتهي التوقيعات

وادحيهما الدار - والقي نظرة ثابتة على وصيعة وهي ترمي كل ثقلها على يد الرحي ، وتديرها طاحنة بين شقيها حبات من الأذرة ، وكان طين الرحي يملأ أذنيه ، يمتلئ بميلاد صدره من طين ..

وكذا يصرح بأعلى صوت ليسألها أن كانت أمي قد خرجت من بيها بعد انشاء لثني محمد أمدي ، وأن كنت من موعد معه هذا الصباح . ولكن عبد الهادي وقف محمدا في صمت وظل واقفا في الباب خارج الدار .

ونفخت وصيعة من أمام الرحي ثم اختفت من عين عبد الهادي في ركن من أدار وعند الهادي واقف الى جوار المصطبة !

وطلب محمد أبو سويلم من عبد الهادي أن يطلى فلم يسمع كلامه ، وقال وهو ما يزال واقفا يحملن داخل الدار :

— يمكن خصرة تعرف .

فرعى فيه محمد أبو سويلم :

— الله ! ما تفتقد ! مالك مش على بعضك كده ! .. طيب روح انت شوب ايه التي في العريضة !

ورد عليه عبد الهادي بفيظ :

— أصلك ما انتش هارف بيا محمد .
ثم مضى في أنطريق مسرعا دون أن ينتظر كلمة من محمد أبو سويلم .

وأمام دكان الشيخ يوسف ، رأى عوالي يستند على بنك الدكان والشيخ يوسف ينهر بت صغيرة ويؤكد لها أنه أعطاه زهرة فصيل بعد ما عاون خمس بيشات لا ثلاث ..

وانصرفت الفت مستسلمة ، وأرفع صوت الشيخ يوسف بسادي عبد الهادي وهو يقول أمام الدكان مبدئا في طريقه .

وقف عبد الهادي ، واتجه الى الدكان فدفده الشيخ يوسف قائلا :

— الله ما خلاص كلها حتمت هالعرطة ! والجمدة استفتي عن احتماشا وامضال وبمت العريضة لمحمود بيه ! العريضة راحت ولا حصد يعرف انه اتلى فيها ! عحي عليك يا بند !

وقد أن يحيب عبد الهادي قبل علواني متحمسا في عتاب :

— يعني يا عبد الهادي لو كنتو سمعتو شورتو من الأول وحلتيوا هم الشيخ يوسف كب العريضة ، مش كان أحسن ! ايه كانه محمد أمدي ما بدش على اله ! شوتو في ! واهه العريضة طلبت من إناك ولأحد عارف انه اتلى فيها .. ده عم الشيخ يوسف محور قوي !

واحيلا لوت رأسها وساد تسير في الطريق .

وصاح عبد الهادي يستوقفها وهو يقول في حنى

— خسر ايه بابا محمد يا أبو سويلم ! بهنار ارقق يا جدمش ! تصب وصيعة لمحمد أمدي ! ذي الشا قربت قدس ! ذي دهولت ايه ذي الى انت تتدهولها ، وديروا ايه ده الى انت تترويه ! يا سنة سودة ! !

ودهش محمد أبو سويلم لامعش عبد الهادي المعاشي ، وقال متحمسا :

— عشا ! عشا ايه ! سلامتك ! ايه يا عبد الهادي ! أنت حصل عندك نطق ! ! انت ..

كان الضحى يملأ العربة .. ولكن الكلمات انعجرت من فم عبد الهادي بلا حساب . وقتل أن يعرغ محمد أبو سويلم من كلامه ، قال عبد الهادي بصوت أقل ارتفاعا :

— خليكي أنت مرزبه يا وصيعة . لما أروح أنا اشوف الحبر ايه وعادت وصيعة الى دارها ، وهي ما تزال مضطربة وقد امتزج لى بعسا سرور حنى بخيبة أمل خاضعة .

وقد عبد الهادي ومضى قليلا وهو يتلمت وراءه ..

كان أمامه في الطريق من بعيد ولد يركب حمارا ويجري به ، ونداه عبد الهادي مسم يسمع الولد ..

ورأى عبد الهادي خيعة ولما آخر يسوق حمارا محملا بالنسيج

فأمسك بالحمز وحده الى جوار الحائط وطلب من الولد أن يذهب الى الدوار لسادي محمد أمدي من هناك . وجرى الصبي مسرعا ، وعاد عبد الهادي يجلس في مكانه على المصطبة صامتا لا ينظر الى أحد . وبعد

قليل كان الصبي أمامه يلهث قائلا أن محمد أمدي ليس في الدوار ، والمعدة يسأل عنه أيضا ، والحمراء لم يصدوه لا في العيظ ولا في البيت .

وصاح عبد الهادي وعيناه تقفتمان مدخل دار محمد أبو سويلم وتستقر على كيان وصيعة :

— أمال راح فين مي محمد أمدي دلوقت ! راح فين ياناس ! !
واحد بصر عني استانه ..

وشحب وجه وصيعة وازداد اضطرابه .

وخرجت نطة سحبية تنهادي على عتبة الدار ، ومى ورانها أورة ..

ويهرب قدم محمد أبو سويلم . وترم ودعها بغدعه وطلب من وصيعة أن تاتى بتأخذ الطه والأورة . وقام عبد الهادي بهش النطة والأورة

والله يا هم الشيخ يوسف ما حد عارف معاشك ومعذارك في انك دى
غيرى أنا !

فقال الشيخ يوسف غاضبا :

— بس ياواد انت ياغرباوى ! احرس ! حالك جبره في بطت مانعوم .
مقامى ايه يا ولد ؟ يا واد دا البلد كلها صرعاني وعامرة مفندى . وانا
معموم ومعلوم في الصب ده كله . يا واد دا التلى قروا معايه في الازهر . .
ثم سكت قليلا ، وبع ريقه ، وارفع صوته ليكمل :

— التلى قروا معايه في الازهر ، والتلى ان قريت اكثر منهم ، بنوا
دنوتنى كلمم قصاة ومغشيش ومدرسين واحبيب واحد فيهم بقى عمدة !
وحاول علواني ان يعتذر وان يوضح وجهه نظره ، ويؤكد احترامه له
ولكن الشيخ يوسف لم يلمت اليه ، وانجه الى عبد الهادى يساله :
— لفين ياخويا محمد افندى ؟ الواد دياب اخوه فلات من قيمة شوية
يسال عليه هنا ، والعمر قلابين الدنيا فيه .

فقال عبد الهادى بعيف :

— اهوه انخفى ! اياك امين ينعمى من ابلد قس مايضطرب عليها !
وغشك الشيخ يوسف طويلا ، مظر صوابى بدعشة وورب وضحك
هو الآخر . .

والشيخ يوسف رحل لا يكذب يضحك ، وان كان يقول كلاما تضحك له
الغوية في بعض الأحيان .
وعلى أية حال فقد هره غضب عبد الهادى على محمد امندى . .

ومحمد افندى هو في الغيرة اثر رجل الوحيد الذي يقبض اربعة
جيبهات في الضمير ، ومع ذلك فلا يتفق معها شيئا . . فهو يذهب الى
العتل مع اخيه دياب ابندى يشاركه في معاش واحد ويعملان معا ويأكلان
مع معا يتنحه الأرض ويندخر محمد امندى بعد هذا مرتبه كمالا : الحيه
على الجنيه ، حتى أصبح مشهورا في القرية بأنه ينكح مالا !

وقد تمرد محمد امندى ان يقرض الملايين عندما تلج عليهم الحاجة ،
او يشتد الصراف في طلب المال ، ولكنه برهن الأرض في مقابل الدين
وبركها ، حتى اذا حجر مدينه من السداد اشترى الأرض المروية .
وهكذا اقتنى باسمه واسم اخيه عددا وعشرين قيراط غير القرايط
الحمسة عشر التى ورثها عن ابيه هو واخوه .

ومازال محمد افندى يرفهن تحت يده نصف الأرض التى يستسكها
الشيخ يوسف .

والشيخ يوسف يضمع انقرش على القرش من ارضه انقلبه
لاستحلاله ارضه من تحت يد محمد افندى بعد ان حاع من ارضه
حرقه كبير اخذته الحكومة لعدم دفعه شربة المال .

وهي انحن ان قلته اسلا فالمرارة منذ احدث منه احكومه هذه الارض
ولسكه يملئ بالكبرياء ، فقد هر احكومه حما حين اشبع - كالاوى
غيره عن الملايين - عن دفع صربية المال لحكومة تصنع الألامه للمصريين
وتضعهم في السجون وتضع انجوع لتعاون مع الاجير . .

اب من الأرض التى اخذها محمد امندى منشيخ معه شأن آخر ،
وهو يحلم بأن يستعيد ذات يوم حيازة ما اخذه منه محمد امندى ،
ولسكن محمد امندى محجوب بهذه العظمة ، وهو يعلق الأمال عليها ويلع
كل يوم على الشيخ يوسف ان يسعه هذه القطعة !

ولم يشك اششيخ يوسف لاحد أبدا ، وان كان ليحتفظ في اصنامه
بحق هائل على محمد امندى واخيه دياب . . ومن أجل ذلك فلم يكد
عبد الهادى يتحدث بعيف وصراحة عن محمد افندى حتى شعر الشيخ
يوسف بأنه يرسل - على الضحكات - ذفرات متراكمة من كابوس قليل .
وقال الشيخ يوسف من خلال ضحكة :

— آه يا أخى ! ده بارد برود ! ابوه ماب من اكل المش والعيش الكدر
وهوا قال داير ياكل مبن ويشترى ارض ! لو كان امال يحعى من البلد
حاصل قبل مايضطرب عليها على رايتك ! بقى ي ناس يتلوا خاله الشيخ
حسونة في آخر الدنيا ، الشيخ حسونة الرجل الماقل الامير يتنقل ،
والمعنى ده يقعد لى ؟ صحيح ما يقعد ما الرابط غير شر النقر ! اعترف
برود ايه ده يا اخوانى ؟ نصايب ايه دى ؟ !

ثم قطع ضحكاته قليلا وزر يشبه همس :

— ده يا عبد الهادى هدز يسرقى سرقة ! سوى يحطلى خطف !
واط يا احوي هابز ياحد بتنى خاشان يركب على الأرض كلها ! داوشنى
كل يوم ، قال دس يتحوزها من بكره ! هابز بورلى ابن الحمار !
وكان الشيخ يوسف يعرف انه يكذب !

محمد افندى لم يمانعه ابدا في ازواج من ابنته . . وعلى العكس
كان اششيخ يوسف دائما ينفك حول الموضوع ويدور ويعرى به محمد
امندى ، ولكنه لم يكن يجيبه الا بانئسابه لحمل كل الحيلة والزهو
الاعتذار !

على ان اششيخ يوسف صاب قال هذا الكلام لمح الراحة تسع في
وجه عبد الهادى ، وانسلطت نفسه لان عبد الهادى صدق كلامه عن
محاولات محمد امندى للزواج من ابنته !

وقال عبد الهادى وهو ينسم :

— حكم . . .

مدخل عوايى ، ومال على الشيخ يوسف قائلا بعد طول الصمت ،
كده وجد الحل :

— تحب اصره بك يا عم الشيخ يوسف ؟

وانرجع الشيخ يوسف من الفكرة .. وباعته دوع كبير ان يصكر
عوايى — أو واحد من أمثاله اصنامين — فى صرب رجل لمقام كمدم
الشيخ يوسف ، وله فى ابرة ارضى ، وكلمة ! فصاح فى علوانى
مشترًا :

— اخرس يا هرباوى يا خطاب يا بتاع السكك ! هيه ياواد كلابها
سنت على ذباها ؟ .. تضربه ازاى ؟ اعوذ بالله من الشيطان ! ..
ياواد سبيبت بلى من شغل العرب ده يا واد !

ودهم الشيخ يوسف استكف مفاجيء لانه ترك علوانى يقف معه ،
ومال الى عبد الهادى يطلب منه ان يدخل الدكان ليجلس قليلا فتمس
الضحي احدث تهمي ..

ولكن عبد الهادى اعتمر لانه مصعب االى الفيطان ، فاتج الشيخ
يوسف .. وقطع عوايى حديث الشيخ لاعتذر مما قاله من محمد
اعمدى ، واح على عبد الهادى ان يدخل دكان الشيخ يوسف .

وسكت الشيخ يوسف ووقف يتأمل علوانى ..

ولاحظ عبد الهادى حيرة علوانى وحججه وضعفه امام الشيخ يوسف
فياضه ضاحك وهو يعلم اليه سيجارة ملوولة :

— خذ ا خذ محروقة ياشيخ العرب ا حد مقر الهابة دى ..

وتناول علوانى السيجارة وهو يطلب من عبد الهادى فى بائر ان
يؤكد لشيخ يوسف انه شيخ حرب حقًا وليس خطافا وانه من نسيمل
الامام هى ..

وخط الشيخ يوسف كفا بكف ، وصاح فى علوانى :

— ته ؟ اته ؟ انت من نسل الامامو على ؟ ا بلى انت من الاشراف
يعنى ؟ يا احمى ايدك تشرم فى قلت ا

وشحك عبد الهادى مايندم علوانى وقال لشيخ يوسف متعلما :

— والسبى يا عم الشيخ يوسف دا انا هابر اخذكم ويس .. ده كل
مقصودى .. انا احب اللى تحب واعادى اللى تعاديه بس ا طلب هات
سيجارة .. هات عنه دخان تشمين حاطر عبد الهادى وحياة السبى ده
انا لسا اللمة انفلطت مامش حامل هم حد فى البلد قد هيك اته ..
هات امال ! ده انا اللى رحت رويت ارضك ومهميش .. ماتحبيب ورقه

الدخان امال ! .. ربا يرود لك انفراديلى اللى عضوا لك ويحلبهم لك
عدائين .. متحبيب الدخان بلى ..

وابتسم الشيخ يوسف واعطاء عليه الدخان ، واحد يكتب فى دفتر
الحسابات الطويل وهو يقول :

— ايوه يا واد اندحب ! اندحب رى التعب !

وصحك علوانى برضا ، وهو يضع عليه الدخان فى جيبه ..

وعاد عبد الهادى يحول ان يصرف ، ولكن الشيخ يوسف
استبهاه ، فقد كان يريد ان يكلم معه فى الحالة اثنى اصحت لا تطاق ،
وحده طويلا عن الفطن الذى بدأت لورانه تترنح على الاعواد القصيرة
العضة .

واخذ الشيخ يوسف يبدى محدوده من ان تعطش حقول القطن هلى
الترعة كما عطشت حقول ابدرة على البهر الصعبر فان حدث هذا فهو
الحراب !

ثم هز راسه واكمل :

— والبلد مش لوصة خراب ا انقطن ماراح ياواد ! ده التراب بلى
اعلى منه يا عبد الهادى ! ومن يومها وسوق البنسات وقف . البنات
حابتور ، والأرض دخره حابتور ا يا دى السنة الى زى بعضها
يا احوالى !

واحمى علوانى بان الحديث لا يعنيه ولا يحتمله — وكان يقف شاردا
فى صمت — فتحرك دون ان يشعر به احد ، وانصرف الى حقول البطنخ
الذى يحرسه .

وشعر عبد الهادى بقلق غريب يلغعه ، ولم يجد كلاما يرد به على
الشيخ يوسف .

وكان كل ماخاله الشيخ يوسف صحيحا : فالقطن كاتراب بلا قيمة،
ولو ظلت موايد الزى كما حددتها الحكومة فمن الممكن ان تنور الارض
وتنور البنات !

وسيطرت عليه السكاة العامضة ولث فى مكانه بمص الوقت بلا
كلام ، ثم تحرك لينصرف فلم يقل الشيخ يوسف شيئا .. وكان هو
الآخر جالسا داخل الدكان ينظر فى دفتر الحسابات بشروء .

ومضى عبد الهادى ، ووجد نفسه يتجه الى دار محمد ابو سولم ..
وفى الطريق حاجاته فكرة ازعجته ، فلربما كان محمد ابو سولم
مد ارسل اشته وصفعة لتحت من محمد افندى ..

واحفظ عند الهادي عن الصلوة بين محمد ابو سويلم ومحمد امدي
وسعد ، وامامه مع الشارع ترتفع صهيد النهار
وفجاء ارفع صوته حفا غيظا :

— كب في يا محمد امدي من يله اسرح ؟ تمطس فين كده ؟ ..
لا اسرح ناسل ولا الهزده من صباحية ربنا حد شاك واذا كلها
سدر عليك !

ولم يحب محمد امدي ..
وارتعد بده وهو يسمح صدره بحركة تحاول ان تكون مطمئة ..
وتوالت انداب في صدر عبد الهادي حتى حبل الله ان محمد
امدي التحلى ابي جواره يكذب يسميها ديه بعد دقة ..

واوشك عبد الهادي ان يصيح في وجه محمد ابو سويلم ليسانه ان
كان قد ارس وصيحه فعاتت بمحمد امدي ..

ولكن محمد ابو سويلم كان يثرب قهقهه في هدوء ، دور ان
تلعب ابي عبد الهادي .. وسكت محمد ابو سويلم لحظة ثم قال :

— تعرف يا عبد الهادي هتربا فيه اراي ؟ في دكانة المزين ا البيت
خضرة حت هما من قبعة ساعة قتت لها انجري دوري لما على محمد
امدي ، عطست شوية وقتت به .. يا اخي المي دي زي العفاريت
الزرق ..

ولتمت عند الهادي :

— حصرة ؟ !

وسكت عبد الهادي ، والفقت يده الى محمد امدي فوجدته يحك
دقه المظرة بحركة شقيقة ..

وهل عبد الهادي راسه ، وبدأت الظنون تشله : ان معرفة خضرة
مكان محمد امدي ، وطور وصيعة على الباب لتصب بنفسها له القهقهة
.. كل هذا حمل عبد الهادي يذكر في اشياء مرعبة ..

ثم خروج وصيعة في لبة النازحة بحة انها تنادي اباه ..
1. هذا ؟

الم يكن سها وبين محمد امدي موعد دبرته خضرة — وخاقت ان
يعود ابوها الى داره فحاة فلا يحدثها — فقامت حكاية الكلف على اسها لبق ،
له في اسها انها انها غاست عن الدار لانها كانت تمشي عنه ؟ !

وفكر عبد الهادي ان يترك اللذنية وما فيها ، وتقوم الى عاصمة
قلم فيروز أخت وصيعة ، وسكرها ، وتكلم مع روحها في الموضع .
وتحرك في مكانه بالفعل .. ولكنه عاد فشر بنفسه مقبدا ..

وعلى الرغم من انه يصدق ان محمد امدي تكلم في رواج اينة الشح
يوسف ، بعد رجف الحق في دمه .. وكانت الشمس تمنع قفاه ،
واحيى بصبي واصطراب .. وتوالت دقات قلبه واسرع في مشيه ..
وعنى مصطفه محمد ابو سويلم وجد الرجل جلوسا ومعه محمد
امدي ووصيعة تصب القهقهة .
ودهن عبد الهادي :

كان يلاحظ منذ زمن ان وصيعة حينما تصدم العموة ابي الرجال ،
لا تظهر امامهم ، وانما تمل يدنها من اسباب بالحيية ، وكل جسدتها داخل
ادار .. ولكنها هيا نفسها ! بكل جسدتها تصدم العموة ، وتصيح
ايضا !

وكنت هذه أول مرة يرى فيها وصيعة تصب العموة على المصطفية
برجل غير ابها ، ومن الواضح انها تصيح هذا بمجرد ان محمد امدي
موجود ..

وسلم عبد الهادي بشدة والى السلام ياقتصاب ..
واهترت وصيعة فندب راته امامها فحاة ، ومال منها المصجان ،
فتركته يمع على جنباب محمد امدي ، واسرعت الى داخل اذار تهرق
من وجه عبد الهادي ..

وشححت محمد امدي بتؤدة وهو يدع يده انحناع المنسكب قائلا:
— خيرا ! طلب والتسفتي ليه ؟ ده مضاه انت حيلكي ان شاء الله !

وشعر عبد الهادي يثن يهبط من قلبه ، ولاح له محمد امدي
مرها الى آخر حد ونظر في وجهه يضيق ، وكأنه اكتشف انه ثعلب
الظل مدبب .

ونفى ان يطرده !

ولم يكن عبد الهادي قد جلس بعد ، بعد ظل واقف في الشمس
امام المصطفة العمورة وحدها بالظل ايضا اشعة الشمس تنوقد في كل
مكان . وطلب محمد ابو سويلم من عبد الهادي الا يقف في الشمس ،
وافسح له مكان بينه وبين محمد امدي ، وابتمس محمد امدي وهو
يعول متطلعا لعبد الهادي انه يقف في الشمس لانه يمكن ان يكون عليه
دب !

ولم يستمع عبد الهادي ونقرت نظراته وجه محمد امدي ،
كان معطرا حلف وشعره يلعب تحت طاقيته النساء الماحرة الى
الوراء عن مسك الشعر .

انه لا يستطيع ان حرك اللب وما فيها هذه الأيام ، والشغل كثير ، وأعواد
الطين والأدرة مهددة بالهف .

وقرر أن يدخل الآن دار محمد أبو سولم فيمسك ببسده وصمعه
ويسألها عن سر حصرة ، ويظل يفرها بالسكف على صدقها ، ويأثر حل
في بطنها حتى تنوب وسعدن حاله المائل !

تنوب ؟ ؟ ! .. تنوب عن ماذا ؟ ..

انه لا يعرف بالضبط ان كانت حصرة قد سمعتها الى محمد أمبدي ،
أم ان محمد أمبدي كان مع بنت أخرى أمس !

وعلى كل حال فاشيخ يوسف يقول ان محمد أمبدي يعطيه
ابنته .. فهل يعطيه محمد أمبدي من هناك ومن هنا ؟ ..

ومد عبد الهادي رجله على المصطبة وهو يقول في زفرة قوية
- هيه .. دول .. دول .. دول يا سيدي دول ! لألام دول ..

ويظن اليه محمد أبو سولم ليقول له ان محمد أمبدي وادق على
السفر الى مصر مع محمود بك حين يذهب بالمرطبة الى مصر ،
ولم يحب عبد الهادي .

ومات الحديث شيئا فشيئا على شعاع الرجال الثلاثة ..
وتحرك عبد الهادي فجاء ليقول بصوت مرتفع .

- حاجات !! أنا غريب يا سي محمد أمبدي ! فاهم حاجات كثير قوى ،
الباس التي يخطئوا هنا وهناك ويشتموا البنات هنا وهناك ! حاجات
باردة ..

ودهش محمد أمبدي ومحمد أبو سولم ، وتساءلا عن العكبة ،
ولكن عبد الهادي لم يقل شيئا ..

واحبس بدم كثير لأنه لا يستطيع أن يقول شيئا ..

وقال له محمد أبو سولم متمججا

- خير ايه يا عبد الهادي ؟ انت حري لك ايه الأيام دي ! زى ما تكون
حالتك لطف يا قول لك محمد أمبدي مسافر مصر مع البية غلشان
المرطبة ، بعد انبلاد التي حوكتها ما بعثم عندها يا قول لك كم يوم
تحوالى سات وهسات ؟؟ . قطعها تعطي السات وجدة السات باشم !
والبح الدم على صدر عبد الهادي .

وارتاح محمد أمبدي بعض الشيء حتى سمع هذا الكلام من محمد أبو
سولم ..

ولكن عبد الهادي وقف وهو صطبع الانسجام وقال متجدبا شامسا



- يكن محمد أبدي حيا يسافر اذى مع انه ٠ حسنه معه اذى
بعد ما قال عندك اني احمد ايسى محمد ؟
وانتمش محمد أبدي في الفيد ومحاته ووقف يصرح في صوت
يانس حرج .
- اسمع نفى يا عبد الهادي ؟ انت داير تملى شبعه دلكلمه دى
من زمان يسى عرضك ايه نمى ؟ فوللى كده عرضك ايه ؟ عرضك بحسبى
سمحه ؟ أما برود .

- انت ابلى عامس بصلك سمحه وداير ورا حضرة
- سامع الكلام يا محمد ؟ غطس انا في حبه دلوقى ؟
- سامع نمى ؟ نفى دى مرجعة دى والا دى مصعرة ومله حيسا
كمان !

ورعى محمد ابو سويلم في ضيق ، وهو يعف بيتهما يامرهما ان
تفعا عن هذا الكلام الفارغ .
وبدا يؤيب عبد الهادي على طريقته في تكلام مع محمد أبدي ،
وهريما واحسبها وهو يقول ؟
- خير انه ؟ ماكنو مع بعض كده زى اندبولك ! هو فيه تاريبه ؟ ..

- هوه ايسى عامل ديت ! ! هو ابلى عامل في البلد ديك .. على رأى
اه .. عرضته اميلة الى كنهها ! العريضة التى قال البية على ايسى كنهها
ان

ورد محمد أبدي الى هياحه فشخط محمد ابو سويلم في حبه
اه وذاك منه ان يلقى نفسه من ناحية محمد أبدي ،
وام فبقى قلبه عند الهادي شوى

ومال عبد الهادي انه لايحل شيئا لمحمد أبدي وليكنه لابرصى هي
.. ..

و كد محمد ابو سويلم لصدا الهادي ايه يسطر في حق محمد أبدي
كثرا وطلب منه ان يعمله كاح .

ومال على محمد أبدي وطلب منه ان يصمى ما في نفسه وأكد
محمد أبدي ان يصبه صافه وانه يحب هذا الهادي ويعمر به ، ولكن
عند الهادي هو الذي يتعمد اهاتنه من حين الى حين .

وقال محمد ابو سويلم لصدا الهادي :

- طب قوم يا عبد الهادي حب على راسه قوم .. جاتكو العلم ..

دانسو احوات 1

وقدم عبد الهادي متثافلا ..

وظل محمد ابو سويلم يكرر :

- العذرة بسطه .. دانسو احوات !

ورد كلام محمد ابو سويلم وسراته الحدية المعمة في اعماق عبد
الهادي .. ووقف بعض اوقات جائرا لايعرف ماذا يصنع ، وتقدم منه
محمد أبدي ، وعينه تفيض شجاع حزين .. ومال عند الهادي على
راس محمد أبدي ففها معتذرا ..

وقال محمد أبدي في طيبة وهذود :

- استمعر الله ! انت الى حدث عيه ؟ ! انا اللي مخوق لك ..
وانتمش احسمن وتعتنا ..

واد كذا يرتماي على بعضهما في اعتذار متبادل ، شعر عبد الهادي
بحب معجىء لمحمد أبدي بعمره ، واحس محمد أبدي كان قلبه لم
يخص لصدا الهادي غير الحب ابدا .

وكادت شمس الظهر قد غمرت المصطبة ، والصهد يتوهج في كل
مكان ..

فاستادن محمد أبدي قائلا انه سيذهب الى العمدة الآن وبعده الى
محمود بك من فجر اليوم التالي ليعرف موعد السفر ..

وقال عبد الهادي بصوت رقيق مشحون بالمطف والامل :

- تروح وتحيى بالسلامة يا محمد يا حويا ..

وانصرف محمد أبدي ووراءه عبد الهادي ..

ودخل محمد ابو سويلم الى داره ، وبسعه تفيض بشعور حنون ..

وعندما ابتعد الرجب الثلاثة عن بعضهم كان في اعماق كل واحد
منهم احساس كبير بان قلبه عامر بذخاء خارق يصحه القوة والكرامة
والامن ، والسطان ، والمقدرة !



في الصباح .. لم تكد الشمس تشرق ، حتى كان
عبد أمدي يسير الى محمود بك في عرصة المجاورة .
لم يأخذ طريق الجسر الطويل الذي تسلكه البحير
عادة ، وانما مشى على رجليه في طريق ضيق ، حلال
الحقول المحصورة بين حوص أنجر وحوص الترمه ..

وعلى جنبى الطريق الضيق كانت بفرة هائلة أو لور أعجف يجر
المحراث متشابها ببطء فيهبى المحراث بسكبه اكثير على الارض السوداء
وبعلبها .. ومن وراء المحراث امرأة أو رجل ينثر الحبوب ، وعلى القلب
دعاء وامل يحالجه اخوف من المجهول !

وتفكر محمد أمدي بأسف أن هذه الحبوب يمكن أن تموت في
الارض أو لم تعدن الحكومة مواعيد الري !
تموت هذه الحبوب قبل أن تتمدد في الارض ، وتخرج منها
الأعواد أنجيلية الحفراء الممتدة بالكيزان والحير !

ولكن العريضة التي يحملها معه ربما سمحت له ان الأغواد بأن ترى
اشمس وتتمو وتزدهر وتمتلئ بالكيزان الجديدة .
إن حياة القرية وحياته هو نفسه الآن هي يد محمود بك ..
ايمكن أن تكون حياصة أساس وانزوع كلها في يد رجل واحد ؟
هكذا ؟ .. حكم !!

وهر محمد أمدي راسه وقب يديه وحطوانه جطى على الأرض ،
وبشه يذكر صده انه يحب أن يكون صد محمود بك قبل أن يقوم أنك
من بومه ..

واسرع محمد أمدي .. وكاد يصد في انطريق الضيق بين الحقول
واوشيك عدة مرات أن تقع قدمه في الأرض المبلورة فتعاسك حتى
لا يعسد بؤلة من قدمه ، مستقيل عدة حبات ستصبح فيها بعد أعوادا
تحمّل الكيزان ..

ولم يكد محمد أمدي يصل الى العرية حتى استقله محمود بك ..
وقبل أن يسأله محمد أمدي من موعده السفر قال محمود بك انه
جمع عددا طيبا من التوقيعات طوان نهار أمس ، ومن الممكن أن يسافر
أيوم في قطار الظهر لتقديم العريضة الى رئيس الوزراء في مصر ..

واهبر محمد أمدي وهو يتحيل نفسه ذاهبا مع محمود بك لغاية
رئيس الوزراء ؟ واستهال الأمر ، عماد يسأل محمود بك أن كان سيغفل
رئيس الوزراء حقا ! فرد عليه محمود بك بحفاة مؤكدا أن العريضة مقدمه
لرئيس الوزراء .

وسك محمود بك قتيلا قبل أن يقطب من محمد أمدي أن يدبر له اجر
السفر والاعباب ، مما دام سبب سفره هو قضاء مصلحة لعنة بلاد ،
فعلى كل بلد أن تدفع شيئا وعلى بلد محمد أمدي أن يتحمل عشرة
حيباب من مصاريف الرحلة ..

وتردد محمد أمدي قتيلا قبل أن يقول شيئا .
وظل يفكر ومحمود بك يكلمه بتردد تعظمه الجسونة ولهجه الأمر
في نفس الأحيان ..

وبعد قليل نهض محمد أمدي من صد محمود بك ، بعد أن اتفق
على العدة في محطه السكة الحديدية بإقامة الأقليم في موعده قتيلا
أنظره .

واسرع محمد أمدي بالعودة الى قريته وأحمد يجري هذه المرة
ناقص ، مادا تعب استراح على المشى أربع . ومن على أخيه ذياب
وهو يعرف العطن في الحن بعوض الترمه ، وصاح فيه بعطلة :
« هات الركوبة يا واد والحنى هالدار .

وتابع محمد أمدي سيره الى القرية مستمخلا ، وأمام عينيه تتحدي
صور غربه مبهمه عن ادهرة التي لم يرها منذ سنين ، ومن رئيس
أنوزراء الشيخ الذي يصب الموت على الآلاف وهو جالس في مكتبه يندوه
بكل « الساندوش » ، لفرط ما لديه من أعمال .

أب ذياب بعد ترك قاسيه ، وهول الى رأس الجعل ، ودخل الروبية
التي يبيب عن ظهرها يخبرس أنهار في أنصيف ، فملك رباط الجحشة
الصغيرة أنصفا يطرز واهتمام ، وأمسكها من رقبته في رفق ،
وأخرجها من الحظيرة .

وذياب يدرك تماما الى أي حد يهم أخوه محمد أمدي بهذه
الححشة ..

فمحمد أمدي يشري لها الفول من البندر ، وقدم أنبها أعلف
نفسه - وهو حينا يصع في معها قطف صمغ من رأس أنسكر ؟ ومحمد
أمدي يحذاها نفسه كل أسبوع فيسبل ظهرها في أنهر بالصابون .

ومارال ذياب يذكر نفسه - تحلل - انه منذ سنوات حاول أن
يشيئ بيه وبين هذه الححشة علاقه من هذا النوع الذي يشأ في القرية

أحيانا بين بعض المراهقين وأطفيرو وأحيوانات الصغيرة .. وغسطة
محمد أمدي مع الحشنة تضربه بالكف وأرجح وصاح به أن الحشنة
ليست كحمار السباح !

وعنى إليه حال فلم يعد دياب يحاو لشيف كهذا الآن .. بعد كسر
ووقرت عليه حصرة كثيرا ! ولم يعد مند ذهب حصرة
معه أنربية يتكر فى أنطورو أو الحيوانات الصغيرة .

ساق دياب أمامه أبجسته البيضاء ، فعززت فى حركات رشيفة
وركضت ، وهو وراءها يركض .

لم يحاول أبدا أن يركبها ، فقد كان يعرف أنها ليست كحمار
السباح ..

وكان يعرف أن مشيتها الجميلة ربما خسرت أو تعدد على ظهرها
الركبون بعد رباها أخوه وهى طعنة على مشية تريجه وتدرجت جنبها ..

ولم يكن دياب يصل إلى أقدام حتى وجد محمد أمدي يسوق على
بعض باب الحجره أنى بهاها فوق سطح الدار ، منذ أشتت مدرج ،
بعيدا عن أنربية التى نلم اليهائم فى لين أشتاء وهن القاعة التى تعيش
فيها أمه ودباب .. وكانت أمه تسمى هذه الحجره « معدة الأمدي » .

وإذى دياب على محمد أمدي فغالب له أمه ،

ب أطلع يا واد أحول فوق فى معدة . أطلع له المعد .

ولكن محمد أمدي ناداه من وراء أساب أميق قائلا :

ب شيد حار كوية يواذ يدباب وروح نادى أبود محمد أبو سوسم
قول به أنا مسافر مصر مع البية دالوقى .. قل به السفر الهارده ..
دوقت أمه ..

ووضع دياب قطعة من اسد على ظهر الحشنة وحط عليها بردهه
من أنطيطيه ، وأدخلى فى فمها اسحام ، وثبت طرفه أنطلى الأبقى فى
خلعه دقيقة من اسكن على رأس البردعه ، وشيد خطا من أشيل المدون
فى أرجح الحشنة وربطه قائلا به بصوب حفيض وهو يصرف :

ب حليكي واعة هيا يا مدونة اسى ، أوعى تسغلى ولا ترمحي بعى
كده ولا كده !

ثم صاح وهو يجرح من الباب :

ب حلى نالغ من الحشنة يا أمه .

ومشى يهر طوله الأعف أبى محمد أبو سوسم ، تارك أمه تحاول أن
تسلك أديك البلدى لتندحه .

وفوق السطح كن محمد أمدي قد فرغ من إرداء ملابسه ، وأخرج



زجاجة المطر من أول درج في « البورية » وسكب من الزجاجاة على رأسه ويديه ، وأخذ يدمك دقه وكل رأسه ووجهه ..

وتناول محمد أمدي طربوشه ووضع على رأسه في عناية بميل قليل على الجبهة .

وانتبه إلى دلوام حشني صغير غائي في الاحتظ وتبعه ورفع كومه من الأوراق البيضاء ، ثم طامية من الصوف ، ورفع من تحتها كتابا كبيرا ، ودس يده في داخل الدلوام ، فأخرج كيسا كبيرا من الجند وأخرج منه ورقة منية .

وتوقف وهو يعول لمسه :

« كفاية الجبهة ده .. »

وفكر قليلا ثم سحب ورقة منية أخرى ،

« برضه أنا واحد يزره نفسه في مصر شوية ! »

ثم أخرج ورقة كبيرة ذات عشرة جيبيات ، وأمامها طويلا .. ثم دس قميمه الأيمن ، وحشر الورقة المائية في جيب الصلديري البلدي المحتظ ، وأحكم الخلاق زراير القميم ثم زراير الجكتة ، وهو يقول برهو :

« ادّي يا سيدي فلوسي محمود بك يس أياك نعرف نحصليها من ابلد ! »

ودس الجيبين في محفظته ووضعها في جيب الجاكنتسه الداخلي وهو يكمل :

« وآدّي يا سيدي فلوسك انت .. يابلا بر يسبك ! »

وبعد أن أمد كل شيء إلى مكانه بالدلوام أمله بالمتاح ، وانتحبه جيذا ، ثم وضع متدحه في جيب أبطلون ، وشنى مطمبا .

وقبل أن يعادى حجرته ، لتسبي صدره وتلدته وحبرونه وطربوشه برضا ، ولغس بصوت مرتفع ، واتجه إلى باب الحجرة فاعلمها بالمتاح وخرج ..

وهبط السلم المصنوع من الطين ورأى أمه تدح الديك فقال لها - وهو يقف على إحدى الدرجات الضيقة المتوية - أن الوقت تأخر ومحمود بك ينتظره ليقاتل معه الحكام في مصر ويتحدث معهم في ماء الزى .

ثم هبط الدرجات الباقية ووقف إلى جوار أمه ..

وأدب أمه وسألته أن كان يستطيع أن ينتظر ليحمل معه إلى حابه .. ثم حسبه هذا الديك وبعض أعطائر والز الممر .

فصحك محمد أمدي وكرر لها أن الوقت راح ومحمود بك ينتظره في المحطة على قطار انظر ..

وعمل يد امه .

وقالت له وهي تعمل يده :

« روح يا بني مع السلامة ردا يبحح مفاصلك ! ردا يبحل لك الهبة والميل بالوية يا محمد يا ابن نطى .. »

وفك محمد أمدي قيد جحشته وأمسك بلبامها وخرج بها من الدار ، ووقف على اساب ينتظر عودة أخيه ، وأمه تسأله أن يذهب إلى حالة الشيخ حسونة في شرا ليبيت معه .

ولمحت له أمه أن يطلب من حذله أن يروجه أخدي نثاله ، وقيل أن يحبسها محمد أمدي مرت به أخدي جارائه وهو وأفع على باب الدار بالبدله والحضنة في يده .. فسأته جارتها أن يشتري لها شيئا أن كان ذهب إلى المركز .. فدل لها باقتصاب وصيق :

« أنا رايح مصر .. »

وأبدت جارتها دهشتها لسفره هذا المجاري ، وظلمت منه أن ينتظر حتى تحضر رواده لابنها أدبي يحمل في مصر على عربة حطور ..

وبدأت تعالبه لأنه لم يقل لها قبل السفر بوقت كاف .

وتذكر محمد أمدي أن كثيرين يمكن أن يسموه أشباه أولاد البلد الذين يعمون في مصر ، وصور نفسه يدبر القنطرة من بولاق إلى شبرا إلى الناصرية إلى الجيزة بأحمله هذه وملأه الأرتباك وهو يفكر في ألفة محمود بك وسرعة غضبه .

كيف يسافر معه ويركب إلى جانبه وهو يحمل الخناطف وأسمع ؟ وكيف يستطيع أن يدبر وقته ليلقائه في معبده المفضل بالمعينة الخضراء ومعه كل هذه الأحمال ؟

ولجأة صرخ في جارتها :

« يا وليه هو أنا رايح أزور السيدة زينب ! ده أنا رايح أقابل الحكام ! »

وتوقفت جارتها وقالت في ضحكات متكررة :

« شيء لا يست ! ات رايح لزور الحكام ! الحكام إلى في مصر ؟ طب ومابه تأخذ معاك زوادة . أن شاء الله تصح من الحكام يا محمد يا ابن طعاف . »

وقالت أمه في ضراعة وتوسل :

« أن شاء الله يا أحنى من حنك لك السما . »

— عجب! نفی من عاصیاء بنی آسمان عیبها .. ہو حقیرہ
 فکر ای اما ارضی احقرہ! واللہ ذی لو کمل حتی ۴۵ سبہ
 من غیر حوار ما ارضی ادبها له !

وكان أندري يعقوب أمام الذكاء ، يعرفون على الرغم من كلامه الكثير .
انه يحتم أن يصح وبمضي فيحد محمد أهدى روحا لاسه انشاحه
الخافه العود التي تحمل سمم وجهه اسجل العباس .

غير ان احدا من الواقفين لم يقل شيئا .
واستمر اشيع يوسف يقول كالهامس

— ذى بنت متريسة على العالى يا جلدعان ! ده أنا مجسها
من ١٢ .. ذى متريسة على العالى روى واقه ! دا ان مجسها ايام
ما كنت باكل ثلاث ارجال لحمة فى ايسوم ! ايام الف الاولانى ! فى
الحصة بتاعة الرمان الاولى !

كان الواقفون أمام الدكاك يعرفون ان نساء بيت الشيخ يوسف لا يخرجن الى الطريق كالفرويات بل يخرجن في الليل والحداب على

وقال أحد الوافعين :

— اے ! . . . دی ست اصول یا ہم الشیخ یوسف ،
وارث الشیخ یوسف لهذا الکلام فاکملہ :

— أمال؟ من تقوللى أحوزها لى محمد أمدى نتاعم؟
ومسح وجهه المحجل براحتيه، ثم هر راسه وعياده تلمبان نظرات،
ساحرة على الطريق امام الدكان:

— جحشة مقشرة ، وردمة قطيعة ، وركبة ملوكة ! والله عال !
 من انت يا واه يا محمد اسدي يا ابن الحمار واضح لقابل الحكام في
 مصر ؟ حكام ايه يا اخواني ؟ حكام ؟ يشابل مين يا هم ؟ بقى انت الى
 حاترجع الى الجاه ؟ طيب لما نشوب آخره العرطة دى يا بلد ا . هوه
 حد عارف العرطة تشا ايه ؟ حد عارف محتمين البلد على ايه ؟ يمكن
 بختمينها على كسماسة ؟ حد كان قرأ العرطة ؟ ما يمكن تكون مغرر
 النعمل في البلد ا ؟ يا بلد . .

والتفت الواقفون على باب الذكاء إلى بعضهم في عجب مضاعف ،
بدأت تساورهم الشكوك الخيفة الضامضة ، والكلمات تدجر من
أعناقهم تحمل كل الحيرة والإضطراب : من عرف ؟ من ؟ .

هل يستطيع محمد أقدي أن يقابل الحكام في مصر ؟
هل يعرف أحد ما في البريضة ؟

إن أحداً في القرية لم يقرأ العربية ، وحتى الشيخ الشساوي
أندى كان يجمع الناس والاحتام بحماس بالغ .. لم يقرأ هو نفسه
كلمة واحدة من العربية .

إنه يعتقد فقط أنها طلب إلى الحكومة لتحدد مواعيد الري ،
ولكن الشيخ الشساوي هذا جمع الناس ذات يوم من الحصول
ليعطوا أصواتهم لهذه الحكومة ، وقال لهم إن بيدها الخير ، وإن قدومه،
قدوم سعد !!

وكانت الحكومة نفسها على القرية :

فصارت محمد أبو سولم من مشيخة الحمراء وبعت حصوبة أرحل
العاصم وسحبت بعض الرجال وحجرت في أرض البكتيرين بطير
الضرائب ، وأخيراً حرمت مياه الري على الفلاحين ! وفي قتل الفلاحين
من أعطاه أصواتهم لها وساموا كلام الشيخ حصوبة ومحمد
أبو سولم وحسبوا أنها ستبقى مع هذا على قلوب
الناس كالحمل الكره ! أراها ستظل باقية تحرم الفلاحين من ماء
الري ، وتमित الأعداء الخضر التي ستحمل الكبرياء والطعام ذات يوم
إلى الدور !!

على أية حال سيدين كل شيء بعد عودة محمد أفندي من مصر ..
لقد أوشك دور المياه الجديد أن يقبل وستعرف القرية إلى أي حد
أرادت العربية : أظفل خمسة أيام كما تشاء الحكومة تمنعني نصف
الأرض ؟ أو يعود - كما كان من قبل - عشرة أيام .

ولكن لم تعد العربية فعادوا يستطيعون هم أن يصنعوا ؟
إنهم أن يتروكوا الحكومة تأمر كما تشاء ، وبيني ما في القلب في
العاب كما قال لهم محمد أبو سولم يوم كتابة العربية ؟
ولكن .. لو أنهم رويوا الأرض على الرغم من أوامر الحكومة فعادوا
يكون ؟ أم إنهم أن تلم الحكومة وحال القرية وترسيهم في السجن ؟
ومدا بعد ؟ لا أحد يعرف !

مادا يصنعون إذن ؟

لا الشيخ يوسف ، ولا عبد الهادي ، ولا محمد أبو سولم ، ولا أحد
على الإطلاق يعرف ماذا يجب أن تصنع القرية !
أنتزك لورات القطي تدل أمامها بالأمال ، وأعواد الإدارة المصصة
تصفر وتعتو هودا بعد عود ؟ .

أنتزك تنهب وعاصها وعرقها كله يحف على الأرض العطش ؟
أم تراها ترائع المفسوس على الرغم من كل شيء ، وتقطع أنشعره
وتدير السواقي على الجسر ، وتضرب رجال الحكومة حين يظنون ؟! .

إن الحكومة تستطيع دائماً أن ترسل رجالاً آخرين ! تستطيع .
ترسل رجالاً يلبسون نظاراتهم وأنزل الصفراء أحييه ومثرون
الباقي !

ومارات أفوية تذكر ما صنعته الحكومة في أيام الإحتجاجات على
رفعت القرية أن تحتجب حزب الشعب .

وحيث كان الشيخ يوسف والرجال يتحدثون في كل ذلك كان محمد
أمدى قد سح آخى القرية وأول الطريق الضيق إلى الحصر ... وقف على
حجر مرتفع في الطريق ووثب على ظهر الحصبة ، وأخوه يحسبون أن
يسنده وإن يضع حذاءه في ركاب الرعدة ..

واطلقت الحصبة محمد أمدى تركض متوترة وهمب الرشيق
الملاء ينشئ في اللعاب ، وس ورائها يجرى دباب .

والثفت محمد أمدى وراءه فوجد القرية متوترة وبيرتها الصغيرة
السوداء سعدت منه في بطنه ، فرفع عليه احساس بالوحشة وبدأ يشعر
حقاً أنه سيتركب !

وهو رامسبه ، وحرك قدميه ، كأنما يريد أن يهرب من زحف
مشارفه . وأسرفت الحصبة تحرى .

وعاد محمد أفندي ينظر إلى الورد ، فرأى أحاد دباب يجرى في
سرعة شديدة حافي القدمين فشد محمد أمدى إليه لحام أنحفصة
لتنطى . وبدأ دباب يعقب من سرعة العذر .

وقابل محمد أفندي فتاة تحمل حرة فارقة في طريقها إلى النهر ،
فاستدارت الفتاة ، وتحت في الطريق ، ودخنت أحد الحمول ،
وروضت حرتها على الأرض ، وأحتت رأسها إلى الحرة ، وظهرها إلى
الطريق ..

وافتنط محمد أفندي لما صممه أفتاة ، وتعامل خيراً بينه وبين
نفسه . ثم سأل أحاد من الفتاة فقال له ذاب أنها أمة الشيخ الشساوي .

فاستطرد محمد أفندي يمدح أربة أفتاة : فقد حانت أن يذلل
محمد أفندي في الطريق حرة فارقة ، فتكون الحرة العاصرة داب
شؤم وهو ذاهب يسمى في حاجة له وليس ..

وانتم دباب راضيا .

كان ذباب - كبره من أهل القرية - سيشعر محضاف كثر -
عاصضة من المحمول ، وسبام ونعاف من أشياء عديدة لاعمها .

وقال ذباب أنها أمة سببدا الشيخ الشساوي - تحسن العوم -
وتدرك أسرار الأشياء ، كأنها !

ويم يحب محمد أمدي ، وأحدهم قدماه مستعدان عن جانبي
الحجشة ثم ستمعان بهما ..

وقدوت به الحجشة وهي تصعد أي أحضر مسرعه ثم استعانت
في الطريق الواسع إلى عاصمة الأقليم .. وأسرفت الحجشة في
جريها إلى أحضر ، ومحمد أمدي ينتعت عن يمينه وشماله ليلقى
السلام على كل من يلهاه .

وقال دياب لنفسه وهو ينظر إلى الحفول وراءه :

— أحنأ خلاص طبع من البلد .

كانت هذه حقيقة واضحة ، والحجشة قد حاورت زمام العبرية ،
ونقى أمامها خيمة ثرى حتى تصل إلى عاصمة الأقليم .

وأرتفعت أشمس قليلا — وقد دياب تعوضان في تراب الطريق —
وبدا يهت وهو يتابع الحجشة في ركضها المتوالب . الذي يثير على
عينه حبات أنهار .

ولم يعد دياب يقول شيئا ولم يكن محمد أمدي هو الآخر يكلمه .
نظر محمد أمدي إلى النهر الصغير : يستدفع فيه الماء على
موجات هذبة مثرقة بالطمى .

وقال محمد أمدي لنفسه وهو ينظر إلى المساء الذي كاد يبلغ
البحر :

— الفيض جامد !

فرد دياب :

— أمال حاشين منا اسمه ليه ؟ أياك نحدثي روحهم .

وسكت محمد أمدي وسكت دياب ..

واحد دياب ينظر أمامه على الحائنين .

وكان يشعر بالارتياح كلما رأى شجرة في الطريق ، فالسحونة
قد بدأت تسري في التراب وتلمع قدميه ، والصفاء يشوي كل بدنه
ووجهه .

وكان يتمهل كلما ظلمته شجرة ويمتد قدميه بلمس التراب النارد
الرفيق .

وسرح دياب يفكر في أمر طريق البحر هذا ، أنه يشوي الأقدام
لكثرة ارتباب الدقيق فيه ! أو أن الحكومة أصحبه ، وأهتمت بهذا:
لأنه سوج بدلا من اهتمامها المبالغ بأحد ماء الري من الحقول العطشانة !
وهو ذاب رأسه وهو صامت .

وكان أخوه سامتا .

وأشمس ليلها الطريق ، ودباب مشغول بالتفكير في هذا الطريق
إلى المركز .. أنه صعب كالركن نفسه !

انه يشعر بسحونة توله في هذا الطريق ، هو الذي لا يكاد يشعر
بالسحونة في أرض قريته السخية بالتراب اللين .

ولم يكن محمد أمدي منتعنا إليه .. كان لديه راده من الأفكار !
وهي منتصف الطريق فال محمد أمدي :

— جوركشي بيت سيدنا يا واد يا دياب بعد ما سبيع العطر
ويطلى !

سكت دياب قليلا ثم قال بعدا :

— قطن ؟ وان ما نضاي العطن .. يمي مفيش حوار ؟ هسه فيه
فوس ؟

ولم يحب محمد أمدي .

وعاد دياب إلى صهته ، ثم أسرع في حربه وراءه أحجشته حتى
صبح إلى جوارها وهو يقول :

— ويبي أنا يا آجي أحوز مالايش غير بيت سيدنا ؟ هيه حبيب
اللي ؟ دهدي .. ماتحور واحد يمي رى أبوها !

فالتفت إليه محمد أمدي قائلا :

— يمي جاسورك بنت أسنطاس باحي ؟ حاشك أعم في كـ ..
سكت .. ومالها بيت سيدنا ؟

وسكت دياب .

وتنحى محمد أمدي قبل أن يقول مستمعا :

— ولا يعني ما ينفعني معاك الإحصرة ! نحوزك خضرة ؟ !

وزم دياب شفته في احتجاج ولوى رأسه قائلا :

— دهدي !

وسكت دياب من جديد .

وظلت الحجشة تحري ، والمراكب المحملة بالمال والبالاليم
والأحجار والتين تعطر على صفحة النهر من حين إلى حين .

كان الصبب الألهت يخيم على كل شيء .. وأحجسون تمتد تحب
حرارة الشمس إلى حوار البحر ، وعلى رأس الحقول تتناثر أشجار
حجرتها المعانير .

وبعد أن جاورت الحجشة ثلاثة بلاد بدأت الحياة تدب على الحبر .
فالتفتي تدور ، والأصوات المختلفة ترتفع ، والرجال يعملون

وأحد محمد أمدي سقى عليهم السلام وهم يمشون إلى باب للماء
فيسبل بالراحة من النهر إلى الحقول .

وقال دياب متعجبا في حق :

— الله ! يعنى السواقي دايره ها آهه سروي ارضي نبات نه مي
آزمنهك احد هي التي كهوب ؟ يعنى الله عاكسه ودول حتى بيرووا
بالراحه من غير سواقي ' اسمعني ها ؟

ولم يجب محمد أمدي وهو رأسه ، وبحسن حيوة ، وهو
قدمه على جانب الحفنة ، وتلك الحفنة بحري وبحري .
وعلمنا اقتربت الحفنة من مدخل المراكب كبت الشمس تكاد
تتوسط السبيل وترسم وهجا يفتح الفخول وأجساد الناس وأبدان
البحر تشوي الغمام .

وأجس دياب بتراب الحسرة كانه رمداد ما رالت تشمبل ، واعد
قدميه عن الأرض وهو يشب عن الأرض ، واربع صوته حفاة :
— محمد ابن رسول الله محمد ابي

— مالہ ؟

وهرى ذياب حتى أصبح الى حوار الجبشة - وحاول ان يرفع يده على ذيلها ، واستمر يقول في صوت مرتفع

— یعنی مالک محمد ابو سولیم یعنی ؟ یعنی مثنیٰ سیمہ احسن من سیدنا ؟ یعنی ما سید سیمہ یحییٰ ایا ؟ ما احمد سیمہ ! دیست الدنیا صحیحہ ، حیدرہ زری لفظہ تصحیفہ ، مانحالی و مسبقہ من دولتہ

[illegible]

وضحك دياب وهو يتكلم واشرق وجهه على احلامه : اما محمد
اعمدى فقد فوجئ بكل ما يقوله اخوه دياب .

و نظر الى ذناب يسأله متبعها باستنكار حمى واستنكار :
 - عاود تبحر وصيغة آء

فعال دیناب بباطه ووجهه فی الارض ؛
ای هم ، قشقله ، ری انس ، ری مسرد ، ای انس
دیده ، دیده درم شفته ولم یعل کسنا بعد .

وتضع ريمه ورم تسفنه ولم تفل تسفنه
فستك محمد الفدى هو الآخر وهو رأسه و
وتقدم الحشيه و يذاب ارجلها بمرغ ارسا تسفنه

وثى دباب لجام الحششة ، وسحبها حتى خرج تماما من المدينة وهو يمشي على حذر .

وعندما وجد العقول امامه ، وقف على ظهر الحششة ، وشمر بحسده رتاج على البردة القطعة السخنة .
وانخلت الحششة تطلق على الطريق الواسع .

وأدار ظهره الى المدينة ، فبلائه الرعدة . . وحاول أن يشين أخاه في شوارع المدينة ولكنه لم يستطع أن يرى شيئا غير البيوت المائليّة ذات الطواقي والعربات والزحام . .

ووجد نفسه وحيدا والمدينة تبعد عنه فصاح لفاعا كأنما تذكر شيئا مهما !

— الله !! يعني ما خدتش منك عقدا باسم يا محمد أفنتي ؟ الله يعني نازي محوشلى وصيفة والا ؟ عاوز برقا كاتحة وصعبة يا اخا .
وتخايل على الحششة في كبرياء ، وعساه تمتلئان بصورة وصيفة ، وحسدها الأنيق الطويل الزراري كالقشبة ، ووجهها الرائق كالفل ، وفكره يسرح في أرض الشمين يوسف التي تجاور أرض أبيها . وأمامه بمقد الطريق الواسع الى القرية .

وظلت الحششة تمدم وتمدم على طول الجسر . . نفس العصر الذي كان دباب يحري حافيا على تراه المتهب منذ لحظات .

وكان دباب يمشي لساعته في مشاعر سميكة واحساس فائق بالاعتبار وهو فوق ظهر الحششة الفارغة المظلمة التي تشبه الحصان العربي الأصيل .

ولكنه لم يكد يبعد قليلا عن مدسة المركز ، حيث ترك أخاه محسدا أمدى حتى دمه شعور مبالغ بالحدة والفراغ .

وأجذب أروحه الذاكرة تلح عليه ، وهو يحرب في صخرة الهمار ذي الضهد .

وتسى لو أنه استطاع أن يسمع أحده من السفر .
ومع ذلك بعد ظل نهر قدمه الحافيتين ، ويهيم بطن الحششة كعنه الجاف ، متعري الحششة وتحرى .

كانت الشمس تتوسط السماء المبرغة من الخيوسم ، وفي وصعها يدوب كل شيء حتى الظلال !

ومر دباب يرحال على مصاصات متباعدة يتروحون بحب أشجار على الجسر ، فحاهم واحدا بعد واحد وكانوا يرددون التحية بعتور . .
لم يشطروا لرد عليه كما فعلوا مع محمد أمدى . . .

وهي ملك الساعة من النهار لا ينصح الجسر بحركة على الإطلاق ، ولا يستطيع المايبر العربي أن يتلقى حلالة الأصوات تحييه وترحب به في اعتناء ، مؤكدة — في حشوتها وصدقه — أن الإنسان على الرغم من كل شيء ، ليس وحيدا في عالم التحول ! .

وظلت الحششة تمدم يدياب من أرض قرية الى أرض قرية أخرى . وما رأت الكأبة تحفة .

وتذكر انه في هذه الساعة الهامدة المتوجهة من سكوت النهار ، يظهر الجس الاخضر الذي صمم عه طويلا وهو طلع .

وحاول أن يصغر دما من موال حرين ولكن هساته لم تتعلق ، وفاصت في نفسه سكية الموت ، وابحشة تقترب به من أرض قرينه .

وعندما بلغ من الجسر أول الطريق البصيق الذي يقص الى دور قرينه شد لجام الحششة بإحكام ، فتوقفت به قليلا ، وأنى نظرة سريعة على صفحة النهر التي تسطح في يريق حاف تحت قرص الشمس ، ومعبت عيناه من سطوع الضوء الحاف على الماء ، فأرسي لجام الحششة ثم انعد الى طريق القرية وهو يكر في أخيه محمد أمدى وفي وصيفة التي يستطيع أن يتزوجها على الفور لو أن أحاه قال لأبيها كنة واحدة . ولح دياب من بعد فناة تمحدر على الطريق البصيق . . لم تكن مجرد فناة من القرية تمدم من على الجسر بجرتها الممودة .

كانت تتمايل وتلر حصرها على غير هذه بساء القرية . .
وكانت على غير عهد بالقرويات أيضا : تليس جلبابا مبوبا ، وتسند جرتها المائلة بيد مكشوفة بضة تمتع ليها أساور من زجاج أحمر .
وحقق قلبه ، ورايته وحششة لبعض الوقت ، وحسب لبعده بفرج .
— وصيفة !! يا وعدى !

وشد جسده بخلاء على الجششة ، وفتح صدره بفروسية ، ولكن بطن الحششة بكسه في قوة ، ومد يده تحت البردة ففرص ظهرها .

ووثبت الحششة صاة ، ورمعت رأسها ، وبهت ، وأحدث تجرى كما لم تجر من قبل ، وتثير العباد الكتيب .

وشمرت العنات بضجة الجششة ، فاستدارت — بحركة بارعة حادقة لتلقى بعض الماء من فوّهة البقرة في دلال ، وعندرة .

ورفعت عينيها مبتسة .

وأت دياب على ظهر الحششة المظلمة ، اطلعت صحنكات موائية . ثم قالت بصوت من تلح ، وهي ما ترال تضحك :

— هوه انت يا دياب ؟ وجاني ترمع ورايا وتروهن كده ليه يا ميل ؟
يمس دياب ابن عام يا حي ؟ وللا يمسي هاكوي السميرة عريرة جاني
كده بانهرجة وريحه ؟ *

وقرحي دياب بصوتها وهو يقترب منها فغال نجاف وحبيبة امل :
— امه ! حسر ايه يبت يا حصرة ! ايه الجلابيه دي ! حبيبي
داهيه تحبك ؟ *

واستمرت حصرة تطلق قهقهات جشنة بديول حبيبة ، وامسكت لجم
الححشة واوقعتها ، لتقول لدياب انها اودت ان تفصل جلابيها اليوم ،
وحاولت ان تقتصر جلابيا تخرج به بتملا جرة روجة شيخ البلد فعم تجد
فتاة أو امرأة في انمرية ترضي بعاذنها الجلاب ، الا وصيفة ! *

وسكنت قليلا وحاول دياب ان يحس يدها عن لجام الححشة فتمسكت
به ، وسالت دياب وهي ما تزال تهضك ،

— جيت لي حاجة هي الممد ؟ ما جيتش رغيص قبيح والا طعمية ؟
ماجيتش حاجة ؟ *

فهر قدميه على بطن الححشة لتفطن ، وقال وهو يمسح يدها عن
اللجام :

— حاجة ايه ، ياك ترحوي *

ثم صحت ، وتوقفت حصرة عن الضحك دفقة ، وتركت اللجام بهدم
وتراجعت يدها الى جانبها ودفعها الكدر وعشيت وجهها صغرة واستغض
صوتها وقالت بمرارة :

— ليه كده يا دياب احسن عنك ! ما كفاية حوجة *

وسهت ، ولاحظ دياب تغيرها فآراد ان يصانها وقال ببرود :

— تبني انصر عبد الرزية فاحدي لك روين حيار ؟ *

فعدل بصوتها وما زالت امرأة في حلقها :

— يمسي غاير مي الشئ الغلاي ؟ *

واضطرب دياب امامها ، ودارى اضطرابه في قهقهة متكبسة جامعة بلا
ردي ، وهر اللجام سطلق جه الححشة *

وعندما تحركت الححشة أمسكت حصرة جرتها بيد ثم تقدمت من
دياب مسرعة ومالت على ظهره بقبضة يدها الأخرى فصرخته صاحكة ثم
ركنته يمسح *

وسارت به الححشة وحصرة نشيعة بكلمات حادة أحسنته *

وعادت حصرة تصحك في استسلام وطلب منه ان يحصر لها الدمار
وندى انهاء ، وانصت حشيتها نهر عودها الحفاف وبهر منه صدرها
المسلط الصمير اشترش ، وانصعكات تشيع بلا مضي في وجهها الانصر
الندل *

وظل دياب يسمح كلماتها انحارحة وانحشنة مدخل به ، بمرية *

لم يجد في الطريق احدا على الاطلاق الا وهج انيس والنداح
لا ظل ، ولا ناس ! *

وراي في وراء ابواب المدور المفتوحة بعض المحائر يستلقي عني
لأرض تحت العنابت يتندن ويمشي في شعور ساء احمراته وندلي
الصغيرات *

وكان ذلك الشيوخ يوسف مقفلا والصابغ عني طول الطريق فتوقد
فوقها الشمس *

وهكذا ظل دياب راكبا حتى وصل الى داره فحل امام الصة وسحب
الححشة *

وقامت اليه امه تساله في لهفه ان كان محمد امدى حد ركب الفطار ،
فأجابها في صوت خشن هادي :

— آه وكب ! *

وزرع البردقة عن الححشة ، واحد يمسح العرق من على ظهرها بيده
دوب ان ينظر الى امه ،

وقامت امه تساله من جديد ان كان اخوه قد ركب انظار حغا امام
عينيه ، فغال دون ان يلتفت اليها :

— ما قمت لك ركب ! هدي ؟ *

فعدلت امه في سكية :

— طيب يا ابي رسا يكيكو شر المخي في الغيب *

واصر دياب امام كلمات امه وأحس بالثبوت الى أخيه يبع عنه *

روصع امام الححشة كمية كبيرة من اعول والتيس أكثر من اصناد ،
ووصح امامها طشتا فيه ماء نظف ، ثم ردت على ظهرها في عطف ،
وتركها *

وزرع ديل حليابه ومسح به عرق وجهه ، وطلب من امه ان تحضر
له اعداء *

وحلس عني المصطبة الكبيرة في مدخل الدار فاكل في صمت *



جلس دياب بعد العصر على رأس حبلته في حوض
الترعة ، وانظر .
واحد يأكل الطريق الصغير ، وفي يده الحيسار
واللثام .

وقسم حيازة وحبله . ان حصره لي ناتي الان ، فلهائم اوشكت
ان تعود من السحول الى القرية ، وحيرة تعبر هذه الساعات فحسبها
للمكسب ، فهي تقسي وراء الهائم وبراعم الاخريات وتلطفها بسبعة
ابهايم من دوث لتصبح مع افراصا كبيره تجذب في شمس وبوقه بها
الافران . . وساعده هذه تكتفي حاجتها من الطعام .

وانتظر دياب حتى بدأت الشمس تميل بحرمي انجبار والهاء ، واغلق
الزريبة على الهائم ، وعاد الى اقرية ببيت مع امه .

بعد فرح من عرف الفط ، ولكن ابره يسرع كل ما بين الاعواد من
شجيرات انجبار والهاء ؟ لقد شاح الحيار الان ، وبهلايه الاخضر يسوق
طعام اعداد العطن انني بدأت برقع بالبور الصغير ، ايسر هذه اللباب
من الارض ؟ انه لا يعرف ،

بعد سى ان يسأل محمد اصدى قبل ان يسافر :
ومحمد اصدى وحده هو اندي يعرف كل شي ، وهو الذي يحسب سى
نعرف الارض ومتى تعثر ، وهو الذي يحسب سى بروي ارض انجسر ،
وحوض الترعة ،
هو وحده . . .

ولم يحدث من قبل ان وجد دياب نفسه مضطرا ان تدبر الامر او
التعكير فيه .

ومحمد اصدى يصنع اكثر من هذه ، فهو احبها يخرج جلبابه السطيف
وحداوه ، ويضع القوافل ييسل لده في الارض بالهدر بدى تحدا .
كل زراعة ، وكل في يده مبرال المياه .

وفكر دياب في ان يسأل عبد الهادي عما يصنع بحمن الفط .
ونكه حجل .

ولم يكن يصل الى داره ، حتى طليت منه امه ان يعود الى داره .
ليبيت مع الهائم . . اما هي فلي نحاف من الميت وحدها في سائر

من يرتفع حوال الأكل غير صوت اربعة امدرة التي تنكسر ، وصوت
بصل عندما يعض . . وبعد ان اكل دياب مسح فمه بيده ، وتكرج ،
وساق امامه انجحشة الى الحبل .

لم يكن دياب فعلا صغيرا بعد ، ومع ذلك فقد ظل في الحقل وحده .
يعاني انجواء ابرهيب اندي يدب صفوه الصسمار ، عندما يهيب بهم
فجأة اب او اح كبير يقودهم في كل طريق ، ويسرفون من حلال نظرائه
المنجحه العانية كثيرا من اسرار افعيله . !

وفي الحق ان دياب لم يكن يصنع شيئا غير ما يأمره به اخوه الاكبر
محمد اصدى .

محمد اصدى هو الذي يفكر دائما ، وهو اندي يهتدي الى حلول تهر
دياب عندما لا يستطيع فهم شيء . . حتى في سوق امدية التي بالوامرة
والخاورة ، يشري هو الهائم ، ويبيع بسهولة وبلا اكتراف ، وهو الذي
يعتزع على دياب ان يزرع القول بدلا من البرسيم بدلا من
القمح ، وهو الذي يشتري السماد ويعرف انواعه ومرايا كل نوع منه .

هو الذي يعرف كل كبيرة وصغيرة في الحقل والدار . .
وفي اجل ذلك فقد بدأ دياب يشعر بخوف ، عندما وجد نفسه وحده
في الببيت ، والغيط ، والقرية .

كان محمد اصدى هو الحقيقة الكبرى في حياة دياب : هو الذي يبر
الارض ويشترى عليها الفريد ، ويعرف مراح كل قطعة ويرضيها .
ولو لم تكن محمد اصدى هذه القدرة ، ما استطاع دياب ان يتج
شيئا ، ولما كانت زراعته هي اجود زراعة في القرية . . اجود من زراعة
عبد الهادي نفسه في بعض الاحايين .

لكن تالم دياب عندما احس حياة دياب احميه . .
ان محمد اصدى هذه دياب هو كل شيء .

هو الكبيراه ، والقدرة التي يصنعها امثاله امان ، واجده الذي توفره
المعرفة .

هو المستقبل ، وهو كل ما يثير الرهو في نفس انسان .

18.

ولا كل من ليس المصانة يريها
ولا كل من ركب الحصان حيال
ولا كل من قال يا ملائكة أنا صاحبك

فأكبل عبد الهادي صاحبك .
- أي والله يا شيخ يوسف .
واسين بصحتك والديك مياي !

وحدود عيواني أن تحدث متعلما الشيخ يوسف فقال بطرب :
- يا أخوتي عارف كل حاجة . عارف شعر العرب كمان . عارف
كل حاجة وادهم زى القرد !
فصعب الشيخ يوسف ورعق في عيواني :

- قرد لما يبططك حطاف من ساسان حطافين ، أمشي ابعد من هنا
وأوعي تهوب ناحية الدكان تبي ! أيه اللابطل دي ! قرد ؟ بنت سمرد . .
وبهت عيوانى ووقف يعتذر ، ويجادل أن يشرح وجهة نظره غير أن
الشيخ يوسف قطب وجهه ولم يفرجه تلك الليلة .

واتعد عيوانى أسما فحسب وحده على المصانة الملاءة في المعصاة
أمام الدكان . وأراد دياب أن يعير الحديث . . وفي الحق أنه أراد أن
يربع نفسه فمال الشيخ يوسف ، أن كان من الممكن أن يتسلم في الصيد
خطابا من محمد أفندي ، فقال الشيخ يوسف بضيق أن هذا مستحيل ،
فالحطاب يصل من مصر إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام بلقبيل ! .

فاعتصر من دياب عن هذا ، وقر الشيخ يوسف رأسه وأحد يفسر
به الأمر في مصيبة وصيق .

ولكن دياب عاد يصيح في الشيخ يوسف أن محمد أفندي يحب
أن يرسل إليه خطابا بسرعة ويحب عليه أن يتسلم هذا الخطاب قبل
بداة دورة الزى ليحرف رأسه من راحيه ، وبهم أن كان يسدا في رى
أرسى الحرس أو حوص الترتة .

ولم يحب الشيخ يوسف وتعامل بصوت مرتفع . .
واشتهر علوانى المصانة بعد أن مكانه أمام الدكان واعتصر على دياب
قائلا :

- يا أخي أفهم الكلام الحلواني سقوله أبوك الشيخ يوسف ! يا أخي
اسمع الكلام ! .

وسكت الشيخ يوسف ، ونظر علوانى بحيرة . .
أما دياب فلم يسمع الكلام ، ولم يصدق ، ولم يرد أن يناقش فيه .
وفي اليوم التالي ، لم يكد الصبح يبيض من على الحقل ليدى الصباح ،

حتى كان دياب يعف عبد صدوق البريد أنكر المثل في سب
دوار المعنة .

وبعد ساعة من الإسطر ، أتبعها حاسبا عن الأرض يعف «أسبح»
مع عبد اعطاي . . رأى سامي البريد معسلا من بعيد .

وتحرك عبد اعطاي . . وهو الحفري المكاف بالسلام البريد . . ووقف
إلى حوال الصدوق تاركا حطوطه أسبجة على الأرض ، وقطع انطوب
البحراء التي اختارها لنفسه لانيته في أملاكها وقام دياب من نفسه
السيجة وهو يرمي آخر نظرة على قطع انطوب السوداء التي احبها
نفسه ، فمتعنا بتقدم سامي البريد في هذه اللحظة دلالت ، لأن كلاب
عبد اعطاي اسحراء ، كانت قد أكلت معظم كلابه السوداء ، وأوشكت
عبد اعطاي أن يعله دورا يسقط مكانه في لفة السيجة بين الرجال .
وقد انصهار الذين كانوا يشاهدون السيجة بدهامان بدهامان . فلبسوا
حرب الصدوق كب تعودوا أن يصعدوا كل يوم .

وتقدم الحمر الجور الأزرق بسعي البريد : مطايء الفراس ورمي
أترجل يبدته الصفراء الفرية ، وحفيتها الكثيرة الملهة ، وظروبته
المتج المائل الحواف يستقر فوق مدرج كبير محطوط يعطي معه
وجهته .

وطوى الرجل شمسيتها المرقعة السوداء وأعطاه عبد اعطاي ودر
في حقيقته المتربعة قدس فيها بد ، وبدأ يتحسس الأوراق في يده واد
. . وسأله دياب قبل أن يخرج يده بالمزوف :

- ما معكش جوابات من محمد أفندي ؟
ورفع سامي البريد رأسه ، ونظر إلى دياب في عيظ .

ثم تشهد وأخبر رأسه في العقبة واحد بخرج منها بريد انه . .
كان لسامى البريد وجه معفر منى بالنعوص ، وكانت شمساه
تتمرد من الحب شارب رمادي علف ، وأتعب أفضس متكور مسدد
الانتخاب باشعر انكف ، وكان كل هذا يرمس مع عيبيه المتكرب
، ومنه المعنة ، صورة ربح تنالم ، وسكى بلا دموع .

وكان شكله أضعاف انعاس ، ومقدمه كن يوم من المركز ، نعم . .
وبن الفلاحين حائل كره من الزينة والزهر والحدو .
وتقدم منه دياب في وجل سأل مرة أخرى :

- حضرت بصي بالسدنا اللندى . . حبات يا حبيرو الدوسدى
ما معكش جواب من محمد أفندي .

وأخابه سامي أسريد بصق مكموم وهو يرم شفتيه وعسر ع .
البدنه

— والله له محطاش نفسا حوا الجواب كما ؟
فيستسم دياب دنلا بهدوء وبساطة
— طيب ..

واحد سعى أنريد يفرأ المساوين المكتوبة على الظروف .
وتسسم أنصيل انواقفوي بعض الظروف وأحضر يتم عنهم ودمع
ساعي أنيريد يباقي الظروف الى أخضر عبد العاطي ليورهما بمعرفته ،
ثم أخذ منه الشمسية ، واتجه الى حمارة المحور دي الراس المظلمة ،
وركب .
وتصانق دياب .

ورأي الرجل يتحرك بحمارة دون أن يقول له كلاما صريحا ، ولم يحن
أن يعطيه خطابا من محمد أمدي بهذه السهولة ، فدفعه الى ساء
الريد وأمسك بحماره وصاح فيه ببطة :

— يعني ما قلش فيه جوابات من محمد أمدي دنلا ؟! فين
جواب محمد أمدي ؟. أقرأ الظروف اللي في أنشطة دي كويس .
مكتوب بالظرف يصل ويسم لاجونا دياب .

فصرخ فيه ساعي الريد أنه سلم البوسطة كلها وانه لا يوجد ظرف
دسم دياب ولا يمكن له أن يعرف أن كان محمد أمدي قد كتب خطا ،
أو لم يكتب ، فالحظانات دخل ظروف مضقة ، وهو يعمل ساعيا ليريد
لا منها ..

ثم لكر حمارة بمثل وهو يكاد يعوي :
— رينا توب علينا من الشفلة الهسه دي !! بقي لنا فيها ثلاثين سنة
لا مرنا توب قرش ولا توب عيل ولا ..
ونشابت كلماته وهو يتعمد في صياحات دياب :

— دهدي ؟ طلب ماتر هتش قوئ كده ؟! أنت خلقك كده ليه ؟ يعني
ما فيش جوابات ولا هبات ؟؟ طلب ماتقول كده من الصباح ! جاتسك
الهم ما تروح التندر من كبر نفسك وما تشكو !

وفي مساء ذلك اليوم كانت القرية كلها تروي قصة ساعي الريد
ودياب ..
وعندما ذهب دياب الى دكان الشيخ يوسف — قبل صلاة العشاء ،
قال له أحد الواقفين قساحكا :

وبعت له حوانات .. ولا جواب حالي
حب المروول درجاب ..
وضحك الشيخ يوسف طويلا .
وأضحك الناس على دياب .

وعصب دياب وبحرك لبسرف قائلا :

— دهدي يا عم الشيخ يوسف ؟! يعني طول عمرك مصب واسمعي
عرائك راص دلوته ؟. لا ياسيدي .. أنا بقول لك انه .. ما تشفي
عنه المجرة بعد كده وتحليني ذكته في البلد ، يعني أنت تقدر ممكن
كده ومحمد أمدي ها ؟

كان يقول هذا الكلام وهو يتعمد والشيخ يوسف سبهه ناشتدم
وبالسحرة منه ومن محمد أمدي ..

ولم يباس دياب من وصول خطاب من محمد أمدي .. وذهب في
الصبح اتلى فلبس السبحة وانتظر ساعي أنريد .. وسأله عن
السؤال فدار في وجه الرض وشتمه ، ودمع عليه اسميه فالعرف
دياب حائرا ، وهو يقول :

— دهدي ؟ هو كل واحد يشتم فيه من بجه ؟ جاتكو شوطه في
الجوابات وسين الجوابات .

وهكذا سحر منه الشيخ يوسف مرة أخرى في مساء ذلك اليوم ،
صاح دياب فيه :

— جري إيه يا شيخ يوسف ؟ مولع مني أنا وأحبابي محمد أمدي
!! أبلد كلها مولعة مما ليه ؟ يا بند قياره ! يا بند نهري وسك وسا
حواليها غير الكلام العاض ! أنا هترك مغلق من إيه ؟ ما تشفي يا شيخ
يوسف ري ما تشفي ! أنت فاكز إن الرراعه الجادة دي حابه بالساهل
.. هيه أوشنا بترمي أحسن من أحسنها أرضي ليه ؟ هه .. عارب ليه!
دا شقنا يا حدع . دي خدمة عالعال يا حدع !! يعرف معروف في الأرض
ونديها حقا ! يا راجل والحنة تباغتت اللي أحبا واكتسبها كاتب خاتون
في أيدك لولا لعفاها منك .. أبش هترك أنت بالعلاحة . وحياء السي
دا أنا نازرهما برحلي . قالح لي بس تولع من الطلق وتشمسهم منها ..
؟ يا بند قياره يا بند سو ،

كان دياب سفير ولا يكاد تترك له فرصة للشيخ يوسف وقد أحبا
نوح بديه حتى أوشكت أمدي بده أن يدخل في عين الشيخ يوسف
ولم يحتمل الشيخ يوسف ما يقوله دياب .

وأصفر لونه ، واكتشفت قفوس وجهه وتباينت أنفاسه ، ووجد
الذين يقفون أمام دكانه .

ورفع الشيخ يوسف كفه المعروفة النجيلة فعوي بها على صدع
دياب .

ورئت الصغرة ، التي أذن الشيخ يوسف ، تقهوي بكفه على الصدع
الأخر .

وتحسن دياب وجهه وذهل لعص الوقت ، وساد أصبحت تماما

وتوترت اعصاب الواقفين .

ودارت بظلمات دياب بينهم .

ورجعت على حافة عهده فعال يدالب نفسه بصوت جعيف :

« نصرني على حلفي يا ابا الشيخ يوسف ؟ ونشعر انك ت
مريت في الأثر ؟ تصرني على حلفه رب ؟ ممشي يا ابا الشيخ يوسف ..
انت برغبة راحن كثير وري أوروبا .. »

وصب قسلا .. ثم قال :

« آله يسامحك »

ورتل الشيخ يوسف وانقلب فيه اعصابه ..

واهتز كل بدنه على حرف مباحي من كلمة « انه يسامحك » وصاح
في انبيار :

« غور من قدامي !! ايه اللي حايث هه ؟؟ حدوده من قدامي ياداي
.. رب يسامحي ؟! انت بتدعي عييه يا وله ؟ انت بتدعي عليه .. »

وحلب الواقفون دياب وانعدوه في ذكاب اشيش يوسف ، واحدوا
بهذنون من غضب الشيخ يوسف ،

ولكنه أطلق الذكاب على انعدو ، وضفي وهو يمشي ويرتعد والجمه
الى دار محمد ابو سويلم . فوحده يجلس في مضطنه مع عبد الهادي
وضوء القمر بملأ الكاس بالهدوه والسكينة .

كان عبد الهادي على طرف المضطه يجلس الى حوارالباب ، يستمع
ان حركة ويصطع اية مناسبة ليلفت بحث بعينه في داحي الدارعن
وصفة .

كان يريد ان يراها ..

و دن نصرى انصاف أم خفي كلما تذكر ان وصيعة لم تعد تحمل القهوة
الهم سيد سافر محمد اميني ..
أبكون محمد اميني وحده هو الذي يستحق منها ان تعمل انعدوه
وتعلمها نفسها .. ونسها ايضا ؟! ..

وتتم عبد الهادي وهو يهر اني السماء اسساسة الرائحة في
صوه القمر :

صاحبت صاحب واناري صاحي مصاحب

وصاحب اتين ماشيت على صاحب

واتنم محمد أبو سويلم قائلا :

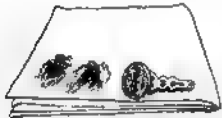
« آي والله يا هذ الهادي بدلت ما ولدي .. »

وصاحب اتين ما يشت على صاحب

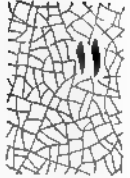


وأصبح الشيخ يوسف انه يوم الخميس مع عبد الهادي ليروا أرضهم
مادامت دورة المياه لم تفعل ،
وقال محمد أبو سليمان أن حوص الترمه لا يحتاج الي أنرى ثفل
خمسة دهم ، وبعد خمسة أيام تكون الدورة قد انتهت ،
وسعد عبد الهادي قائلا :
- تفعل !

ورفع الشيخ أشماوي يسم علي عبد الهادي قائلا :
- تفعل أباي يا عبد الهادي ؟ من غير صلاة ؟ انفي حودعي أنجام
في العشر احطط لك ركعتي حالي رسا يشاركك في الأرض ،
فصرخ عبد الهادي وهو يقول متسجما :
- يا سيدنا دانا عي ما احطط ركعتي واحدة تكون اليه انعطفت ..
لما سقى الأرض الأول والصلاه اهي ملحوقه ،
وانصرفوا جميعا وهم يضحكون والشيخ الشماوي يقول ،
- واسه انوار عبد الهادي ده عمره ما هو وارد على حمة ، لا يوصل
ولا لانه يبطأ ،
واعين محمد أبو سليمان ناب بيشه وهو يقول صاحكا :
- يا خير يا سيدنا ؟! ذات حيت وافعته فبره ! بهي يعنى دار في
اليد وبار في الإخرة كمان ؟!
ودخل ليلىم وهو يطلم بلجنة - جنة الدنيا ! ..



ياهتري اليه حايث من صحوبه البلد ولا صحوبه الحكومة ،
وكان عبد الهادي شاردا عه فاكل تمسه :
والصاحب اللي سبب دلي محاصمي ..
فماطه محمد أبو سليمان صاحكا ،
- دهدي ؟ .. انت قسته موال احصر .. دا انت هنت احصر هوي
.. خلاص يعنى حكك يا عبد الهادي .. عدلنا مواعيد أنرى وروب
ورروب وخميسا ما مضيت غير الماوير احصر ؟
وضحك عبد الهادي ، ونظر الي الشيخ يوسف مستخدريا بعينه
ضحكات منه .
ولكن الشيخ يوسف لم ييسم ..
وسأله عبد الهادي عما نه ؟ مضى يروي لعبد الهادي عن دياب
وقله ادب دياب وما قاله به دياب في وجهه ،
وعندما وصل في الحكاية الي ايه ضرب دياب كهي على صدره ،
صحت عبد الهادي ، وشعر براحة صغيرة لعمره ،
ولكنه شرد قليلا ، ونظر في السماء وتهد وقطب وأحسن بهن جديد
واشفاق فاكمل ؛
- نس الواد ده غبان ! محه دق وغسان وسكر ! واليه دا فشان
- شيخ !
واضح الشيخ يوسف بوجهه في رفض ، وتذمذم بكلمات لم يسمعها
احد ..
وسد السكون لعفته .
وبعد قليل انفل الشيخ الشماوي يسفه صوب المسجحه وتمنعه
.. حج ..
والأ رأى عبد الهادي عابيه مصعب لانه لم يصل انشاء التيسه ،
واصطاح نياما عن المسجده مع انه يحوار داره ،
فقال عبد الهادي صاحكا :
- بهي يعنى هو الحامد ذا معمول مشبى لوجدي يا سيدنا ؟ كل ما
يحط وشب في حامي نول في الحامد ؟ الله ! ما عيلك أهو الشيخ
يوسف ، وهم محمد أبو سليمان .
مضت الشيخ الشماوي متحرعا وقال ،
- بقي انت بهي دائما محصر الجواب كده ؟! الأكلة انك لمي !
وصحت الجميع ..
وعام عبد الهادي من مكانه قائلا انه راجع الي داره لييام حتى يقوم
فل اصغر قدس الساقية ، مدورة المياه تبدأ من أحد



في العصر كانت الشمس مازالت محمية وراء الأفق
الترقي وسبائك نملأ انعام بالور .
وارفع صوب أشع يسدي من عنى مئده لمسحة ،
مهده حزيبا متشبا .

وفي الحقول .. كانت الأعواد الصغيرة الخضراء تمايل منفسه
بهبات الندى والأسماء الرطبة تسرى حفيفه لييه معمه يعطر أنحوف .
كن الغضاء ساكنة نديا ، والسما والهر والأشجار وكل شيء يبدو
كأنها هو جديد تراء اعين لأول مرة .

وقيل ان ترسل الشمس أول شعاع في اليوم اوليد كان عند الهادي
يعوس بدميه العذبتين في ماء أفعده الصغيرة أنى تحذر من تحب
الحسر ، وينهى بعاثه على قاع القضاة ، ثم يبيع طيها بيديه بيمهده
الطريق للماء خلال حفل الأذرة .

كانت بقرته تدور في الساقية والى جوارها غلام صغير يدعئ
صفيه .

وعبر بعيد منه كان فلاح آخر يهوى بدسه على الأرض بيمسح
لرما للماء ، وكان دياب يقطع بيديه مروي بحفه .

وهنا وهناك في حوض الحسر تئاتر الغلاهور ، انصاف عراه .
الغمام مسحه على الماء ، والألادي تدفع به في حصاص أنى انجسول
العطشيه .

اما غرابى ابدى كان يحرس حتى انطبخ الوجيد في حوض الحسر
فعد بدا بياض ندى ان سهر ألبين كله يخرس ..

ووجد هيد الهادي مياه يجرى ملكنا في نصة .. ولاحظ انه نفس
لا يكاد يكفى حاجة حقله ، ورفع رأسه وحسده مبرال مسحبا .

فوجد الساقية تدور على الحسر بلا توقف ..

ونصب طوله ، وفتح صدره ، ووضع يديه نطس في حصرة ونظر
الى السماء ..

ثم يمد في السماء ظلال من الليل بعد ، وقد اطمئت اعصابه
من على الأشجار ترقق وتتصاح ، والظهور البيضاء الرشيعة ذات

المدير أطويه تطلق الآن في مواكب ، وتحتضن من الأرض فتعنت في
في الماء ، وتسر وتلتقط أشياء ثم تطير وتعود في أمن .

ومضى عبد الهادي أنى الساقية ليتبين السر في قبه الماء ..
ومر في طريقه فلاح يجاوره فعال عبد الهادي .

— شد حيلت ذا الشمس طلعت ودلوقى الدنيا تولع .
فعال الرجل :

— اللعية شحيحة قوى البوية دى ياجدع ..

فعال عبد الهادي وهو يمشي :

— ما أنا رايح أشوف الحس ايه ..

واظن عند انهادي الى انجر وهو بهمهم لنفسه :

فاسى انعام فوق جبل عالي ينادي

يعول يامين معارف حنايه ، قلت آدوني

وكان صوته قد ارتفع منه دور ان يدرى ، ورتت معماره في صمت
الحقول .. فعال له رجل من بعيد :

— أيوه يا عبد الهادي أيوه ! سلامت من الفراق يا حويه ا .

واستمر عند الهادي في سيره حتى بلغ الحسر ، والشخص تفض
حيات ابدى انفضيه من اوراق الشجر والهر يجرى هادئا بلا صوت
ومركب صمير تجرى على صفحته التي تعكس كل ألوان السماء وشباك
الصيداين من بلاد بعيدة تفرع حوايت البحر من على شاطئيه .

وكان صباب الصباح قد بدا يلوب في حرارة النهار الجديد .
وفي أنصت أحدث أصوات مختلفة بشريرتها الشط ، فيحتلج
ملايين ابدى ترسله السواقي خلال دوراتها الرقيب .

وهكذا وقف عند الهادي أمام الساقية ، رأى على البسد رجلا
يجلس على حافة الناء التي تحتل من الترة ، وقد غاص حتى ركبته
في الماء ، وأنسى على الطصور ، وأحد يميل الى امام ووراءه وهو يمسك
يد الطصور العديدة وصوته يرتفع نفاذ حزين :

هديه .. يا هادي !..

وادرك عند انهادي ان الماء جرى في الترة ، مادام الطصور يدور ،
مهر رأسه بارتياح فائلا :

— هال !..

ومال الى الساقية .

وتقص عند الهادي الساقية حيدا ..

نظر في أثر وفي العواديس التي تهوى الى اثر عارعة وترجع
مشدودة الى مصها ممثلة الماء الدمس : قادوسا بعد قادوس .

ونظر الى النهر .. ومشي قليلا الى الجسر لينال الماء التي تسفل
الماء المكسب من قواديس الساقية ، فوجد الماء يصب بقوة من الساقية
الى القناة الضيقة ، لم يتدفق تحته حصى في موجة مدفعة .

وتبع القناة في سيرها تحت بطن الجسر في محاذاة حفنات جيرانه
حتى تصل الى حقله فوجد موجتها العوية مازالت تدفع .. وفجأة ..
يعلو الماء في حربه ويهبط .. ويتشع لم يتسنى قليلا قليلا يسكن الى
حقله وحمل الحار الذي يليه .

ونحس القناة حيدا بوجودها مقطوعة في أكثر من موضع والماء يتسرب
مها ليتجمع في خيوط تسيل الى بعيد .. الى الحقل الذي تهوى
عليه قاس دياب .

وتضائق عبد الهادي لأن دياب يصعب معه هكذا . أنه يسرق منه
الماء ليجرد انه يملك حقل يمر به ماء الساقية قل ان يمر بحقل عبد
الهادي .

أريد دياب ان يصنع معه كما فعل الباشا مع القرية ؟
والنهر الصغير والترعة بمران بأرض الباشا ايضا قل ان يمر
بالقرية . ومن أجل هذا أنح نفسه ان يأخذ نصف الماء الذي يحق للقرية
ان تأخذها .

ولكن هذا الباشا .. بائس !
الباشا .. بائس ! ووراءه وحوله في عاصمة الإقليم رجال يحكمون
بالسجن ، ويضربون الناس في حصى المراكز ليشربوا بون الحيل ..
ولو فكر أحد في ضرب هذا الباشا لضربه وأهل بلده ولم يتركهم
حي سبوا جميعا من العرب ؟
ولكن دياب هذا ؟
لماذا يسرق الماء بلا أدب .. كالناسا ؟
لأنه من ماله من الري وطرده الى القرية أدبا له ؟

ووصل عبد الهادي الى الحقل الذي يملكه دياب تحت حوص أنجسر
.. فسأله عبد الهادي بصوت ينادي يسرق منه الماء على الريق ؟
لماذا يعكر له دمه على الصباح ؟
لماذا يروي هذا الحقل أن يوم .. ولم يحدث من قبل أن يروي
حقله هذا الا في آخر دورة الري ؟

ولماذا لا يروي الأرض البعيدة في حوصي اشترعة كما تعود حتى اذا
انتهى عبد الهادي من ري أرضه في حوصي الحصر أمكن لدياب ان يدير
الساقية بحافوسته هو ويأخذ من الماء كما يشاء ؟
وربع دياب رأسه ، ويدها على فأسه وقال لعطلة .

— يا فتاح يا عيسى .. أريد مني يا عبد الهادي ..

ويحس عيسى عيسى .. يضرب به الأرض وقدمه في الماء .
وصاح عبد الهادي في دياب ان يذهب بنفسه ليسد الفم أنش
مطعما وسرق منها الماء ثم يعود الى القرية ويترك الحقل يحلهم .
ولكن دياب رمى عيسيه ووقع يوح يسديه ويرقى في وجه
عبد الهادي ..

وعاد دياب يتحدث مع عبد الهادي كما تحدث مع أشيخ يوسف
عن العيرة والباد التي تاكل قلوب الناس في القرية غبطة ومن أحبه
محمد أملي ..

واصبرت من بين شعبي عبد الهادي شتائم عديدة لدياب ولاحيه
محمد أملي .

ثم أسرع عبد الهادي بنفسه الى الجسر وامسك بيده قطعة من بطيخ
وسد الفم الذي يسيل منه الماء الى حقل دياب .
وبعد هذا عاد الى حقله مطمئنا وأنهى على الأرض يدير نفسه
ويديه في الماء .

وانقضت حيوط الماء التي كانت تسيل الى حقل دياب وإلى جدره
الذي كان يدفع حاري الصدر والقديمين حتى الفحل .
وأحس الرجل به جدار دياب — بالماء يشع بين يديه .. فلوى رأسه
الى دياب وأخذ يروم .

— أم .. ذا أياه يا حويا ده ؟ أياه الامترا بشاع عبد الهادي ده ؟ هو ده
أياه أصله ؟ هو عبد الهادي حيمص ربي الحكومة ؟ عيسى حيمصري لري
الحكومة ؟ ذا ناقص يكسر السواقي ؟ ذا أياه التسلل ده ؟ يعوش عينا
الليه ؟

وانتصب دياب وشد جسمه ، ووضع العاس على كتفه واقسم
بصوت مرتفع ان يقطع ماء الفم بالعاس وعلى من لا يمجسه هذا العمل
ان يشرب من البحر أو من البرك !
وجرى دياب لا تفكر الى الحصر ، وبلا كلمة هوى دياب بعاسه
على حافة القناة قطع منها حردا كبيرا طوح بطيحه الى بعيد ، فتدلق
الماء كله الى حقل دياب وجنزه .

ووقف دياب يرقق قسلا ان يتحرك من مكانه وفي صوته معانه
سرع

— صبح يا عبد الهادي لما أقول لك !! أنت فاكرا أياه عيسى ؟ أنا ليه
في الساقية يوم وحاري مسعود أبو قاسم يوم !! أخذ منه على كعبي ؟
آه ! آه ! يا قولاك أياه ! اعرف كده عيسى ! ولا علشان ما اسمها ساقيتة
ساقيت قال ! احنا لدا فيها يوم .. ومحمد أبو سويلم له يوم ، ومسعود

أبو قاسم وأصحابه الشرقية يومين . وأبى قاسم عشرة أيام ! أما جاهد
يوسا في السباقية الشهادة .. يابلا حتى يهبط وأهى مرات مسعود
أبو قاسم حايه أهى ومهاد أسهية !

هكذا كان الملاحون قد ورعوا ماء سائيه عند الهادى .

وهكذا كانوا يورعون ماء السوامى الطيبة على البحر . كل به من
لايام على قدر ما ساهم في تكليف مياه الساقية التى صنعها جاهد
مشهور في أسر الناس من أسر .

ولكن هذا كله حدث عندما كتب أيام الرى عشرة .

ولم يتوقع أحد أن تقل أيام الرى أبدا من عشرة .

أما الآن فممن نكر أحد من القرية في تقسيم أيام الساقية من حدود
على أيام الرى الخمسة أتى لم تسمح الحكومة بمفره .

يوم يكذب دياب يتسرع من زعيمة على البحر ، حتى كان أمراء
مسعود أبو قاسم مقبلة تسحب جاموسته ..

وكانت تشتت وراءها أحياء لتشتت أو ترد على شينائم ملاحين
آخرين من أساقية الشرقية سحوا جاموسة وعرة وجادوا إلى البحر
ليأخذوا يومين كملين في أول الدور ..

ورأهم دياب مملين ، فمادى عليهم كالمستعيث يبروا شعل عند
الهادى الذى يريد أن يحد وحده ماء الساقية .

وبذات أصوات الاحتجاج ترتفع ..

وصعد عبد الهادى إلى البحر ومادال دياب يرقع ، وعند الهادى
يتسهم متناظرا ومصعب على نفسه ويكتم غيظه .

وبلغ عبد الهادى مكان دياب ، فخطب أن يصلى به على أسى ، ويصغر
أشهر ، ويرجع إلى القرية .. أو يروح إلى حوض الترعة يبرو أرضه
هناك كما تعود بدلا من وقوفه هنا يسرق الماء ويجلب الكد ويصكر
دم الناس !

وأحتج دياب على عبد الهادى قائلا أنه لا يسرق الماء ولا غيره ولكن
عبد الهادى هو المتفرد .. دائما !

وتدخل في المناقشة رجال الساقية الشرقية . وسأوها . بعد
سحبوا الجاموسة وأبهره ليدبروا الساقية اليوم .. وهم أهل ناحية
يحالها من القرية .. ويجب أن يأخذوا نصيبهم من أيام أساقية في أول
أيام الرى ..

وحاول عبد الهادى أن يعز عزمهم ، فعند كان لهم يومين مسعدا
كانت لهم ترى عشرة . أما الآن فلو أنهم تمسكوا بزمس من سحوا
بعية أشركه في الساقية ماكنفى لرى الأرض أعطفانة !

وبدأ مناقشته أخرى بين أهل الناحية الشرقية وبعضهم من
أندى يربو أرضه أولا بعد أن قبت الحكومة الحال وحملت أيام الرى
خمسة ؟

وعاد عبد الهادى يقول أن الساقية الشرقية كان لها يومين من عشرة
وأيام الرى الآن خمسة لها يوم واحد .

واحتضت أصوات الرجال والسعد فى رفض له يقول عبد الهادى .
وارتفع رعبى دياب في مناقشة ثانية مع عبد الهادى .. وكان
دياب كلب زعق دور مسوته ، وجهد نفسه بفتحهم

الكلمات بلا خوف ويرمى بها ، وقته تتواني ذقائه وأحاساس جسديه
بالشجاعة يسيطر عليه .

وارفعت الشمس قليلا والمناقشة تهمي بين أهل الناحية الشرقية
وبعضهم ، وبينهم وبين عبد الهادى ، وبين عبد الهادى ودياب .

وأحسن كل واحد من الواقفين كما الآخر يريد أن يسبه أسياء
نصيب !

ولذلك عبد الهادى عدة أن ساقية تدور وتصب الماء في حصه
ولا أحد يحكم توزيع الماء على الأرض .

وحشى أن يفيض الماء فيغرق الحقل يصرخ في الدس أن يتركوه
لرى ما حصل للماء .

ولكن امرأة قالت له في صوت حاد ساخر أن الساقية لا تدور من
وقت ما جدوا هم !

والثقت عبد الهادى إلى الساقية فوجدوها معطلة ، وبقرته تدال
راسها في الجميزة ، بينما وفقت امرأة وصبي وعلة رجال يتناقشون
في مدار الساقية وبينهم جاموسة على رأسها نعام !

وأطلق عبد الهادى صيحة غضب واستنكار .. فنفقه دياب يشمها
وقال ساخرا !

— عامل ذكر ونصح قوى ! أهى مرة وقعت لك الساقية !
ودون أن يشعر عبد الهادى ، هوى بكفه على وجه دياب ، ورب
الصفعة ، حامية تطلق الشر !

وارتحف دياب وترج .. وأهتزل العاس في يده لحظة ثم هوى بها
مخافة على رأس عبد الهادى .

وتلقى عبد الهادى بيد ثابتة عصا العاس الهوطة عليه قبل أن يداق
رأسه بخدحا الصلب اللامع .

وفي سرعة خاطفة معاقبة ارتفعت المصى ، وصرخت النساء

وآخرى عبد الهادي الى انفيه فانسرع منها العمود الخشبي
احتفظ الذي تربط اليه الهائم في مدار الساقية ..

وعند عبد الهادي يحمل العمود المربع الثميل بيديه . ويحفظ به
الرغوس دون ان يرى ما امامه ودون ان يدري ماذا يفعل .
وفي تلك اللحظات لم يكن احد يدري ما يفعل !

كاتب طققات هائلة من انصبي سمح من كل نصي ؛ وتعرب كل من
يتعرض بحرمي الأرض من الماء .

وناسم ابدافع من حياة الأرض - من الحياة نفسها - معنى كل ملاح
يضرب ويضرب بلا توقف كل من يريد ان يداش حق الأرض في الماء !

كان الرجال يضربون بعضهم بلا حساب وبلا مراعاة .. كأنهم لم يعرفوا
معضم انما ، ولم يحسوا بمعظم من قبل .

وكذا قد اصبح من المستحيل ان يتحدوا الى معضم مرة اخرى .
كان من الممكن ان يصنع كل واحد بحسد اخيه أي شيء ؛ ان يقتل

به الى اعمق الماء .. ان يقطع منه .. وحتى ان يأكله !
والنساء ايضا كن يعمل نفس الأشياء ، ويحدمن بنفس العسوة

في الحركة !
وشجعت النساء رغوس بعض الرجال بالحجارة وسبل ادم ..

واحتفظ على الأجساد ، وسبل في مرق كل واحد دم من مرق
اخي !

وسقط رجل لا امرأة ، ثم سقط ذياب ورجل آخر ، وامراتان ،
ثم رجل ثالث ، وراعي ، وخامس ..

وانصبي مازالت تدور ، والنساء يصرخن ، ويقذفن في الفضاء بكل
صوت ينس رهيبة ،

ولاح على انصر اطفال ورجال ونساء آخرون اقبلوا في انصراح .
وظلت النساء تدل من بعيد يرددن انصراخ دون ان يعرفن السبب !

ولاح بين الغامدين شيخ اسد يهرول مقامته النحية ويتعش في جنباته
انطويل .

واستبطل عموالي من حقل الطبخ في صراح النساء وزهيق الرجال
فامل بحري مروعا ..

ووقف علواني بالقرب من الرجال ، وحاول ان يقسمهم ان يكونوا ايديهم
من معضم ، فلم يجعل به احد ! ودخل وسط الرجال ليمنع الحركة

ولكن بلا جدوى .. فاحتفظ عصا .. واخذ يضرب على المعص ، ثم يشب ،

وبعد شهرها عضاه على رأس عبد الهادي ليحميها من يداون ..
في الحلف .

وعندم وحسن شيخ البد لم يستطع ان يقترب من المعص والمؤوس
التي تشبك فوق الأجساد .

فحدد يماذي على الرخا من بعيد ، ويتشمهم ويهددهم .. ولكن
انصبي ظلت تحط ، وصوت النساء يطبق هادا حريه مسند ..

ولم يستطع شيخ البد ان يمس احد من الحركة غير علواني فامره
ان يجري يتحصر انصره .

وآخرى عموالي الى القرية من بين انصوب ليختصر الطريق .
ووصل الشيخ النساوي يلهث من التعب واخذ يمسح عرقه بيده

وكرسه يمس وهو يمس كمر رجال وامترأهم ولحور النساء ! وامت
عضاه العسوة العظيمة التي تعود ان يضرب بها .. وتقدم أي المتعاريض

يخربهم على الاكاث لم سعد وعبيده على المعص الطويلة المشاككة ..
لم يعود في جدر صبر الاكاث ، فسرعه وهو يسل برأسه بعيدا من

مواقع المعص ، ومارال يصيح في الجميع بهم يرتكب الحرام . فدم
المسم حرام على المسم ، ولكن انصبي طبت تهوي والنساء يصرخن .

واخيرا اقبل الشيخ يوسف وكنت الأيدي قد تمت وب برج الرجا
تتدعظ .. ودخل الشيخ يوسف معصه الحبرار اربعة بين الرجال

وهو لمن البلد وأهل البلد ويهدد بان يرحي من هذه البلد ويترك اهله
ياكلون بمصم كالخوخوش .

وهذات الاصموات بعض الشيء ومازالت انصبي والمؤوس تهوي
وتتخط ومزال الرجال يتساقطون في الأرض .

وتطلق اصوات استعانة من ناحية اساقية .
اصوات مروعة رهبة ، كانها في اعجاز رأس ..

كانت مدوية هريصة وكنت هادة الامة حاطمة كالانهار !
والثقت الشيخ يوسف وهو لمن هذه انصرخات اني تعرب الجن

عنه وتقدم الى الساقية فيلما ثم صاح هو نفسه :
- دى الداهية السوداء يا رجاله .. الحوا الحاموسة .. الحاموسة

وقمت في مير السمة " .
ونصه تراجع الأيدي انصبي المشاككة على الحسر . وسقط

المؤوس واشمارع على الأرض واتجه الرجال والنساء كلهم الى بشر
الساكية ، وهم يلهثون .

واحتفظ انصاح بالاسعانة وحذو شيخ البد ان سدم اي حده

الجسر حبيب وقعب الحاموسة ويرعى . ولكن الصرعات غمر فحججه
وربر الشيخ الشبوى بعلمته المديدة المتكررة وهو يصيح :

— حاسب يا واد ! حاسبك ملك له .. أوعدا تقربوها لأحسن
معرفة .. أقروا العانة أن رب يسع الحاموسة .. العانة لها
يا أولاد .

— وحاول الشيخ الشبوى أن يروي حكمة لشجعه فاستطرد قائلا
دا مرة برة سيد موسى ..

ولم يكمل فقد اندفع مسعود أبو قاسم نحو الشيخ عبيدا ،
وشك أن يوقعه في الشتر ، وصيح :

— يا قعور بني يا سيد . يا شيخ نور . عاتنه انه وقعه سلب
موسى انه .. اهرأ يا حنمان .. ارلوا ، رجانة .. جوشأ يا أولاد ..
يا خراب بيتك يا مسعود يا أبو قاسم .. يا حش وسطى يانه .. يا قبياع
شق الصر كله .. يا كسرى يانه ..

واحد بطم خذيه في جزع هائل .. وتحدثت دموعه وأختلطت بعرقه
المصيب ، وصوته المتدهج يرسل أنبا عاجزا ..

وقعد مسعود أبو قاسم على الأرض لا يقوى على الحركة وأخذ يضرب
أسواب يديه في حيرة محزنة ، ولم يستطع أن يقف كأنه أكثر حقا ..

عبر أن عبد الهادي قرر إلى البئر لاهنا وأسند رجليه إلى الفواويس
ووضع يده تحت عطن الحاموسة وهو يسند قدميه إلى نور في البئر ..

ورحب الرجال الذين كانوا يرددون على الجسر صراخهم مسند
لحظاتهم .. ووقف بعضهم أمام البئر .. وحاول دياب أن يبرل إلى البئر
فعرق فيه عبد الهادي بصفان كبير :

— حيك أنت يا دياب .. أت ذك لك سايح .

وهب من ناحية عبد الهادي رجل ثالث .. وأوشك أن يسقط في
البئر ، وأسبده عبد الهادي ورجاه أن يصعد هو ويستريح بعيدا ..
كان عبد الهادي منذ لحظات يضرب هذا الرجل .. وكان من الممكن أن
يعدده في هذا الشتر بعينه .. كان على الأذن مستعدا لهذا .. وكان
الرجل هو الآخر مستعدا لأن يصعد بعيد الهادي أكثر من هذا . ولكمهم
الآن أمام صياح حاموسة مسعود أبو قاسم يحسون حاجة أنه عندما أنزل
الكارثة رجل أو امرأة فكأنما نزلت بهم جميعا .. ونحب عليهم جميعا
أن يدفعوا الكارثة متساندين ! وكل واحد منهم يطلب الآخرين بأن
يصعدوا معه ويساعدوه حتى يبع له شيء كهذا الذي يبع لمسعود ! .

وهبط إلى البئر رجال آخرون وودعوا كلهم يسعدون وأرجلهم إلى
الفواويس أو إلى نور في الشتر ، وكانوا كلهم يسعدون بعضهم حتى يبرق
الأرجل .. وكانوا كلهم يشعرون بمصهم وأيديهم جميعا تنب على
الحاموسة يعاونون دفعها بكل ما يمكن في اجتذابهم من قوة لدفع
الكارثة . كانوا كلهم يعاونون في وقت واحد لحظاتهم من نفس
أنياس الجحف . وتميح بهم معا ومضات بهيجه من نفس الأمل . كانوا
سحبون ويعرقون وتعدج صيولهم وتنبع أنفاسهم داخل أنشتر ، وحاجرو
الشتر على مدار استوائية يتدافع الرجال والنساء . وشيح البلد يرفع
ناوهم لا يصفي أنها أحد .. والشيخ الشبوى يستبعد بقوة الله ..
أب مسعود أبو قاسم فكانت عيابه على عبد الهادي وبداه تصرف الأرض
ونظم . وهو قاعد يدبر رأسه إلى الرجال في داخل البئر وبني أمراته
التي جنت أمامه صفراء كدوت ، بلا حيلة ولا قوة على شيء حتى الحرع
والصراخ .. ورأى مسعود أبو قاسم حاموسته ترتفع قبلا من مكانه
في الشتر ولكنها هادت فسقطت والرجل مازالوا يتصايحون ويتساندون
من داخل البئر والأيدي كلها تحت عطن الحاموسة تعاون أن ترتفع بلا
تعب في الفضل ، وعاد مسعود يصيح وهو ينظر بين أمراته وعبد الهادي
والسماء :

— ضامت الحاموسة ! انقسم وسطى ! ضيعتها يا مرة ! يا ريت
أنت التي وقعتي في البئر ، أعوص الحاموسة أراي يا أهواي آ أحمد
ب عبد الهادي ! احمدوا يا رجاله ..

ورفق الشيخ الشبوى :

— احمد أنت يا واد وقل يا رب .. احمد الله يصفك .. قل يا رب .

وارجال يسعدون في داخل أنشتر وفي كل لحظة يصعد رجل يليهم
بهمط رجل جديد .

وعاد امرأة مسعود يطن على الحاموسة وروحها من حلمه لوشت
أن تطلع .

وأخيرا دفعت الحاموسة على أيدي الرجال .. ودرع عن عيبتها
العناء ، عدت رجليها إلى المذار وسحبها الواقفون .. ومدت رجليها
الطليبي وحركت ثم مشت عن مدار الساعه والواقفون يسحبون
ونحسبون .

وردت الروح على امرأة مسعود ومرتدت .

ووقف مسعود فحاة .. وانفس كأنه صاب في عروقه دماء حياء
جديدة فية بكل الدماء والأمل .

وارتفع زغاريد النساء .. فصرح شيخ البلد ليستك أساءه .

وارتمى مسمود على جاموسته فتجسسها ووجهه يفيض بدمع لم
انفتحت الى عبد الهادي فخلده بين ذراعيه وعاقبه طويلا ، ثم التفت الى
سيدنا سعد يده واعتذر .

وكان عبد الهادي يلهث .. عثى في سميت حتى فقد تحت الجميزة
على أنحسر ، ومصبح عرقه بيديه . ودعك وجهه .. واخذ يهرز رأسه
في حزن ..

وارتفع صوت شيخ البلد يأمر النساء ان ينتهين من الزغاريد والكلام
الفاغ ، فهو رجل جد لا يفعله الحال المائل .. ولوح بصمائه لم هزها
ومضى الى الحضر .

ولم تستك النساء ..

وقف شيخ البلد على الجسر واستند الى عصاه وبده في وسطه
وسيطرت عليه فكرة انه الآن كأحد حكام المركز .. واخذ يقول - يهدوه ،
وفي يده - وهو يحاول ان يكون بليغا كرجال البندر :

- رجع لرحوضا بقى .. بقى يعنى مايش لا حيا ولا كسوف ..
بقى يعنى يابلد .. ماكينش لا كاسر ولا كسار ؟! يعنى تضربوا بعضي قدامي
كده عيسى عيس !! دانا نائب الحكومة .. اتوا مش هارفين ان شيخ
البلد ده يعنى بيحب الحكومة ؟ يعنى الحكومة !! معى .. يعنى كانبكوا
صربوا بعضي قدام الحكومة .

وكالما سرت على الوجوه نسمة طيبة .

فمرت ابتسامة ساحرة بكل الشذبه .. نفس الابتسامة ونفس
السحيرية .

واحسن الرجال الذين وقفوا على الجسر وتحت الجميزة والذين
قعدوا من أهياهم .. أحسوا جميعا ان شيئا عجيب يعلمهم الآن أكثر
قربا لبعض .. شيئا آخر غير اختلاط عرقهم ودمائهم وهم يرفعون
الحاموسة .

كانت سحريتهم الصامتة المشتركة من شيخ البلد قد أضادت فجاء
حاجبا آخر من كل نفس ، واكتشف كل واحد منهم ان أخاه قريب اليه
أكثر مما ظن .

لقد اكتشفوا هذه الحقيقة دون ان يعرفوا شيئا وهم يرفعون الحاموسة
وايديها لهم محاولة شح البلد ان يحكم ويحكم .

وتذكر أحد الناعدين ما كان يقوله شيخ البلد وهم يحدلون راس
الحاموسة همس سحرية مقلدا شيخ البلد :

- تعال هنا .. انزل انت في البئر من الناحية دى وانت من الناحية
دى ! ايوه كده ! ! شيل بقى !
واستطرد رجل آخر :

- واهو حصرة شيخ البلد لا فاهم حاجة ولا محتاجة .. ولو حد
سمع كلامه ماكانش الجاموسة خالعة في سنتها .. وبو كان هو هوب
بى ناحية البئر كان انسلط رى الجاموسة .

وتعالت ضحكة ، قطعها رقيق شيخ البلد .. غير ان صوت الشيخ
يوسف غمر زعيمته ورثت كلماته في دوى حاد وهو يقول :

- نتدحكوا كمان ؟ نتدحكوا على ايه ؟ على حيتكو ؟! يا بلد ..
تبقى دى عمله كمعمل .. حتمولوا بعضي عشاش الميه .. طلب أمال
تطروا على الحكومة .

واحتج شيخ البلد قائلا :

- انت بتورهم على الحكومة ؟ يعنى كانك بقى بتورهم عيبه أنا

ولم يفعل الشيخ يوسف بعراض شيخ البلد .. واستمر يصيح
بصعب صادق :

- انحروا ، انحروا أنت وهو اغسلوا دمكم الى سيحتوه هالفاص ..
وكان بعض الرجال يتنزهون هيب وهشاك في طريقهم الى القنطرة
مسلون الدم من على وجوههم والرؤوس .. وجر ذباب نفسه قائلا :

- كده يا عبد الهادي .. كده .. هليشان ما أنا وحداني ؟! يعنى
تستعدي بي بعد محمد اندى ما سافر ا ماكانش الأعظم يا عبد الهادي!
كانت كلمات ذباب جريئة مضربة .. وكانت نفحات صوته ملهنة ..
وشعر عبد الهادي بطسوفان حزن هائض يرتفع من أفواه بعضه ،
ويزحف .. حتى ليملأ حلقه بالمرارة والدم والدموع .
ولمهد ، ثم هوت رأسه بين يديه في بكاء كالعويل .

وذهل الجميع ، وأسرع ذباب فقد أنى جانب عبد الهادي وحاول
ان يستكنه . واحد يقبل رأسه ، ولكن الشيخ الثناوي صاح فيه
صوت بارد :

- تعبط على ايه بقى .. ابالك يعيطوا عيك من بندقى ؟ يعنى تقبل
القنيل وتمشي في جنازه ، قال يضرب البلد بزيها وتبعد يعيط صبيها .

جاءت العم وأب عامينك ماحرشي . يكوئش راكمه مغريب .. ذا اموى
من مغربون .

وصحك بعض الرجال ، والشيخ الشناوى .

وشعر عبد الهادى كأل ربيعا قطعة تهب على قلبه . فانشم .

ورأى شيخ البلد أنه يجب أن يقول شيئا وكان ما يزال
متكئا على عصاه بيده ويده الأخرى في وسطه .
وتصبح شيخ البلد قليلا ثم طلب من الرجال الذين جرحوا أن
يجثوا جروحهم بالتراب ، فانترب شعاه .
واعترض الشيخ يوسف محتج :

— تراب ؟ يا جدد خبيهم بخطو بس ... وفيها إيه يعنى لما كل واحد
يشترى بكورس ولا سبعة ويند الجرح بشوية البن .. ألا التراب ..
نراب قال ؟ حرى انه دشيخ البلد .. حمر ايه يا بلد ..

وضحك بعض الرجال واقترح احدهم ساخرا :

— دهنى .. طب مبروح للمستشفى فى المركز ..

فقال آخر وهو يضحك :

— لا ولا لندكتور ..

فرد ثالث وهو يكتف فحكة :

— ولا نعييب الدكتور هنا ..

فوقف رابع يقول وهو يثد الجمل : حمة ورا جملة هي رنة

شبكة ساخرة :

— يمكن حسان الناشب ؟ ! ولا يمكن ولاد البنسدر ؟ ! ولا يمكن

بواحش مهر ؟ !

وافجعت الضحكات ..

وقطع الشيخ يوسف اسباب الضحكات بقوله وهو مقطب ، أن من
يريد أن يحف جرحه سريعا ، فمضه أن يشترى السن ليضعه فى الجرح .
وبعد قليل استنرد الشيخ يوسف قائلا فى ثأيب أن عليهم الآن أن
يتفقوا على توزيع المساء فى الأيام الخمسة ..

واقترح هو طريقة ، ولكنه قل أن يكمل شرحها عدل عنها ، وعاد
بمترح خلا آخر ، ولكنه لم يكمله ..

وفجأة تذكر اقتراح عبد الهادى أن يقطعوا الجسر .

وهو عبد الهادى رأسه مؤبدا أن يقطعوا الجسر ، وبرووا الأرض
كلها بالراحة ولا حاجة الى السوائى وتوزيع الماء ووجع الدماغ ..

وقال دياب بصوت مسوح :

— دى احسها حاجة ، على رأى عبد الهادى يدل ماحرل من بعض .
واعترض الشيخ الشناوى على قطع الجسر ..

فقال عبد الهادى للشيخ الشناوى معاكسا أنه لايعهم فى هذا
الموضوع ، فهو ليس بموضوع جة ودر وهو على كل حال لا يردع ولا
طلع ولا شأن له بالأرض .

وسخط أنشيخ الشناوى على عبد الهادى وأحد يرميه بطول الفسان
وقلة الأمانة ، وأكد لشيخ أن قطع الجسر آخرته سوداء ، وعلى كل
سيانى الحراء ويسمون أملاحين من قطعه .

فقال عبد الهادى باستعفاف :

— الفعرا ؟ وطب وابه يعنى ؟ مايعموا ؟ يتعصوا ياسيدينا يشيروا
قوسوة .

وتدخل أنشيخ يوسف عدل متحمسا :

— اسمع ياسيدينا .. اسمعوا ياوواد .. مادام قطع الجسر مش
حرام يبقى خلاص نبقى يا شيخ شنوى مابكش كلام صلب .. ماحدش
له كلام عيبدا .. وماحدش له دعوة بلعمرا ؟ غفرة إيه يا أخوي ؟ ! هم
انفغرا عارفين برووا .. هو حد مسهم عارف يروى أرضه ، ولا حتى
لاقى باكل .. ماهي الحكاية من بعضها .. والا إيه ياشيخ البلد ؟
ثم اكمل مبيضا :

— ماتمى سيدنا شيخ البلد وانت وافق مكرن على العصا كده
وايدك فى وسطك ولا مدير المديرية .

واقتتل شيخ البلد ، وأصعبه بفكرة قطع الجسر يجر ضيقه من
لهجة أنشيخ يوسف .. ولتم وهو يتسحب :

— اسمعوا الى لعموه فى بعيد على .. اسمعوا هي واقطعوا الجسر
رى ماصحكم انش الله يعلوا البحر كله بالعيطان .. انا الى عليه ..
أى أحوش الفخر عكم ؟ !

وصاح الشيخ يوسف فى النساء اللواتى يقفن عند أساقية أن يعلن
مايهما .

ومضى شيخ البلد هائدا الى القرية ومن ورائه النساء وانهاشم يبعما
كنت الفؤوس تعرب أرض الحسر فى قوة وتلباط .. ولشقى قباء كثيرة
فى عرض الحسر بين البحر والجوول .. وتدفق المساء فى القضاة الكثيره
الحديثة الى الماء الطويلة فى بطن الحسر مارا بكل الحفول ، وهمل
أنفلاحوهم وهم يرون المساء يتدفق فى موجات صغيرة سريعة متعده
ناظمي .

وانصرف الشيخ الشاوي مع الشيخ يوسف وبنيته النساء والأولاد
والهائم .

وبعد قليل كان كل ملاح يروي حقله بالراحة .
وقال عبد الهادي وهو يترك حقله بعد أن رواء :

— خليم يكسروا السواني على كيمهم نبي .. أميه اليه راجبة
وأبرك من عشر سواني .
وأخاه مسعود أبو فاسم :

— بس هو دا حايديم .. احنا حقمده بعد روي اميه يوم بيوم ..
وانصهر عبد الهادي على النجر .. والي جواره دياب الذي انتهى
هو الآخر من روي أرضه .

وقال عبد الهادي لذياب في حساب كبير :

— اوصي تنسي يا دياب تحط شوية بن على الحرج .

بهر دياب رأسه ، وظل على طول الطريق إلى القرية يقول :

— بس اوصي تكون انت لسه زعلان .. أهى كنت نفسي وراحم ..

ذى المصارين في البطن يتتخايق مع بعضها .. ذاحف عزوة بعض يا عبد
الهادي .. والدم مش فيه يا جلع ..

— ذى البلد كلها من دم واحد برضه . والدم مش فيه على حشد
قولك .

وفي الطريق الضيق بين الحجر والقرية كان محمد أبو سويلم يقل
مضطربا وهو يسأل عبد الهادي من بعيد عن الشيخ يوسف .

كان محمد أبو سويلم يبدو متزعجاً ، وقد بدت عليه شيخوخة مبكرة
وكألة ، وكان من الواضح أنه يظن في أمماته .

وحسب عبد الهادي أن محمد أبو سويلم غاضب من أجل المعركة على
الحجر فيأدره بقوله :

— ما احنا خلاص اتصالنا يا انا محمد .. ما هو احنا خلاص يعني ..
واكمل دياب مستفزاً :

— ما هو الضفر ما يخرش من اللحم يا ابا محمد .

ولكن محمد أبو سويلم قال في انفعال :

— بلا لبص صغار .. بلا قفر بلا كلام قاضي .. اتصالحو
ايه ؟ وكان ذا وقته .. روح باشيخ روح .. روح ياواد يادياق انده
لحمد اتندي من الدار ، أخرى بلاش أمور صغار .

ولجس دياب حراجه لم قفز ، وحري متنها ليلقي اخاه الذي
عاد لساعته من السفر .

واستدار محمد أبو سويلم ، لعود إلى القرية مع عبد الهادي ..
وسك قليلا وهو يحط كما تكف ويغيب يديه في عصب .

ثم وقف مرة واحدة ، وأمسك بذراع عبد الهادي يقوه . ومضى
يقول له في حيرة وخيرة أن العريضة التي سافر بها محمد اهدي مع
محمود بك لم تكن هي عريضة مد الرى . وإنما كانت عريضة سرماية .
فانصدت صحك على القرية باتفاق مع محمود بك وجميع أختها وأختام
القرى المحورة ، ووضع كل هذه الأختام هي عريضة حاد فيها أن الأهل
الموقعين يحتاجون إلى شق سكة رراعية .. تمر في أرض الذي وقعوا
على العريضة ، ولتزفها ، وتصل بين عاصمة الانبيم وطريق القاهرة
مارة بحدود أرض الباشا ، حيث يكمل بناء قصره الكبير .

وفتح عبد الهادي فمه ، وانسمت فيهاء ولم يعرف ماذا يقول ..
وانطلق محمد أبو سويلم يؤكد لعبد الهادي أن هذا الذي يسمعه
صحيح كله .. وأنه علم لا حسم .

واتمدت بينا عبد الهادي وقال كالذي يفيق من كابوس :

— محمود بيه !!

فقال محمد أبو سويلم صغرا :

— ماقلت لكم ! فشتوا بتي ملهوب انعمدة والبيه والحكومة ؟ ..
للاقيهم متممين بالمملوب ده ، يمشي اسم الرراعية جابه بولنة البلاد مش
محصين من حيابيب عينيه ! هراونا وسكتنا لهم وورعدونا من مشيخة المعز
وسكتناهم .. كسروا لنا السواني وقطعوا اليه وسكتناهم .. ولسه
يا عبد الهادي بانما حاشوف طول ما احنا ساكتين .

وسان عبد الهادي وقد اختبعت لئسرات صوته كانه خارج من حلم
محبب على واقع بشع :

— طيب وابيه العمل يا ابا محمد !!

ووجه محمد أبو سويلم .. وأخى بحيرة مياغنة !

انه هو بعينه لم يكن قد نكر في هذا من قبل ..

ولم يكن يعرف ما العمل !!



أحدث العربة كلها تحدث بأصعاب عن كل ما حدث على
جسر البحر .. كيف قامت المعركة وكيف انتهت ..
وكيف وقعت الحاموسة في البحر .. وأحدثت تحدثت
من بطوة الرجال، الذين رفعوا الحاموسة بأيديهم ..
وبسالة الذين شقوا الجسر ، أم الأطفال الصغار فقد ملأهم الكبرياء ..
وهم يستمدون ذكر ماضيهم عبد الهادي : بعد حرب وحده كل رجال
الساحية الشرقية ، وعندما سقطت في البحر حاموسة من أهل هذه
الساحية رفعها وحده من البحر .

ووقف طفل يصيح فرحا صغيرا جدا من أنتوت ، ويحاول أن
يديره بسرعة وسط زملائه كما كان عبد الهادي يصيح على الجسر ، وكما
تعود أن يصيح وهو يصب الحب في الأفراس .
ومست الفتيات يتهايمن بزوه عن عبد الهادي الذي رفع رأسه
وقطع جسر الحكومة ، وترك الماء يتدفق بالراحة من البحر إلى العمل ،
متحديا سلطان الحكومة ، ورجلها الذين يعيشون في المركز بلطابيش
الشاهقة والبدل الصغراء .

ولمت عينا وصيغة وأشرق محيطها وهي تسمح من هـ ومن هناك
فصة عبد الهادي مع رجال الساحية الشرقية والجسر والحاموسة ، ولكنها
حين سمعت ما حدثت للدياب أزدردت وبثها وأخلطت وقبعتها المليئة
أشياء وهست لسمها في رثاء وغضب :

سـ كده بعدد الهادي ، طيب ودياب ماله ؟ هو دياب ذبه أيه ؟ ..
مى أن عبد الهادي لم يكذب يعود من على البحر ، وبمايل محمد
أبو سليم حتى ذهب معه إلى داره .

كانت الشمس تملأ بوجهها مصطبة محمد أبو سليم مدخل إلى
المدرة ، وتعه عبد الهادي .

وكنت المدرة في بيت محمد أبو سليم لا تفتح إلا لضرورة أو
بصوب الكار ، ومع ذلك بعد دخل الرجل إلى مدرته مسرعا دون
أن يفكر ، سمع نكي في وسعه على أيه حال أن يجلس في الشمس فوق
لعب المصطبة .

وكنت وصيغه ، قد فرغت لساعتها من كسي حصر المدرة ، وسوب
قطع اللاد فوق الدكة الخشبية ، وأعطت البعدة الوحيدة ، وشعر
عبد الهادي بظراوة البحر في المدرة .. متنهذ بالزجاج وهو يسمح وجهه
بيديه .

وإدى محمد أبو سليم ابنه وصيغة وطلب منها قله ماء ، فأضاف
عبد الهادي متطلعا أنه يريد قهوة من يديها .

وخلع محمد أبو سليم مئاسه .. ورفع قدمه ووضعها على الدكة
الخشبية ، ومضى يقول لعبد الهادي أن محمد أعدي من عليه بعد لحظة
معتلا من القاهرة في أول قطار يماردها إلى عاصمة الإقليم .

ولم عبد الهادي حيايل وصيغة ..

كانت تذهب وتعيء وسط أندار بقلة مارهه .. وتلبسكا أمام باب
المدرة لتسمع كل مايقوله أبوها من محمد أفتدى بصوته المرتفع العريض .
وأحس عبد الهادي بضييق غامض فقل متطلعا :

— ما أنا عارف هو مستعمل على رجوع البلد ليه .

وأزداد صوت محمد أبو سليم ارتعاشا وهو يقول لعبد الهادي أن
البلد خربت .. وأنحكمة ستقتل الأرض لتشق أنسكة الزراعية التي
يريدوها الباشا من عاصمة الإقليم إلى طريق أندرة مرة بفصره الذي
سيه في حدود هزته .

ورفع عبد الهادي حاجبه ونصمت خطوط جهته دون أن يقول
شيئا ، شعر برأسه تدور وريقه يصف .

ودخنت وصيغة تحمل القة إلى أيها ، كانت القلة في يديها تلسع
والماء معمم برائحة الزهر .

وأخذ محمد أبو سليم القلة من يد ابنه وكرع منها ، وأماهاها إليها ،
بعد عبد الهادي يده إلى وصيغة وحياها .. وتآول منها القلة وهي ترد
تعيته بانقسام ، وعياهاا لتقيان عليه نظرات ثابتة .

وحطف عبد الهادي نظرة إلى قامتها المديدة المليئة البصة وشعر
بالسكية تعيس على قلبه .

وشرب بطة وعياها تندرجحان إليها في نظرات أصعاب .. ثم رفع
القلة بسرعة كأنما تذكر شيئا وكسائل لماذا لم يحصر محمد أعدي ليعرفوا
مـ البحر .

وأعاد القلة إلى فيه ..

فقال محمد أبو سليم في ضيق :

- مايت له دياب .. روى يا بت يا وصيعة شوي الحر ايه ..
الواد دياب اتلوا ليه كده . . .

وربع عيد الهادي القلة من ممة بعتة .. وسال على خذيه خيط الماء
البراق اندي كان يسكب في كركمة من فوهة الفلحة الي شعتيه . واوشت
ان يشرق بالساء . وسمن قليلا وهو يعطى القلة لوصيعة قائلا :

- استنى .. استنى ..

كان عيد الهادي طول الوقت ينظر الى وصيعة ولسكها لم تحتج ايدا .
طلت ساكنة بقاتها المديدة ووجهها يشرق بالابتسام الهادي في
الحجرة المصقفة ذات الظلال الطرية .

وعاقت الانسامة من وجه وصيعة واستدارت وهي تحمل القصة
وخرجت وهبت الهادي يعيد عليها طلب العموة .
ولم يقل محمد ابو سويلم شيئا .

وبعد قليل سألته عيد الهادي ان كانت الحكومة ستزوع بالقوة ملكية
الأرض في حوض النقرة .

فرد محمد ابو سويلم ان الحكومة تعمل كل شيء بالقوة .. وعلى كل
حال فالقرية تستاهل كل ما يحصل لها .. فهي تعرف ان الصعدة يعمل
لها في كل سنة ملحوبا جديدا ومع ذلك أرسلت اليه الاختام ليضعها على
كلام لم يقرأه أحد .

وحين هادت وصيعة بالقهوة ، صبتها بسرعة وخرجت ، دون ان
يشعر بها أحد .. حتى عيد الهادي نفسه ..

وتناول عيد الهادي فنجان القهوة وأخذ يرشبه منه كالخوذ وهاد
يسأل محمد ابو سويلم عما تستطيع الحكومة ان تصنع بالقرية لو ان
القرية كلها وقعت امام الحكومة بالحق والعزوس .

ولم يجيب محمد ابو سويلم وانما غمره شعور بالدفء والقوة ..
وشامت في نفسه طمأنينة مهمة لا يعرف من اين انعمت ، وانعمت
عيباه ، وهز رأسه ، وهو صامت لا يتكلم .

وتلفت عيد الهادي حوله وسأل في ضيق من سرناش محمد امدي .
واجابه محمد ابو سويلم بشتائم عديدة لذياب الذي لم يرد عليه
لأن ..

على ان محمد امدي كان اذ ذاك في داره ينتظر احاء دياب في قلق
وهو يصمى لآله تروى له كل ما سمعته من ابناء الجسر .
وفي الحق ان دياب قد تأخر مصطرا عن محمد امدي على الرغم من
انه كان يحرق على طول الطريق في لهعة ليستقل اخاه ..



ذلك انه وجد حفرة تعف في مدخل إحدى الدور مع بعض انبياء
بردى لهم ما حدث على الجسر ، وتضمن بلا تخرج اشارات فيجده من يديه
وايعطاه لأصغله الفتيان .

وكانت انبياء يتفحصون على استحياء وهي يحفرون وجوههم في
طهور بعضهم .. وواحدة من تجرى الى ها أو هناك .. ثم تعود مقنطة
والصحت يديها تنسج حفرة ، وتطلب منها أن تكف عن كلامها واشدائها
ونكى حفرة تحجب بشدة أو كلمة أكثر صراحة ، فتصيحك أعتاة وتحمي
وحدها في طهر إحدى الفتيات .

وعندما كان دياب يركض في الطريق الى داره ليستقبل أخاه محمد
امدى من بحفرة والفتيات ، ماذنه حفرة يستهزأ يعاطله الاشفاق .
وثوبت دياب مصعاً وشتم حفرة وتابع سيره ، غير انها قالت له
سحرة بعد ان تشتمه :

— كنت أعال أشطر كده على جسر يا سيد أرجاج ،
وأحس دياب يخرج هائل ، يمد اليها ، وأنفسي عليها يديه ، ثم
دعها يرجله في بطنها ، ووثمت حفرة على الأرض تسوى وأطقت
صرجه :

ودعيت أعتيات من حولها .

ببعض أفاق دياب من خبطه ، وتذكر أخاه محمد امدى ، وداهمت
الحيرة وشعر بدم معجده لانه يتشبط الآن على امرأة ضالعة بلا أهل
ولا قوة ولا عروة ، وهي بعد امرأة اتصق بدنه بجسدها واحتلقت سبها
أخرى أكثر من مرة .

وماز عليها دياب يسأله قلما :

— ماكن يا بنت ؟ ماكن ؟ ..

كان صوته مضطرباً ، يتسج في جفاته الحوب وأنحاس الصادق .
ورفعت حفرة رأسها وقالت بدياب بنسج لهجتها المريرة السحرة
أبني تمطى صوتها حشونة خاصة :

— كده يا دياب ؟ تعمل كده في حفرة الشريعة ؟ ..

واسترد دياب أعفاه ليصيح ، وضحكك أعتيات من حوله
والطماينة تعود الى أعلوب .

وقال دياب منظر وهو يهر رأسه :

— شى الله يا سيد يا مدوى .

ثم همست حفرة لمن حولها وهي تكف اضحك .. أب دياب حاول
أن يحسها .

وحزن الفتاة بعيداً عنها في حقل واضطراب وفات لها واحدة
— عطيمه ! كل حاجة عندك صحت كده .

وصاحت حفرة بأعتيات تشتمهن لأبن تصع الحجب ببسما هي
تعرف فيهن أبنى الرأفة .

وحاولت حفرة أب تعف ، وعياها على دياب . كان الدم من حواجه
قد بدأ يتجمد على رأسه . فطلت حفرة من أعتيات أن يحسن يعيل من
الماء والبن . وأحدث تشم دياب لانه لا يحفى حراج رأسه بالبن ويترك
الجرح للشمس تطعنه .

وضحك وهي تشتمه وتمد يدها لتضربه على كتفه ..

وقامت حفرة ووقعت لتعجن كور الماء .

وأبعت فتاة تحمل كورا من الصفيح فيه ماء وتناولته حفرة
فصت منه على يد دياب ، وأخذ هو يسيل رأسه ويدعك وجهه والدم
التعجن يتساقط ..

وعادت الفتاة بالكور فبلاها وأحدث حفرة تصب على رأس دياب
وهي تقول :

— دعك سايح ليه كده بوله ؟! أمال أبه فائدة أكل اللحم والعيش
الصح ؟! أمال بلى أس ما بيدوقش اللحمة الا من أهيد ليعيد جرحهم
هامل أبه ؟ كل لحمة كثير حبللى الحرح يلم ..

وأخيراً جمعت دياب وجهه بطرف قميمه العويل الزدهم يبقع الطين
وتناولت حفرة بين أصابعها المعيطلة الصلدة بعض البن وحشيت جرح
دياب .

وقدت فتاة من وراء حفرة :

— يا ترى محمد امدى حايقول أبه ؟

والفتيت لها حفرة وهي تملأ الحرج بالبن وقالت ببساطة :

— عيشك من محمد امدى ليه يا ..

وقبل أن تكمل حفرة حرب الدم صاكنه محمره الوجه وهي تدعو
على حفرة مطع اللسان .

ومضى دياب .

ظل يحرق ويده على رأسه فوق البن حتى بلغ داره . فوجد أمه
فرس حفرة طلعة على المصطبة الكبيرة في مدخل الدار وعليها محمد
امدى أبى كان مازال يلى أسدله والجدها والطربوش ببسما قدعد
هى على الأرض قدماه . وبحت فمها أورة تلمظها حبات أندر

و قبل دياب عن اخيه محمد اميدى سرعة ودركك فشده يده وقبلها .
ووقف محمد اميدى بصر الى جراح دياب في أم صاعته ، واصطربت
الانفعالات في صدر دياب ، فطرق اخاه بتراعيه واحتضنه ، وشعر بدن
اخيه بملأ صدره فيصطط عليه وقنه ثم ابعده قليلا وعاد فاحتضنه
بحرارة وصعب وشوق .. ونكى !
وحسن محمد اميدى واحسن الى حوار اخيه .

وفاصب نفس محمد اميدى بالحصى ، وشعر برغبة حارقه في ان
يقبل دائما الى حوار اخيه دياب يحببه من قوى الجفاء .
وقال دياب وهو يحش :
- الهى ما يصفد عنى اندا يا شيخ .. انهى يا راجل يجعل يومى

قبل بوميك .. يا نهار اسود .. ذا الواحد من غيرك في انكده ميساويش
مود خطب .

واحتلج محمد اميدى واهترت امه قائلة :
- الهى يجعل لك العمر الطويل يا اولادى .
وسأل دياب اخاه محمد اميدى لماذا لم يرسل له لينتظره بالجعشة
على محطة المركز .

فاجابه محمد اميدى بانه لم يجد وقت ، وهى اية حال فقد استأجر
حمارا من المركز وحده به من الطريق انضيق على شط الترمه بعيدا من
حضر نهر لآب صاحب الخمار طلب هذا !!

ومضى محمد اميدى - وهو يضحك متعجبا - يروى لأمه ولدياب
حزنة رحل من المركز يتكلم بلغة اهل البندر وبهم كما يفهمون هناك .
ويؤجر حماره في الساعة بترشين ، ولا يعرف طريق يعزى الواقعة على
حضر النهر الا هذا الطريق الضيق الضيق على شط الترمه !!

وصحكت امه - وصحكت دياب طويلا ، وصر بركته بيده وهو يعاطع
اخاه محمد اميدى من حين الى حين ليقول له ،
- سلامات كده ..

وفجأة ، البعتت الام الى دياب وسألته عما حدث على الجسر .
كان في لهجتها محاولة لحصار دياب وتضييق خفي ..

فاجاب دياب في عصبه تدارى حجه ان ما حصل خير .. ولا داعى
لكلام فيما حصل لانه تصاح هو وعد الهادى .

فقال محمد اميدى لدياب انه علم بكل شيء .
واحد يصعد لانه تجرش بعد الهادى .

ومزع من كلامه فانلا ان دياب ساعل ما حدث له لانه غلط داء ،
مع انسان .

ولكن الام اعجرت نفس دياب .. وتذكره بان احدا من القرية لم يحررو
اندا عن سرب امه ، لا اياه كان يعرف كيف يكسب احترام الناس .
ولمعد حاول احد الفلاحين ان يحرش به يوما ورعى عليه كلاما غائطا .
فلم يعصب وانما ذهب الى الممنده وشك له المعتدى بحبسه الممنده يومين
في حجره التليومون .

وتضايق دياب من حديث امه ، وادرك انه لن يحصل منها طول
الهار ، فغرق فيها لتسكت .

وتدخل محمد اميدى قائلا :
- صلو بسا على امى ، بس يا دياب احرس .. ما تزعش في
امك كده يا وله .
وسكت دياب ..

وبهض محمد اميدى الى حجرة التي يتكون منها وحده ابطاني
التي - فجع ملاسبه وارندى جنبانه الافرنس والشيشب والاقعة
المحططة العالية .

وهبط فوجد امه تمسك بصدية صغيرة من الحشيب الابيض ولهول
لذبا :

- حد افتح حلاوة مصر يا دياب .. وشسوف حد يحمى القرن
عشتر اصل لك فطيرين تاكلوا سم الحلاوة الطحينة .

وفكر دياب من فوره في ان يذهب فيستدعي خضره ، ولكنه
قل ان يهرج لذلك ان يقول لمحمد اميدى ان محمد ابو سويله سطره
في داره ومعه عند الهادى منذ وقت طويل .

وتحرك محمد اميدى ليبحث بهما وهو يلوم دياب عن نسيه كلامه
كهذا .

وحرج دياب من الدار عكس الزاى ووراه محمد اميدى لكن
ما استترفته فانه .

- اعد شوية يا محمد اميدى داسى مع امك . ذات واحشنى
قوى .. واسنى بك وحشه حامده قوى .. نفى حناك الشيش حشوبه
فانك في مصر ؟ وحاشى البد امتى ؟ هو حلاص نفى . والله وحش ..
حصره اساطير ، وهو مشى عارف مرلته ععد .

وعندما قبله اساتيب صدفه من الطريق ، حדרه أنشج حسونه من ريادة قرية الى فيها أرضه ، وهدده ان هو رارها بن يقطع العناجر من ربه بالعزوس .

وشيمت القرية المحاورة اساتب انرائر ماطوب وصراح النساء . فلم يكن يعود الى عاصمه الاقليم حتى طلب بعمل الشيخ حسونه الى مكان بعيد . . او مفضله ان امكن .

فعل انى بلد بعد حدا من قرية ليعمل مئرسا بحوار الصمطر الحريه حيث لا يستطيع ان يصل الى المدرسه الا في « وانور البحر » وطالب الشيخ حسونه اهل قرته وانقره امحورة بان يتوروا كما صنعوا عندما من الانصير ومهاهم . . ولكن احد رجال القرية المحاورة قال لبعيه سافرا !

— يعنى سمع زبول ياحى ؟ لا ولا يعنى وليم مكرم ؟

وعلى اية حال من القريتين لم يتحرك احد . . ولم يتجمع اهلهم في الطرقات ليعملوا يجب العدل كما كان يحدث في تلك الايام المحيده الباهرة .

وامتلا الشيخ حسونه ضيق باقرية انى كان فيها ، وبقرية انى هو منها ، فاحر أرضه لرحل من اميب قرية محورة . وانسم الا يعود الى قرته اندا . .

واحد معه زوجة واولاده الخمسة ، واستأجر لهم بيتا من بهه في شبرا اللد ، ورافق هو في حجرة بالمدرسة ، ورتب نفسه على ان يعود الى اهله في شبرا كل ليلة جمعة وفي ايام الاجازات .

وعلى الرغم من ان الشيخ حسونه قد نقل مدرسا ، فقد ظلت قرته والقرى المحاورة تسميه « حضرة الناظر » . . وحتى المدرسون في مدرسته الجديدة كانوا يطلقون عليه « حضرة الناظر » في نوع من الاحراء ، والمقاومة للذين نكلوه مدرسا .

وقد استطاع محمد اندي حين وصل الى القاهرة مع محمود بك ان يثر على عنوان خاله من بعض اهل القرية المقسمين في شبرا .

وعندما اتى محمد اندي بحاله الشيخ حسونه ، روى به حكاية ماء الزى والعريضة ، وقال له ايضا ان محمود بك احدا لمرضه ، وضعها في حبه ، واعطاه عدة موايد من متهى بالمتة الخضراء ، وفي كل مرة كان يقل متأخرا عن الموعد ، ثم ينصرف على عجل ، ويحدد موعدا آخر . . وهكذا عاش يومين في القاهرة دون ان يستظم الكلام مع محمود بك ، واخيرا جلس محمود بك معه على المنفى ، ولا حظ محمد

وقال لهما محمد اندي وهو واقف ، انه اتاحر عن محمد ابو سويم وعبد الهندي . ثم اعقب ان خاله الشيخ حسونه في طريقه بعد ايام الى عاصمة الاقليم ليحدد حلا هناك لموضوع الزراعة الجديدة . فعرودها في حوض التربة يشرق أرضه التي تقع كلها في حوض التربة .

والشيخ حسونه رحل في الخميس من عمره اشرف على تعيم محمد اندي ، وعند كس واند محمد اندي حيا كان الشيخ حسونه تسمي عليه بكل ما يصمم ، وبم يصب محمد اندي لاحد حسبا كالشيخ حسونه .

كان يحافه اكثر مما يحدث من ابيه . وفي الحق انه كبير وذخيل مدرسة المعلمين ولم يعد يحاف اياه . . . ولم يكن ينس يده وانسا كان يعمل يد الشيخ حسونه . وبقى بانه اى كل ما يقوله من كلام .

وعندما كان محمد اندي يتعم بمدرسة المعلمين في عاصمة الاقليم كان الشيخ حسونه يروره فجأة . ويصف على اساب العارحى للحجرة التي يسكنها ليتسنت ويرى ماذا يصنع محمد اندي ويحاسبه . وكان يسأله دائما فيما يدرس . ولا يتردد من غيرة بلا شفقة ان وحده في سيرته ما لا يسر . او ان وحده متشدد من دروسه .

ولم يكن الشيخ حسونه مع هذا شقيق امة وانما كان ابن عمهما وكبير فانتها . وقد تركه الاظهر منذ زمن طويل . واشتمل مدرسا بالصيد ، وعاش في بلاد لم تكن انقرة تسمع بها من قب . وبم هناك على سرير من حديد النحل تزحف من تحتة اعنداب . وهو منذ زمن بعيد يعمل نظرا للمدرسة الاولى في احد القرى المحورة ، وقد ظل يعمل بهذه القرية ويحظى باحترام اهلبا واحترام اهل انقرة ، ثم جدد حكومة حزب الشعب ، وهدوما ، واعلنت حكومة حزب الشعب انها ستجرى الانتخابات ، ودخبت وحدها الانتخابات بعد ان قاطعتها كل الاحزاب وفاضتها الناس .

وطلب الشيخ حسونه من اهل القرية ان يعاطوا الانتخابات ، وادى للمدرسين ان يتركوا المدرسة ليشجعوا على مقاطعة الانتخابات . ومع ذلك فقد اخربت الانتخابات ووصعت اوراق في الصناديق تسم اسماء الوتى واندى لم يدهو ليتبحوا .

ورار نائب حزب الشعب انقرية التي يعمل بها الشيخ حسونه ، فرفض الشيخ حسونه ان يستقنه في المدرسة ، وصرخ بالامام وادى الاواب وانصرف هو نفسه .

أمدى أن محمود بك شخصية معروفة : « الجرسور » يحببه ترحاف ،
وماسح الإحدى يهيمس في أدبه وهو ينفذ بحاجبيه ! .. ولقد استطاع
محمد أمدى أن يلتقط من همسات ماسح الأحادية كلمة بنت تركية
صغيرة .. ومرة أخرى التقط كلمة ليلدة ومرة كلمة « لولساوية » و
« سات أمريج » و « ست انجليزية » ! ..

وكان محمود بك يصرف من محمد أمدى تلمذاً أني همسك
ماسح الإحدى ، ولكن محمد أمدى سأل مرة بتردد ووجل أن
يخلصه ، ليعود إلى ملده ! ..

وأخرج محمود بك عليه سجاره ، وتناول سيجارة وأشعلها ونفخ
دخانها بسرعة في وجه محمد أمدى وسأله عما يريد منه !
وماد إلى محمد أمدى وجهه فطلب من محمود بك أن يقرأ له
المرضية لأن أهل بده استملوه أن يقرأه قبل أن تقدم إلى الحكومة ،
وقرأ محمود بك المرضية بهمال ولبات .
فوجدها محمد أمدى التماساً بشق طريق لرامي ..

بهت محمد أمدى واحد بمسح عرقه وابنه ، ويظهر في هربات
الترام التي كانت تسير أمامه من خطوط متقاطعة ، تراجم الناس -
في ميدان القبة الخضراء - تحت وهج شمس الظفر ..
وعندما حاول أن يناقش في الموضوع لار محمود بك وأهانه وقال له :
- انت عارب الحكمة كويس ؟ جاي تستعيط هيا ؟ همدتك قال لي
انك فاهم ! .. أمال ديمت فلوس على إيه ؟! هو لعب عيال ؟ ..

ثم انهمر محمود بك دوا أن يدنح لمن القوة وهو يستم بالعاظ
حرحت محمد أمدى حتا .
ولقد روى محمد أمدى كل هذا لخاله ، صديداً وأره بعد العصر في
بيتة يشرب اللبن .
وسأله خاله أن كان حتا يعرف مكيدة المرضية، فأكد محمد أمدى
لحالته أنه لم يكن يعرف شيئاً .
وماد الشيخ حسونة يسأل يهدوه لماذا أعطى محمود بك نقوداً ؟ وكم
من النقود ؟ ..

فارتك محمد أمدى . وأقسم لخاله أنه لم يدع مليماً .
وشاق الشيخ حسونة ، واتهم محمد أمدى بالكذب ، وصاح فيه
أن دبل الكلب لا يمدل أبداً ! ..

وسلب الشيخ حسونة ظلالاً . وهو ينظر إلى محمد أمدى فيده
في ارتداد على الكرسي أسفل يانطليه الحمراء الشهته وعيناه مقبوحا
بما صور مقلده في المنحرفه أني يسيف حبه «أوده المادون»
تلمذاً كالمصر .

وحقق محمد أمدى رسبه . وسها عندما لاحظ نظرات حابه ترسل
أسبه الشر .

وخلف الشيخ حسونة كما بكف وهو يقول :

- هيه ذي تحراً ؟ هوه فيه حد يأس لمحمود أني ابنه هدم ؟! والله
قال .. عطفوه بيه وخيتوه ريس عنيكو ! طيب شو فوا بغي .. ذوقوا بغي
بما كتم فاضي ! بكرة يهتكو دن الكلب في الطاحونة .. دا أن كان هوه
ولا عمدنكم . لو واحد من الحوز دول هال يميمكو بفرض مش حاساخر !

ويم يستمع محمد أمدى أن يعنى على كلام حاله .. وعلى أية حال
نعم شعر براحه لأن خاله لا يحبه بالكلام اللادع .

فإن محمد أمدى لم يسترح طويلاً ، فقد وحده حاله بقوله :
- وايت ماشي اراي في أسد ؟ ذاتي تشرب شاي هيا وهيا ولا علات
ونهيت تحترم نفسك وتعرف قيمتك كعالم .
وغمر العبد وجه محمد أمدى فقال :
- الحمد لله يا خال ! ..

وساد بينهما صمت قطعته أشبج حسونة بقوله أن الحكومة لا تستطيع
أن تشق الزراعية غسبا عن أصحاب الأرض . ولئن شقتها الحكومة ،
لهو الحراب ليعمل بوفرة والفري المعاورة من أهل ترف الساسا عصب
حوب الشصم ! ..

ثم هر الشيخ حسونة رأسه ، وعنى شفته السمن وهو يستم في
حسرة : بو الغربة والفري المعاورة تنف في وجه الحكومة من يستطع
أحد أن برع منها أرض حوص الترة .. ولو أن الترة والفري الأخرى
المعاورة وقفت في وجه الحكومة عندما نشته هو التي معيد لها طمعت
الحكومة إلى هذا أحسد .. ولكن الناس سيكتوا للحكومة قدحت
بحمارها ! ..

وعاد الشيخ حسونة إلى صمته .

واحد يقبب كمد طويلاً قبل أن يقول أن معظم الذين يملكون أرضهم
في حوص الترة ، يصحون بلا أرض ، أو نعلت الحكومة مشروع الرامية
كما يريد الناس ؟ ..

واخيرا .. وقت ، وصبح لحمد امدى ان يسافر من هذه ليقول
هذا البصر الاسود لاهل البلد .. اما هو فلاحق به بعد ايام .

وتحرك الشيخ حسونة الى الباب يودع محمد امدى ، طالبا منه
ان ينام حيث ينام في الايام السابقة ، لان ساليه اصبح كيراب ، وهو
لا يسمح لاحد غير المحرم بان يبيت في بيته .

وعلى الباب الحارثي ساليه الشيخ حسونة ان كان يملك اخر مدق ،
ثم دس يده في جيبه ليخرج حافظة النقود ، غير ان محمد امدى شكره
بخجل ، واكد له انه يملك مالا ..

وهكذا عاد محمد امدى الى القرية مثقل الصدر من حكاية العريضة
ومحمود بك وحاله حفرة الناظر الشيخ حسونة .

ولقد روي كل هذا لأمه باختصار وهو يتحرك ليرجع الى محمد
ابو سويم وعبد الهادي في دار محمد ابو سويم .
وعندما حكى لها كل ما دار بينه وبين حاله قالت بلروح :

— هم الثبات كبروا ؟ اي والله ! اذا بقي لهم متشرين فوق من
ستين .. الت مابقوا هرايس .

ثم اخذت تحسب على اصنامها قبلا متهامة .. وفاجأت محمد
امدى بقولها :

— ريب انزلت سة ما سيب السانبة .. وفاطمة فوق رأسها على
طول .. هيه البكرة ! وباح بيها وبين زيب سقط .. تقى فاطمة
صدها كام سة تقى ؟

وسكت محمد امدى قليلا ثم قال :

— اربعتاش سة يا امه ،

واستطرد مشيرا الى افضية سمعها من فونوغراف في مقهى
بالقاهرة :

— التت سن اربعتاش والوجه بندر اربعتاش ..

وهيس لنفسه :

— يا سلام يا مصر .. عمار يا مصر !

فعلت له متحسمة :

— آي والسي طول عمرها من صغرها قبر اربعتاش .. الت دلوقت

ما حطط حراط الساب واخوت حلاوة مصر ، ونبت مصرية حاضي ' ..
لو كبت تحورها .. دا بلاقي ريب حرة بفت عروسة .
فقال حصرة ' .

— وهو حالي برصي .. دا دايميا يقول عليه واد حصراب .

فقال له امه نصبت وفحار

— حصراب ؟ دا انت تفعد على انبساط وتختار سبب اسباب لا طب
ابوي انت بس وانا عيبه ابني .. طبيب والسبب ان رجع ابيد رى ما قال
بك لاخطها لك منه حلاوة رجوعه البلد بعد ما طلع منها رعلان مبروم .

وضحك محمد امدى ، وخرج الى منزل محمد ابو سويم .

وفي الطريق كان يفكر في حاته ، وفي الجيبات التي دفعها من
ماله لمحمود بك ليمد مواعيد الزى .. انه لا يستطيع الا ان يتحدث
بفخر كما كان يتباهى ، لو ان ما دفعه امداد ما يرى الى حقول اللذآ .

ولم يكد محمد امدى يصل الى دار محمد ابو سويم ويضع على
الباب قائلا « يا سائر » حتى ارتفع من الداخل صوت عبد الهادي
محططا بصوت محمد ابو سويم :

— انقص ! احيا مستظروك من انصبح .. الله لكك دا —
يا دباب .

ودخل محمد امدى فوقعت عيده من وسعة ..

كس قد غلبت وجها عشرين مرة ، مردهرة رينة .. يتهلل محياها
وترقص فيه المعازات .

وقال لها محمد امدى وهو يمد يده اليها :

— اركت كده يا وصيفة !

فوضعت يدها الدسمة في يده المعروعة قائلة بصوت دافئ :

— الحمد لله ه السلامة يا محمد امدى .

وانفجر عبد الهادي من داخل المندرة يصيح بجفاف :

— دهدي ؟ ماتدخل عني طول ! يعال هما يا محمد امدى .. تمنانه .

وفوجئ محمد امدى - وسرع اني المندرة .

واسبعله عبد الهادي مرحب سرود .

ولم يكد يخس حتى نادوه عبد الهادي بالاعذار عما كان يسه
د .

وأمرع محمد أبو سويلم يتعدى المائثة امتطرة فعال ساعده
وسرعه .

— نصارة بسيطة ياخذ من .. حايضا في الميحب احديد .
علق محمد أمدي سودة وقائر :

— عى كل حال حصل خير .. بس ما كاشي القشم يا عبد الهادي !
انت برصه اسبك كبير وعاص من دياب .. ما كانش ظلي تسعود بالواد
وتهدل كده وتهيبه الاغاة ذى كله ! ..

وشعر عبد الهادي بحزن .. وفات عيبه .. واحتلظ في اعماقه
الضيق بالدم ، وصبر على أسنانه ، وتنايمت اعناده ،
واوشك على أن يخلص نفسه بالاعجار في الرعي .

مير أن محمد أبو سويلم ، فعز المكان بفحركاته وهو يقول في محاوله
لتعبير الحو :

— الا الحدع بناغ السبر ده أني جانبك على الحجار من ورا الفيطان ،
وحاكم عبيك تمشي على شط الترفة في وسط الشراقي ! .

واستمرسل محمد أبو سويلم يروي لعبد الهادي حكاية صاحب
الحيدر الذي استأجره محمد أمدي من محطة عصمة الانيم

وصحك عبد الهادي من أماني اولاد البندر ، وراق .

ومن خلال الضحكات ، أرتفع صوت محمد أبو سويلم :

— تشربوا قهوة ؟ قهوة يا وصيفة .

ولاحظ عبد الهادي أن وصيفه اقبلت الى الباب وقالت :

— حاضر ..

وليست هذه هي عادتها عندما يطلب منها ابوها انعموة للضيوف ،
فهي عادة لا تحضر ، ولا تجيب ، اما بعد القهوة في صمت .
وبومت صحكات عبد الهادي الزائفة ، وتهد قليلا .

ونتب محمد أمدي من وصيفة بالحاج الا تعمل قهوة ، ثم سكب
كسلا ليمول بصوت مرتفع يشغط موجه حديثه أني محمد أبو سويلم
عسرة الناطر تسلم عليك .

١٨٩ . ده محمد أبو سويلم مراحه م حقة .

١٩٠ . أن محمد أمدي أن كان عد قاس حصره الناطر خف في مصر
١٩١ . م . انه الزراعة .

واكد محمد أمدي أن حانه فادم الى الغريه بعد انام ، فسبح
أبو سويلم محسبا .

— يا سلام يا حارس !! هو ذا الراحل اللي يسمع دلوقت صحيح ! .
جاي في وقت عورة تمام ! .. دا اح يا شمع مع بعض أيام اسلكه !

ورافق نظراته ثم تاهب في ظلال افراغ من الحجره . كأنه يسترجع
أاما حمله لم تذهب تماما في السنين .

وقال عبد الهادي سرة لزعزعا الذكريات المحييه :

— السطة ! ! .

فاستطرد محمد أبو سويلم :

— أبوه السطة ! كونا اتو أباسا لسه عيال .. كانوا يبعروا الحق
من السوي ! ، وهو ابوا شفتوا ايه من المي شفاه اح يا عبد الهادي !
اتوا يا دوت شفتوا المساكين يباحدوا الرحله والجسمان وانحصر
وانبهايم .. لكن احنا شفتنا الويل يا عبد الهادي ! كن معايا أباسا الشيوخ
جسونة وكان لسه مدرس ، خدونا مع بعض وحطوا الحديد في ايدينا
ولسونا عساكر ، وقالوا علينا متطوعين ! لكن هو وقف بهم قاموا خطوه
في انجس .. ويعتقوا احنا هي اشنام .. رحمت أنا في بلاد الشام ..
وفي بر اشنام شغب الويل بعبي ذى نع مرة .. رحضا على الحج ..
نعرف انتبح ؟ كانت الأرض كلها راج في يوم .. واحسا سرحف في بطنا
ونطق بارود .. زحضا في الطين .. وكنا نستريح ونسب لمسح
نسال بعض : احنا هيا بتميل ايه يا ولاد ؟ احنا صلب ، ومال ذا كله ؟ ..
م حدش يعرف بره .. بحدرب مين ؟ ! بحدرب ليه .. ليه الحرايه
ذي ؟ ! ما حدش عارف .. بولوسا اعدو .. عدو مين ؟ وعدو ليه ؟ ولاحد
صا عارف .. كن الرصاص بعوف من حبس ومن فوق دمنا .. والآقي
اللي بيساسي وقع ميت بارصص من غير ما يعط صيطن ؟ .. يا سلام
يا اخواني عى ذي انام .. الله لعاد يهودها ، ولا يكسب أسى لونا ورمونا
هناك .. ما حدش رجع من اسواحي ذى غيري ! وسنه هناك التحت
مرمة عالحال ، اللي مات في اشنام ، واللى مات في بلاد معرفش اسمها
ايه ، واللى رحله اعمطت .. والآي عنه عيب ! .. أيام .. أيام .. لا رحبها
ب شبح ! اما لونا رحله وحطوهم في سلاسل وقاوا عسهم مطوعين ..
انه لا عاد يهودها يا اولاد ! .

وسك عبد الهادي ومحمد أمدي وبسطر عى العلوب شعور
رهب

كان صوب محمد أبو سويلم يرتضى سيرات غريبة يحفل إلى خيال
محمد أمدي وعبد الهادي ذكريات مشتركة مرعبة من تلك الأيام : عندما
احتضنت « السلطة » رجال الغربة وسط الصراخ والعيول .
وانته محمد أبو سويلم كأنه يقيق من كبوس ، ودعت جيبه ووجهه
بندبه .

ونظر إلى محمد أمدي قائلا ،

هي كده ؟ لا هي خصرة (سافر حاي ؟) سلامات دشيخ حسونة !

م اسمع نغور وهو يظفر في طلائل أحجرة !

سايلا وقاعد في مصر على طول لبه ، تعالي شوف إلىي بيحري
دعال شوف ! .

وشيتا فشيئا ذاب الحديث .

وانصرف محمد أمدي ليشرح ، وهو ينفث رواده أي وحيقة . .
وعندما غادر حنة البيت ، كان وهو مصفح يسطع في حباله صاحك
بين تموجات كثيرة من وحوه حصرية باكية . . وحوه من تلك الأيام
السوداء . . أيام السلطة .



من يومان والغربة تستطر أن يعود حصرة الناظر الشيخ
حسونة . وكل رحن فيها يبحث عما يحب أن يعمل .
لم يكن من السهل على رجال الغربة أن يصدقوا أن
الحكومة تستطيع أن ترفع من أيديهم الأرض لتدسق
فيها طريقا رواعيا لمجرد أن الباشا يريد ذلك .

كانوا كلهم يعرفون أن الجسر هو الطريق الذي يجب أن تنقسم به
الحكومة . . وما بينها إلا أن تصنعها فيصنع واسعا كطرقات المركز ،
ولا حاجة بعد إلى انتراخ الأرض من أيدي الذين يعيشون عليها ! لقد
عرفوا بالتحجرة أن كل حكومة حاولت أن تشق السكة الرواعية وسط
حقولهم ، لم تمع لتكمل المشروع ! .

ولكنهم يعرفون - بالتحجرة أيضا - أن الحكومات التي تفكر في إصلاح
الجسر ليصبح طريقا رواعيا ، لم تكن تعيش . . فقد كانت البولواك
الإنجليزية تقبل من البحر فإذا بهذه الحكومات تعال من الحكم ! .

في أن الأمر يشو حظيرا هذه المرة . . فالباش لا يشرع في أنعام
قصره إلا إذا كان على يقين من أن الحكومة التي ستشق الطريق ، باقية ! .
وقد أوشب قصره أن يتم ، والناوون يعملون فيه بشباط عجيب .
ومدام الناوون يشطون في بناء قصر الباشا ، فحكومة حرب
انشعب باقية ! .

وحكومة حزب الشعب تعيش منذ هاهنا ، على الرغم أن العمال
والخنة يطاهرون صدها في القاهرة ويضربون بالرصاصة ! .

والغربة تتلنى من حين إلى آخر وأحدا أو اثنين من أيسائها الذين
شتمعروا عمال في مصر ، وهم يروون كيف تطردهم المصانع ، وكيف
يتمعون من العمل ، ويهتجون بسقوط الحكومة فتسلط عليهم الحكومة
أصيب لتمام الساحة . وهم يتحدثون عن جرع حكومة حزب الشعب من
أساءة أظلمة دامعمل والباشا في شوارع القاهرة ، فتصدر العوائق
الحكومية باسم حجابة الصحة العامة وتنتهي مكتب المعس ، لتعلق بعض
المصانع بنحها انها معلقة للراحة وتعلق بعيدا من ألدبه وعن الغري .
حتى تفصل العمال عن أهل القرى مسافات واسعة من الأرض الحرام . .

ويعصلهم عن أهل المدينة عديد من انكارى اسي تستطيع الحكومة ان
تفتحها في وجه الصالح المنظرين متى شئت ! .
وكان بعضهم يقول انه لا قائدة : فحكومة حزب انصبا ستبقى على
انعاس مصر الى آخر الزمن ! .

وكان آخرون يقولون ان الصالح لو ظلوا منتمين من العمل والطلب
في الشوارع فالحكومة لن تعيش بعد هذا شهرا واحدا !
اما الشيخ يوسف بعال القرية فقد كان يقول دائما ان هذا كله كلام
هارج ، وان الحكومة لا تسقط الا اذا هاج المواطنون ضد وقدم الفلاحون
كما قاموا ضد الانجليز ! .

وقد حكى له الصفاي عما صيغ الفلاحون العمراء بالانجليز ايام
مرابي ، وهو نفسه يذكر عندما كان طالبا في الازهر سنة ١٩١٩ ، ان
الموظفين في القاهرة احسوا البلاء وان الفلاحين في هذه القرية وبى
غيرها من القرى استطاعوا دائما ان يلحقوا الانجليز .

ولكن الشيخ يوسف يقطع كلامه دائما ليمول انه عندما كان طالبا
كان الطلبة يلقون بحق ، وكانوا يوجهون ضربا لانهما ضد اعداء البلاد ، اما
الآن بعد حصر الزمن ! .

وكانت يوم وقف يناقش فتى - وكان يعمل عندما بالقاهرة وعاد
منها - يطلب منه الفتى ان يتشطر ابيوم ويعمل شيئا بدلا من ان يقوم
الطلبة الذين يموتون بالورصاص في مصر .

فهاج الشيخ يوسف وصنع الفتى وطرده من امام الدكان .
ومن على القرية يوم ثالث . . ولم يقلل الشيوخ حسونة .
وبعد صلاة الفشاء جلس الشيخ يوسف على ذكة امام ذكاه ، وجلس
الى حوار محمد ابو سويلم .

واستمع الفتيان الذين تعودوا ان يبعوا امام الدكان ، واقل هوانى
يطلب من الشيخ يوسف حصة انيل في الشاي واسكر وكان الله سبحانه
يوسف لا يريد ان يتحرك حتى ولو دفع هوانى ثورا . . كان الشيخ
يوسف يريد فقط ان يتكلم طويلا مع محمد ابو سويلم . .
ووقف علوانى امامهما قليلا ، ثم جلس على الارض .

ومال الشيخ يوسف على محمد ابو سويلم يسأله رايه في ان يكتب
هو عريضة من اشائه . . وهو وحده يعرف كيف يكتب للحكام بطريقه
تعمهم ! .

ولم يكذب ينتهي من اقتراحه ، وقل ان يسم محمد ابو سويلم بالرد
عنه ، صاح هوانى وهو بعض متحمسا :



— آى كده ! مايجينا الا رحبنا .. وانما انسى عريضة من
لنهر الحكومة هر يا ابا الشيخ يوسف .

ومارس الشيخ يوسف احساسا بالامسيار .. ومصح صدره وطمع
كفحه ، وهو يرم شتمته :

— هم .. امال ايه يا واد ؟! ولا كل من كتب !

فمر ان محمد ابو سويلم قال يستخف

— ما كفانة عرايظ بقى .. ادى احدا حرباها .. عايرين بشوف
لما سكه تانية .

وقال علوانى متحسبا ان عريضة من الشيخ يوسف ليست ككل
العرائس .. فهو يستطيع ان يكتب كلاما باردا يفيظ الحكومة ، ولا احد
يحدريه فى الكلام النارد !

واعترض الشيخ يوسف محتجا على عنوانى ، وشتمه ، وطرده ..
فانقسم محمد ابو سويلم ، نيسا فوجى عنوانى ويدا يفتدر ويشرح
قصده .

ولكن الشيخ يوسف طلب من عنوانى ان يحرس ، ويسراخ بعيدا
منه ، ثم انشعب الى محمد ابو سويلم ، واستطرد قائلا ان هناك الطريق
الاخر الذى سمعت منه محمد ابو سويلم فاحد العائدين من مصر به كان
يشغل فى شبرا الخيمة وعرف من هناك ان الشيخ حسونة يسمى
عبد الحكام فى مصر ليدلوا من شق الزراعية .

فهمس محمد ابو سويلم لنفسه ان الحكام فى مصر لن يدبوا من
انفسهم من شق الزراعية ، ولما يصموا شيئا مفيدا لنلد !

بحسب ان يعرف الشيخ حسونة هذا ! .. وبدأ يريد الشيخ حسونة
ان يحصل ليتأكد من هذا بعد ان يمل هو مديرا ، وفصل محمد ابو سويلم
من مشيخة العفراء ، وقطعت الحكومة ماء الزى لتمطيه للشاب !

وحين انتهى محمد ابو سويلم من همساته هذه اقبل دياب .. فلم
يهنس له احد .

واستعسبه انشجع يوسف باهمال .

ودس دياب يده فى يد محمد ابو سويلم مسلما .. وسام على
ال لم يمل علوانى ، ووقع الى حوار علوانى صامت
... .. حالى .

... .. اراد ان اراد ان له اهمية ،
... ..

— حالى چه ! ..

وتحرك محمد ابو سويلم فرحا ، وهو يقول فى ذهنه .

— حضرة الباس ؟! .. هوه مين ؟! فى داركم ؟! وساكب له
سه باونه

فقال دياب صدىركا :

— لا .. حدى نفس .. رمنة حدى من مصر ذلوقت .

وبادره الشيخ يوسف بقوله :

— نفس طول صبرك حيدر كده ! طلب ما احبا عارفين انه حالى ..
يبقى اسمه چه .

وحضك علوانى وقال للشيخ يوسف :

— انت فاهم ان كل اساس عندهم فهم ديت يا اب الشيخ يوسف ؟ ..

وللا يعرفوا يتكلموا ديت ؟! اصل احبا نفس زى ما انت راسى .. نفس
لا قربنا ولا حد رغبى بقربنا !

ثم التفت علوانى الى دياب فودعه بيشم ، كان الامر لا يصبى .

وهر محمد ابو سويلم يديه متعجب من غياد دياب .. ثم لمح صاه
مهرهه فى اسوار ممسه من ناحية داره ؟ ورأها تدجن مسرعة الى دار
الشيخ يوسف فصاح فيها :

— بت .. يا بت خضرة .. انت كت صدد .. ايه اللي جيت هه ؟
ان مشي قلت لك تخبيكي فى ناحيتكم واهى تحبلى الباحية دى ؟

ولم تعجب الفتاة وغابت وراء باب دار الشيخ يوسف .

فقد دياب بحرارة انها ليست خضرة ، ولا احدا يستطيع ان
يخصم من اثر خضرة فى هذه الساعة بعد صلاة العشاء ، بهى دائما
مشغوبة مع هذا العنى او ذاك من فتيات مصر اللابن عاذوا مطرودس
من امثالهم ومعهم بقية من مال مصر ، يستهوى فتيات كخضرة ، وهم
يقبضون فى التربة بلا عمل الا مقارلة النساء ، ولا يستطيعون بعد هذا ،
ان يمسكوا قاسا ، ولا حتى ان يعموا حجارة سبحا .

وانقسم محمد ابو سويلم وهو يحب لفيظ دياب ، وتنسأس
ضاحكا ان كان هؤلاء الفتيات قد احدثوا منه شيئا عزيزا ..

ثم مال على الشيخ يوسف ، ونصحه الا يسمح لحضرة يدخل
بيته ، وقال انه هو نفسه متعجب من دخول داره ، وطردها لينة الباحة
وصربها عند رآها فى وسط الدار تسال من انتنه وصيفه .

وهر الشيخ يوسف رآه باقتناع ، ورأى دياب يقرب منها
وجهه لسترى الحديث فزعق فيه ان صبر بعدا .

وطالب محمد أبو سوسم من دياب أن يحضر محمد الهادي ولو من تحت الأرض ، وأوصاه ألا يعيب .
وأنصرف دياب يهيم لنفسه ،

— يو مكانش الشيخ يوسف ذا حتى ؟! طب وان عارب محمد الهادي من دوقتي .. أحسه ميين يسي ؟!
ولم يكد يسير قليلا في تباطؤ حتى عان هذه الهادي .

وكان عبد الهادي حريبا مضطربا .. واستوقف دياب ليسأله من محمد الهادي ، فقال دياب وهو يواصل المشي : انه ذاهب الآن ليبحث عنه .

واقبل عبد الهادي فهدى بن محمد أبو سوسم والشيخ يوسف دورا إلى بيتي السلام . وكان واضح الاضطراب والقلق والحزن .
ولم يسأله أحد عن سبب اضطرابه .

ربما كان يفكر كالأحرار في ماء الرى الذي لا يسيب الا اذا قطع الحرس .

ربما يفكر في اسكة الرماية الجديدة التي سستأخذ الأرض من حوض التربة .

وعاد صوامي يطلب من الشيخ يوسف أن يتعصب عنه بقيل من اشائ والسكر . وقد أن يحجب الشيخ يوسف التفت إلى عبد الهادي في رحة ليسأله عبد الشيخ يوسف .. فغضب عبد الهادي من الشيخ يوسف أن يقوم ليحضر طلوأني ما يريد لانه بود أن يقول كلام من محمد أبو سوسم .

ويطر إليه علواني باستبان .

وقام الشيخ يوسف متذقلا . وصلى إلى الدكان يسفنه طلوأني .
وهنا عبد الهادي على محمد أبو سوسم يسأله عن محمد الهادي ..
فقال محمد أبو سوسم بسعادة :هم أرسلوا دياب ليبحث عنه .. ولما سأل أن كان هذا هو السر ؟ .

ووقف عبد الهادي واستأذن محمد أبو سوسم في أن يقوم معه سجدة على مصطبه .

وبهين محمد أبو سوسم وحيا الشيخ يوسف وأنصرف ، وإلى جواره عبد الهادي سبوت وبنى في ضمات الطرق السكان بطرات رة .

وقال محمد أبو سوسم :

— حبر ايه ؟ سر انه ؟! مالك ؟ .

سكت عبد الهادي وتابع سيره .

وعندما وصل إلى مصطبه محمد أبو سوسم فهدى . وقعد أبي حادى محمد أبو سوسم .

وقال عبد الهادي سبعة بدل على الحظر :

— وصعة راحت ميين ؟ .

بغال محمد أبو سوسم بسعادة :

— أهى متفحة حوه .

ثم استطرذ :

— لكن سؤالك ذا لارمته ايه ؟ نومه انه يعمى .. هو ذا اسر ؟ .

فجأ عبد الهادي يهيم السراب التي تحمل الحظر .

— لا ! .. اسمع لما أقول لك يا بن محمد .

والبت إليه محمد أبو سوسم ليسمع ما يقول .

وهي كلمة مشحونة كالحظاظ الانعصاف ، طلب عبد الهادي الزواج من وصيفة قائلا انه يتكلم في هذا الموضوع لأخر مرة !

فأجاب محمد أبو سوسم بهدوء وصبر :

— وذا وقتك يهدى الهادي لا يا بنى حنون بابت شوية ! حد عارب ايه ! بنى حاجرى .. بنى حجيرى من هناك ، وتقول لى سر .. علشان تكلم في كده ؟!

ثم توقف محمد أبو سوسم قليلا بهش من يستعد لمناقشة الحديث .
واحد قلب عبد الهادي يهيم وانتظر ما يمكن أن يفوله محمد أبو سوسم .

ولكن محمد أبو سوسم لم يقل شيئا آخر ..

فانصب إليه عبد الهادي بصرة دعد وهو يقول :

— قلت انه ينى يا أبا محمد ؟!

فقال محمد أبو سوسم نفس هدوته :

طب يا سيدى بس أحسا في ايه وانت في انه ؟! بس يعمى ..

ولم يقل عبد الهادي كلمة في اسطر نقية كلام محمد أبو سوسم .

ولكن محمد أبو سوسم عاد إلى تروعه عن الكلام ..

لم قال

— تتعدل يا عبد الهادي .. بكرة تتعدل !

ولكن عبد الهادي بوح بيديه قائلا :

— دهدي !! اب عابر عماد مابع .. ايه التي كل ما اكلمك ر

تتعديل ؟ وتقول كلمة وتأكل عشرة ؟

واتنسم محمد ابو سويم وهو يقول لعبد الهادي بطيعة وهدوء :

— بس طول بالك ،

ولم يمس عبد الهادي شيئا .. وظل ينتظر الى محمد ابو سويم

في انتظار كلام منه ، وليس في يده طول !!

عبر ان الشيخ الشساوي أقبل مروعا .

كان كرشه بهتر ، وحالت مسبحته ترتطم ببعضها ، وصوته يخنج

بهيمية بين منها من حين الى آخر كلمة :

— باسم الله الحفيظ .. أعوذ بالله !

واستقبله عبد الهادي بصيغ ، وسأله عن سبب اضطرابه . فلقى

السلام وحس قائلا ان خضرة البصصة وجدت الآن مفتولة : ووجهها مدفون

في طين اعمدة لصميرة التي تروى الحقول بجوار الجسر !

واستمر الشيخ يقول ن حيانها طين وآخرتها طين .

فعال عبد الهادي بضيق ان الناس كهم من طين .. حصرة كالتشيخ

الشاوي تماما !

ولكن الشيخ الشساوي كان مروعا الى حد انه لم يعط لما قاله

عبد الهادي . واستمر يقول ان علواني هو الذي قتها ..

واحترض عبد الهادي مستكبرا :

— علواني ؟ علواني كان معاد دلوقت ا علواني يقتلها ليه ؟

فعال الشيخ الشساوي .

— حاكم هو كافر وقيل الدين وقيل قتلا .. دا عبره ماركها .

عراوي يد سبدي .. قات الاعراب أما قل لم تؤمروا .. « ورا

فان كده !

واستطرد قائلا :

— الناس لقوها حسب القبط الي بيحرسه علواني .. حد عارف ايه

بكجاية .. والله ما حد غيره يصلها .. ما حدش عبر الواد العراوي يعمل

العملة نفسا دي .. لا اله الا الله باسم الله الحفيظ . كانت طاعة صحيح

لكي يا ناس القمل حرام ، وكبس الكبانر عند الله .. دي ولد ايه دي

اعود بانة من الشخصا .. قتل ؟ كده ؟ تتعدل قتل .

وتسبل محمد ابو سويم

— يا ناس جري ايه بس ؟ احنا عي ايه ولا هي ايه ؟ ما هي عارت

معي مطرح ما راحت ؟

ولكن الشيخ الشساوي ظل في اضطرابه ، يرسل كلمات متناثرة عن

اللعنة والاشتم وسوء التصير ! وعندما هذا ، تسأل أين يمكن ان تدفن

حصرة هده .. فترج محمد ابو سويم ان تدفن على العود قبل انلاخ

المركر بان في الامر جنابة قتل .

فعال عبد الهادي متعجبا ان احدا لا يعرف ان كانت جنازة جنابه قتل،

وربما كبت حصرة قد ماتت وحدهم حدة : التكمات على وجهها في الطين وهي

تحاول ان تشرب من الماء القليل الذي تبقى في القضاة .. وهي أحيانا

بعض أشياء كهده !

ولم يعنى الشيخ الشساوي على هذا ، عند كان مشغولا بما قاله محمد

ابو سويم على انلاخ المركر .

واكد الشيخ الشساوي انه عندما كان عند اعمدة ، علم ان العمدة لم

يبلغ المركر بمساة حصرة .. وابه على أية حال لم يحاول ان يعرف من

العاقل .. وقد أمر اعمدة بأن تبلى الصحة بجاذنة وفاتها كانما هي أمر

طبيعي ، وب تدفن بعد هذا في صباح ليوم الثاني ، بعد ان يأتي تصريح

العمدة — بأسيغرون — كاعتاد .

وسكت الشيخ الشساوي قليلا ، وقد استعاد هدوءه من كثرة ما تكلم

ومضغص !

وهاد يتساءل أين يمكن ان تدفن حصرة ..

والترح عبد الهادي باستخفاف ان تدفن في مقابر الشيخ الشساوي ،

لانه أقرب اسباب لها يملك مقبرة ؟

ولم يكن الشيخ الشساوي يملك في كل ارضي القرية غير المقبرة ..

ونار الشيخ الشساوي على عبد الهادي ، وقال انه يحس كحصرة .

واتنسم الشيخ انه لن يلوث عظام الموتى بجثة حصرة التي عاشت

وماتت في معصية الله ، ولن يسمح لها بان تدفن في مقابر المسلمين .

وسكت قليلا .. وعبد الهادي يدبب مسجحه .. لم عاد يصرح في

عبد الهادي وبشتمه ويقسم انه ليس قريبا لحصرة .

وقال عبد الهادي يهدوه ان خضرة لنس لها اقارب في القرية الآ

ولا اس عينا الذي يتبعن صاحباً عنه محمود بك .. وهذا الطباخ هو - من الوقت نفسه - اس ع من بعيد للشيخ الشافى *

وقبل ان يسمح عبد الهادي للشيخ الشافى بمقاطعة اسوسين يعول ان ضمان قريبها الآخر لم يعد أحد يعرف عنه شيئاً منذ هجر من القرية ، أما احتيا ربوبة موى تشعبن في مصر وبمك حاضرة وراء حديقته الأرنكية ، وقد أصبح اسمها الآن احسن هاد ، كما يعرف الشيخ الشافى ! وهي لم تعد الى القرية منذ غادرها الى مرة واحدة منذ خمسة اعوام ! . أميت بعد ان أصبحت امرأة سنيبة تصنع الأحمر على نموا الذهب على الدراع والرقبة والأذنين ، وعنى وجهها لون جديد نحاسي ! *

جاءت اد ذلك في عربة حطوط من المراكب ، فأقامت بيته لله واشترت عجلًا وورعته على المعراء . وأقامت مولداً للشي ، وأعنت للشيخ الشافى حينها فقرا الفاحشة على ارواح موتها ، ودعا الله بها ان يوسع اياها في الزرق . وورقها من الحداثة كما يعرف الجميع ! *

ولم يكد عبد الهادي يفرغ من حديثه هذا ، حتى صاح فيه الشيخ الشافى ان احسن هاد ليست كحضرة ، وقد هجر الله لها لانها تصدقت وأقامت ليلة لأهل الله ومولداً للشي ، وتبرعت للجامع .. وهم الشيخ الشافى بان يروى حديثا عن امرأة مثلها دخلت الجنة .. غير أن عبد الهادي قاطعه وهو يصيح :

— لاهم !! مادام عيها ذهب وسناغ ويتبعن مولد ويندفع للدها ، وأجمع .. دى طبعها يعني لها في اجبة سراية وجيبة كمان ! ومافيس ماع تبني قريتيك .. يعني لو حصرة راحت مصر وعملت رى احتيا ، ودارت مع رجالة مصر ، كانت تبني من التليسات الصالحات ! ويا هلم كانت تبني ايه كمان ! لكن ما دام قدمت في بلدنا بقت نجسة !

وقبل أن يحبه الشيخ الشافى استمر يقول مستكراً وهو ينطسر الى وجه الشيخ

— ياشيخ ؟ ناسيدنا .. بقى دا كلام ؟ مين اللى حصة في الآخرين ؟ اللى يتشقى عيشن اسمة والا اسى دائرة وفاحشة حصرة غشاش تلسى ذهب ؟! بقى بلدنا مكتوب عليها الشعا في كله كده ؟!

وجاز الشيخ الشافى امام كلام عبد الهادي فلم يجد غير عساه حاول أن يرفها ويهوى بها على عبد الهادي .. ولكن عبد الهادي لم يكن في حالة تيمكه من المراح .. فتلقى الصبا فيه ، وصاحها مدعنة قائلاً : — اسكت يا سيدنا والسى افلقتنا من عطفك الحابس .. ايه راك في.

الزراعة الى حاصع اربا عشرين الف سنة وعنى السحرة هدام سرائته سائكه على المركز وعنى مصر ؟! دى كمان صمة جايده من كسر صلاحه ..! .. هه .. مش كده ؟

وصرب الشيخ الشافى كك بكك ونظر الى محمد أبو سويلم وهو يدارى عجره وحججه في الضحك قائلاً :

— الولد عبد الهادي ده كرهه ما وردش ا روح يا شيخ .. الله بعنت في كل كذب !

ونظر محمد أبو سويلم الى عبد الهادي وقطع المداينة .. طاليا منه ان سحت عن حمار المهور ليرمي بجة حصرة في آية مقبرة عندما يأتى اذن الصلوة ياندس في طعة انهار *

وقبل ان يتحرك عبد الهادي ، سأل نفروخ صبر عن سر غياب محمد اسدى .

ولم يجبه محمد أبو سويلم *

وعال عبد الهادي وهو ينصرف ، انهم يريدون دليلة أن يعيشوا في مساهة اسكة لزراعية قبل أن تشعبا الحكومة ، وتهد الدنيا *

ومضى عبد الهادي يصنع حطوط، ولكنه لاحظ قدوم مركب من البحراء الى دار محمد أبو سويلم .. وتقدم عبد الهادي يستوصح الأمر .. ولكن صوت الشيخ الشافى اترفع — من ورائه — مروعا يسأل الخفراء :

— خبر انه ؟ خبر انه يا اولاد ؟!

ونقدم الخفراء وطلب احدهم من عبد الهادي أن ينتظر قليلا * وحبل لمسد الهادي ان الصعدة سينتهمه يقتل حضرة *

وبعض محمد أبو سويلم مر على المصلية صانعا :

— خبر ايه يا واد يا عبد العاطى .. جايين كلكم تيلوا ايه ؟ هوا الر حل سجنس يتاعكم عامل مغلوب جديد ؟ .. هه ؟ ورق له واد صانع يقتل حصرة وبادى يتهمه في واحد ما ؟ انه باواد ما هاد العاطى ايه ؟ قول له حايين هاد له ؟ وشرف السبي لو حصلت لكده لأقطع رقبته .. أنا واب والرمي طولى ن عداة *

غير أن عبد العاطى قال لمحمد أبو سويلم باحرام ان حصرة ماتت بوحدها ، وم يقتلها أحد .. فقد كانت عاتدة من على الجسر ، وهالب على النماة تسلس وجهها من نفاذ الماء عداخت ، كما كان يحصل لهادا ، وكما حدث لسات والاولاد كثيرين في البلد .. وحس دا حصرة .. جى جى ..

المناء ، انكفا وجهي على الماء .. هاهرس في طين المناء ، وكف نفسي ،
ومنت على العور ..

فسمم عبد الهادي لنفسه .

— يعني ما حدثت رقها ؟ يعني ما حدثت خط رأسها في الطين ؟ !
طلب الحمد لله .. مالكش في دي ملاعب بعمده !

وتقدم حفن من عبيد الهادي فقال له بردد ان العمدة يريدك ، هو
ومحمد أبو سويلم .

وصرخ محمد أبو سويلم في الحفير يسأله عما يريد العمدة منه فبع
عبد العاطي رقها ، وقال ان رجالا مروا بسينة على الجسر بعد المغرب .
فوجدوه مقطوعا من عنقه جهت .. فارتسموا اشارة الى العمدة يشعرون
ويهدونه بالجرء .. وكلهم المأمور بالتدبير وطلب منه ان يعطيه ..
من قطعوا الجسر ، فألقى أسماء الذين يسكنون حقولا على الجسر .. واسم
محمد أبو سويلم أيضا مع ان أرضه كلها في حوض التربة !!

وكان الحفير عبد العاطي ، يمشي في كلثانه من فرط الجحش .

ولم يكذب يده حتى رعى محمد أبو سويلم .

.. خط أسبى في المني قطعوا لجسر ؟ الذي قطع رقتكيا عمدة ..
طلب دائما أرض كلها في حوض التربة بأولاد .. يعني برور عنده ؟ .. طلب
والله لأنت قلبه انه برور وحطه بي الحديق .. آه يا عمدة .. حسن
.. أما وانت وأزمن طويل .

وبم يسترح عبد الهادي لكلام محمد ، أبو سويلم ..

هو يعرف ان الحكومة لا يمكن ان تصنع العمدة في الجحش من أجل
محمد أبو سويلم .. ونكها سجن محمد أبو سويلم ورجال الحكومة
كهم من أجل للعمدة الذي خدمها في الانتخابات وبرور لها أصوات الأحماء
والأموات في القرية .. وجمع المال باسم الاشتراك الانتخابي في جريدة
حرب الشعب ؟

ولم يشأ عبد الهادي ان يناقش محمد أبو سويلم .. فعد هادي
بذره هو الآخر ان العمدة والحكومة وكل رجال المركز يدبرون إيم أمرا
ليرموهم في داهية !

ودتم أحد الخفراء فقال ان المأمور أمر بأنقص على كل من ملئ
العمدة أسماهم ..

وتحرك الخفراء إلى الدوار وهم يقولون .



.. مملش يانا محمد .. مملش يا عبد الهادي ، حكم الرمي
كده ..

فعال عبد الهادي صاحكا متعبدا بالتظاهر بالاستحفاف :

.. دا حكم العمة ..

ومشي محمد أبو سويلم وعبد الهادي مع لفرء الى الدوار .

وهناك وجدوا ذيب ورجالا كثيرين ..

وأمام باب الدوار أحد المكان يردحم بالسلماس ويصنئ بالصخب
والصحيح ، ومحمد أبو سويلم وعبد الهادي بدلان أندبسا بالشتالم ،
وبوجهان الى العمة كلمات قاسية شجعت الآخرين على امرين ..

وبعد قليل ، وقد أوغل الليل كدوا جميعا ومن وراءهم الفرء - مدحجين
بالسلاح - يسيرون في طريقهم الى المأمور في عاصمة الاقليم تحت طلعات
الليل اندحى !

وحين انصرف الرجال ، تعالت صراحات النساء ..

ركان الشيخ يوسف قد انصرف الى دارة منه تركه محمد أبو سويلم
مع عبد الهادي .. ولتح الشيخ يوسف باب دارة في هلع وسال النساء
عن الخبر ..

وعرف القصة كاملة فوقف على باب دارة يقول في حسرة :

.. والله ياما حابجري وياما حاشوف .. آه يا باند !

ومى تلك الليلة باتت القرية مروعة !

وحاول محمد اغتدى ان يقابل العمة .. ولكنه رفض ان يقابل كل

الناس حتى الشيخ الشساوي .

واحد بعض النساء يذهبن الى الدوار ، فيصرحن ، ثم يمتن الى الدور
والدموع على الحدود ، ليحدثن انصغار يتكون وعيوبهم مفتوحة بلا مهم في
رعب مشمخ من المجهول ..



هجم الشبح يوسف ذكاه في الصباح الباكر .. وجلس
في صاحبه ، وبينه مشمة طويلة من الخوص يطوح بها ..
انداب ..

كانت القرية قد استيعطت ، وما زالت في عيسها
الدموع .

لقد قبض بالامس على كثير من الرجال ، ومع ذلك فقد ذهب الآخرون
الى الحقول ، لأن الأرض لا تستطيع أن تنتظر الدين ذهبوا ..

واقبل على ذكاه الشيخ يوسف صبي يبكي وهو يقول

.. أمي تقول لك الحكومة حدث أبوي .. روح شوف حدوده ليه ؟
وحا يرجع امي ؟

وأحسن اشبح يوسف بوخرات تعذب قلبه ، على بكاء هذا الصغير
من الناحية الشرقية ..

ان الشيخ يوسف يعرف العمة كاملة .. ويعرف أن الحكومة
أحدث من هذا الصغير - غير أبيه - معه وخاله ورجالا عديدين هم أيضا
آناه ، والعمام ، وأحوال ، وأخوة وأبناء !

ولكن الشيخ يوسف لم يكن يعرف على التحقيق ما يصنع هو
نفسه !

لو انه ذهب الى عاصمة الاقليم لمن يستقبله أحد هناك ، فلا أحده
هناك يعرفه !

وشن عرفوه وعرفوا من أية قرية هو .. فرجا قصصوا عيه !

هكذا كانوا يصنعون أيام قاطعت القرية الانتخابات .. وهكذا
يصنعون دائما كلنا شعروا بأن القرية تريد أن تملك الرأي أو البصنة
أو الكلمة أو .. الأرض !

ودرجت على ضلوع الشيخ يوسف مشاعر مهمة .. وأحد تحق
أمامه في الطريق الذي يضطرب من حين الى حين بأمرأة ناكية أو غلام
مكس الرأس ..

لقد امتلا أمامه هذا بطريق ذات يوم بالرجال .

كان ذلك منذ أربعة عشر عاماً .. عندما أعلن الأهر في سنة ١٩١٩ .
وعند هو إلى الغربية في مركب شراعى من طريق النيل - بعد أن قطعت
السكة الحديد بين القاهرة وعاصمة الاقليم .

كتاب الحياة اد ذلك اكثر بهجة ، وأسمى أكثر فتوه .. وكنت روجته
في الأخرى أكثر صبياً !

وفي طرقات اميرية المردحة بالناس والفقوس والغباء والهنات ،
كان صديقه الشيخ حسونة يلوح بيده ويصرخ :

وبالاستملال أبشر
رغم آف الاجلير

وايته الشيخ يوسف فجأة على عيب امرأة تقول من حلال وجهها
الميل المتشجج :

- والسى يدعم أنشيج يوسف ، تعال أقرالى عديدة يس على الحكومة
الى خطمت منى الواد اسى امبارح بالليل ..

ويطر اليها الشيخ يوسف كدهول ، ولم يقل شيئاً ..
وطن يخلق في الطريق أمام ذكائه دون أن يفتح وجهه بأى

معبر ..

لكانه يطر الى عالم آخر ..

انهم في تلك الأيام الرثة من سنة ١٩١٩ لم يقرأوا ابداً « عديدة
يس » من الانجليز ، كانوا يعملون بلا لولف ..

ومن لحظات العمل المضطرب ، لا يجد الإنسان وقت لتفكير في عديدة
يس ..

وكانوا اذ ذاك يملأون اغرية بالهتاف ولعمل .. ويهرون صمت
الحياة بسواهم ..

وأوشك أن ينفجر في المرأة ويشتمها ، ولكن صوته لم ينطلق من بين
شعبه ..

كان حرباً .. شعر بالوحدة والصعب ، والفراغ ، وقليل من
اصياع ..

وكان مهروماً ..

وقال لها بصوت كسير :

ربما يبدى .. روى ربك عدداً يا ولية .. روى ا

واكن امرأة لم روح ، وطلب سكى امامه وبمسح انهما وعينها
أفها الواسع الأسود .. وقال له انها لم تجد الشيخ الشساوى لى

عديدة يس على ، الحكومة ، وانها كسبت تراب صريح سيدى رمضان ،
ودفع الله - ويداعا على عبيها - أن يستقم لها من الحكومة ، ومن كان
السبب في رمي اسها للحكومة ..

واصابع وهي ما تزال تنكى ، انها لا تسك مالا تشتري به السلع
لصريح « سيدى رمضان » فيترقى بها الشيخ يوسف ويقرأ لها عديدة
يس بلا مدلل ، أو فليقرأ من ذكائه بعض الشموع حتى تحضر له النيص
الذى يضمه دجاجة هذا المساء ..

ولم يستطيع السبح يوسف ان يعالبي ضيفه بعد فانهجر :

- روى بى .. روى يا شيخه روى ..

ولكنه عاد فريد ، وهو يسمح صوته يدوى في اديبه ، كما ترون
خطوات النملة الغربية في بيت خرب مهجور ..

وهو رأسه وهو يصح شتميه ، وتمتم :

- عديدة يس ؟ صريح سيدى رمضان ؟ انشيج الشساوى ؟

بعد كان انشيج انشوى نفسه في تلك الأيام الماسية من سنة ١٩١٩
يعب الى جاسه في طرقات اميرية ، ويهز يديه هو الآخر ويقول « بحيا
انوطى » .. كانت له نفس اللحية الشبيهة والوجه الأبيض المالى ..
وكان يروى نفس الأحاديث والحكايات عن الأبياء .. ولكنه في تلك
الأيام كان يروى مع الأحاديث ، حكايات أخرى سمعها عن ائيل الكبير وكفر
الدوار ، ومبارك عن بي صيد الاجلير وحتى ضد الخديوي من أجل الدستور
الذى كان اسمه اللانحة !

وعلى أية حال قدم يفكر احد في أيام سنة ١٩١٩ في ان يطلب من
الشيخ الشساوى قراءة عديدة يس ، ولم يكن احد اذ ذاك يفكر في سيدى
رمضان ، ولا في الشموع ..

ولم يفكر احد في سيدى رمضان غير محمد أبو سويلم ..

كان عائد من الحرب صرحاً من الجديدة .. فاقترح أن تدعى القرية
كل ما تسك من صلاح في صريح سيدى رمضان ..

كان هذا كل ما اتجه به فكره الى الصريح ..

ولكن أين أبو سويلم الآن ؟ أين ؟

وترابيل الشيخ يوسف في أغوار نفسه على هذه الذكريات ..

وحادثت برأسه صور بشمة عن أرغفه التي ستموت من العطش في
حو من الحبر ، والأرض انى اصطر تحت ضغط الأزمة والحاجة الى

هنا نحب يد محمد أمدي ، والأرض التي يمكن أن سترعها الحكومه
معيماً عليها السكه الزراعية ..

وهو بعد لا يعرف كيف يرد هذا كله !
ولا أحد في القرية يعرف على الاطلاق ..

وهمهم الشيخ يوسف بصوت ضعيف محتشئ يروده اليكاء ..
- ربما يظلم ..

وسرت في صوته الحاف ربة حريصة ، وأحس حفاة ايه يحب كل
رجل وامرأة وعلام في القرية .. حتى الدين عادوا من مصر بلا عمل ،
وتموتوا أن يضايقوه بتكلمهم أثناء وقوعهم أمام الدكان ..
وشعر بالحاجة الى رؤية علواني ..

ونادي صبياً كأن يسير في الطريق مطاطيه الرأس ، وبكبه تذكر أن
علواني ينام في مثل هذه الساعة من الصباح بعد سهر الليل كله ..
وعرف الصبي ..

واتعد الصبي .. ولم يعد في الطريق أحد .. !

وعاد الشيخ يوسف ينظر أمامه في الطريق الخاوي ، والوحدة الهائلة
تلق عليه ..

ثم رمى استشه في شقيق ، وهبط واقفا كأنه يفضض عن نفسه حملاً ،
وفتح صدره .. لم دس يده تحت صدره ، وأخرج كتاباً كبيراً من
انورق الأصفر الداكن .. وأحد يقلب صفحاته وهو يهر رأسه ..

كانت قصة « هتر » .. حشرة البطي الأسود الصلد الذي هزم كل
أسادة في مصر والنيلام وبلاد العرب !
وظل الشيخ يوسف يقرأ لنفسه بصوت مرتفع كيف كان هتر
يداهع عن الديار ..

وعادت الحياة تهبط في صوته وهو يتلو شعر هتر الذي كان يحذو
به الفضاة ، ولمة انعادي والسلطان ..

وأحدث الوحشة تمازق نفس الشيخ يوسف شيئاً فشيئاً وبدأ
صوته يتهدج بالحساس ..

ورن في أذنيه صوت يقول :

- صباح الخير ياشيخ يوسف ..

ولم يرفع الشيخ يوسف عينيه عن الكتاب ، واستمر يقرأ ..
وأشار بيده لصاحب الصوت أن ينتظر ..

- حمزه في السهرة المعرة في وجه الشيخ يوسف وبدأ كياه
له يصنع باليد ..

وعاد الصوت يقول :

- باقول لك صباح الخير ياشيخ يوسف ..

ورفع الشيخ يوسف عينيه وأبتسم ثم أغلق الكتاب ووجهه يشرق ..
وقام من مكانه مرحباً بصوت مطمئن عازفته الربة الحريصة

- صباح انور يا محمد أمدي .. يسعد صباحك يا سيدي أهلاً
وسهلاً ..

كان الشيخ يوسف في تلك اللحظة يشعر بالسكينة تفسر كل أراحه
نفسه .. وباعمل غاضب يخفق منه في الأعناق ..

رفاض عذبه بحبب معاصيه لحينه أمدي ، واضر فيه اشفاق على
دياب ..

وتسائل الشيخ يوسف

- لا يسى انطربوش وأركته وأربع على فيه ؟

فأجابته محمد أمدي أنه فكر في أن يذهب الى عاصمة الاقليم ليري
ما حدث لدياب ورجال القرية .. ولكنه عاد ففأى أنهم في المركز لن
يسمحوا لأحد من القرية بأن يتكلم ، وربما قبضوا على من يذهب ليظن
على الآخرين .. ومن أجل هذا فهو يرى أن يورر محمود بك ويحدثه في
امر دياب ومحمد أبو سويلم وعبد الهادي وبقيّة الرجال ..

وقاطعه الشيخ يوسف في نصيح صادق :

- بقى يا سي محمد عش كتابة اللي جرا من محمود بيه ؟ !

فقال له محمد أمدي ببأس

- وسيلينا ايه بعمله يعني ؟ طلب عمل ايه ؟ ايه الحيلة ؟ وفيه
سكه غيردي ؟ وعلى كل حال حينما وزا الكذاب لحد باب الدار ..

فقال الشيخ يوسف باستكراً وقد عاد الى وجهه الحاف حموده
المكتشب :

- دار ايه .. وهباب ايه ؟ كلام انه ايلي تنصوله ده يا خدع ..
ما خربوا الدار .. ماخودهم من الدار لدار ..

ولكن محمد أمدي مال على الشيخ يوسف ليقول له في همس أنه
اعطى محمود بك عشرة جنيهات عندما كان في القاهرة ليسعى في
موضوع الري ولم يعمل محمود بك للقرية شيئاً بهذه الجبهات ..

وهو الآن يحمل عشرة جيهاث أخرى يعطيها لمحمود بك يطفى سراج
أهل القرية وسيمطيه الآن حسيمة جيهاث ونسأقي بعد الأراج عن
الرجال ..

وإنسم محمد أمدي بلذكه وهو يعرف ، ولم يجب الشيخ يوسف
.. وأما سحب الكتاب بسرعة ووضع رأسه بين الصفحات ، وعاد يقرأ
قصة كعاج حتى يصون شخص مرتعش كان يثبت ويرتفع ، وتسرى فيه
الحرارة صفحة بعد صفحة ..

أطلق محمد الفتدي بالطربوش والجاكيت فوق جلابيه الأبيض النظيف،
وهو يسحب حشيشته انعراجه المظلمة ..

وهو يبيت محمد أبو سويلم ، فوجد الباب مغلقا ..
نقد كانت وصيفة ليمة البارحة تكيي آخر يكة ..

ذهبت اليه في بيته تبحث عنه بعد أن أرسلوا أباه إلى المركي ..
ثم ألقت رأسها على كتف أمه .. وغاص صوتها واحتلج بدنها كله .. وهي
تدرب أندموج ..

وأما أيضا ظلت تكيي من أجل دياب ..
وهو نغمه !

أما لم يثق اليوم طول الليل .. وعندما عادت « وصيفة » إلى دارها
ظلت ترافق أمام عيسيه أطيب عديدة لجلساته على المصطبة مع محمد
أبو سويلم وعبد الهادي .. وأحس بأخواء الرهيب بعد غيابهما .. وأدرك
أنه يحب عبد الهادي أكثر مما كان يظن ، وكأنه لم ينسب مه أبدا ..

ثم انخفضت في ذهنه قصة حياة دياب دفعة واحدة .. كان دياب
قد مات .. وألقى محمد الفتدي وجهه على الوسادة وتكتم البكاء ..

كان يعرف أنهم في المركي لن يحكموا بالطبع على رجال القسرية
بالاعدام لحد أنهم قطعوا الحسم ورووا الأرض !

ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يمس نفسه من البكاء .. وقد ظل
يتشجج في أبيه حزين ، وهو يرى نفسه عاجزا عن استرداد أخيه من
يد الرجال في المركي .. ومن يدري ؟
ربما كانوا يعتنون الولد الصغير ، والرجال الكبار ..

ربما كانوا يضطرونه إلى أن يشرب من بول الخيل ..

فهكذا كتب حكومة حرب الشعب تصنع بالمساحين ، ملد رحس
الملاحون أن يسيروا وراءها ، وللملاحون يرفصون السير وراءها على
الرمح من كل شيء ..

وتابع محمد أمدي سيره في الطريق إلى أنصفون مارا بأبواب الدور
المعلقة .. باب محمد أبو سويلم ، باب مسعود ، باب عبد الهادي وستهم .
كل الأبواب مغلقة في الصباح لأول مرة .. فانغريه لا تصق أبواب
دورها إلا في الليل .. ولكن الحال تغير ، وأغلقت الأبواب يوم ذهب
الرجال ..

ومن وراء الأبواب المصمتة يعيش الرعب والعتق ، وتضرم لمبة والخوف
في المصير ، كل قلب النساء والأطفال !

وحل محمد الفتدي يميني وهو يسحب حشيشته حتى جاور الدور،
ووجد أمامه الحفول تمتد بأعواد الليرة الصغيرة الخضراء .. وأعواد البطل ..

ووكب على ظهر حشيشته .. وأطلقت الحشيشة تتمش به في طريق
مختلق متعرج بين الحقول واترعة ..

ومن حوله حبات الذي بهتر وتتمتع فوق أطراف أبروع ، والأشبه
أحذية ترسلها في انفضاء العريض شمس اليوم الجديد وأخيرا بلغ
ضيقه محمود بك .

وفي خرفة على الترة بعيدة عن سراي محمود بك لث محمد الفتدي
طويلا يستطر ، وندمت له القوة فشرها بعد تردد ، وظل يستطر ، وهو يركب
في رأسه الكلام الذي يجب أن يقوله وشعر بشعسه تهيب معانة « البية »
وسألت أنه عدة مرات وهو يمسحها في عناية بمديل كبير ، ويتشجع
ويراجع في عقده الكلمات التي يحسن أن يبدأ بها الحديث مع « البية »
ولها أن ان أمه تمل من حذره فأعادت مسحها بأنفان في منديه وتحمسها
بشعنه لمليا وأصابه ..

وطال انتظاره ..

وأخيرا أقبل محمود بك عري الرأس معوش الشعر .. في حجاب
واسع أبيض ..

وكان يتثاقب ، ويدعث عيسيه وقال في غلطة .

« آيه 19 جاي لي من العجر ليه ؟ »

فاجاب محمد الفتدي وهو يخطب نظره إلى ساعة يده :

« دي الساعة بقت عشرة يا سماعة البية .. وأياها من ستة
وسمى .. »

وعاد محمود بك يسأله بملحه عما يريد ، فروي له قصة الغضب على
أبيه ورجال من القرية . وكان محمود بك يسمح له بأعماله ، وهو
سليم . ويرى رجال سمحائه الأمريكية

واسرى محمد أمدي نظره إلى باب القرية . ثم سحب بسرعة من
حيه خمسة حبيبات وأعطاه محمود بك ولم يقل شيئا . وقد نسي كل
الكلام أمدي كان قد أعده في محله !

وشهد محمود بك ولم يقل شيئا . ثم طلب من محمد أمدي أن
ينظر أياها . ولكن محمد أمدي أعطاه وربة أخرى خمسة حبيبات
وذكره بالبلخ الذي أحده منه من أهل ماء الري ولم تستمد القرية شيئا
.. ثم قال أن الاعتماد على الله وعليه وحده لإخراج أرجال . والقرية
دائما مستعدة بطبياته ..

وبينما كان محمد أمدي يرتب في وجهه كلاما آخر يشهد حمة
محمود بك إلى العمل ، وقف محمود بك . وباتت بالقاء على أحمد
العلاجي ليعد الفرس ..

ثم التفت إلى محمد أمدي وقال بثقة :

« روح استنهم في البلد .. مبروك ! »

وقام محمد أمدي من عوره وهو يكاد يطير من العرج . وركض
بالجحشة في الطريق المحتق بين الحقول والقرية . ثم يال بتعثرها
في حجر الطريق ..

كأن الضحية يصل أذنيه .. والحجارة قد بدأت تفلح الحقول .

لم يكذ يقرب من دار محمد أبو سويلم حتى وجد الباب مغرما ..
وحقق قلبه حمة .. ورل عن ظهر حششته بسرعة .. وصمغ
.. سمح .

وبرب « وصيعة » في وسط الدار .

كانت بشرتها الصماء محتمة ، وعيبها الواضعتان الصاعيتان
بهمها الحمة ، وفي حشيتها الدبول أمدي يحلعه البكاء ..

وحين رأت محمد أمدي قالت بصوت منهبل :

« تعضل .. »

ثم خدمت منه في أهل ..

لست ما تزال رمانة عني الرعم من كل شيء .

ولمدم محمد أمدي داخل الدار ..

أه الألب وحدها لوجمع وصيعة . وهي على الرغم من كل ماحدث
تيسم له ..

وكانت كل ما حدث لأياها وأبيه .. وحتى لعبد الهادي قد حمل
قنبها يمنع لاستقبال قلبه ، وجعل يديها بشي في حاجة إلى بدن آخر
شعق بسعة الداء والسعادة ، ويسهل عليه الحماة والأمن ..

والسمعت عينا محمد أمدي وتوالت لهضاته ، وتناهت أفعاسه ، وشعر
بحد لديد يتشقق في كل جسده ..

وتقدم من وصيعة حتى بدأ يشعر بأعاسها ..

وسألها إلى كابت وحدها في الدار ، وأين ذهبت أمها ..

وكان يهيس وفي صوته بحة ، ومن عينية ييشق ومضى غريب .

وبراجعت وصيعة إلى الزواء خطوة .. دون أن تدعه يفهم أنها إدركت
ما يريد ! وأحانته على سؤاله ألعاس اللاهت تصوب مرتفع مضمين ..
فأنت أن أمها رامة وسألته عما صنع لأياها ولأبيه ولمد الهادي وكل
الدين رمتهم الحكومة في المركز .

وعامت نفس محمد أمدي قليلا ..

وشعر بالحمل وبرخات تلذغ رأسه وأذنيه وقفاه .

وحك شعره وقفاه وذلك ، وقال ببرود أنهم سيخرجون اليوم وشبهت
وصيعة من العرج .. وقفرت ، ورفعت يديها وصفتت ..

ورأى محمد أمدي وسهها يتأقن والعساوات تتراقص فيه ، وأمل
بهديها يحتجدين وهي تذب وتنفد منه ، ووجهها كله يشع بالبور وسألته :

« صحيح ؟ صحيح ؟ والنسي ؟ ! »

وأطلق محمد أمدي ضحكات متكررة وتقدم إلى وصيعة بلا كلمة وقد
أحمر وجهه وظفراته الهمة تستلقي على صدرها الملي ..

وحزت وصيعة بأحية الباب . وهي تفهم تماما ما يريد محمد أمدي
وصاحت عليه ببساطة وهي تقف بالباب الخارجي للدار :

« الحق الجحشة يا محمد أمدي ، الحق جحشتك حريت .. »

ونظر محمد أمدي ورامه في صيق ، فوجد الجحشة التي تركها واقفة
في الطريق أمام الباب ، تتحرك بلا حرج وتضي في طريقها إلى الحقول ..

وأخرج محمد أمدي مسرعا مرتبكا .. وإذا حاور عتة باب محمد
أبو سويلم قالت له وصيعة وهي تسير وراءه خطوة خطوة .

« حالك حه ياسي محمد » حه في عربة حظور .. وجود عينا هه !

راض عليه القيمة صحيح ..

تم ارفع صربها ، وصعقت على الكلمات وهي تقول :

- راجل عنيه لعينة ويعرف لأصول ويسر الحريم في غياب الرجال .. أما عمري ما شفع من صغري لكن بعينه راجل صحيح .. معاوية طاهر ..

وأدرك محمد أبدي أن وصيحه تعرض له ، وشعر بكلمتها العالقة كما لو كانت الضرب بالكويجاج !
ولم يلعب اليها ولم يقل شيئا .. وأما معنى وراء أنجشسته يتمش في حبله ..
وتدبسه وصيحه قائلة :

- ذا رجل قوي لما عرف أنك رحمت لثيبه محمود .. خائف برصه قال يا ابن أبوي صانع الهازدة .. طالع صانع عصبي من اليه محمود وعصبي عن الحكومة التي في المركز كمان !
ومعادت وصيحه إلى دارها وسحبت الباب قليلا .. وتركته يصعب مضيق ..

أما محمد المسمى فقد أدرك الحجة الهازدة وسحبها ، وعاد بها إلى الدار . ولم يحاول أن يلتفت إلى باب محمد أبو سويام . فقد سيطر عليه صيق مفاجئ احتلط بتخلله وإرتباكها . وتقدم إلى باب داره وهو يحسب أن حساب لزيارة خاله الشيخ حسونة ..

والشيخ حسونة في القرية منذ الصباح .
وصل إليها عندما كان محمد أفندي يجلس وحده في عربة محمود بك ، يرتب الكلام ، ويسمع أمه في انتظار أبيه !
ولم يقبل لشيخ حسونة من القاهرة مباشرة .. فقد تحبب ليلة في عاصمة الأقليم .

وصل في قطار مصر . فأتجه إلى الصيدلية الكبرى التي يتخذها الموظفون والأعيان بدوة لهم .
وعلى رصيف الصيدلية ، جلس الشيخ حسونة مع بعض أصدقائه المدماء فوق كرسي الخيزران البالية .

كانوا كلهم في الغالب من قرى مجاورة .. وكانوا جميعا مشغولين بأمر الزراعة الحديثة التي تحببت جسر النهر ، وهو الطريق الأنطوني لشخوص في الجفول وتحطم الملكيات الصغيرة . وكان لكل واحد منهم أب أو أخ أو عم أو خال سيحده نفسه فلا أرض بعد أن يبعد مشروع الزراعة .



.. هم يقدرنا ؟ كان غيرهم اشتر .. قول من نوابهم يشترطوا على جدد حايب يأخذوا منه قرشين .. ولله غسانه يأخذوا منها سبت بيص ؟ لكن يبيعوا البلد ؟ .. هيه شروة .. حلاص نقى !

وظل الشيخ حسونة يتحدث مع المجلس مع المجلس أمام الصيدلية .. حتى أقتل النساء .. وفي الليل سهر في نادي الموظفين حيث التقى القاصي الشرعي وموظفي آخرين من القرى المجاورة يعملون في عاصمة الإقليم .

وفي إحدى حجرات النادي كان بعض الأطباء ورجال السبابة والوليس والري والمعلمين يلعبون الورق .. والكؤوس تدلج ملأى وتخرج مازعة ، وكان القاصي الشرعي يطر بأمتعاض الى خدم النادي وهم يدخلون ويخرجون .. ويقول في صوت راسخ وحرارة يخالفها الحدد الواضح :

— هؤلاء يا سيدي هم كراؤنا ، لسة الله عليهم ، خسر ويسر ومن يدرى ايه كمان .. والله لقد رنت نسلاهم يا شيخ .. رنت نسلاهم والله .. أنا غلشان كده لا أحب النادي ولا أحب كبراء النادي !

واقترح القاصي الشرعي على الشيخ حسونة والآخرين أن يجلسوا بعيدا عن هذه الحجرة ويبعدوا عن الصلاة التي تعجز بقرعات حجارة الطائفة وحلوسا في حجرة بعيدة متواضعة الأثاث ليست كباقي الحجرات ..

واقترح عليهم موظف بالمديرية أن يكتبوا بريقة الى الصحف التي تعارض الحكومة وأن يشرحوا في الرقبة موضوع الرقابة .

واضاف الشيخ حسونة أن ترسل برفقيات أخرى الى النادي السعدى فوافق الجميع .

وتحدث القاصي الشرعي عن أهمية ارسال برفقيات أخرى الى كتاب المقالات في الصحف .. فلم يمتنع أحد .

وكتب القاصي الشرعي الرققيات .. وجلس الشيخ حسونة مالا من الموظفين الحاليين معه في الحجرة . ثم وقفا الرققيات باسمه أقاربهم العلائق في القرى التي تتأثر من شق الزراعة .

وحاول أحد الموظفين في استبسال أن يوقع باسمه وهو يذكر الآخرين بموقف الموظفين سنة ١٩١٩، ولكن القاصي الشرعي قال له أن الحرس من حسن الفعل، وحكومة حزب الشعب كالغول الهائج مع الموظفين، وهي تتمسك بشمل القانون الذي يسمح للموظفين من الاشتغال بالسياسة فلا داعي لتعريض

وقال القاصي الشرعي — وكان رميلا لشيخ حسونة في الأمر — ان أباشا عضو حزب الشعب نصح في جعل الزراعة الجديدة مدور كاشعاب .. بينعادي برع منكبه سهم واحد من أرضه أو من أرض موبيه محمودك أو من أرض أي مالك كبير عني طول الطريق من لندرة الى عاصمة الإقليم ، وهكذا تم الزراعة بالنصط أمد حدود الأرض أنتى يملكها هؤلاء جميعا !

وتدخل في الحديث موظف شاب في المساحة في بلدة أباشا مهر رأسه توكيفا لهذا الكلام .. ثم هبس بأن الزراعة مستكشف الدولة عشر أصناف تكايف اصلاح جسر أنهر .

ثم دارت عينا الموظف على الرصيف وإلى داخل الصيدلية كأنها هه يخشى انفساضا مفاجئا .

وكان الشيخ حسونة قد أسلم حذاه المساح الأديبة ، ومساح الأديبة يسمح الحديث صمنا .

ورحق مساح الأديبة فجأة عددا على حزب الشعب باخواب المستعمل قبل أن يعرب الدنيا .

وابتسم اشيع حسونة في رصا .. وصعدت الآحرون .

وتوجه القاصي الشرعي بوجهه الى مساح الأديبة يسأله عما يضاهيه هو الآخر من حزب الشعب .

عامل مساح الأديبة على النور :

— حلوا انديا كلها سبق ربا يصيها عليهم دنيا وآخره .

ومرت بأذنة سمينة يهضاه تحمل فوق رأسها قميص النبي أبرشومي وهي تترافق وتصر يهيهها لموظف شاب في الحكومة ، وسادي عني لتين بكلمات مكتشفة .. وأحس بها الموظف الشاب ، فتخرج قليلا ثم وضع رأسه في صحيفة .. وبهره مساح الأديبة .. ييسا صاح موظف الحكومة فجأة وهو يلوح بالصحيفة :

— دول حلاص باعوا البلد للأجنبي ،

فقال القاصي الشرعي بهمال :

— دول شمعوا بيع ..

ولكن أحد الحاليين قال بأصرار :

— لا .. لا .. لا .. دا بدمهم .. باعوا ايه ! دا! كان يومى عني لله هيه ملاعرات .

العص لحظر الفصل أو انتشاره في بلاد بعيدة .. وأصاب القاصي الشرعي أن هذا حرص توجبه مصححة العيال ..
وسبكت المولف وأغيا عن نفسه ، وهو يتسول - بمعية - نظرات الإكثار !

وقام هو بمسه الى المحطة لارسال البرقيات .

وبقى الآخرون يتحدثون عن اضطهاد المصريين لحساب الانحصار واضطهاد العلادين في القرى المحاورة لحساب انساب .

وعرف الشيخ حسونة بلاد انصرية منذ لانه الزى الجديدة ، وهرته أبناء اعتاده العلادين على جسر النهر والترعة ، وقال وهو يصفي بزوه :
- بند شهامة طول عمرها .. الله ! .. دي ميتهم يا احواء دا فقهم ياحدوه باى طريقة ما دام الحكومة بتسرقه منهم وتعتيلو للبائسا .
ولم يفند زوه الشيخ حسونة ما سمعه من أبناء القبض وهمس لنفسه ان هذا لا يمس شيئا ، فالرجاء انفسهم قبض عليهم . ودعوا في معلقة وسبشل . والكثيرون يوتون الآن بالراضين في شوارع القاهرة والاسكندرية وسطا والمصورة وبني سويف واسيوط !

لم يزل صوته قائلا انه يرسل برقية للنائب انعام يشكو فيها رجال المركز لانهم قبضوا على الرجال من قريته .

فأجاب موظف بالنيابة قائلا انه لا مائدة من هذا بالنيابة الآن في يد الحكومة . والحكومة تنفض على الناس بلا حساب ، وبعد القبض تبحث النيابة في القانون عن مادة تطمئنا ، وتدافع بها عن اجراءات القبض ، ولكن الشيخ حسونة لم يقتنع بهذا الكلام .

وعندما انصرف آخر النهار قائل احد اصدقاء ملاحظ البوليس لرجاه ان يعد طريقا للافراج من رجال القرية ، ورجاه بصفة خاصة ان يتوسط كيلا يامر بتعديدهم - كما هو الشائع - حتى يتم الافراج منهم !

وفناد الشيخ حسونة صدقه المتواضع في الصباح الباكر ، واتجه الى المحطة بحوار الصدق ، وأرسل باسم اهالي القرية برقية الى النائب العام ووزير الجناينة مطالبا بالتحقيق في أمر القبض على رجال من القرية ، وأرسل صورة الرقية الى المصحف المعروضة .

ثم ركب عربة حطوط من المحطة ، ومضى بها على الحس الى قريته . وبعد ظل على طول طريق الحس ، بنظر الى النهر وإلى العنقول ومعجب لؤلؤ الذين يتركون الحس الخميل المستقيم ، ويقبضون بدلا منه سكة رراصة حددة ملتوية لتمر امام قصر اباشا ، وتضحي الدولة في هذا

السبل بكثير من الماء ، وكثير جدا من الارفاق ، وكان المصور هو حراف العلادين ؟ !

وهسي لنفسه ماذا لو احسار اباشا مكابا على الجسر ليى عليه قصرا ؟ !

ولكن الحظ السيء جعل ارضه كلها بعيدة عن الجسر !
مع ذلك .. فهذه الدولة لا تسلي بشيء . هي دولة حزب الشعب !!
لقد فكر سائق العربة بعنه في الأمر .. والنصف يسأل الشيخ حسونة لماذا تشق الحكومة رراعية جديدة والجسر موجود : على طول الشجر والغل ، وبحواره النهر والنسمة الحلوة ؟ !

وحين اجابه الشيخ حسونة بأن اباشا سي قصره بعيدا عن النهر ، من السائق شفتيه وطوح بالسوط في الهواء وهو يقول :

- عارف .. يا سيدي ما انا عارف ! يا سلام على الافتراف يا ناس !!
وبلغ الشيخ حسونة القرية المظطور ، ظل راكب حتى بلغ دار محمد افندي ليقيم بها فدار الشيخ حسونة مهجورة منذ نقل .

وتحركات النساء من وراء الابواب يتأملن في عجب وفلق ، مقدم حطوط الى القرية .

وسيطر الرعب من جديد على القلوب !

فربما كان طرانا جديدا من طوارق الحكومة يدهم القرية .. ولكن كل عين كانت تتردد من داخل المظطور ، كمنه ، لانه لم ترقى الاباس الصفراء والطربوش الأحمر ، والسندقية .. وكل ما يمثل المباشنة والكرامة والقصا .

وعندما بلغ الشيخ حسونة دار محمد امدي كانت مؤخرة المظطور قد ازدحمت بالاولاد ، الذين لم يبلغ السائق في هشهم عنها ، بكرواحه وشتماته العارجة !

وهاد السائق بمرسته وهو يشكر للشيخ حسونة الاجر السخي . ودخل الشيخ حسونة دار محمد امدي فاستقبلته ابنة منه : أم محمد امدي وقد حيرتها المفاجأة ..

وفطى هو يده في كمه ومدها الى ابنة عنه وانقضت على يده ثقبها . وتقل كتفه ، وأخلت تسمح يدها في جلبانها ثم تربت كتب الشيخ حسونة ونفسها تحبش وعشاها تخران بالدموع .

وسأله الشيخ حسونة عن ابنتها محمد افندي أين ذهب في هذه الساعة من الصباح ؟ !

فكانت له انه اخذ حششته وركب الى محمود بك يرحوه ان يذهب الى المركز للافراج من ذباب والرجال .

وإذ ذاك ناز الشيخ حسونه . وصرب كفا بكف واحد يعني هب
محمد أمدي . . فما شأنه هو بمحمود بك . وما شأن محمود بك هذا
بالأفراج عن الرجال ؟ !

وأرسل يقول إن محمود بك هذا لا يمكن أن يصح للعريه شيئا ،
وهو يستعبد من ارتباطه بالحكومة لا بالعريه وكل هم هو أن يسلط
العريه ويهيئها . ولن يتأخر عن بيعها بنسائها ورجالها وأولادها وبناتها
بصفة جيهاة !

ولم تعلم أم محمد أمدي شيئا وأصرحت تحصر حصيرة نظيفة
فرشتها على المصطبة في مدخل أندار ، وأحدث نروح ونحوه في الأندار
وتنادى عبي حارثها ، لم أمسكت بالأورة التي ظلت تحتها حيات البقرة
وذبحتها احتفالا بمقدم أبي عنها العالب حضرة الساطر .

وعندما أوقد النار لتسخن الماء جلست أمام الكاون وظللت تنظر
في الدخان المتوجع وتحلم بأن يعود أبها دياب ليأكل هذه الأورة مع خاله
الشيخ حسونة .

وتذكرت حس القمح . . لقد بعد مند يومين ، وليس لديها دقيق ،
وهي لا تملك في القاعة الا خبز اللرة . . ولم يترك لها ولدها دياب ،
بحمل القمح الى أطاحونة !

وأستدعت فتاة من حارثها وهمسست في أذنها بكلمات . ذهبت الفتاة
الى وصيفة وسألت أم وصيفة أن كانت تملك ثلاثة أرغفة من القمح أو
أربعة .

وعادبت الفتاة من عند وصيفه فارغة ، فأسرستها أم محمد أمندي
مرة أخرى الى امرأة شيخ البلد ، وعادت من هناك تحمل قطعة من قماش
طيف قد لمت على العرض المطلوب ، على ثلاثة أرغفة نساء طرية من
القمح .

في أن الشيخ حسونة لم يعد طويلا عند أبة عمه . وقد تركها
ليرود الدور الذي قصص على رجالها .

وذهب أول الأمر الى دار محمد أبو سولم ، وقلبت وصيفة يده ،
وسابت دموعها على ظهر كفه . واهتر الشيخ حسونة وقتل رأس وصيفة
ودمعاها استه ، وأكد لها أنه هنا كاتبها تماما ، ونادى أمها وشجعها وطلب
مها أن تهتم بوصيفة وهرض عليها مالا ففكرته أم وصيفة ، وقاضت
دموعها ، ولم تأخذ منه شيئا ، وقامت لتعد له القهوة . ولكنه اضطر
وطل واقفا حتى أنصرف من دار محمد أبو سولم وهو يؤكسد لانبته
ودروحه أن دخل البيت عائد الى العرة على الفور . وحذثته وصيفة وهو

على الباب عن مسعى محمد أمدي عند محمود بك ، فأعس أسكارة
لهذا المسعى وسخط على محمد أمدي ، وعند يؤكد أن الرجال صاندون
الى القرية لأنهم لم يتركوا حريمه لا لأن محمود بك نسى لهم .

ومال على بيت عبد الهادي فتشجع أهله ، ودار الشيخ حسونه
بعد هذا بعض الدور في أساحية الشرقيه غوانى أمها وحمل أنيهم
الطبيبيه وطلب منهم أن يتشجعوا ويحملوا . وأصراف من موره . بعد
أن قتل الأولاد والنساء يده ومن ورائه ذمعا حذر بالنسب وأهبة وطول
العمر .

ثم أتبعه الى ذكأن الشيخ يوسف .

كان الشيخ يوسف في هذه البسة من أول الضحى يستمع الى
حديث الشيخ أبنساي الذي عاد من دوار العمدة .

وقطع حديثها مقدم علواني فقال له الشيخ يوسف بصل انه اشتاق
اليه في الصباح الباكر وأوشك أن يرسل اليه ولدا غير انه فكر في أن
يتركه بياض ليترفع من السهر في حراسة البطيخ .

واشتى علواني بهذا اللقاء الذي لم يعرفه من قبل وقال للشيخ
يوسف في صحب فاحك أنه هو أيضا كان يفكر فيه .

وكن علواني يحفل كيسا كبيرا مليح بكيران اللرة . وكان يمشط
وسطه بحرام . وأجلباب من فوق وسطه مشطع بانكيران .

أخذ علواني يخرج البكيران من « عبه » ويضعها أمام الشيخ يوسف
ثم مال على الكيس الملقى في الأرض . وبعد أن أفرغ الكيس كله ،
نزل بصره من الكيزان العديدة الى الشيخ يوسف وهو يطالبه أن يحسم
لنفس هذا اللرة من الحساب المتراكم عليه ، ثم طلب منه علة سباجار
حذرة .

وبعث الشيخ يوسف وصاح في هوائى :

— رايح تتررب سحابر ماكبة . وإله هال . الرجله يقينوا عن البلد
من هـا وأنت تسقط على اللرة من هـا . . قول لى أندر دا حبيبى ميبى ؟
وبضحت طواى فى ثبات . . قائلا :

— أنا حريه . .

وقطع الشيخ يوسف فيه في دهشة وتساءل . فأكبل علواني :

— تـ شهم . . ايوه . . لكن وحية التي ماقيهم درا واحسد من
أصحبى ولا من اللى كلت معايم عيش ومنع ، ولا فهم كور من دار واحد
محتاج !

وتردد الشيخ يوسف في قول كيران المدة من علوانى ولكن صوانى
ظل يعمره تكميات جديدة يخرجها من جيوبه ، ومن صدره المنتع
بالكيران .

وصرح الشيخ الشاوى في علوانى :

— آيه ياواد ياغرباوى ده .. يا بهارك امر .. حرام عليك يا واد ..
دا يوديت جهم .. حرام عليك تس دا يفتح يوسف . حرام قطعاً ..
فعال علوانى باستحجاب :

— جهنم ! وأنا احاب من جهنم ليه ؟ هيه جهنم دى يمسى حاجتى
اكثر من اللى انا عايش فيه ! وهو انا يعنى ياسيدنا كنت لقيت الحلال
وسبته هلشان انحرام .. الله يسترك ياسيدنا . نصنا من الحلال
والانحرام فمسا ! وهيشنى اللى مايعلم به حد ، دى تبقى حلال ولا حرام ،
هه .. مانقى ا

ولم يجب الشيخ الشاوى .. وظل يستعيد ياده ،

أما الشيخ يوسف فعاد أخذ يعد الكيران التى غمرت البنت امامه ،
وتناثرت على الأرض ، ثم اخرج الدفتر الكبير وقلب صفحاته ، وأمسك
بقم من الكوبيا وقال لعلوانى :

— بيتى مخصص منك ريال .

فقال صوانى محتجاً :

— ريال ؟ .. دا حرام يا عم الشيخ يوسف .. اهه ده اللى حرام
صحيح .. ما تتكلم ياسيدنا .. بقى دا بيع وشرا ؟! دول يطلعوا اقله
بتسع برايز وأنا مسامح كمن .. دا شقا الليل كله ا وبيا عالم !

فحجز الشيخ يوسف عدة كيران ثم اعطاه عدة صغيرة من السجائر
عليها رسم غزال اسود وصاح مصطفى الفضب :

— طب غور .. خذ الدفتر تشاك وانجر من قدامى .

فاستدرك علوانى قائلا برهاف :

— لا لا .. طب وأنا اعمل به ايه .. طب احسبهم بست برايز ..
طب نص حنيه .

وظل الشيخ يوسف يهر راسه في رفض .. فصاح علوانى :

— طب ناربع برايز .. هه .. والله ما انت حاسبهم ياقل من كده
يا شيخ ..

فعال الشيخ يوسف بصرامة :

— ثلاث برايز مديش غيرهم . عاجلك والا لا !

واستكان صوانى فعلاً :

— طيب ! العرص ! .. حلال عليك يا عم .. احسبهم بقى من
الاستحراق .. نزل الحسم من الدفتر ده .

وناب الشيخ يوسف وأخذ يكب في دفتره الطويل العريض بينما
كان الشيخ الشاوى يزق :

— يا راجل حرام عليك يا راجسل ، يا واصل شركك احسن من
استحباب دى !

فعال الشيخ يوسف باهمال دون ان يرفع راسه :

— دهدى .. ما بلا وجع فنب بقى ياسيدنا .. ما تشطر كده عى
العمدة .. بعنوتوا بحى .. وحية البى دا انت تكلم والمه ..

وروع الشيخ الشاوى وقال مزعجاً :

— به دا انت خربت .. اللهم طورك ياروح .. اب حانحوش !

وحاول صوانى ان يتدخل في الحديث فنهزه الشيخ يوسف وامره
بان يرجع بعيدا هه ، ووجد الشيخ الشاوى في صوانى فرصة
للاعتجار ، فنبهه بلشتاتم واللصا والوهيد بالار .

وحين انتهى الشيخ الشاوى من شتاتمه وغاب علوانى عن عينه
انتفت آية الشيخ يوسف في هدوء ، وقد سيطرت على وجهه السكابة
وانصرامة ، ولعلبت انصرة الشاجبة سمرة .

وأخيراً قال الشيخ يوسف :

— كمل ل ياسيدنا بقى حكية الراجل المؤذى ده .. الله يفظمك
بعلوانى ويكده عليك توهت منا الكلام ! كمل لنا ياسيدنا كمل .. بقى
باناس دا عمدة ده ولا شيخ مصر ؟ ..

وعاد الشيخ الشاوى يكمل الحديث الذى بدأه قبل ان يجبره
صوانى ..

بعد كان الشيخ الشاوى عند العمدة في الدور يقرأ له واثب
الصباح من القرآن .. واعترف العمدة انه ضاق باهانات محمد ابوسويم
له امام اهل البلد .. فمحمد ابو سويلم لا يذكره الا بكلمة النجس . ولهذا
ابيع اسمه مع الذين قطعوا الجسر ليؤذبه احسن ادب !

ولئن أفرحت الحكومة عنه وعن الرجال الآخرين ، وعاد محمد
ابو سويلم يتحده مرة اخرى وعاد عبد الهادى الى قفروه أو فكر محمد
اهدى في ان يرتع راسه متاثراً بعد الهادى ومحمد ابو سويلم ..

فهناك موضوع حضرة ولا أحد يعرف سرها وسيلع العبداء عن اكتشاف موتها فتيبة .

والمعروف ان محمد ابو سويلم طردوا من بيته وصربها قبل موتها بإسمات ، والمعروف ان عبد الهادي شرب مرة وحاح من تأثيرها على وصيفة ابني يريد ان يتزوج . والمعروف ان حضرة كتبت على صلاته مع دياب وربها كانت قد حملت ، وخشي دياب من الضيعة !

وعلى أية حال موضوع حضرة مازال موجودا ، وسيظل موجودا لمدة خمسة عشر عاما يعرف العبداء طولها كيف يؤدب الدين يحاولون اعانته أو تحديه !

ولم يكذب الشيخ الشاوي ينشئ من رواية هذا الكلام حتى دار الشيخ يوسف ، وسأل الشيخ الشاوي عما قبله للعبداء ردا على كل هذه التريبات ، ومحاولات الإلهاء !

فأجاب الشيخ الشاوي في طيبة بأنه لم يقل له شيء .
وإن ذاك قال الشيخ يوسف !

ـ ربما ما نحتاج إليك بعديت ولا أية ؟ ولا مثل حتى ..! بس ماسكت لي في الحرام والحلال على الهايبة ؟ ! بس تسمح من العبداء الكلام ده كله وسكت ..! بس صبر العبداء ولا يهيه دي ترضي ربنا ؟ أنت بس تعرض في الهيبة ؟ ..! ولا العبداء ده من أولى الأمر منكم ..!

واحتقن وجه الشيخ الشاوي ووقع !

ـ دا كلام إيه اللي أنت بتعوله .. أنت بتكلمني كده ليه م الصبح ؟ .. يا اخي دا الإمام علي كرم الله وجهه يقول من عصى هراما صرت له عبدا ..! أنا قريت في الكتاب قبل ما نقرأ في الأضرع ، تقوم تجي بعض مهاي كده ! احص ..!

وقبل ان تستخدم المذقشة ، كان الشيخ حسونة يقف أمام الدكان يلقي اسلام بابتسامة هائلة .. ولتنتفتح الابتسامات هي مقدم الشيخ حسونة .. وسلم عليه الشيخ الشاوي بترحاب ، وفقر الشيخ يوسف أي حرج الدكان في اسباح طهر غير كل صيقة ، وعانقه طويلا ثم اخذ يهر يد الشيخ حسونة ، وسحب يده هو لصرب صدره برفق ، ثم يعود ليتمسك بها يد الشيخ حسونة ويهرها بحراة .. هكذا عدة مرات .. هي وقع كلمات واحدة لا تتغير .

ـ سلامك ..! طوب ..! أثبت كده ؟ ..

واخيرا تعدد الشيخ يوسف الى بيته بجوار الدكان ، والعب الى الشيخ الشاوي طالب منه ان يجلس معه الى الدكان .

ودخل الشيخ يوسف الى بيته ، وهو يدع أمامه أنشيخ حسونة في اعتباط .

وجلس في مدرة الشيخ يوسف داب الأرض المفروشة بالحصى والكسب الممرق أعطاء .

وتأمل الشيخ حسونة لوحه كتب عليها : « اتق شر من أحسنت اليه ».

وقد الشيخ يوسف ان محمد أمدي مر عليه هذا الصباح وذهب الى محمود بك يرحوه ان يسمى في الأبراج من الرجال .

ومرة أخرى لم يكتم الشيخ حسونة سخطه على محمد أمدي .. وعصب كيف يمكن ان يظل بعض الناس فديين من هذا الصنف من الرجال وعى حقيقة محمود بك وبوابه .

وبدا يتحدث عن أيامهم القديمة في ثورة ١٩ عندما كانوا اثنين من محمد أمدي أو أكثر منه فقبل .

وأتفق وجه الشيخ يوسف وصباح !

ـ واأ يا شيخ دانا عمال أفكر في الحكاية دي من كام يوم ! أنا هارب البند جرى ميب إيه ! لا كنت بفكر في واسطة ولا في شفاعه .. يا راجل دا احنا كنا إياها نهمم بالتحليل بعد ما نهمم .. لا رجا ولا خوف من حد ..! لكن يا هم هيه دي وقت بلد ..! هيه دي بلد يا حضرة الناظر !

وقبل ان يعقب الشيخ حسونة ، دخل محمد أمدي وعلى وجهه بشافة يحاطها ألعاف والأمطراب والشحوب .

كان م يزال يلبس الطربوش والعائكة والحداء ..

وقبل يد الشيخ حسونة ثم تعدد ينتهجن ..

ونظر اليه حاله في صمت .. وكان استقباله له واضح البرود ..

ومعد قليل قد الشيخ حسونة موجه الحديث الى محمد أمدي ان لند ان تستفيد شيئا من محمود بك .. فملي الذين في رؤوسهم فتقول ان تنظرنا معا حدث في لائحة ماء الرى وفي مشروع الزراعة !

ولم يقل محمد أمدي شيء .. وهر رأسه في مواءمة .

ولاحظ الشيخ يوسف ضحك محمد أمدي ، فانتهر الفرصة ليتكلم وهو آمن من الرد اللاذع .. وقال بسمرية :

ـ ناقص تروح تترجى العبداء كمال !

— والبركة فيكون لكم يا ابنى .. الله ! هيه اوصنا لوحدا ٢
 هيه مش ارضكم كمان ! طب قول لي بس .. مين قاني بال الحكومة
 والانجليز في مصر ؟ مش التي قدك واصغر منك .. مش هيه الطبقة
 وعمل العنابر ! انت مايتقارش جرايد ؟ مش باين عليك بتقرا .

وقبل ان يرد محمد امدي قال الشيخ يوسف باستهزاء :

— جرايد ؟ .. جرايد ايه يا عم الله يسترك .. هي دى بلد بتاعة
 جرايد .. دى بلد دى ؟ .. قال جرايد ! ا ذا كل حين ومين على ماتقع
 في ابدنا جريدة ا هم دون ناس ؟ بقى ده جيل ؟ هو جد من الجيل ده
 بقرا جرايد ولا فاهم حاجة ؟ والله يا شيخ مارحالة الا رجاة رما !
 ماترضى الشيخ حسونة :

— لا .. لا يا شيخ يوسف .. هيه البند بتاعتنا لوحدا ! ا ماهى
 بتاعة اصغر واحد فيها كمان ا وهو احنا واخدين الارض معنا ، ما احنا
 سيبينها للجيل الجديد .. ولا لانا ا وبعدن اكو رينا سباحتنا وتصالى
 يورث الارض ومن عبيها .. لازم يهيموا كده يا اخي .. واحنا فهمنا كده
 واحنا شباب .. ان كان فكرى يرغى ان ماعيش هايدة خلاص .. لكن
 والله لو تشوف اللي بيجرى في مصر لتشرح ا داللى بيتعرضوا لبرصا
 في مصر كلهم صدر في السن ودهمين تماما ياشيخ يوسف اكثر منالى
 سنة ١٩ .

— على الله ا ..

ونظر محمد امدي ياكبار الى خاله الشيخ حسونة .. ولم يحول
 منه نظرا ا
 ومن خارج الغرفة ، رتت دقة فتجنس على صينة قهوة ثم تلاها
 تصمييق يد صغيرة ..

ولاحت ابة الشيخ يوسف المجفاه من فتحة باب الغرفة ..
 وانتظرت ان يقبل ابوها ليحمل الصينة ..

ولم في ذهن الشيخ يوسف خاطر سريع .. وادمغ وجهه وهو
 ينقل نظرانه بين فتحة الباب ومحمد امدي وقال بسرعة وهدوء :
 — ادخلي يا بنتي ا ماحدث غريب .. تعالى سلمى على عمك الشيخ
 حسونة .

ودخلت الفتاة الصغرى ، وجهها الاسمر الجاف العابس كوجه ابيها
 وحدها المفرغين ، وقوامها الحبل القصير ، ونهديها الصغيرين ، وجلبانها
 الاحمر يكتشف من ساقين مهزولين ..

وقال محمد امدي بصوت حفيض في لجة مستكبة وهو يلقي
 عذرة امتن على الشيخ يوسف .

— لا .. عذرة ايه بقى .. هو انا كتب مشيت وراه في الانحباط ..
 وللا دعمت له اشترالك لتجريدة الحكومة ا

وادرك الشيخ يوسف ان محمد امدي يعرض بمواقفه في اوائل عهد
 حكومة حرب اشعوب .. وكظم غيظه ، والتفت في خجل الى الشيخ
 حسونة ، ولم يمسك ابيه الشيخ حسونه ، واسما حال لمحمد امدي :

— عجيب ! ا معنى تعاف من الحبل ولا تعافى من النعيب ؟ !
 والمعدة ايه ا ومحمد بك ايه ا والياش ايه ا !

ثم ارفع صوته كأنه يعق عن الكلمات واسترسل يقول :

— والحكومة ايه والانجليز ايه ا امش كلهم واحد ! سسسال واحد ا
 كله سسسال لر !

واربك محمد امدي . وبان على وجهه انه كن يجب ان يهجم
 كل هذا ..

ولكنه حسب بعض اوقات ان في مقدره محمود بك ان يؤدي خدمة
 للعرية ، مادامت هذه الخدمة ستعود عليه ببعض المال .

ولم يعرف محمد امدي ماذا يقول ..

كن يؤمن ان حانه الشيخ حسونة يعهم من اسرار الحياة والناس
 اصحاب مايعهم هو .. لقد آمن بهذه الحقيقة دائما منذ كان طفلا ! وكلما
 هركت الظروف خاله ، ازداد ايمانا به .. ان محمد امدي يدرك ان خاله
 قادر على مقاومة الحكام ، واليكيد لهم ، والوقوف امام مايرسون ، وهو
 يعرف ان رجالا كخاله ومحمد ابوسويلم يمكنون من الخبرة في اعداة
 اصحاب ديملت هو .. فقد صنعوا الثورة ذات يوم .

ومهما يكن من صيغة احيان برح كالتشيخ يوسف .. فهو يحتفظ
 في نفسه بحيالات بعيدة من ذكريات من الطعنة .. حين كان خاله الشيخ
 حسونة ، والتشيخ يوسف ، ومحمد ابو سويلم يصرخون مع الرجال في
 الطرقات تحت خفق القوس : « يعيا العدل ! »

واراد محمد امدي ان يقول شيئا يستند به نفسه من الصمت
 والخرج ، فطرد الصعدا سحبة قوية ، وهو يقول :

— ما هو الحركة في حصرك .. يا حصرة الناظر ..

فقال الشيخ حسونة بثقة وامل :



م يخرج الرجال بعد من سحر المركز .
ومازال الشيخ حسونة مقيما في القرية ، وقد زار
العمدة ، وتحدث اليه في أمر الرجال الذين يبتون في
سحر المركز ، وهذه لئن لم يتصرف من فورهم
بلا فراخ منهم فيعرف شمله .

ومن يوم .. ويوم آخر ، والرجال لا يعودون !

ورار العمدة سرور محمد أمدي . ليرد على الشيخ حسونة زيارته ،
فاكد الشيخ حسونة أن مهندس الري وحده هو المسئول عن القصر على
الرجال : بعد قلب الدنيا في المركز على رأس المسامير عندما وحسد
الجسر معطو ، وطالب بفصل عمدة الناحية أن لم يرسل الى المركز
كل الرجال الذين قطعوا الحصر .

فعال الشيخ حسونة بصوت هادي ساخر :

— وهوه محمد أبو سويلم كان قطع الحصر يا عمدة ! هه يا حفرة
العمدة !

وقتل أن يحجب العمدة ، وهو يبحث عن كلام يقوله ، اندفع محمد
أمدي يرقق بصرة :

— والواد ذياب كان عمل حريمة بالحصرة العمدة ! الواد مصل أبه
س ! ؟ حد عارف بجمعوا له أبه ذلوقت في السجن ! !

ونظر الشيخ حسونة معيظا الى محمد أمدي ، فادرك محمد أمدي
أن خاله يؤسه على انهياره هكذا أمام العمدة .

ونكس محمد أمدي رأسه ، فعال له حاله الشيخ حسونة :

— قوم استمع للقهوة يا محمد .. قوم يا محمد أمدي !

واذ خرج محمد أمدي ليستمع للقهوة قال الشيخ حسونة بصوت
أدى ومهم :

— ألسن لا هو عيب ولا هو فصيحة ؟! سعد أنس ! سعد أنس !

سبحن ! سعد كان محبوس وعذلي قاعد في سرايته بيهنر مع الإنجليز !

وارتجف العمدة وهو يثتم :

وضعت الصبغة أمام أنبها ، وتعلمت الى الشيخ حسونة .. فوضع
يده في كفه وسلم عليها قائلا :

— باسم الله ما شاء الله .. دى بقت عروسة أهى ياشيخ يوسف ..

واخبر وجه الفتاة ، ولبمت ريقها ، واختلج حداها العائزان ..
فانتمس أبوها الشيخ يوسف وقال لها :

— هدهدى ؟ طك سلمى على محمد أفندي ..

وتعثر الفتاة ، وهى تحطو الى محمد أمدي .. ووقع محمد
أمدي في مكده وسلم على الفتاة دون أن يتقدم اليها .

وخرجت بسرعة مضطربة ..

ثم انتمس الشيخ يوسف وهو يصبب القهوة ، وينظر خلسة الى وجه
محمد أفندي قائلا :

— هه ..

وقدم مسجن القهوة الى الشيخ حسونة وهو يقول :

— قهوة تمام من أيد نثنى .. حاكم هيه شاطرة في كله .. قهوة
وطيخ وخبيز ، غير بقى الصلاة والصرم والمباودة .

فانتمس الشيخ حسونة قائلا :

— ما شاء الله .. ما شاء الله .. ربنا يبارك لك فيها .. طجسنا

يا سيدي ماهي من ماون طاهر .. ما أنت لارم أحسنت تأديها ! ..
أدينى ربي فأحسن تأديبي ..

وقدم الشيخ يوسف فحشا آخر الى محمد أمدي وهو يثتم ..
ولم يخلج وجه محمد أمدي بأي أنفعال ..

وذاب الحديث شيئا فشيئا ..

وهم يرتشفون القهوة بصوت مرتفع .

— انى نعى .. اى نعى باحصرة الناطر ،

لم يكتب المدة .. وسكت الشيخ حسونة .

واخذ المدة يتأمل الالفاظ المعلقة فى سرور محمد أفندى ، على حواظ المندرة الصغراء .. كان يطس على الكتبة امامه لوحة من الحسن مكتوب عليها « الكرم لا يفسد » والى جانبه لوحة اخرى كتب عليها بخط احمر متشابك « وام سمعة ربك فحدث » وبذل يصره الى لوحة ثالثة واحد يحاول ان يقرأ خطها .. وغرا لعمه « عز من قبح » ودل من » . لم تفتح قراءة بقية الالفاظ « طمع .. ودل من طمع » .

وماجاه الشيخ حسونة بفرقة طويلة ، وشرع يذيق عصه على البساط الاحمر لم اخرج ساعة جيبه ، وبعد ان نظر فيها ، اخذ يتأمل من الشباك اشعة الاصيل وقد بدت تلعب القرية نونها البرتعالى الشاحب الذى يحل الى النفس فحاة كل معاني الدروب ،

وقال الشيخ حسونة بصوته الهادى :

— لما نصلى العصر قبل مابقى مكروه .

وقام الى ركنى العرفة فامسك بحصيرة صغيرة ماعوفة . ودخل محمد افندى ، فجلس عنه الحصىرة ويسطها امامه .. وبدأ الشيخ حسونة يصلى ، وبعد ان قرغ من الصلاة قال له المدة :

— استاذن لنا بقى .. سامحنى فى القهوة ،

فنظر الشيخ حسونة مضطبا الى محمد أفندى وهو يقول :

— فبين القهوة ؟

وخرج محمد افندى متلکنا ، وهو يتمتم :

— بقى يجس لنا دباب ونسقيه قهوة كمان ؟! ما عنه ما طمع !

اياله يشرب السم الهارى !

وبعد مناقشة بين محمد افندى وامه قال لها :

— خالى محكم رايه على القهوة ..

— يا حسرتى ! .. بهى جاي يشرب قهوة عندنا معين وحسارة ؟!

يجس لى اسى واعمل له قهوة كمان ؟!

واخيرا حمل محمد افندى القهوة ، وعصها ، وقدمها للمدة ولحالها وهما صامتان .

واخذوا يشربان القهوة .. والمدة من حين الى حين يقول للشيخ حسونة :

— كل عام وانم بخير يا حصرة الناطر ؟ يعودو الايام .. ان شاء الله كده شرف سدا على طول ..

واخيرا بهض المدة ليصرف .

وشيعه الشيخ حسونة الى باب الدار . والمدة يقسم عليه من كل حظوه ان بقى مستريحاً .

وعندما كن المدة يسلم على الشيخ حسونة ، على بعد خطوات من باب الدار ، قال له المدة :

— انشاء الله الرحالة بطلمو بكرة . وساتوا من دورهم .. حكم رى ب انت عارف المامور بحجهم فلشان نادوا انصرف هم من الزورة جاي يزور البشا بكرة . والوزرة ماشيين بعد العدا على طول . والمامور قال بى .. كده كلام بيسى وينيت .. ان الزورة رايجين يمشوا من هما وسماجين البند يرحعوا البلد من هما .

وهو الشيخ حسونة راسه وقال :

— على خيرة الله .. ابو الزوراء جابين يزوروا الشاف بكرة صحيح !

وعاد الى الدار فزعم فى محمد افندى وامه لانها احرا الفهوه وقال

ان هذا لعب اولاد صعب .. والاصول .. اصول !

والعداوة شىء ، وتقديم الفهوه شىء آخر !

ولم يجيب محمد افندى ببسمة قالت امه :

— مشى هم دول اللى فى الاون حلوا السم لاوبيا وفى الآخر رموا

ابنى دباب فى السحنى ! قطعية تفتح دى حية .

فاحابها الشيخ حسونة بصوت مكظوم .

— بلاش كتر لباية يا ام محمد ! .. بصى نشطر على فتعال الفهوه

دا ايه الحبة دى وقلة القحمة دى ؟!

وساد الصمت لبعض الوقت .

وقعد الشيخ حسونة على المصطبة فى مدخل الدار ، وقعد بحوار

محمد افندى ، بينما انصرفت امه الى الداخل .

ثم تسامع محمد افندى عن هؤلاء الزوراء ادين ميوزور الباشا

فى ضيخته بالقرب من عاصمه الاقليم كما قال المدة .

فقال الشيخ حسونة بصوته الهادى ان الباشا يدعو بمصر اصدمائه

من وراره حزب الشعب ليزوروه فى قصره الجديد ، وسيشعرون طما

بمتاعب الطريق ، فمحملون بشق السكة ابراعية التى تصل بين القاهرة

وعاصمة الاقليم مارة بالسراى على حدود املاكه الشاسعة .

وسكن محمد احدى لم يكن يريد من حانه هذه الاجابه . فتساءل
ماعلاقة هذا كله بالامراج عن ذباب والرجال .

وانتم الشيخ حسونة وهو يقول ان صبيهم ان يبعدوا بهم لان
السامور . يقض عليهم جميعا ليكونوا في استئصال ورياء حزب الشعب!
وعلى اية حال السامور قد تلمى الاوامر من المدير ، والمدير تلقاها
من وزارة الداخلية بان يمد لوزراء حزب الشعب اكبر استقبال شخصي !
استقبال يوشك الرعام فيه ان يحقق الوزراء !

ولارباب ان المدير قد امر باعداد كل المسجونين في سجون المراكز
وهم الآلاف ، واعد ملابس هديه للذين يرتدون ملابس السجن معهم ،
ليحتضهم كلهم مع رجال البوليس السري ، والعمد ومشايع اللاد
والعمراء . . وكل الذين يستطيع مامورو المراكز ان يجمعوهم من
الطرق . . كل هؤلاء سيؤلفون الاستقبالات الشعبية الرائعة ! .

ولم يكد الشيخ حسونة يصل في حديثه الى هذا الحد حتى تنبه
الى ان محمد احدى لا يكد يدرك شيئا مما يقول فصرخ فيه :

.. انت متى عرفت ايه اللي حصل في الانتخابات ؟ انت يا اخي
مش تفهم الحاجات دي كويس عشتان لنور العلاحين ؟ ولا يسى شياطر
تجرى مرة وراء العمدة ومرة وراء محمود من اتجه هائم ومرة وراء الهينات
الصديين .

وفوجى محمد احدى بهجوم خاله .

كان يعرف راي خاله في سلوكه . . فادرك انه بعدما مال بالكلام
على سيرته ، فن يخلص منه ابدا ! . .

فقال من فوره ليمد يده له هذه النقطة الشائكة :

.. ماهم الغلاحين هاردين كويس يا خالى . . بس انا بصى كان قصدى
اسأل بصى هو العمدة حايطلع ذباب صحيح ؟ .
فصق الشيخ حسونة متممعا . .

ثم نظر اليه ، وشرع يؤكد له ان العمدة ان يتوسط في الافراج عن
ذباب والاخرين ، الا اذا كانت له مصلحة ، او اذا شعر من الأقل بان
سلطانه على الغلاحين مهدد . .

واقسم الشيخ حسونة ان العمدة لن يفرج عن
احد ، ما دامت القرية ترجوه وتستعطفه .

على ان القرية مع ذلك ظلت ترحو العمدة وتستعطفه ، فلم يكد يعود
الى الدوار من زيارته للشيخ حسونة حتى وجد ثمنا يقف على سور

الدوار ، واحرياب يطلس على الارض . . وم يكد طلعه تهل عليه .
حتى احطن به : يسان في صراعة ويكاد متى يعود الارب او الروح او
الولد ؟ ! .

ولم يحب العمدة وتابع سيره ، وعبد العاطي الحخير يتبعه . . وهو
دائما يحول ان يبعد السوا .

كان العمدة في الايام الاخيرة قد تعود ان يسمح لثساء يهرخن
ديكات صراعات امام الدوار ، وتعود ان يامر الحفراء باغلاق باب الدوار
الحارثي . . ليمسوا النساء من التبرج الى فائه . . ومعد عاد اتشيخ
حسونة الى اقربة تعاضد العمدة ان يخلص على البسطة ذات اللطاف
اكبر في ثناء الدوار ، وم يخرج ابدا في طرقات القرية الا ليرور الشح
حسونة ودأ على زيارته .

واقبته امرأة في الطريق وهو داهب الى الشيخ حسونة ، وسالته
من اسما ، فصرها الحخير . . واعتزعت طريق هودته فاه اخرى تسال
من اخيها فاسرع في سيره وترك الحخير يدلفها وتلمعت هجور فصرها
نصاه . . وانقضت امرأة صغيرة حسناء وامسكت بكم جيته وهرته وهي
تبكي سائلة عن روحها ، ودفعها بقوة وامجر يقول لها كلاما دانيا معرضا
بوجهها على ابروح اعائب . . وعين تحت من طريفه مضطربة الخطوات
تعض حيالها في حموها . تابعها الحخير بكلمات مضبوحة وصورة
زوجه تطلع نفاة امام هينه ، وظل الحخير عبد العاطي يرقق في وجه
الروجة الشاة الحمية :

.. جاتك العم ؟ . . المرأة ان ابوكي ممسوك راحي اء . اشمعني
مسك جوزك بصى هو انا حارتك قوي وواجمك قوي ؟ ! حاكم صنف
اسسا دا صف دون . . الواحدة هيبا بس . .

وشاق الصدة فالتفت اليه ونهره حتى لا يسير فيقول ما لا يصح
ان يقول الحفراء امام هملهم .

على ان الصدة حين بلغ الدوار مائدا من زيارة الشيخ حسونة ،
لم يستطيع ان يدخل من الباب . .

كان امامه حائط متوج قائم من النساء يلسن الحلاب السوداء
ويقفن امام باب الدوار ويلوحن يابدهن دايكات .
ولج العمدة من بينهم فتاة بيضاء غامرة لا تلبس الحلاب الاسود
كالآخرات . .

وكانت تصرخ بصدا ، وتقتحم الزحام حتى وفقت امام العمدة
تعاما . .

وحاول الخمر ان يبعدها ، وبداه ترتفعان فوق رأسيها وترتفعان
من التردد .. فصرخت فيه العاتة

— اوصي تمد ابدك عليه يا واد يا عبد العاطى .. كن ابدك جاك قطع
ابدك .. امد دواعك كده ان شا الله تنصا !

وسانها الممدة من تكون هي ، وقبل ان تجيب قال عبد العاطى :

— دى بنت شيخ المعري !

صاح الممدة محسنا :

— شيخ اه لا هو لسه شيخ غفر لا الله الله ! بقى انت عبر انت ؟ ..
وغفيري الصوصى كمان ؟ طب يا ابن شلبية ! احاكم انت ربايته ..
رباية محمد ابو سليم !

فقال عبد العاطى مضطربا :

— شيخ العفر الى هو سابقا يعنى يا حقرة الممدة ..

وتصدت وصيعة وفشت صدرها متجدية ولوحت يديها :

— انا وصيعة بنت محمد ابو سليم .. ايه مش عاجبك يعنى ..
ايه بقى ؟ مش قد المقام ؟ فين ابوى ا .. اقول لى فين ابوى ..

وهو الممدة رأسه والأشعة الحمراء تنسكب من آخر لحظات النهار
فوق دور القرية الداكنة وعلى وجه وصيعة الرائق ..

وقال الممدة يهدوه مصطع :

— طب مش عيب تشوصى لى وشى وترهق لى كده .. وانا اكبر
من ابوكى !

فصرخت وصيعة بانفعال واضح ، وبدها توشك ان تفتحم حينه :

— عيب ؟ .. انت بتقول عيب ؟ هو انت خليت عيب .. وعش عيب
عليك تعط ابوى فى السجن ؟

وقال الممدة فى هدوء وخش وهو ينظر فى بدن وصيعة ، وينقل
نظراته بين وجوه النساء :

— طالعة لامك تمام ! .. حاولة قوى زى امك .. ولحظة ونمشة
برضه زى امك ..

وادرك النساء مايريد الممدة ان يقول .. وعمر من انه يريد ان يشوه
ام وصيعة ليذل الشئ امامها ، وكسر هيبة ، وعين ابوها ..

وقالت امرأة باستنكار :

— ومالك انت ومال امها بقى ! اش عرفك ان كانت نفثة ؟ ايه ده
ناه ! وانت كنت شقيما قين ولا عرفتها قين ؟ ..
وانطلقت امرأة تقول :

— واللى نو شيخ المعري هدا وسعمت بقول كده ، ليطان فى بطاك
عيازين على طول .. بقى كمان تتكلم على مراد محمد ابو سوسم .. بى
كمان .. هه حصلت ؟! يا عيشى عليه !

وقالت امرأة ثالثة :

— يا احتى الراجل شاب ولسه هايب .. چاته متين نيئه شاب
ومايب !

وعلمنا كين النساء يتحدثن باستنكار فى وقت واحد ، امسكت
وصيعة بحبة الممدة وهرته بمف وهو تقول متشنجة فى صراح مفرع :

— بتقول ايه على امى ! مالك ومال امى ؟ ا هات لى ابوى .. فين
ابوى ..

وترجع الممدة بدمه الهريل داخل الحبة على هزات وصيعة
امصيبة ..

واوشك المعري ان يبعد رأسه ، حين رأى النساء يعاجشن الممدة
بالشتائم ، وهو يرتجف داخل حبه بين يدي وصيعة ،

وارتفع عين الممدة كالشجرة بعد ان غاص صوته من المفاجأة :

— اضرب يا وله .. ساكت ليه يا فقير .. يا واد اضرب .. اصبروا
يا غفر ! سابيين لسوان البلد على عمدكم .. سابيين النساء يهدلوا
عمدكم .. حايموقولى المسوان ! يا نهار اسود بقى اووح قتيل
المسوان !!

وتشغل المعراء لى ليجده ..

كانوا هم ايف يعكرون .. فكرهم مع الرجال الذين يبيتون مثل هذه
ايم فى سجن المركز ..

وكانوا يعكرون هم ايضا فى العقول التى حذرت بها الحكومة
ماء الرى ، وفى الأرض التى يمكن ان تاحدها الحكومة لتشتق السكة
انرباعية .. وكانوا يعكرون بصفه فيه افتراء الممدة على روعة
محمد ابو سوسم ! من الممكن ان يقترب على زوجانهم ايضا .. ربما
كان يقول على زوجانهم كلاما افطع !

وكانوا كلهم يعرفون ان الممدة هو الذى املى اسماء الرجال للمأمور ،
وذهب معه الى القزق ، ليقنع المأمور بتقبض عليهم على خلاف ما
قوله لأهل القرية ..

وكانوا يعرفون ان الممدة هو الذى أحد المريضة من محمود بك
واوهم الناس انها تلى ، ثم وضع الاختام بها مروراً على القرية انها
تلمس شق طريق روائى ..

صنع كل هذا وناع اللذ .. أرغاه لمحمود بك .. والاشا !
 وكنت لهم في النهاية أحوه واقرب وابناء واصهار بين الرجال الذين
 يستنون في المركز .
 وكانت لهم عواطف ومودات تعاني مأساة هؤلاء الذين يتنقون السياط
 على الظهور !
 ولهم في حوص الثرعة أرض سننتزعها منهم الحكومة لشق الطريق
 الزراعي !
 وكانوا كلهم يتحدثون الي بعضهم من هذا الممدد الذي يصنع
 الكوارث لغيره ، والذي يبيع اهله وأرضه للحكومة ، والذي يحاول
 ان يخلص رقاب الناس فيها من طريقهم .. هم الحفراء !
 لكم لمس كل واحد منهم ان يرفع عصاه ذات يوم في وجه العمدة ،
 ويعطلم به رأسه الجبيث الأشيب .. كما يعطلم رأس الثمنان الأزرق !
 ومع ذلك فقد ساروا اليه آخر الأمر ليقبضوه من زحام النساء ومن
 يد وصيفة .
 وهمس احدثهم متكاسلا ويقلد صوت العمدة :
 - روحوا ! كلكم مرفودين .. رو .. حوا .. ك .. ك .. وكرو .. مرفو ..
 دين !
 وكتم الآخرون ضحكاتهم ..
 وعلى حرارة ضحكاتهم المنكسرة الساخرة كانت تنفجر كل كراهمهم
 سعمدة ، وللذين يحكم العمدة باسمهم ، وبعد ارادتهم على مصائر
 اللعابين .
 وصرخ العمدة فيهم .. بصوت كالضجيج اللاهث :
 - انتوا ماشيين على قشر بيض ا قرب أنت وهوه .. اضرب
 يا واد اضرب .. طيب .. روحوا .. كلكم مرفودين .
 وانفجرت ضحكات بعض الحفراء ، بينما رفع عبد العاطي العصا
 وهوى بها على النساء .
 وصرخت النساء واضطربن ، وامسكت وصيفة رقة العمدة بيدها ،
 مضطها عبد العاطي بالعصا على ذراعيها ، وظل يضربها حتى تركت رقة
 العمدة ، واستدارت لعبد العاطي فأمسكت بجلابيه من عند طوقه ..
 ولكن عبد العاطي ركلها وضربها بالعصا على رأسها وكنهها .. وصرخت
 وصيفة ، وتركته ، وهي تكي من الألم .
 وتذكرت أمانا وهوانها بعده .

احتاج كل يديها بالمويل ، وشرعت تموج غائلة في نحيب مهدح
 ان احدا لم يضربها من يوم ما كبرت .. ولا أيوها نفسه !
 ولكنها اليوم تنتمي الزكلات ولذع العصا من ذراع الولد الذي فيه
 أيوها بين الحفراء !
 ومالت على الأرض ، واللبل يشتر على أشعة الأسيل الحمراء ظلاله
 الدائكة الرقة ، مانسعت حجرا شبت به رأس عبد العاطي .
 واذا رأى الحفراء دم عبد العاطي ، رمعوا عصيهم وهشوا بها على
 النساء ، وهم يتصايحون .. فابتعد النساء .
 وب رال العمدة يرتش ويأس الحفراء بأن يضربوا بأحر ما عنده
 من صوت !
 وبدأ الساء يجتمع قطع الطوب من على الأرض ويقدمون بها
 الحفراء .
 وراى أعمدة قطع الطوب تتناثر فاحمى رأسه في ظهر عبد العاطي ..
 وكانت أسنانه تعود من الحقول على شياح المساء .. ومن وراء
 البهائم مليات ونساء في ثيابهن التربة السوداء : يلتقطن ما تلقى به
 البهائم ليصنع منه اقراصا تصبح بعد جفافها وقودا يساع بكيكز
 اللوة .
 كن اذ ذاك محملات الأيدي بالروث وفوق رؤوسهن مقاطع مليئة ،
 وهن يجرين من أمام الحفراء الذين أخذوا يضربون النساء بلا حساب .
 وندات التبعيات يلقين بما في أيديهن في وجوه الحفراء .
 والتقت وصيفة متطع متعما بالروث ، والفتة بكل حنقها على
 رأس العمدة .
 وذهل العمدة .. وتلطع قفاه ووجهه كله وهمايته البيضاء وحته
 واخذته الرحمة وهو يسمح الروث من عينه . وظل يرقق :
 - بانهاركو امر وسنيل بنيله : آه يا فخر ! يا بني يحرالي كده وانو
 وأنفسي .. لينكو زى وشكو .. روحوا .. روحو كلكم مرفودين ..
 دنا حاجلي لينتكو زى وشكو ..
 وجرى الحفراء كلهم الى العمدة .. واذا رأوا الروث يقر وجهه
 قال احدثهم ضاحكا :
 - دنا ليتنا .. امال بقى حنقي زى وشك يا حصرة العمدة ..
 كله منك !
 وانعصر الحفراء كلهم ضاحكين ..

ووقعوا حول العمدة يسبحون ما تكرم على وجهه وعمامته
وما تبارى على النجبة والقعطان .

بيضا بدا السواد يصرف من مسرعات وقد شامت فيهن الراحة .
وعلى الوجوه مسحات من القلب .

وتركن العمدة يهدى من العيظ .

ولم يعد أمام الدوار امرأة واحدة .

ومضت وصيفة متخالفة ، وهي تحبس رأسها وكفها ؛ وتخفى
إلها في شوة الانتصار .

ورأت ان تنجى الى دكانة الشيخ يوسف .

وكان الشيخ يوسف اذا ذاك يقف داخل الدكان يضحك ملء فمه ،
والى جواره محمد اخندي بينما وقف علوانى أمامه خدج الدكان .

كانوا كلهم يضحكون فى نشوة مساذجة والشيخ يوسف يحبط
كما هى كف قائلا :

— تسم ابدلك يا وصيفة ؟! صحيح بنت محمد ابو سولم ؟! دى
العكبكية ملئت البلد كلها يا اخوانى . . . لى القنط بالى فيه ؟! والله
براه . . . يا سلام يا حدها . . دى عمرها ما جرت فى البلد . .
حاجة حلوه صحيح ؟ لكن ينى ما يعلواش الا النسوان . . ماكانش
تبى من راجل ؟! آه يا بلد !

وقطب جبينه لحظة ، والانسامة تفيض من فوق وجهه ثم اكمل :

— من النسوان ؟! يعنى البلد دى نسوانها ظلموا اجدع من رجاتها ؟.

واعترض علوانى قائلا :

— واحنا ينى فى ايدينا ايه وما عيلهاش .

فأبته الشيخ يوسف قوله :

— يس يا واد يا هرباوى ! فى ايديكو ايه ؟! طب اسمع .

ومال الشيخ يوسف على اذن علوانى ، واخذ يهرس فى اذنه ان
يسلو على مجازن العمدة ، ليسرق منها اندرة او اصبغ بدلا من ان
تتشطر ويسرق من مجازن الرجال العائلين .

واسطرب علوانى فلبلا ، والشيخ يوسف يفره .

واقسم له انه سيجسبه له كور اللرة من مجازن العمدة بكوزين
وكيلة اصبغ بكيتيى !

والدب الشيخ يوسف وراة ليتأكد ان محمد اخندي لم يسمعه .

ثم مد رقبته وادارها خارج الدكان ليطمئن الى ان احدا على الاطلاق
لم يسمع شيئا .

وعاد الشيخ يوسف يهرس لعلوانى انه سيكفيه ادى الحفراء . .
حفراء السور عند الدوار كلهم من رجال محمد ابو سولم ولهم اقارب
اعزاء يستبون فى سحن المركز . . وهم يمتنون ان يقفل على دوار العمدة
من يحطف روحه لا لعله فقط ! .

واعترض علوانى وهز رأسه .

ودار الشيخ يوسف الى داخل الدكان ، وسحب علة كبيرة من
السجائر ذات اعزال الاسود وتقدمها الى علوانى قائلا :

— خذ علة سجائر كبيرة ايه . . اخرب يا سيدى سجائر ماكه
والمتج ونزه نفسك ! ان شا الله ما حد حوش .

واشرق وجه علوانى وضحك .

وناوله الشيخ يوسف كمية من الشاي وقطعة كبيرة من السكر . .
فقال علوانى :

— ناولى كمان حنة سكر ناول .

فرمى اليه الشيخ يوسف قطعة اخرى صغيرة وهو يتأفف :

— طب اجر بقى . . حاكم انت هرباوى خطاف . ياأقول لك انت
شيخ حجر مش شبح هرب . . وما يلا عينك غير التراب !

وضحك علوانى وقال بحراة :

— دهدي يا عم الشيخ يوسف ؟ . ماور كله بالحساب ! والا ايه ؟ .
ثم تحرل ليصرف ، غير ان وصيفة كانت قد وصلت الى الدكان ،

مع آخر امرأة تمود من معركة الدوار . .

وعندما رآها الشيخ يوسف استقبلها مرحبا :

— عمار عليك يا وصيفة . . يروا عليك يا منى ! .

ولكنه لوحى بشيجهما . . فلم تكدر فراه حتى تقنص وجههما ،
وافعجرت فى بكاء شديد كالعويل ! .

وشعر محمد اخندي بضيق يشقه ، ويطرد السكينة التى غمرت
قلبه لبعض الوقت . . وفتح علوانى فمه وعيبيه ووضع أشيائه على
سك الدكان ،

وتقدمت وصيفة ، واستندت يديها على البك . واثقت رأسها بين
يديها وظلت تكى وندبها كله بهز .

كانت ما تزال تعاني من أن رجلا ضربها لأول مرة في حياتها ، وهذا الرجل هو أحد التجار الذين كانوا يحسبون لأبيها كل حساب ، حين كان شيخا للحمراء وحتى بعد أن فصل ! .

وعلى الرغم من أنها قدّمت العمدة بمقطع مليء بروث الهائم ، فهي تشعر أن أحدا لم يكن يجرح أبدا على ضربها ، لو أن أباهما هنا في القرية ! . وهي بعد لا تفهم لماذا يقيم أبوها في سجن المركز ! .
إن كل ما تعرفه هو أن العمدة وحده أراد هذا . .

وهكذا استمرت تشنّج ، وتقطع دموعها لتساقط الكلمات . ثم تحبس كلماتها لتسقط الدموع . . ولم يفهم منها أحد كلاما إلا كلماتها :
- صمان عليه قوى يا أبا الشيخ يوسف ! . .

وأمسك الشيخ يوسف برأس وصيفة بجمان وأبو . . ورفع - بين يديه - جبينها بعينيهما الزاخرتين بالدموع ومازالت على خدها تسيل أمطار . .

وأذا نظرت إلى عيني الشيخ يوسف ورأت ما يملأهما من حنان وإشفاق وحزن ، عادت تضع رأسها بين يديها وتبكي وتشفق وتلأل المكان يشعها الفاجح الأثين .

وأفرقت فيما الشيخ يوسف هو نفسه بالدموع . وأخضلت لحيته . .

ووقف محمد أفندي حائرا . . وقد غاض لونه . . وتذكر أحياء دباب واحتدمت في نفسه الشاكر المضطربة . . وحاول أن يتقدم إلى وصيفة ليقول لها شيئا ولكنه وقف في مكانه حائل اللون بلا حركة ، ومرة أخرى رفع الشيخ يوسف رأسه وصيفة بين يديه ، وقال :

- بكّره أبوكي بطلع يا بنتي . . وأنا هنا أبوكي تمام . . أنا مش هاوز يصحب عليك من حاجة أبدا .

فصاحت وصيفة وقد دُفمت في عينيها الدموع :

- يضرهوني يا أبا الشيخ يوسف !؟ يضريني الواد بن شليبيه . . يضريني الواد عبد العاطي . . يعني هشان ما أبوكي مش هنا .

وصاح الشيخ يوسف مستبشما :

- الواد عبد العاطي !؟ ذا أبوكي خير عليه وعلى أمه وعلى كل سلسالته !؟ ذا أبوكي الذي نزله غير . . يا نهار أمير يا عبد العاطي ! .
يعني هشان ما انت داير ورا العمدة ؟ . باستنك سوده يا عبد العاطي !
ومشي إلى داخل الدكان ، فأخذ عصاه من على كتاب مفتوح من سيرة « أبو زيد الهلالي »

ثم انعت إلى خارج الدكان .
وقال علواني :

- عى مين يا أبا الشيخ يوسف ؟ اسنى انت وأنا اجيب لك خبره . .

ووقف محمد أفندي يقول يمرارة :

- بقى ما جيشي إلا من عبد العاطي ! .

وطلب الشيخ يوسف من علواني أن يصرف هو لخاله ، وأقسم ألا يضرب عبد العاطي أحد إلا هو بنفسه . . بيده . .

وتنكا علواني وهو يصرف ، ولم يكده يمشي خطوة حتى التفت إلى الشيخ يوسف قائلا أن عبد العاطي مقبل وبده على رأسه ! .

وتقدم عبد العاطي يسأل الشيخ يوسف أن يصحبه قتيلا من الين ليسد بها جراح رأسه ، وأن يصحبه روح أنصاع لأن العمدة معنى بنيه في أدوار .

ووقع الشيخ يوسف عصاه على بث الدكان . ونظر طويلا إلى عبد العاطي وطلب منه أن يتقدم إليه .

وقالت وصيفة :

- أهو جه أسي ينشك في قلبه عبد العاطي . .

وطلب الشيخ يوسف من عبد العاطي أن يتقدم أكثر فأكثر وعندما وقف أمام الشيخ يوسف ، هوى الشيخ بكفه على صدره عبد العاطي . . ورئت الضربة في العشاء . . ووضع عبد العاطي يده على صدره فوق مكان الضربة ، فهوى كف الشيخ يوسف على الصدغ أثنى ، وهو يصيح فيه :

- نبي تضرب بنت أبوك محمد أبو سويلم !؟ تعرف تضرب وصيفة يا قبير الحجر !؟ .

وذعر عبد العاطي ، وأزلك . . وحاول أن يقول شيئا ولكن الشيخ يوسف زمجر فيه :

- أخرس يا ولد . . أخرس !؟ انت حائر عليه ؟؟ . هابر تدوق فيه وإلا انه ؟ ناري تحشش لى وشي ؟ أخرس ! .

وأخرس عبد العاطي .

وروقت وصيفة تتأمله يارتجاج ، وبدا الأرض يشيع في عساها . . وبعد قليل سعل محمد أفندي ، ورجا الشيخ يوسف أن يسع

عبد العاطى روح الصالح ليعمل حياة العبد ، فهذه مسألة انسانية ..
فانتم اليه الشيخ يوسف محققا ؛

— اسكت أنت يا محمد أمتدى بلاش فلسفة كدابه .. بلا كتر
انسانية !! هو العبد كان عنده انسانية ! هو فيه في قلبه رحمة ! ..
الى تحطف روحه !

وكالما وقع عبد العاطى — من كلام الشيخ يوسف — على حقيقة
جديدة تسمح له الراحة . وكأنه وجد آخر الامر طريقا يمشى فيه مستريح
الفس بعد طول ضلال .. فلم يكد يسمع كلام الشيخ يوسف عن العبد
حتى قال بارتياح ؛

— آى كده !! الهى يا شيخ !! الهى تحطف روحه .. ده واجل سو
طول عمره .. ذا والله يا ابا الشيخ يوسف بعد ما حدثت منه وانجرحت
عشانه وهديت على بيت ابوى محمد أبو سويلم .. بعد كل ده يقوم بدور
فيما انصرف .. ويطيح فينا بالمزكوب انا وبقية الضعفا !! واذى يا سيدى
آخر شدنا مع الاندال وتمينا !!

ولجأة رنت ضحكات وصيعة فى صفاء مشرق .. كأنها لم تترك
ابدا ..

وتألق وجهها كله ، وفتحت صدرها .. واتثنت الى الوراء . وسطعت
فى نحرها الوضاءة ..

واستمرت فى الضحك وهى تقول ؛

— الا يا عم الشيخ يوسف ! لو كنت شلفه ساعة ما لبسته — اسم
الله على متاك — عطفك المسكه !!

واختلطت الضحكات ، وأسرف محمد أمتدى ولوانى فى الضحك .
وحاول كل واحد منهما ان يقول لميليا ضحك منه وصيغة .

الا ان الشيخ يوسف التفت الى ولوانى وأمره ان يضى من لوره الى
الحقل الذى يحرسه على الجسر ..

ثم تناول عبد العاطى قليلا من البن ، ونصحعه ان يفسل الحرج
ويضع عليه الن ، ويربذ رأسه بقطعة من القماش .
وانصرف عبد العاطى ..

متحرك الشيخ يوسف طالبا من محمد أمتدى ان يحرص الدكان ،
ويسمى هو بنفسه مع وصيفة الى دارها .. وحين كان يتصرف أوصى
ولوانى بان يهتم بالسر الذى بينهما !!

وعرض ولوانى على الشيخ يوسف ان يستريح ويقعد فى دكانه كما

هو ، وسيرافق عنوانى وصيفة الى دارها ، ولكن الشيخ يوسف زجره ،
وانصرف بوصيعة « فابتلع محمد أمتدى كلمات كان يحاول ان يقولها ..

وعلى باب دار محمد أبو سويلم طلب انشيخ يوسف من وصيفة ان
تطمئن وان تهدئ بال أمها فسيعود ابوها الى المد .

وعاد الى دكانه على الفور . يوجد بعض الغنيان يقعون على مغربة
من دكانه فى الطريق ، يحكون كيف شرب العبد « طاسة الطرية » بعد
ان اخذعه هجوم المساء .

كانوا يمشى الذين تحطوا فى اندرة او المدس الغريبة ، وعادوا منها
ليعيشوا فى القرية بلا عمل ولا أمل ، ولا شيء غير الذكريات ..

وكان الشيخ يوسف قد لاحظ وهو يمر مع وصيفة أنهم يسطون
معرضين به وبمشيته فى الليل مع وصيفة .. على عادة أولاد البندر
حين يجدون رجلا مع فتاة ! ثم سمعهم يتفهمون عليه وهو هائل .. وكان
يعرف جيدا منذ كان فى القاهرة يدرس فى الأزهر ، ماذا يبنى هذا
النوع من التماسر والصال المصطب .. وما يمكن ان يعقبه من كلمات !

وانعص فليم ؛ فسأل واحدا منهم اين من يكون .. وماذا يصنع
فى القرية .. ثم سأل الكنى والثالث والرابع .. واجابه الغنيان
باستحفاف ..

وهوى فجأة بكته على وجه واحد منهم وهو يرتعق فيه ؛

— تقى يا واد يابن مسعود متى هارب ان خالك محسوس فى سجن
المركز والمعدة هو الذى حسسه ؟! بطل ما انتم واهين كده عواظلة
ومسبيين شعوركم زى السوان ، تمشروا بالرايحة والجايه .. متى
هاربكم تشوفوكم شيلو ؟ حانكو الفم .. طب روحوا اعدوا حتى زى
النسوان ماعاولى فى المعدة ؛

ثم انصرف على الفور وهو يمشى ، دون ان يسمع احدا من احد ..

وفى اليوم التالى كان الشيخ يوسف اسعد انسان فى القرية ..

بعد حمل اليه ولوانى كسينى كاملين من اذرة العبد وكيسا من
العصع . ولما راي الكمية امامه كثيرة حاسب ولوانى عليها كاملة كما هى
ويحلل من وعده بان يحسب الكوز كورين وكيدة القمح كيلين .. واكتفى
بان يحطه حقه كاملا هذه المرة ..

اما العبد فقد أحس ابناء انليل يدسب أقدم — عبد مخدومه — فوى
حجرة بومه .. وحاول ان يستبعد بانخفاء فلم يصح اليه أحد ..

وأصبح مع العصر .. فجمع الحفراء ليعول لهم :

— انتم كلكم موالسين مع العيسال العواطلية الى راحمين من مصر والبشر .. طيب والله لأردكمم النهاردة كلكم .. انتو فاكريتها بلد من غير عمدة !!

لم ركب بعته ، وانشمس لم ترتفع بعد عن الأفق الشرقى ، وسار وراة عبد العاطى .. ولم يكن من حفراء الحراسة فى الليل .. واتجه الى البحر من وراء الحمول خلال طريق آخر غير الطريق المعروف . كان العمدة ذاهبا الى عصبة الأتقيم فى هذه الساعة المبكرة ليكون من أوائل شهود استقبال وراة حزب الشعب ..

ولم يعاول أن يعطيطب مع أحد من القرية كى طلب المأمور .. فقد كان يعرف أن الذين بقوا من الرجال فى القرية سيرفضون .. حتى الشيخ الشناوى الذى لم يرفض للعمدة طلبا من قبل .. ربما رفضه هو الآخر !

ومن أجل ذلك فلم يشأ العمدة أن يرسل إليه أو يرسل الى أحد غيره ليتجنب حرج اعلان العصيان ..

وغل العمدة طول الطريق مبهوما بفكر فى القرية المنعمة !

ومن يدرى ماذا يمكن أن يحدث فى القرية بعد !!

لقد أصبح من الممكن أن يحدث أى شيء فظيح .. ولقد بدأت الأشياء الرهيبة بالفعل .. أشياء لم تحدث من قبل أبدا !

النساء يفرين برونث الهائم ، وفئة تارة من جنته وتقطعنه ، ومائة تحفه .. وفتين يسرقن الملة والدرة من مخازنه !!

كل هذا يحدث .. يحدث ذميمة واحدة بعد أن سحن الرجال !

لو انه على الأقل يصرف من هو الذى سرق القمح والذرة من مخازنه !!

وحاول أن يسأل عبد العاطى ، فبر انه تعاسيك ، فيجب أن يبدو أمام الجميع — حتى عبد العاطى — وكأنه يعرف كل شيء !

ولم يكد يصل الى المركز حتى دخل الى المأمور .. فاحسن المأمور استقباله . فقد كان واسع العود بين هذه المركز ، كان أكثرهم قدرة على إرسال الهدايا ، والخدم والحامدات ، وفى ساعات الصيق كان أكثر العمدة قدرة على نخدة من يستعده من رجال المركز ..

وهمس للعمدة فى إذن المأمور أنه يجب الإفراج بعد الاحتمال من رجال قريته ، وإلا فلن مكانه كمعدة مسعج ..

ووعده المأمور حبرا ، وهو يقوم وبعد ويرد على اتليفات ويسهر الجود ويسأل عن عدد الدين احتشدوا فى كل شارع لاستقبال الزوراء ..

وهمس للعمدة فى إذن المأمور :

— دى أسلده هربت معامى عشائر الرحلة الجوسيين ! ، أقول بث ايه .. يعنى أحكى عالى يجزى فى أسلده ! ويعطين مقامى راج ينزل حاصل !

وأكد له المأمور أن الإمراج سيتم اليوم .. بعد انصراف الزوراء ..

ولم تكد شمس العصر تميل الى الشاطئ اعبرى عبد الهى أنصمير حيث كان الشيخ حسوة ، ومحمد أمدى ، والشيخ الشماوى يصلون العصر فى المصلى المعلقة عند جيمرة عبد الهادى .. حتى اعمل الشيخ يوسف صبرها فقال لهم أن أحد العتيايل العائدين من المركز أخبره أن الرجال قد أفرج عنهم ، وأنهم عائدون على أقدامهم ، وقد سبقهم هو بحماره منذ ساعة .

وتهللت الوجوه .. ولكن الشيخ الشناوى قال بياس :

— يطلعو !! يا أخى .. بذلك !

وسأله الشيخ يوسف لماذا غير عادته وترك المسجد ليصلى العصر هنا عند الحميرة .

فاجاب الشيخ حسوة بياة فى الشيخ الشناوى أن كل مكان يصلح لأن يكون مصلى .. وكل مصلى فى مسجد .. وقد جاءوا الى هنا تحية لعبد الهادى .. العالبي !

وسأله الشيخ الشناوى بدوره لماذا ترك دكانه !!

وقبل أن يجيب الشيخ يوسف حمل الأقمص الصامت رجع زغاريد من بعيد ..

وقال الشيخ الشناوى مضطربا :

— دهده يا اخوانى ! هى البلد جرا لها ايه ؟ نسوانها مالهم كده ؟! بيرغردوا ليه ؟! الر شد الاستقلال ! ولا يعنى الرجالة رجعوا من سحن المركز !!

وأسرع الشيخ يوسف نحو القرية وسقه محمد أمدى ومن ورائهما الشيخ الشناوى والشيخ حسوة فى حظوات سريعة .

كانت القلوب تتعق ، ودقاتها تفرغ الصدور ، أسرع من رقع حظراتهم السريعة الملاحفة ، والبشر يضيء أوجوه ..

وعلى أبواب القرية ، كانت القرانيد تتعالى ، وصيحات العرح تملأ
الامايق ، والأطفال يرقصون فى الطرقات .

كان كل شيء فى القرية يرمض ، والدماء يعض الاميق ، والأصيل
ينسكب على القرية بالواو الورد .

وكان النساء يزغردون ويسعين بلا انقطاع .

صحيح . . صحيح ! لقد عاد الرجال .



طلب الغربة تنهاىس - محزوبه - بقصص حجية من
المدنية منذ عاد منها الرجال . .
ويوما بعد يوم استطاع دياب أن ينصب طوله ، رغم
أن آثار الحرب خللت على ظهره المتورم الممزق . .

خرج « دياب » إلى حقله لأول مرة . . وعلى الطريق امتدت عيانه إلى
الحقول الواسعة الرحيبة من حوله ، فامتلات نفسه بالطمأنينة . . ورأى
أعواد الأذرة قد شبت عن الأرض ، فأيتسم .

وما زالت الحقول الريانة المصراة تحمل إليه أملا . .

حتى بلغ حقله ، فوجد اللورات تمتنع عن القطن الجديد . .
وكان القطن المفض يظهر من بين اللورة كأنها هو حياة بأسرها
تشرق دفعة واحدة . .

وعاشت نفس دياب بالعرح ، وأوشك أن يشعر . .

وحاوّز رأس الحقل ، ومن بطنيرة الماشية التي تمود أن يلقى صديها
خضرة وأحس بمض الوحشة . .

ولكنه الدفع إلى الحقل ، كأنه ينتزع جسده من زحف الوحشة
عنى صدره . . ودخل حقل القطن ، وتعمس الأعواد الزاهية ، والقطن
يشعر أمام عينيه بياضا رائقا . .

ثم احبى على الأرض ونفسه تزخر بالحنين ، والإحساس بالمقدرة،
فأمسك قطعة من الطين الحاف ، وفركها بين يديه ، وترك قرانها يتناثر
من بين أصابعه ، والمشاعر الجبهة تفر منه الجوانح إلى الحلق ، وتهتز
حده الأعصاب . .

انه ليشعر اللحظة بمردي من الأشياء . . أشياء لا يفهمها أبدا كل
الدين طبروه فى السجن . . حتى الأمور . .

كلهم لا يستطيعون فهمها ، وهو بعسه لا يعرف ماذا يعانى ؟

ولكنه يدرك على الأقل أنه لا يوجد من يستطيع أن يترعه من حقل
القطن الذى وصح فيه البذور على مهل ، وزواه متحديا أواخر رجال
الري ، وهوى قوقه بالعاس فى الساعات الملتبهة من السر . .

لا أحد .. لا أحد يستطيع أن يقتله من هذه الأرض التي يغرس فيها دميه ..

وتذكر دياب نجاة كل ما صنعه به في المركز - كيف أدلوه وحرموه الأيام الطوال من هذا الحبل !

وهز رأسه ، وارتفعت أفافسه .. ثم مسح بكفه المستربة دموعا تساقطت من عينيه ، واختضعت بثراب الأرض ..

أما عبد الهادي فهو لم يرقذ قى بيته حتى ينصب طول له كما رقد دياب .. وانما خرج من أول يوم إلى طرقات القرية ، يروي للناس ما صنعه أولاد البلد بالأمور أثناء استقبال ورواء حزب الشعب ..

كان عبد الهادي يرفع رأسه ، ويفتح صدره أكثر مما تعود ، وكانت سمات صوته تملأ في وهو وتخللها الضحكات دائما .

ومع ذلك فقد كان في كل جرح من بدنه أثر لضربة أو صفة أو ركلة حتى لسانه ولسه ..

ولم يجرؤ أحد على سؤا به عما حدث له ..

كانت القرية كلها تعرف ما حدث للرجال ؛ وكيف أكرهوا على شرب بول الخيل ، وكيف حبلقت شواربهم ، وكيف هوت السياط على الوجوه والأبدان ، وكيف كانوا يؤمرون بانجلوس على خوازيق .. وكيف كان الواحد منهم يضرب ويضرب إلى أن يفقد الوعي ، ولا يبرح بعد هذا يضرب إلى أن يصبح انه امرأة .

على أن الرجال العائدين من سجن المركز ، يذكرون لعبد الهادي نضار أنه لم يشأ أبدا انه امرأة .. ولم يشرب أبدا من بول الحبل ، أو يجلس على خاروق .. إلا وهو في شبيوة ! ..

ولقد ظل يضرب بالحق ، ويركل ، ويلهب بالسياط حتى أغشى عليه عدة مرث ، وذات مرة عندما أغشى عليه أجلسه على خاروق وسندوه ، وورقه بعد قليل ورموه على الأرض ، ثم فتحوا له فمه وصبوا فيه بول الخيل .. وعندما أمات ظل يشتم ويتهدد فكاثروا عليه واثقوه بالصل ، ثم حنقوا شارب ..

وهكذا صنعوا « بمحمد أبو صويلم » .. وأزالوا له شارب اللظيف القديم ، الذي تستخفي شرفاته السود في الثمرات البيضاء ..

ومع ذلك ، فقد شخ عبد الهادي برأسه في القرية ، وكتم آلامه في الضلوع ، ومضى يحكي عن استقبال وزراء ، وحزب الشعب ، ويذكر ما حدث للماور ، ويطلق الضحكات ..

في ليله ريادة الوزراء ، فوجئ كل من في سجن المركز ، بسباب كثير ، من المدينة يخشرون في الحجرات المجاورة .. كان بعضهم يلبس اللاتيل ، والبعض يلبس اللبل ، وكانوا يهتفون ضد حزب الشعب ، وتطلق حناجرهم حارة باسم مصر والحسرية ، والدسور ، والأمة مصدر استنطت ، والاستقلال ..

وكانوا يستنرحون من الهاب أحيانا ، فيتحدثون على الاجليز ، واسك دي الشارب المبروم ، وما تصنع المصالح بالرجال ! ..

وهي كل ساعة من الليل كانت حجرات سجن المركز تستقبل آحزين ..

كانوا جميعا من طلاب المدرسة الثانوية ، ومدرسة المعلمين الأولية ومدرسة الزراعة المتوسطة في عاصمة الاقليم ، وكان من بينهم بعض الطلبة الذين يدرسون في الجامعة بالقاهرة .. والذين صنعوا هناك المفاجرات طول الشتاء ، وقد أقبوا في الصيغ ليصفقوا الاجارة مع انهم ..

وكان من بينهم بعض التجار ، وامسحو الأحذية ، والباعة المتجولون ، والماور ، وعمال مصنع حنيح القطن .. والذين يشقون في الطرقات بلا عمل ولا ذكريات ولا أحلام ! ..

وعرف رجال القرية من خلال الأحاديث أسماء بعض التجار الذين يشتري منهم « الشيخ يوسف » حاجرة القرية من البعاه ،

وكانوا كليا أقبنت عليهم جماعة جديدة استقبلوها بالهتاف والضحكات ..

ومن خلال أحاديثهم فهم عبد الهادي كثيرا من الأسرار ، فهم أن الاجليز هم الذين يحكمون في مصر الآن ، وأن هؤلاء الاجليز والذين يستخدمونهم سيرولون تحت الضربات ! ..

عرف أن كل شيء مبره متصل ، فادامت مصر ترفض أن تستمب .. وذهل عبد الهادي مما سمع .. وأحس بأنه حالي جديد ينس في أطرافه ويسمعه الصقوان ..

وعجب لهجة الصافية التي تحدث بها هؤلاء المحسوسون ، وعجب - أكثر من أي شيء - لآيماهم إخباري بأنهم سيطردون حزب الشعب ، والذين وراء حزب الشعب ..

وظل ينظر إلى محمد أبو صويلم فوجد عينيه تلتصقان .. ورأى شحوب دياب قد أحد يرول والسم الأحمر يجرى من جديد في سمره وجهه ..

وعاد عبد الهادي ومحمد أبو سويلم ودياب يتصمتون ، ونظرانهم إلى بعضهم تحمل دعوة المشاركة والاعتصام ..

وسموا المسجونين الجدد يتحدون باسمهراء عن الرصاص والموت والحكومة في مصر .. وأحسن عبد الهادي أن هؤلاء الناس هم أقوى من الحكومة في مصر .. الحكومة التي ترعش المدين والمأمور !

وقال أحد المسجونين الجدد : إن الحكومة لفرط شعبيها قد أمرت بأن يسجن كل الدين يشتبه في عداوتهم لحزب الشعب . فأصاب زميل له أن مصر كلها عند لحرب الشعب ، والحكومة في مصر تأمر المديرية بأن تجلس أعداء حزب الشعب ، لأنها تعرف أنهم سياسيون الورداء أتاء ريازتهم عن الدستور الذي ضاع ، وعن الانتخابات الرأئعة ، وعن حريات هذا القريب أو ذاك المصديق ، وحريات كل الوطنييين انشرفاء .. ماذا صنعت بها الحكومة !؟

وسيسأل الناس وزراء حزب الشعب عن الأزمة وماذا صنعت لها الحكومة .. وعن الحقون التي تحرب ، والماء الذي يسلب ، وعن الطعام والقماش ، ونال الذي لم يعد يدخل الجيوب ، وعن أصابع التي تفصل العمل بلا حساب .. وعن الأرض التي تستولى عليها البتوك !؟

كانت الحكومة تعرف أن الناس سياسيون ووزراءها أثناء الريارة عن الكساد والجوع ، والأولاد الذين يردون من المدارس ونظرهم الدين لا يجدون أماكن في المستشفيات .. وعن حق كل إنسان أن يعمل ، وعن حق السكينة في أن تترك ، وعن كل ما يورثه الدستور ، ويمنحه الأساطير ، والمندس ، وحزب الشعب !؟

وظل عبد الهادي ومحمد أبو سويلم ودياب يسعون الأحاديث المخبية من الحجرات المجاورة ..

وحس دياب في صوت كالآين :

- أدي الفهم صحيح .. شوف يا خويا ، ولا هانهم سجن .. يانهار أرق يا محمد يا أبو سويلم ..! أباريا مش هامين أيها حاحة !!

وانتم محمد أبو سويلم وعبد الهادي واتييا هلي دياب نظرة مقعقة .. وسكنت دياب ، وأحد يصفي باعتصام وتفتح إلى الأحاديث في الحجرات المحاورة ..

وعند الفجر دخل المأمور الحجرة التي استلقى على أرضها الصابرة الضلمة بدن دياب ملتصقا بمحمد أبو سويلم وعبد الهادي ورجال من قريته . ومن قرى أخرى مجاورة ، جاءوا كلهم من أجل محاللت الرى .

وتعند المأمور في الحجرة يدوس بجدائه الغليظ إصدام الرجال بلا مبالاة .. ومن وراءه بعض الجسود بالبنادق التي تلعب في أطرافها السكى .

ووقف المأمور قليلا ، وتأفف من الرائحة .. وفام الرجال ووقعوا متلاصقين يحمقون في وجهه ، وهي وجه الجنود من ورائه .. وإلى البنادق !؟

وقال المأمور إن أصحاب المعالي ووزراء حزب الشعب يشرفون المدينة بالريارة في الساعة العشرة تماما .. وحزب الشعب هذا هو الذي دفع الدين عن العلاجين ، وجريدته هي الناطقة بلسان الشعب !

وقيل أن يستطرد المأمور ، قاضيه فلاح من قرية مجاورة للمركز فائلا ببساطة إن حزب الشعب دفع ديون محمود بك لا غير ، وحاله الآن معدم بعدما كان لا يفتي اللقي .. أما العلاجون في قريته فحزب الشعب لا يدفع لهم الدين ، وإنما يستولى على أرضهم ليشق فيها سكة زراعية يربدها الباشا !

واقترح الحديث فلاح ثا من قرية مجاورة أخرى ، فأقسم أن الحكومة حجرت على أرضه همه لأنه لم يدفع المال ، بينما تركت أرض الخواجة صاحب الخمار المشهورة في المركز .. وتدخل رجل ثالث ، مضطرب من كلام المأمور وقال له إن الحكومة لا تدفع ديونهم وهم لا يريدون منها دفع الدين ، وإنما يرجون أن يوسط عبد الحكومة حتى لا تسرق منهم ماء الرى ..

وكان المأمور ينقل بصره بين الرجال الذين يتكلمون ويذهبهم تتحسس أجسادهم المرققة من لدغ السياط .. وكظم غيظه ، وقال يهود أن العلاجين الثلاثة الذين تكلموا هم حمير لا تمنع ، وسيربطهم طول النهار في اسطل العيل .

قال المأمور كلامه هذا يهود تام ، وأدار نظراته قليلا على وجوهه العلاجين الذين وقفوا متلهفين من كثرة ما لا قوا ، ثم استمر يشتر بنفس الهدوء نظام استقبال الوزراء ، ويقيم مكان العلاجين في هذا الاستقبال فهم بعد ساعة سيخرجون تحت الحراسة ويوزعون على أوصعة الشوارع في طريق موكب الورداء إلى قصر الباشا من محطة السكة الحديد إلى نهاية المدينة .. وحصرة ملاحظ البوليس عنده أوامر بأن يعطيهم إشارة بيده عندما تقترب العربات التي تحمل الورداء من المحطة إلى قصر الباشا . فادا رأوا هذه الإشارة فعليهم أن يبدأوا الهاتف .

وإذ ذك قاطعه رجل يسأل ببساطة :



— دعوى ايه .. تحيا مصر ؟ ولا يحيا العدل ؟ ولا يحيا الوطن ؟
 وفى نفس الهدوء أشد المأمور دايه ، واكد له انه هو ايضا سيربط
 مع اسلانة الآخرين فى اسطول الخيل طول النهار ..
 وعدد يكمل بهنوه ، فقلد لنفلاحين ان عليهم أن يسموا معا .. وأن
 يقولوا : « يعيش جلالة الملك العظيم » يحيا حرب الشعب يحيا صدقي ..
 واستمر المأمور يقول انهم بعد هذه التفاعلات اسلانة يجب أن يكرروا
 هتافهم « يحيا صدقي » .. وعينهم أن يقولوا هذا الهتاف بنهم ..
 وبدأ المأمور ينفى هتاف « يحيا صدقي » بنهم متتابع راقص وهو
 يصنع بديهة على السلم ..
 رهس أحد الفلاحين فى أدن جاره أن المأمور يصنع كالطبايع
 تماما ..

وابتسم الرجلان وسدولا احمدا لصحك فراحمسا المأمور .. وارتفع
 صوته وهو يهيم عنيهما بالشتائم والصفعات ، وأمر الجنود الذين كانوا
 يقفون وراءه أن يضربوا الرجلين قبل ربطهما طول السوم فى اسطول
 الخيل ..

وقبل أن يترك المأمور الحجرة الصيفة ذات الرائحة القشة صباح :

— ايا حانغنى من العسر ده !! ياللا بأه .. هه .. عاوز أشوف كده
 فمتود ولا ايه .. قولوا ورايه : يعيش جلالة الملك العظيم .. يحيا حزب
 الشعب .. يحيا صدقي ! ياللا معايا ع الواحدة : يحيا صدقي .. يحيا
 صدقي ..

وترددت أصوات الملاحين متكاسلة بلا نغم :

— فليحيا الملك .. يعيش حرب الشعب .. يعيش صدقي ..

فضرب المأمور الأرض بقدميه فى عصبية ، واحد يصلح الهتاف ،
 وصرخ فيهم أن يلوحوا بأيديهم وهو يهتفون ، وأن يقرعوا ويرقصوا ان
 استطاعوا ، لأنهم فرحون بزيارة وزراء حزب الشعب !!

واقسم أنه لو ضبط واحدا منهم يهتف بلا سرور ، أو متلبسا
 بانكسل ، فقصبيته سوداء ، وليلة بلده كلها طين !!

واستدار ليخرج ، ولكنه توقف عن فكرة التمتع فى خاطره :

— لارم تهتفوا بنهم .. فاهمين يسي ايه بنهم ؟؟ فيه طبل بلدى ..
 الطبل يزمر وانوا تصعدوا وراء .. بنى ترعوا وراء على النخبة يا نغم
 .. اسم زمان كسوا بتولوا انه أيام الهوجة ؟ عش كتم نتقولوا : يحيا
 سعد .. تمام نفمة يحيا سعد !! وفى الانتخابات تنفيلوا تقولوا ايه :

يحيا ألفرد .. متى كده ؟ أمي يحيا صدقي تمام على نعمة يحيا ألفرد
.. قولوها على نعمة يحيا ألفرد تمام .. مفهوم ؟

وشرح مسرعا ..

وشرعت جموع نضالين تندفق من دار المركب ، وقادتهم فصائل
لجود إلى أماكنهم على جانبي الطريق ، واشمس تشرق على المدينة .

ولم يفتح الدكاكين أبوابها كالمعتاد .. وانتشر المساكين يسكنون
أصحاب الدكاكين الضيقة من أقيمتهم ، ويحرقونهم في الشوارع ،
ويأمروهم بأن يفتحوا الدكاكين .. وكان المساكين يحطون بالأبواب
أحييت .. ويمنحون الدكاكين بنسبهم ويضعون عليها أعلام صميرة
للرية .

وعلى كبر من الدكاكين كانت الأعلام ترفرف ، والأبواب مفتوحة ،
ولا أحد على الإطلاق في الدكان ..

ومع ذلك فقد هبت الشوارع نفسها حانية كأنها هجر المدينة أهلها
.. وساعة بعد ساعة ازدحمت أروسة الشوارع بالأساس ، وما زالت
الشوارع خاوية ، والشمس ترتفع ، وأشعتها تحمّل لحظة بعد لحظة ..

وتعرف عبد الهادي ومحمد أبو سليم ودياب على بعض الوجوه من
بين البدين يراحمونهم ؛ وجوه جنود طربوهم بالأمس أو أول أمس ،
ونكسهم الآن يعمرون في الطريق بإحالييل !

ولج عبد الهادي وجه شعبان الذي غاب عن القرية منذ زمن ، ولج
أحد رجال إباحية الشرقية من بعد وجه صديق قديم من قرية مجاورة ،
كان قد حكم عليه بالسجن منذ ثلاثة أعوام في قضية قسّم ماشية
العمدة .. ولكنه لم يكن يلبس ثياب السجن ..

وفي الحق أن جوارب الطريق من محطة السكة الحديد إلى خارج
مدينة كانت تزدهم بالمساحين والحدود .. وكلهم بإحالييل ..

وفي الطرقات البعيدة كانت موسيقى البوليس ، وموسيقى الأحداث،
والصوت البلدية ، تملأ بلا القطار تجتمع وراءها بعض الضيقة ، فيبتلعهم
ملاحظ البوليس وأمهمهم بالدخول في الصفوف على جانبي الطريق الممتد
من محطة السكة الحديد إلى خارج المدينة .

وامتدت اللافعات الكثيرة تعرض الشوارع تحمل أبنائها من الشعر
تحت لأطال حرب الشنب ..

ورسّنت أسطح البيوت نساء كثيرات ، ولوح المأمور من على حصانه
الأبيض .

— زعرتي يا مرة منك لها ..؟

واطلقت من هنا وصياك الرعايد ..

وحين كان المأمور يمر بين الصفوف على حصانه الأبيض ، صادى
باعة الجرائد يصطفون من المحطة ويسادون على انصبغ المارسة ..
فاستودعهم وأمر رجاله بالاستيلاء على الصحف ، ووضع الهاتف وسط
الصفوف بالوعة .. ليكونوا هم أيضا في استقبال ورواء حشر
الشنب ..؟

وأحد المدير يروح ويهيء في عربته ومعه وكيل المديرية ، وفي عربة
أخرى كان الحكماء يراقبون الاستعدادات والاحتياج بالريادة ، ويشرف
على وضع المخبرين أمام الصفوف هنا وصياك ليدأوا بالهاتف ..

وأصدر المأمور تعليماته إلى فرق الموسيقى وأطلق الهللي بالوقوف
في أماكن متباعدة على طول الطريق ، ودخلت الموسيقى تعرف وتطول
تدق .. فهبت رجل من البدين وضعهم انصبغ أمام الصف ، ويردد
الأشرون الهاتف ..؟

وصاح المأمور وهو يراقب تزديد الهاتف :

— علوا أصواتكم شوية .. بحداس شوية كده .. هروا أيديكو ،
واترقصوا علامة الاحتياج يا غنم .. اترقصوا واحتفلوا ..
والشمس ترتفع ، وترسل أشعتها حامية .. والمأمور يروح ويهيج
ويامر في لهجة !

وطلب المأمور من بعض الضباط أن يذهبوا إلى كل المقاهي المفتوحة ،
فيستقوا من عليها الناس إلى الاحتفال ..

ثم أطلق المأمور إلى المحطة بصحابة الأبيض ، فأنهى نظرة على لأحد
والعمد .. وركب بصحابة على طول الطريق ، وهو سطر على الحاسن
.. وحسن لنفسه :

— ممشي أحسن من كده .. استقبل شفي مفتخر !! ممشي مأمور
عمل كده .. الواحد هلي الأقل يضع من الاحتفال ده مساعدا حكماء ..
ودخل المأمور إلى نهاية الطريق عند أحسن أمدة ، ثم لوى سنان
حواده ، وأطلق بحري به إلى المحطة قائلا :

— خلاص القطر قرب يوصل .. استعدوا! تمام .. قتلوا أصواتكم
وبهروا أيديكم وتهتفوا عالمهم وترقصوا من كثر العرح ..
ثم طرأ إلى أعني ، على أسطح بعض البيوت وهو ما يزال عول في
لهجة امرأة :

وبعد قبيل هبط وراء حرب الشعب الى المحطة ، حيث كاسستهم
عربات ومن حواريها الأعيان والعمد ، وعدد من الجنود .

وتحسرت العربات بالوراء تشق الطريق أثرى من المحطة الى قصر
الباشا ، في ضيعة القرية من المدينة .

ومضت العربات بضعة أمثار وسط هتافات « يعيش جلالة الملك العظيم ،
يحيا حرب الشعب ، يحيا صدقي ، يحيا صدقي » .

كانت العربات تضيء على مهل ، وهي اعترار ، وعلى جاني الطريق
ترفرف الأعلام ، فوق لافتات كبيرة كتب عليها بيت من الشعر الركيك ،
فيه ترحيب ومدح .

وتعالت الرغاريه من فوق أسطح البيوت والمأمور بكل كبرياته ورضاه
على نفسه — فوق حصانه الأبيض الى جوار العربات وهو يلوح بيده للنساء
وللدين يهيمون .

وقطع المركب نصف الطريق ، بين أرضية زاحرة ، وهنا وهناك رجل
يهتف « يحيا صدقي » والآخرون يرددون الهتاف على وقع الطبل الجليلي
وموسيقى الأحداث .

وهجاء على نفس النغم ، استرد الزائفون كلمات النغم ٠٠ أصحبل
كلمات النغم ٠٠ كلماتهم التي تضطرم في الصدور ٠٠

وانعجرت من كل مكان هتافات مجتمعة :

« تحيا مصر » « تحيا مصر » .

واضطجعت المدينة كلها بالهتاف المنوع ، وارتفعت الأيدي ، وسرت
في الجموع حدة صادية وغلجان .

وتدفقت من الحواري والشوارع الخلفية هواكب عديدة مشوجة
ترجم الطريق الكبير الذي تم به العربات ، وأحد الناس يتواهبون ، وهم
يرقصون على الهتاف « تحيا مصر » « يحيا الولد » .

وارداد الناس التصافا بعضهم ، فرادهم الالتصاق احساسا بالغوة ،
وعمرهم شعور بالكبرياء ، والامتياز والظفر .

واسرعت العربات بالوراء ، في نفس الطريق الذي كانت تقطعه
الأمم بالمرار ، . ومازال الأعلام تجعي فوق الأعلام المزدحمة بصارات
المرح .

واضطرب المأمور ، وروع على ظهر حصانه أكثر مما روع وررء حرب
اشتمب داخل العربات .

ولكن المأمور حصانه فوثب ، واقتحم الجموع . . وتعالى الصرخاب ،
وما زال الهتاف المنوع يرجح المدينة ٠٠ وأمر المأمور الجنود أن يصوبوا
أساس ٠٠ فارتفعت صرخات النساء من فوق أسطح الدور ، وهي يهيمون
بأندهن في وجه الرافزين « أحيه عليه أحيه عليه » وكانوا يستمتعون
حارة شاب مات عربيا ! .

ودحر الحكيماء ، غرل من هريته مضطربا يصيح في الصيحات الصغار
أن يقتضوا على الناس ٠٠ ونزل المدير من هريته هرتيك فامر باطلاق
الرصاص على المتظاهرين ، وبالقصاص على كل أهل المدينة ٠٠

نيسا وقب المأمور يطعم خديه وهو يجرع قاتلا نغم جبانري ،
على وقع صرخات النساء ، كالدبابات تمدا .

— مازحوا في داهية كذا ٠٠ أحيه علينا كذا ٠٠ أحيه علينا ٠٠ أحيه
علينا !! .

مازال عبد الهادي يروي هذه القصة كل يوم لأهل «عربة» ، وهو
يتحسس مكان شاربته الحقيق ، ثم يرفح رأسه ويقول :

— أدى احبا طيرنا لهم المأمور وانحسدر كسا ٠٠

وقد ظل عبد الهادي يذكر محمد أبو مسويلم بقصة الاستقبال
والإتهام ، وبعبالة المأمور عندما أطلقت عليه هتافات أرحام من
على الأرض وصرخات النساء من الجو ، عوقب يطعم كالمسوا .

وكان عبد الهادي يطلق صرخات صافية راصية ٠٠ وهو يتحدث في
هذا كله ، ثم تلتحم عينه ، وهو يحكي ما سمعه من حجرة الطلبة والحدار
الذين انقروا في المركز ليلة الاستعداد بالاحتفال ٠٠

ما زال عبد الهادي يروي أفعاله بسخرتهم في الدين وصعومهم في
السنن ، ويؤكد لأصدقائه في القرية ، أن هذا اصعب من الناس لا بد
أن يكون قد تعلم أسرار الحياة من مظاهرات اشتوار في المدة ٠٠

غير أن محمد أبو مسويلم كان يسمح كل هذا وتأمل اصطحاب والرهو
وفي الأعناق من نفسه شعور مخيف بالهزيمة والصياح .

وعندما حاولت امرأته أن تهو عليه ، واقتربت منه ذات ليلة لئلا يلدن
أورام يديه المحسقة من كثرة الصرب ، سحاه بضيق ، وهو يهيمون بأداس
بكلمات من موال حزين :

روح يا زمان روح وحلييا بملايكا

احسا اسبوعه وحت الياح ملتنا ..

ثم احد يردد في حجرة ابياتا فلها ابو زيد اهلالي همدما همره ذات
ابن غم ، فاحسب امراته راسها ، وتضمت ، ووفرت .

وطال نادى محمد أبو سويلم أمته وصبيته في اسيل قبل ان ينام ،
ويامها وهو يقلب الدموع ليعاود سؤاليها في ثائر :

— بقي الواد عبد المصطفى من دون القفر هو اللي ضربت ؟ يا سلام !؟
عبد المصطفى ؟

وكثيرا ما تحسس محمد أبو سويلم شاربته الحليقي في خشن تحاطه
الحرارة ، كندا هو هربا لا يقوى على استرداد ملابسه من يد قوية ! .
وكثيرا ما لمعت أمام عينييه — كالمعاريت — صورة العساكر الذين
أوقفوه بالحد ، ليحفظوا له شاربته ، والمأمور يدخل عليه ليده أمام رجال
القربة والحرى المخاورة ، ويطلب منه ان يقول انه امرأة ! .

بعد ظل يصر الى المأمور اذا ذلك والشر يطاير من عينييه ، ودون أن
يعول كلمته ، يجمع كل لماعيه وحسنه وكبريائه المهدرة ، وقذف بها في بصفه
كسرة هللى وجه المأمور ..

انه لا يذكر ما حدث له بعد ذلك ، فقد تشابكت أمام عينييه السياط
والعصى والأحدية كلها تهوى فوق يديه .. وأحس وهو ملقى على ظهره
بعداء المأمور يخطط رأسه ووجهه .. ثم غاب عن الدنيا ..

وبعد ما كان هو غائبا عن الدنيا تماما في سجن المركز كان الولد
عبد المصطفى يصره اسه وصبيته أمام دوار العمدة ..

وعنى الرغم من أن عبد المصطفى ذهب الى محمد أبو سويلم فقبل يده ،
ورأسه ، وتكى في بدم ، وطلب منه أن يصره بالمركوب أو التلفة تاديا
له على ما صنعته مع وصبيته .. وعنى الرغم من أن وصبيته نفسها كتبت
ما كان من عبد المصطفى وقدرت عنده .. وعلى الرغم من أن أهل القربة
حذروه باكرا مما لقي العمدة من وصبيته .. فان محمد أبو سويلم ظل
مطأطأ الرأس ، كسير الصوت ، مهروما أمام نفسه ، يذكر بالهجرة أن
استه وصبيته كانت تصرف عبد دوار العمدة ، وهو غائب في السجن تحت
أحدية الحدود .

ثم يستطيع أحد على الاطلاق أن يخضع عن محمد أبو سويلم وأصبحت
كلمات الشجعان تريده شعورا بالمرارة ، والهزيمة ! .

بعد ضربه هو في السجن كما لم يتحبل ابدا .. ولو انه كان حصا ،
عند الحكومة لكانوا أكثر اشغافا عليه .

ان المأمور ادى أمر بضرههم وبتحديدهم لا يستطيع أن يقف في شارع
أمنية ويصنع مثل هذا بحيوان .. يكذب أو يهط .. سيحيل من الأعدال
والنساء ، ويخاف من رؤسائه ، ومن امتعاض الأصمقاء ! .

وردا صليت بحسبه الجمعيات المدينة التي تدعو الى الرفق بالحيوان
.. ولن يستطيع على أية حال أن يصر في وجوه أولاده الصغار أو روحته
بعد أن يعذب حيوانا ما على هذا النحو !؟

ومع ذلك فهذا الرجل نفسه — من يدري ؟ — ربما كان يروى
بمخار لأمراته أمام الصغار كل ما صنعه بالرجال ..

وربما عارست زوجته — وهي تسمع — احساسا عثوقا بالاعتيسار
والكبرياء !! .

وهكذا ظل محمد أبو سويلم — خلال الوجيعة — يصعب لهذا الصنف
من الرجال ، ويتساءل لماذا قدر عليهم وحدهم في انقريه أن يعاودوا مثل
هذا العذاب ! ومع ذلك فلو أنهم تمكنوا من المأمور لما صنعوا به كما صنع
بهم .. لو أنهم قصصوا عنييه لعاملوه كما يعامل هو كلبه على الأفل !
بحقنا ! .

ولم يرق هذا الحال للشيوخ حسوة ولم يخف ضيقه بمحمد أبو سويلم .
ان محمد أبو سويلم لم يثق أكثر مما لقي عبد الهادي أو دياب ، أو
الأخرون ، ومع ذلك فعبد الهادي يملأ القربة من أو يوم بحكاية استئصال
وزراء حزب النشعب ، ويقلد المأمور حين عاجاته الهفافات العدائية ..
ويقلد دياب حين كان يقفر من الفرج ويشترك في الهتاف بظهره المنحني
من كثرة مضربه .

ودياب نفسه يسمح هذا ويضعف ، وهو يخرج الى المعتقل ويعود كما
كان .. والرجال الآخرون عاذاوا كلهم يعملون ، كما صنعت بهم الحياة
داننا ..

ولمادا لا يتصرف محمد أبو سويلم كما تصرفوا !؟ ..

لماذا يجعل هم الدنيا فوق جماعه !؟ .

انه لم يعد يخرج الى المسجد .. ولم يعد ييسط لكلام الشيخ
الشساوي ، ولم يعد يستطيع أن يرفع رأسه ليكلم أحدا .. حتى صديقه
الشيخ حسونة !؟ .

وهو يخرج الى حقله في المحر ، وبمعمد به طول النهار ، ويترك

اباسي يقولوا بك يا محمد أمدي .. حليت صور وأمدي صحيح ، افرا
بجرايد يا أحي .. سعد باشا قال ما فيش فائدة طول ما الإصطير صا ..

وكان قد بلغا جبل العطر ، وابقض محمد أمدي وهو يسمح تقريع
حاله ، وخشي أن يستمر في تأنيه ، حتى يصلوا إلى جبل محمد أبو سويلم
.. وكان محمد أمدي طوال الطريق يسير متخطفا من حاله خطوة ،
تأديا منه وخشية ، . واستبق محمد أمدي حاله ، وتقدم إلى حقل
العطن ، محاولا أن يعير الحديث :

.. طيب العطل حضرتك .. أفضل هنا فوق الرابية .. هو حال
خالص .. داخا صحنها سطحها وخليها مصيف مصبح .

وأبدى الشيخ حسونة رضا عن اهتمام محمد أمدي وأخيه دياب
باصلاح سطح حطيرة البهائم ليكون مكانا صالحا للعلوس في الصيف .
ولكنه لم يتقدم ..

وسمع دياب صوتهما ، فرحب بهما من داخل حطيرة البهائم ، وخرج
تستقبلهما مسرعا ، وسلم على الشيخ حسونة وقبل يده وهو يقول :

.. العيط نور .. النيطان كلها نورت يا خال !

وأبسم الشيخ حسونة ، وتابع سيره على الطريق الضيق إلى حقل
محمد أبو سويلم ، ومن رآه محمد أمدي ودياب .
وقال دياب وهو يقترب من خاله :

.. شاب العطن يا خال .. احنا زارمين الحنة كلها عطن : فيطنا
والعيط إلى احنا رآجبسه من الشيخ يوسف ! والله لو كان العيط ده
لسه مع صاحبه الشيخ يوسف كان طلع قطه خباب ، وذهبان .

وأسرع محمد أمدي وهو ينظر إلى أخيه محنقا ، محاولا أن يعير
الحديث قبل أن يرد خاله ، فقال :

.. إلا يا خال !!

وسكت دياب ، والتفت خاله إليه وهو مازال يسير ، وتمحج محمد
أمدي قليلا ثم استمر يقول في تخرج :

.. ألا محمد أبو سويلم دا بقي حانوق امتي ويرجع ري ما كان ؟!
دا ملول قوي ومهزوم قوي وحالته نقت حال .. يا ولاده .. حتى
وصيفة سته ذهبت هه كمان وخست خالص ..

فقال الشيخ حسونة باستنكار :

وصيفة تحجل أنه عذاه هناك ، ويعود مع أول الليل ، ليحكف في داره
حتى المص .. وهكذا يتجنب .. على قدر ما يقدر .. أن يراه أحد أو أن
يرى أحدا !

كان الشيخ حسونة يعكر في هذا بعد صلاة العصر في المسجد ، وحتى
خرج قال له محمد أمدي :

.. تعلى تشق عالعطن يا حال .. تجنب حصرتك تشق عالعطن في
حوض ابترة ؟

فقال الشيخ حسونة :

.. ياللا ، ياللا تشق على محمد أبو سويلم كمان .

وسار الشيخ حسونة من القرية إلى حوض التربة ، في طريق صيق
تترامي على جانبيه الحقول .

وعلى جانبي الطريق .. بدت أعواد العطن حصراء مصرية ، تترجح في
هرال تحت اليباس ، وترنح إلى جوارها في حقول أخرى أعواد الأداة ،
أو يشتد حقل صمير من البطين يحوطه لبلاب ذو أشواك ، تقوم سنانها
وحدها بذور الحراسة ..



كان الصمت يهيم على الحقول ، واشمة العصر الصفراء ، تغطي لكل
شيء ، لونا شاحبا ، وتحمل الظلال في الفضاء طويلة كالأضباع !
وقال محمد أمدي ليقطع صمت خاله :

.. شايب يا خال ؟ حصرتك شايب العطن عامل إزاي ؟ البدوة ماحلش
السدة دي .. لكن قطباسم الله ما شاء الله صاحب وعال .. أهه قدامنا
أهه يشرح القصب ! ان شاء الله يرعي كويس أحسن من عطن البلد كلها ..
ان شاء الله يرعي زي عطن العرب والوسايا ..

فالتفت إليه الشيخ حسونة ليقول بمتور .

.. برسي ؟ برسي ولا برمي ؟ . وإيه العابدة ما دام بانتراب ؟ .
ما فيش فائدة .. سعد باشا قال ما فيش فائدة .. شوق .. ميمك من
الكلام ده كله .. هوه العطن راح يصلح حاله اندا .. لا اللك يصلح
حالها ، سقي العطن يصلح حاله ..

وسكت قليلا قبل أن يكمل :

.. شوق .. أطرد الإنجير وأطرد حرب الشعب كمن ورجع
الدستور ، والعطن يبقى عال .. وللا أنت لسه مش غام ؟ يا محمد ،

ـ معجيه .. وات شانت ايه يا احيا ؟! مالك انت ومال بنته ان كانت دهانه ولا حاسة ؟ هو اب يا اخى بتورنها ؟! اما يرو ؟

وبنت محمد امدى ولم يجب .. بينما حقيق دياب وتحت معه فى دهشة كبيرة ..

وسار محمد امدى وراء حاله يهر المشقة وقد احى وانه .. ومن وراءه سار دياب ..

وعلى كوم سباح مرتفع كان محمد ابو سويلم يستلقى تحت ظل شجرة التوت .. وراى الشيخ حسونة مقبلا ، فقام متثاقلا يرحب به ، واسرع الشيخ حسونة فصعد كوم التراب .. وحط نفسه الى جوار محمد ابو سويلم .. وحاول محمد ابو سويلم ان يقوم ليحيى بفيط يفرشه على التراب ولكن الشيخ حسونة قال متبسطا :

ـ يا سيدى .. والتراب ماله .. نحن منه واليه .. وخفناكم من تراب ؟

وخحك محمد امدى وهو يجلس الى جوار خاله .. وعلى مقربة منهما ، هند منحدر كوم السباح ، جلى دياب بعيدا عن الظل فى اشعة العصر العائرة ..

ونفض محمد ابو سويلم اخيرا ، رطل الانجاح عليه الا يقوم ، فقطع بطيخة كبيرة من حقل البطيخ امدى يستلقى تحت الكوم امام افراد النطن وشرب محمد ابو سويلم البطيخة بيده ، وفحص عبقها ، ثم رماها بشقة امام الشيخ حسونة ..

واخرج محمد امدى المدية من جيبه ونطحها بعمائة ، وشق البطيخة ثم تركها مفتوحة ـ فى الشمس ـ ليبرد قبقها الاحمر .. وبعد لحظات بدا يقطعها واعطى لخاله وللآخرين ..

ولجأة قال الشيخ حسونة لصديقه القديم محمد ابو سويلم :

ـ قل لى يا محمد يا اخويه .. انت معوم قوى كده ليه ، وشسايل الدنيا على راسك ؟! دا انت حقتك تخرج قوى وتبسط قوى .. مش الامور انتقل الواحات والحكمدار راح اسوأ ؟! يا راجل دا انت وبغية الرجال عملنوا عمه مبرها ما حرت .. دا انتم هديتم المركز .. قليلتم المديرة كلها .. وان شاء الله برصه تفنيسوا الحكومة .. بنى رحانة البلاد انتانية الى كاترو معاك عاملين زيك كده ؟! ولا رجالة بلدنا ما كلم يا اخى مسسولى .. حد بيعمل زيك كده ؟ وياه يسي لما اتخست ؟! حس ايه يسي ؟! يعنى ايه الحيسى يعنى ؟! وياه يسي لما المساكو مدرنا ايديهم عليك

لا هي رجولة من الفساکر ، ولا صعب متكم .. ياراجل .. دا سمع انجس ، واتنى كمن .. دكن المحدثين يبيضروا .. يا راجل مكن فى اسي عموه .. حد كان يتصور ان الورداء يحصل لهم كده ..

وامانت عينا محمد ابو سويلم ، وتذكر مظهر الورداء داخل العربات والتمتات تطاردهم ، وتذكر حالة المأمور ولهووجه ، وترينه وهو يلطم على وقع صراخ النساء ، وبرق كرامة تدب ، والحكمدار يشتبه فى خرع ، والذين يهرول الى الحكمدار ليستمه هو والمأمور ييسا الرجال على جاسى الطريق يوجون ويرقصون صاخبين فى بنم قاصف .. يحيا مصر .. يحيى الوفد ؟

لسكان محمد ابو سويلم يذكر هذه الاشياء لأول مرة ؟ لقد كان هو اذ ذاك يهتف مع الناس ، والحرارة تلب فى عروقه ..

وهى هذه اندكريات ، شعت فى وجهه المصفر اول ابتسامة منذ عاد من المركز . وقا برشا انهم حقا عموا ما لم يصل من قبل ، وانهم هزمو المأمور والحكمدار نفسه ، وانهم يستطيعون ايضا ان يهزموا انعمدة ..

فتحمس دياب وكان ينهش قطعة من البطيخ اعطاه له محمد امدى ووقف فى مكانه ورمى بعيدا قشر البطيخة ذى اللعده الأبيض بعد ان اى على الجزء الاحمر منه ، وقال :

ـ عمدة ؟ .. عمدة ايه يا ابا محمد ؟! سلامات يا عمدة ! ابقى بعد الى عملنا فى الحكومة حاي تقول لى عمدة ؟! وايش يسكور ؟! وذا يستعمل ايه ت ؟! وايمد البى لولا اللاملة لرمينه فى البحر .. دا احنا نودر الحكومة الكلى فى مصر .. مش تقول لى عمدة ؟!

وفضح محمد ابو سويلم قائلا :

ـ يه .. يا واد يا واد ..

ورضع الشيخ حسونة امانه قطعة البطيخ ، ومسح يديه وهو يقول فى اية : ان كل ما حدث كان تجربة يمكن ان تعلم الجميع اشياء .. ومحمد ابو سويلم لا يحب ان يهتم بشئ فهو رجل عاش فى الطبخ وانتاج اياما طويلة عندما كان يحارب فى الشام لسبب لا يعرفه ، وترك هناك اصدقاء ، ماتوا قبل الاوان دون ان يعرفوا لماذا يموتون .. وبعد هذا كله عاد من الحرب يحاول ان يبني له مستقبلا فى القرية مع زوجته وبناته الساتية من اولاده الثلاثة ، ولم يمت لانه هاد فوجد ولدين من اولاده عد اربعتهما الحى اياما قليلة ، ونزفا مع الولد دماء وصديدا له .. مانا .. واحدا بعد الآخر ..

معاملته وديان :

— دا على كده لو ماحرقوش المصحح كما باكن عيش مع في قمح بدل القمح الدكر انى هدى كيد، ده !! يا بهار ازرق ! وكمان ببحروا العطن الهى ببحرقوا ! واللى راح يرموه البحر ليه ؟! طيب بصوا سا مفسدس من .. خطي انشج يوسف يصحح به حتى .. خلييا مشرب المهود من غير مسكه ..

وصححت محمد ابو سويم .. واحد يظن انى النشج حسونه صاعا ، ولم يخرق محمد اميدى على التفكير فيما يقول حله ، ولم يستطع ان يسأله لماذا يخرقون النصح والعقل في الدنيا الجديدة ، بسما لا يجد اناس في مصر قروش يشترون بها الملابس ، والعلاخون تتمزق امداهم من خير الدرة الجوف ..

لم يستطع محمد اميدى ان يوجه كلاما انى حله خوف من هجوم حله انى لا يرمي ! ولكن محمد ابو سويم تسال تسال لماذا يخرقون انظن .. لماذا لا ينصروه ، ويجهوه قماش نفوش قليلة .. ولماذا لا يبيعون النصح لبلاد التي تاكل الدرة .. او انى لانجيد ما تاكله ؟! وهو النشج حسونة راسه ، وفكر قليلا قبل ان يقول :

— لو عملوا كده مايكسوش نى ماهم هديرين .. فيه واحد كتب ماذلة في حريدة صغيرة وكان بيقول في المانة ان لو العالم ماطمعي في بعضه .. وكل واحد افشعل واندون تبادلت مع بعضه ، ده يدى قمح ويحد قطن ، وده يبيع قماش ويشترى ذرة ، ماكانش حد جديع ، ولا يبنى فيه أزمة ولا اتخير .. وكاتب الماذلة ده بقى نزل ثرية حاندة على الانجليز وصدفى وبرادع الانجليز ، قامت الحكومة قاعة انجيرة وحاساه نهضة العيب في الذات امكية ، ومحاولة افتيال صدفى وقلب نظام الحكم كمن ! شفت بقى ؟!

وتهدد النشج حسونة ، وهو يسترجع ماقراه .. ولكنه في الحق لم يكن قد فهم كل ما في المقال الذي يشير اليه ..

وسكت .. وخيم على الجميع صمت ، وهم شاردون في معنى نظام الحكم وفى اشياء اخرى كثيرة اثارها كلام النشج حسونة ! ومالت النمش نحو القنب ، وبدا النشج حسونة يحرك ، والاحساس بالراحة بفره منذ رأى صدفه محمد ابو سويم يصحك ، وتحدثت ساطة ، وسأل عما في الدنيا .. والدنيا العديدة ..

واقبل غلام من القرية يحرق ، تسلم على النشج حسونة وقتل يده قائلا : ان النشج يوسف يريد منه ان يعود الى القرية في الحال .

ولم يبق في الايام الطويلة الى عاشها يرجف على بطه في التلج واروجل تحت العدرات السامة ، وبين ارضاص .. ولكنه مد عاد الى القرية بى بلعلل حياته انجيدته وحلج بسا جديدة هي وصيفة ، وحلج من ارجل والموت بعنه تجربة يفيد منها .. ورجل كهذا لا يمكن ان يصير شئ معه يكن .. فالحروب والمصائب في الشام عنته كيف يكره ويقاوم اندي ارسلاوه الى هذه الحرب ، ولقد احسن مفاوضاتهم في ثورة سنة ١٩١٩ .

والتمديد في النشج عنه كيف يعنى في وجه المأمور .. وعلمه كل هذا كيف يصف بحبة مصر في وجه ودرار حزب الشعب . وسخت دماء محمد ابو سويم وهو يسمح هذا الكلام ، وامتلا بالزهو ، واشهور بالقدرة .. واحس ان النشج حسونة يوقظ في بعضه اشياء كدت نوشت ان تموت ، وشعر بان ذكريات ما صنع في الايام الماضية تدفعه الى السيطرة على اياه القصة ، واستمر النشج حسونه يقول :

— يعنى هما رايعين بعمرونا من انهار ؟! يا هم ! حايحرمونا يعنى من اوكتيين الهوا ؟ خليها على الله ! !

وسك النشج حسونة قليلا ونظراته تمتد الى الحقول الشاسعة الحصار .. وسرت الريح انماثة بوشوشتها بين امواد الدرة ، وصهرة الاصيل تسكب اوانها اشاحية .

واطرت كل الدروس ، والنفوس تفيض من المشاعر المحتلطة . ولحاة قال النشج حسونة :

— شافين ابرة دهان اراي ؟ اهم الانجليسر .. الانجليز يرموا الدرة للحماير في بلادهم والمصلحين مشي لاقين الدرة هيا .. وفي الامريكتين .

وانتصب ديان مبروها :

— للخنازير .. الحلايب هياك ياكلوا الدرة .. على كده بقى السى آدمي بياكلوا قمح في قمح ..

ونظر النشج حسونة الى محمد اميدى ليقول قبل ان يستطرد : — يعنى لو انت تقرا حرايد كان على الاقل ديان اخوك يصرفه الحاجات دي ..

ثم استطرد بكل حديثه الاول :

— وفي الامريكتين ، يبحرقوا القطن ويرموا الن في البحر نالغيطير وبيلوا قمح تكى ليل المصري كله .

عن محمد أبو سويلم يعق وانفعل :

— دهدي ! ! حرايه كمن ؟ ..

واحاجه العلام يدعي :

— أنا ما عرشي ايبا حاجه .. لكن باب محمد الحكومه حب في دوار العملة .. وحيبانوا الليلة ويقوموا من فخر الله القوي علشان يدقوا الحديد تناع الرراعية الحديدية !

كان واضح ان الشيخ يوسف قد انزعج ، فارسل غلاب يستدعي محمد أبو سويلم والشيخ حسونة ، مد هرف أن رجال المساحة قصد اقنوا الى دوار العملة ، لتحديد مساحة الأرض أنتى سترع ملكيتها من ربح القرية لشق السكة الرراعية .

وصاح محمد أبو سويلم :

— ما نهار امري يا اولاد ؟! تاني ؟! أيوه ياسيدي ، ما هم ماشيين في الرراعية رى المحراب في الأرض الطرية !! أيوه ياسيدي .. الرراعية مشيت خلاص وحصلت سدنا .. الدور على بلدنا .. كله يومين ويبططوا الأرض ..

وعاص لون الشيخ حسونة وجع حلقه وقال أب القرية قد جريت كل شيء على إيه حال .. ويحب ان نفيدها التجربة ..

بعد أن لها ان تستفيد من التجربة ..

ونفض الجميع ، وفي صدورهم تنزائل أشياء ..

كان نضهم يحقق بشدة وهم يقولون بأصوات وهيبسة مخنطة :
ان الأمور دخت في الحد ! !



حاول محمد امندى ان يقول شيئا ، ولكن الشبح حسونة حال باقتصاب وعرامة :

— امشوا يا ..

وانفعلت من عى السكوم ومضى مسرعا في الطريق الى القرية ، ومى وواله محمد امندى ودياب .

ولحق بهم محمد أبو سويلم يسحب جاموسته ، وعـدده يملو ويهبط ..

كانت الأشعة الماحقة النهارية تنحى في ظلال المساء ، وانهار يعوت بين أيديهم ..

وتأخر دياب قليلا ينظر محمد أبو سويلم ، ثم زعق لجأه :

— يدقوا حديد الرراعية ! ! بقى جاين يدقوا حديد الرراعية ! !
هيه الحكاية خلاص ؟ ياخذوا منا الأرض علشان يعملوا رراعية للباشا !
سلامات يا باشا ! ! وأيمان النسي يا شيخ لارميهم لك في التربة ، وحياة النبي لارمهم زرع يصل .. ياخذوا منا الأرض أزاى ؟
وكان صوت دياب كلما ارتفع امتلا بالحرارة ..

ونظر اليه محمد امندى متمجبا لجرائه أمام خاله .. ولكن خاله لم يقل شيئا ..

وتقدم محمد أبو سويلم يسحب جاموسته ويشربها بكفه قائلا في حق :

— حى .. حى ياللى تمدبى انت وخره ..

وتعركت الجاموسة من خلفه ، فصاح :

— ياخذوا منا الأرض أزاى بقى ياخضرة الناظر ؟ ! ياخذوه أزاى ناواذ ياديب ؟ ! هه لمة باوله ؟ ! ياخذوه عشان سراية الباشا ؟ !
شى الله يا باشا ! !

فقال الشيخ حسونة يهدء يحنى الطليان والالم والاضطراب والازالة :

— يا سيدى .. ابش على بالهم يا محمد يا اخويا ؟ ! هـما كانوا شاموا من البلد إيه يسكنهم يا أبو سويلم ؟ ! لازم البلد توريمهم النص الحمر ! ..

فانصر محمد أبو سويلم :

— شافوا من البلد إيه ؟ دا كله ولسه ماشافوش ؟؟

ثم استطرد متوعداً :

— طب ياب حاشو عوا ..

وشرذ لحظة ثم أكمل :

— طب لسا أقول لك ..

أركب من العجر وروح هالركو فهمم أنهم مش اشطر من الإنجليز .. مش أقوى من الإنجليز .. قول لهم كده .. لا هم أكثر من الإنجليز اللي احنا بهدلبهم ، ولا احنا أقل من إيهات اللي بهدلوهم أيام مرابي ، واحنا هو واحد بنوع سنة ١٩ ؟؟ هه .. أنا هيا زي الحدار .. فهمم كده .. ياخدوا منا الأرض ؟؟ ا مايكنش إيدا .. والله ما هم فاحتين الا على رقاسا ، جاهم حش رفسهم !! يحيى .. كانوا يفلحوا معنا في الانتعابات .. ماجابوا لنا الهجانة .. عملوا إيه ؟ يا جندع قول لهم دا الإنجليز هم هنا حرقناهم بالحيا .. يا نهار امبر هي دول حكم وعلى ذى حكومة !..

ولم يحب الشيخ حسونة ..

وسكت محمد أبو سويلم هو الآخر ، واخذت صور الأيام الزائفة المسافية تطول نكل خاطره ..

حدث هذا أيام ثورة سنة ١٩١٩ .. كانت مواكب الزجال تطلق ، وانمرة كلها تهتف : « يحيى العدل » و«علاوي يرددون :

« يا انجليزى يا حرامى أصولى »

« خدت شعيرى وقمعى وفولى »

وكان الشيخ حسونة يرفع يديه ويلوح بأصبعه وهو يقول :

« وبلا استقلال اشمر »

فيرد رجال القرية :

« رفسم انف الانجليز »

وكان الصغار والعتبات يتصايحون على أنغام راقصة :

« الله حى ، سعد حاي .. يح باعدلى ، اركب ياسعد »

وكان الإمهات سغن الأطفال ناعية تقول :

« حاطمة مراتى .. قاعدة تدادى .. يحيى الأوطان »

كان كل شيء من الحقول ، وتحت البيوت الداكرة ، وعلى المزارع



الليثة بالتراب والوحل والدياب .. كان كل شيء يهرس ويسحق ويعلى
أرادة حياة جديدة في وجه أعداء الحياة .

وذاث أصيل شاحب من أول الصيف ، كان له مثل شجوب هذا
الأصيل ، هبط على القرية مشروب جديدا من الانطير تحمهم البقال ،
وتعمر رهوسهم وحياهم الطاسات الحاسية ، وتبرز من حنوتهم
فوهات التدق والمسابك والمدافع الزرashed ..

وسكروا عند أول حزن وحدود قريبا من جسر النهر .. واخذوا
يقلمون أعواد القمح اليابسة من الحقول ، ويقدمونها ببعال ..

ودعمت القرية ان الانجير سيسعدون كل حقول القمح في حوض
النهر ..

ولو انهم تركوا حتى يدخلوا القرية في الصباح فسيتزهون من بيوتها
الحبل والفضائل والرجال ، والطعام . والدجاج وحلي النساء ، والشرف
كما يصعدوا في كل قرية طلسمها عنتم من قتل ..

وسهر الشيخ اشناوى في المسجد مع الشيخ حسونة والشيخ
يوسف ومحمد أبو سويلم .. وسهر معهم رجال آخرون ، وأرسل اليهم
أعمدة يقول انه معهم ولكنه لا يستطيع أن يظهر بلاتأيد .. وفي الحق
انه كان في تلك الأيام يتف مع انقرية دائما ، وبعضى من أوامر الحكومة
بمهادرة ومكر حتى لا يؤخذ ..

وفي الساعات الحاشكة من الليل قل انجر ، قام محمد أبو سويلم
ومعه بعض الرجال والفتيان وغابوا قليلا في الدور ثم خرجوا كلهم الى
حوض النهر ..

كان كل واحد منهم يحمل قطة أو كلبا صغيرا ، عند في ذنبه شريط
قماش ملال بالتورول ..

ورجعوا على اسطون .. والقطط والكلاب تحمض بلا راحة ، وأيدي
الرجال على أمواه الحيوانات الصغيرة ، كيلا يفلطرساح أو مواء أو صوت.
وظلوا يزحفون في صبر حتى اصعدوا أمام الحقول المحيطة بالهرن
الذي يسكن فيه الانطير ..

وأوقد كل واحد منهم عود كبرت في الشريط المربوط بذبول
الحيوانات ، ثم قلدوا بها الى حقول الحطة ، فطلعت تحري بجسوس ،
وشعل النهمي الى الأعواد اليابسة حول الهرن الذي يقيم فيه عسكر
الانطير ..

وفي لحظة ، اصبح العسكر كأنما هو عقرب كبير حاصرته دائره كبيرة
من لهب ودخان ..

ولم يكن فضل الصباح حتى كان الهرن هشيا يحسب بعديا عندهم
محقرة ..

مازال محمد أبو سويلم يذكر تلك الأيام ، ومازالت في الأصابع آثار
عضة كلب أو قطة .. ومحمد أبو سويلم يذكر ان الشيخ حسونة هو الذي
اتكف هذه الفكرة لمأومة الانطير .. وفي تلك الليلة لم يحاول الشيخ
الشناوى أن يتحدث عن بحاسة الكلاب ..

ومنذ ذلك اليوم لم يحاول الانطير أن يرسلوا الى انقرية رجالا
آخريين !

وان أهل انقرية يذكرون ان سعدا واصحابه عادوا من المنى بعد
هذه الحادثة بأمان ، وان أيدي حكم عليهم بالاعدام والنسخ في مصر ،
أخرج عنهم بعد عودة سعد ، واضطروا مع الحياة ، في الحياة من جديد !

والشيخ حسونة يسترجع هذه الذكريات كلها ، وهو يمضى في
اتريق العالم الى القرية فشرق في نفسه ثقة بالمستقبل .

كان الانطير في تلك الأيام أكثر قوة وأعظم بطشا .. أما الآن فصا
عساهم يصنعون بالقرية هم وحكومة حزب الشعب ؟

وتعمل انشيخ حسونة في مشيه ليقول لمحمد أبو سويلم :
- أبوه يا محمد ياخويا كان غيرهم أشر .. شيرش الزهق بيخلى
أرواحه ينسى التي فات ..

فقال محمد أبو سويلم بصوته الذي عادت أثيه طلاقته :

- يا بول لك مديش فايدة من الكلام اللي بيعملوه ذا كله .. سعد
دشا قتل ما يموت قال لهم سيكوا من الكلام ده .. قال لهم ما فيش
فايده .. والله ياشيخ طول ما احنا واقفين لهم كدهه بربطة الملم ..
لا حكومة ولا عمدة ولا باشا ولا انطير ، ولا أبنا واحد بيدر بطول صا
مطال ..

وتحمس ذباب ودخل في الحديث :
- أبوه بابا محمد معوم .. احب زى الجدار ..

وهو الشيخ حسونة رأسه في رضا ..
وتتامت حلوات الرجال في صمت ققطته هجمة محمد أبو سويلم .

- أبوه يا ذباب بس الزمن كاسر .. ايه ..
وتنهذ محمد أبو سويلم ، وكأنا عاد اليه احساسه بالهزيمة وهو
يشيع سطرانه آخر اشباع من النهار .

وتتم بصوت حزين :

دا نا چمىل صيب ، لكن على الجمال
لوى حرامى وشيلى تيميل الاحتمال
٢٢ نا ولدى ٢٠ ولا تى اقول ٢٥ ٠٠

وبطر الشيخ حسونة اليه فى صاب ، والابتسامة تسيل الى غضون
وجهه قائلا :

— ودا ثرومة ايه يعنى يا محمد ؟! ثرومة ايه نقى ؟
وتدخلى دياب قائلا بثقة :

— سلامتك من الله يا محمد .. دا انت سبع .. احنا السبعوية
ومين يعالينا ؟ .. هه ؟!

ثم توقف قائلا انه هائل الى الرربة لبيت مع اليه .

وعاد دياب الى العمل ، فيما تابع الشيخ حسونة سيره ، ومن ورائه
محمد امدى ، ومحمد ابو سويلم بحر الحموضة .

وكبوا قد بلغوا مدخل امرية .. فراوا الشيخ الشناوى مقبلا ، وهو
يدعك لحجته انصارية البيضاء ، وحبات مسحقة ترطهم ببعضها مرسله
أربعين العمود الذى ينهب بيوت افريقية الى مقدمه ..

وكان الشيخ الشناوى يهر راسه ، ويقلب يده فى عجب .. وكال
يسرع فى خطوه الى الجامع ليؤذى العرب .

وبداه محمد ابو سويلم ، فاستدار الشيخ الشناوى الى طريق
حوص التربة .. ووقف مكانه ، وهو يكتفم ضحكته ، ويصيح :

— عيلها الواد بن اسما ايه .. عيلها الواد شعلان .. بالبلعة ..
شوقوا ابن الحرام ؟ ضربهم بالبلعة ..

وتأملت كلماته فى مسكاته المتكررة ، فسأله الشيخ حسونة عن
الحبر والسيرة ومن رجال المساحة .

فقال الشيخ الشناوى وهو ما زال واقفا فى مكانه يضحك :

— الواد شعلان موتا من كثر الضحك .. أما حنة دور .. ما يتوع
المساحة خدوا وكابهم وطلعوا عاملهم راحمين المركز ، والواد بيجرى
وراهم بالبلعة ..

فرجع محمد ابو سويلم بضيق :

— طون نالك يا سيدنا آمال لما نفعهم ايه البحر وانه السيرة ! هو انت
مادانتش الشيخ يوسف ؟! دانت لنا امهم بايتين هه انيلية عشان بدتوا
الجديد من بحر الله القوى .

واحابه الشيخ الشناوى والعصك مابحت تملت مستريلة من
بين شعبيه ، وتقطع كلماته :

— دهدي ! انت مسكك ليه ؟! ماقلت لك الواد شعلان الجدوب
طاح فيه بالبلعة .. ناقول لك رجحوا اسرركو لى هرياني من صرب
اللامؤاحدة .. تعال احطف لك ركعيني تعانه .. تعال احسن اتويسا
على المغرب .. ياللا سحق المغرب ..

فقال محمد ابو سويلم ببساطة وهو يشير الى جاموسه :

— والجاموسة آتجى زخه تحطف ركعتين ..

واغرق محمد امدى فى الضحك ، وابتسم الشيخ حسونة وطب
من انشيع الشناوى ان يروى لهم ماحداث حاولت لم يضع لصلاة العرب
.. غير ان انشيع الشناوى لم يكن يستطيع ان ينظره وليس غيره من
يقوم بالادان ..

وصفى الشيخ الشناوى مهرولا الى الجانح ..

وصفى الاخرون مع محمد ابو سويلم الى داره ليترك الجاموسة قبل
الذهاب الى ذكاب الشيخ يوسف .

وامام دار محمد ابو سويلم ، وقب الثلاثة ، وخرجت وصيفة من
الدار على صوب ابيها ، واقلت نظرة سريعة على الشيخ حسونة ومحمد
امدسى ..

وتسبح محمد امدى قليلا وهو يرى وصيفه تسلم على حائه ،
فممن بقامتها العارعة العله ، وتضع شعبيها الملبثين على يد خاله ..
وتمسى لو نقى دسامة شعبيها ذات يوم على يده .. أو وجهه ..

وحلب الشيخ حسونة يده بسرعة ، وودت عن كتف وصيفه ونظر
الى وجهها الرائى الجميل ، وسعد قائلا :

— رشا يحميكى ياشي .. رشا يحميكى من شر الزمان .. ويسسا
يسترها ويانى ..

وقبلت وصيفة لآبها حقة :

— مادريتش بابا هالى حبرى فى دوار العمدة .. معرفتش الشح
شعلان عمل ايه .. ؟!

فتدخل محمد امدى متظفرا وهو يصططع الجرة .

— هو شعلان يى شيخ كمال ؟! شعلان نقى شيخ ؟! دى طلبت ا
وسحكت وصيفه على استعاض ، ورمت على محمد امدى ظره
سرعة من عينيها الواسعة الطولة ، وهسرت راسها لشعره الكـ ..

المستند بحسب الطرحه الزيعيه السوداء . واحذب حل الجاموسة من يد اسيا ، ودخبت بها الدار ، يسما كان الشبح حسونة ينحس وجه محمد اهندي ويقول يتانيب :

— جرى ايه ياسى محمد اهندي .. احنا جديعت محضر هسا ولا ايه ؟! ما نمشي !

واقترح محمد ابو سويلم ان يبعدوا فى المذرة ليشربوا القهوة معا ، ومن اسهل احضار الشايح يوسف ..

وتجنس محمد اهندي بعكركه ، ولكن الشايح حسونة بطر اليهم بانفعال قذلا .

— حاكم ات مانصدق حتة تقعد فيها ولارق .. هاوز نلرق ..

وبهت محمد اهندي لنظرة حاله ، وكلامه ..

عمشى خطوة الى الامام فى الطريق .. وهر يده بالمشة ..

ومضى اثلاثة الى دكان الشايح يوسف ..

ولم يكذ الشايح يوسف يصرهم قادمين حتى خرج من الدكان مرحجا ، ودخل باب البيت صائعا فى فرجاب :

— اهلا وسهلا .. بورتكم .. ولص اللمة لمرة هشرة يابست وهاتيها فى المذرة ..

فاستجمله الشايح حسونة وحسى على ذكه امام الدكان ، وقال محمد ابو سويلم :

— خينا هسا نشم البسة .. الشايح حسونة ؟ هو شسيمان من المبادر فى مصر !

وضحك الجميع ..

وحلس محمد اهندي ومحمد ابو سويلم الى جوار الشايح يوسف على الدكة ..

وتحى عواى واعتبان الذين كانوا يقفون امام الدكان .. وبدا كل واحد منهم يستحب فى تردد وخجل والراس منحنى ، بعد ان سئل على الشايح حسونة بانحاء ، ويده تملو وتزل بين الصدر والجهة ..

من قرط الاحترام ؟ ..

ووثق الشايح يوسف داخل الدكان يروي ماحدث فى دوار العمدة مند لحظات :

فقد اقل ثلاثة رجال من المساحة على العمدة ، فطلبوا منه ان ياندر

على العور فيمن لهم بعض الحفراء الاشداء لحراسه اتحديك الذى سيحمل الى انغرية ويدق فى الحفول لتحديد الطريق الراعى اتحديك .

وحسب العمدة لهذا الطلب : لساذا يحصر من احله ثلاثة رجال من المساحة ، وفى اشارة تنبؤية على عن الرحمة الطوبى من المركز على ظهور الحمار ..

وسأل العمدة ان كان هناك شىء آخر .. فنشر احدهم امامه خريطة كبيرة لغوش اترتة ، وفيها خطان ظاهران يحسدان بهما الطريق الزراعى الحديث .

وحاول العمدة ان يدقش الرجال ، فاضط احبدهم له العور .. وكان العمدة يريد ان يسأل مرة اخرى ان كان هناك شىء آخر جادوا من احبه ، فهو لم يعود بعد ان يحضر « الاعدية » من المركز ليشربوا امامه خريطة !

ولم يروح الرجال لهذه اللجة ، فطلبوا من العمدة ان يسمح الكلام ويعلم البيعات فى صمت ..

وحين بدأوا يستعدون للاصراف ، ألح عليهم العمدة ان ينتظروا القهوة ، ولكنهم صموا على الاصراف بهجة تحمل ثوبا من الاحتماز للعمدة ..

وتفريق العمدة ، ولكنه ظل يتكلم بلا انفعال .. واستأذن لبعده وهمى فى ان احد الحفراء يكلام ، وانهى كلامه بتانيب الحفري بصوت مرتفع لان القهوة تأخرت ، على اسبابك البلى — رجال المساحة ! ..

وحين عاد للعمدة ، قام رجال المساحة واستأذنوا فى صبيح ، غير ان العمدة ظل يلح ويستعملهم حتى يشربوا القهوة .. واخيرا .. جيسوا على مضى ، بينما احد العمدة ينظر فى الخريطة ، ويسأل ليعطاهم عن الاصراف .

« اقل شصان فالى السلام . ولم برد عايه غير العمدة ..

واروح اعمدة لقدم شصان ، وقمر له بطرف هيسه

ووجد شصان اخرطه مفتوحه ، وسمهم يتحدثون عن بطريق الراعى فسأل عن الارض التى ستترع يمر بها الطريق .. وصاح العمدة على شصان مضى مصطح :

اطلع من هسا شايح يا محلوب ..

بم غير بعينه ..

فقدم شصان ، ومد نظره ، ويده الى الخريطة ووجم لحظة ، ثم لاس شبعه مدحجة :

— يا حي يا حيوم ! .. حتى !! .

وسطر اليه الرجال تنفر .. ونحملوا العروة ، ليصرفوا .

ولكنه ، اقترب منهم حتى أوشت أن يمسق بهم ، وسأل أن كانوا سيهيمون « مقام سيدي رمضان » القائم على رأس المقابر في حوض البرهة ! .

ولم يجبه أحد ..

فاخذ ينظر الى الخريطة أمام العمدة .. وبسأله أين يقع قبر سيدي رمضان بين هذه الخطوط الرسومة على الورق .

وبهره العمدة ، وهو يمر إليه بعينه حمية ..

واستعد شخص قتيلا ، ووعب يهذر بقسم غليظ أنه سيضرب بالسمعة كل من حاور هدم مقام « سيدي رمضان » ..

ثم انعطى كأنه في حصة ذكر ، وصاح أن عليه « العهد » لسيدي رمضان .. واكمل :

— اعمل ايه في الاهد ؟! شيء لا يا سيدي رمضان ! انصاته سيدي رمضان واسييدي اليومى وليسيدي المتبولي ! لهم جميعا العاجلة ..

وبدا يقرأ انصاته ، وقد سطر راحته أمام فمه ..

ولاحظ أن رجال المساحة لا يقرأون .. فلكزهم بصمغ تنبيها الى قراءة الصانعة ، وعاد يمسك راحته أمام فمه واستمر في قراءة انصاته ..

وتضايق رجال المساحة ، وطلبوا من العمدة أن يترد هذا المحدث ، واحذوا بلعنون « سيدي رمضان » والامبياد جميعا !

وقال لهم العمدة محذرا بحكمه مضطمة أن شيطان رجل من أهل الطريق ، ولا أحد يعرف له بدا .. وصح العمدة الرجال يتحسسه لأنه مزاك الدهوات .. وهو — على ذلك — مهذوب ، وليس على المحدث حرج ! .

وقهر العمدة بعينه حنية مرة اخرى لشيطان وصاح فيه :

— اطلع من ها يا رجل يا مهذوب .. شوف لك لك قيردى من بلاد الله .. امشى كده وات عامل رى غراب البين .. انت حاترعل الأمدية من بلدنا ! .

ولكن شيطان احك بأحد رجال المساحة ، وطلب منه أن يستمر ،

لأنه شتم سيدي رمضان ، والا تزل عليه كرامة من سيدي رمضان ، فاستسلم في مكانه ! .

ثم اسك يده كف أرجل الآخر وأحد يهره بصمغ ، ويستعطفه الا يمس مقام سيدي رمضان .. والا يسمح لأحد أن يهد « المقام المبارك » ! .

وصاح فيه الرجل ودفعه في صدره :

— عور بقى يا احمى ! .. ياك يهد المقام على دماغك ! .. قطعيه نطملك اب وسيديك رمضان .. غور كده حاططع البذلة ابنى جيبها بالتنية .. يعنى شايبا مسوطين قوى من الشحلة دى ، جاي تقرأفنا كمان ..

وفجأة انحنى شمعان على الأرض ، وهو يصرخ في تشنج :

— اه .. انت بتحوص في سيدي رمضان !ا يوكات يا سيدي رمضان .. كنهم بيتشموك يا سيدي رمضان ! ..

ثم نزع البع من فمه ، وهوى بها على رأس الموظف .. وهو يعول متطوحا على نعمة الذكر كأنه في حلة :

« يا من يرى ولا يرى .. اعطى البعوض جناحا ! » .

وروع الموظف من المباغة العجيبة الهيئة ودارت رأسه من شدة الغيرة ، وشمعان يهوى على رأسه بالبلعة الحادة المقلبة . ووقف رميته يصيح :

— حوش يا عمدة حوش .. أنت المسئول عن ده كله .. انت ماسك ثبت تقعد شتمن كده يا عمدة .. انا مايم خيت الفلاحين .. والله لأرعدك .. لأبد عن رلدك يا عمدة ! أنت كنت بتوشوش الحمر علبان بسادى له ! .. انا فاهم ! ..

واستدار شمعان اليه ، واللمعة في يده ، وظل يجرى وراءه بالسمه الحافة العوية أسلح حتى ركب حماره ! .

وكان أول رجل ضربه شمعان ، يقتر الى حماره ويده على رأسه وهو يصيح :

— دى آخر خدمة الحكومة ! .. يا بالبعة .. والله لأخرب بلك يا عمدة ! .. دا اعتداء على موظف أثناء تأدية وظيفته ! .. يعنى اخرب نارصاص دلوقت ..

وكان الرميل الثالث قد احتفى منذ بدأ شمعان يرفع البلعة ، فقد ادرك بتحرته امع الذى نصبه العمدة ، فركب حماره ، وحري به الى المركز ..

دعه على الآخر كان يظنهم من السر بالسياسة رى ما د...
السياسة ..

وهو الشيخ حسونة راسه ، ولم يفتح ، ومن يحد

— كلهم مبسوطي من المغرب ده .. لكن اب مش مسوط ! يمشى
العملة اللى عندها أنواع شصن مباحكم كلهم ، ولكن ب توكم بنى أمها
مش حاجبى ؟ ! ويكره تشوفوا كلامى .. اب غشت راح أنكركم ، وان
مت اتقوا قولوا انه يرجعه ، كان يحسب حساب كل حاجة ..

وحيم على الجميع وحوم ، وحدر ، وفدى ..

وكانت كلمات الشيخ حسونة من احتمال موته قد هزتهم الى
الاعماق ، ولم يعد واحد منهم كلاما يعوله ،

ونظروا فى حيرة الى الشيخ حسونة .. وكانوا يطمون بانتجده
ان ظن الشيخ حسونة لا يطيع أبدا .. وان كل ما يحسه يعناه ، ولو بعد
سنين ! ..

وخلجات حيرتهم الكاة ، والمحارب المهمة ..

وبعد قليل هس الشيخ حسونة :

— حاجة بالمقل ! بنى العمدة يشرب رجال المسابحة ، ويشلى
شصان الحصى هو اللى يشربهم ؟ طيب قولوا لى ايه اللى جاب شعبان
فى البلد تانى ؟ .. ايه اللى يوجده فى الممر يوم زيارة أنوزاء ؟ ..
قولوا لى بس .. ايه اللى جابه فى الوقت ده بالذات ؟ المغرب لسنة
حايتمب يا أبو سويلم ، ولسه شصان له شغل كثير ، وبها هم ايه الشغل
ده ؟ ! .. نوعه ايه ؟ ! ما حدش بسع يعرف ؟ ! ذا لسه له دور ..

وتهلل وجه الشيخ يوسف ، واندفعت منه كلمات كثيرة يؤكد بها
انه رحل لذي ، يفهم الدور كله ، وانه بيه وبين نفسه قد فكر فى
الامر ، ولكنه لم يقل لاحد ، لان احدا لن يهتم بما يقول .. ولكنه يعرف
ان شعبان لا يخرج من يد العمدة أبدا ، وهو رحل فسلع استعمله
العمدة قديما ليسم بهائم أعدائه أو ليحرق دورهم .. وحده العمدة
دائما ، ورسم له خطوات الهجرة من البلد كلما طردته التبهات .

وظل الشيخ يوسف يقول اب شصان هذا غادر القرية منذ احوام
عندما تواتت العرائس الى المركز تهيمه بأحراق حصن قمع يملكه أحمد
اعيان الناحية المحررة من أعداء العمدة ، ولكنه عاد بلا مناسبة عندما
كان الرجال غائرين فى المركز ، وفى يوم الاحتيال باستعمال الوراء ظهر
فى المركز ، ثم عاد مرة اخرى الى القرية .

وكان العمدة يحيى صحكه واحساسه بالظفر وهو يقول فى توره
معتله :

— عبت يا ريد كده تيهيم فى سدا ! عيب كده ولو انهم هاتوا العمدة
كبير !! حوش يا غير ! .. ما قلت لك يا سيدنا الامدى من الصبح ذا
راجل على الله ومحدوب !! اكب على با واد ب محدوب .. اسكت
كعدة كده كسب مع الامدى .. هم الامدية بصربوا بالدعة يا ولد ..
دول هادوين ششيب هوانى ! ..

وقل ان يتعد الامدية بحيرهم صباح العمدة فى نفس اللهجة
العملة :

— امسكوه يا غير .. امسكوه ودوه المركز .. اوى يهرب مشكم
يا غير ! .. حاسسوا لا يظير مشكم احسن ذا من اجل الخطوة ! ..
مانحوش منه .. امسكوه امسكوه ..

غير ان احدا من الحعاء لم يكن واقفا اذ ذلك .. فقد اختفوا جميعا
بقوة قادر ..

وعندما كان الموظفون الثلاثة فى الطريق الى الجسر .. اطلق العمدة
ضحكاته بحرية وهو يقول لشصان :

— والله عماز عليك يا شصان ! .. ايوه كده ! .. متصططين كده ،
وما حدش طايقهم .. هما فاكرين اى انا هنية .. خليلهم بتعلموا ازاي
يكلوا العمد ! .. مش ديتنا شكوى للامور الجديد .. يشتكوا
للامور ..

ثم هس العمدة لشصان :

— اطلع انت من البلد الليلة ..

وترك شصان الدوار الى بلدة اخرى ، واستعد العمدة للاجاة على
الأمور فيما لو سائه عما حدث .. سيتولى للامور اب الرجل المحدوب
ليس من القرية ، وليس له فيها ارض ولا اهل ولا احد يعرفه ، وانما
هو مسائل على الطريق ، من اهل الله .. وقد حاول العمدة ان يعثمه
او يقتض عليه ، ولكنه اختفى .. تهر من اصحاب الخطوة ! ..

لم يكد الشيخ يوسف يروى للشيخ حسونة ومحمد أبو سويلم
ومحمد أفتدى ما حدث بين شصان ورجال المسحة ، حتى استغرق
الجميع فى الضحك .

وقال محمد أبو سويلم ، وهو ينظر الى داخل الدكان :

— اما العمدة ده عليه ملاعب يا جعدان ! ذا لو يشغل مخه

وحين عاد إلى القرية كان يلبس عمامة ذات شلال أحمر يسقيه « شرف سيدي رمضان » وأحد يتروذ على الجملع بالنظام ، وهو لم يركبها من قبل ، وهل يقول عن نفسه أنه وجد الهداية ! .

وعندما انتهى الشيخ يوسف من كلامه سبك الجميع ..

وأخيراً قال محمد أبو سليم ، أن شعبان أبدي لم يعرف أحداً أبداً من هؤلاء ، عاد إلى القرية في مهمة لعمده ، ربما ليحرق دار محمد أبو سليم نفسه ، أو ليرشق جاسوسته ، أو ليضع أمانتها السم ! .

ثم هز محمد أبو سليم رأسه قائلاً :

« لكن دأ بعده .. لا هؤلاء ولا عملده ! »

ونظر الشيخ حسونة إلى محمد أبو سليم وقال بحطوة : أن شعبان لم يعد من أجل شيء هكذا .. وعلى أية حال فسيظهر كل شيء بعد أيام .. وس يعيش ير ! .

وبعد الصمت نرقة ، وأخذ محمد أفندي ينظر إلى حاله في إحلال .. فهذا نحن يعرف كل شيء في الأمريكتين ، وفي مصر ، وفي القرية ..

وأخيراً انصرف الجميع إلى دورهم .

وباتت القرية في تلك الليلة تتحدث باكبار من شعبان ، الذي ضرب رجال الحكومة بأبلهية .

وقال بعض الرجال أن شعبان انصلح حاله وأنه أصبح الآن قوة تساعد القرية في موضوع ألسنة الرأبائية .

وعجب آخرون من هذا التحول المفاجيء في شعبان ..

ولكنهم وثقوا به إلى آخر حد ..

وقال بعض النساء أن هذا أنهادي نفسه لا يتدر على ما عمله شعبان ..

وكان شعبان من قبل رجلاً يعيش في القرية ، دون أن يعرف الحقول .. لم يعمل في يده فأسساً ، ولا أحصد يذكر من أين جاءت أمه ، فقد تزوجها أسكافي عجوز ، كان يقيم بالبلدة ، وبعد ست شهور من الزواج مات الأسكافي ، وبعد عام من موته ولد شعبان ! ..

وغدت هي من القرية يوماً وسادت نقابة أخرى وقابل معها أنها أحياء .. وترك لها أمه شعبان .. وذعت هي إلى أسبوع التي تحبب فيها الماء ، لتعمل - وتقدح القرب للحير .

وعندما كبر شعبان حاولت أمه أن تعلمه صناعة أبيه ، وأرسلته إلى أسكافي في قرية مجاورة ، ولكنك لم يفتح وتعود أن يسرق وهو سائر في الطريق ، أن يعطى كور ذرة أو أي شيء تطوله يده من هذا الجمل أو ذلك ! .

دحين حين صوته صرپ أمه ، وحالته .

وتزوجت حالته وترك الدار ، غفل يصرپ أمه بلا سبب مفهوم ..

وبعد تركه القرية ذات يوم وهو فتى في السادسة عشر ، ووجد مركب محمده باليمن والنلايس راسية على شاطئ القرية فرحل معها وغاب عن القرية ثلاثة أعوام ثم عاد وسمه الشيبالك والحطاطيف ، وبدأ بصيد السمك ..

وتزوج فتاة من القرية ، وأنجب منها طفلة أسماها « ستم » ولكنه هجر وحده فتاة ، ثم عاد بعد حين يعيش في القرية بلا عمل بعيداً من روحه وأمنه « ستم » .

وبعد قليل ألفت القرية خروجه في السمكات الأخيرة من الليل ليصيد اندئاب .

و ذات يوم حسدت بندقية من أحد الحفراء ، فاقترح عليه شعبان أن يصلحها ، وأصلحها بالعمل ..

وبعد ذلك أيوم ، وأنقرية نظر إليه في عجب ..

أنه يعيش بين الحقول ومع ذلك فهو لا يعرفها ، ولا يصلحها ، ولا يستطيع أن يعمل بها .. وهو لا يطيق أن يقيم في القرية سنين متوالية ! .

وهو بعد ، يتقن أشياء بأهرة لا تنصب القرية ..

وكانت الغنيات يتحدثن عنه برعب ، ومن يعرفن أنه إذا صادف عاه وحيدة لم يتركها تغت منه أبداً ، ويحذنها أن مسكن يحتسب فيه معها ، ويجزئها أن صرحت أو أمنت عيه أن يقتلها كما يفعل دنا ، أو سبكه كثيرة ! .

وكان شعبان طوال هذه في القرية يعيش بها أحداً لصحة أيام ، ثم يعود ومعه كميات من الخشيش يبيع منها حسناً لثرايين من أهل القرية .. أو القرى المجاورة .

وكان يرسل أعتيابه إلى مصر ليشتعن حاديات ، ولا يعدل منها أبداً ، و « روية » أحت « حصرة » التي عادت إلى القرية فيما بعد بلوى حادى ، ولحم مكتر ، وذهب على الصدر ، وأحمر على أنشفاه .. « روية » هذه أتت عادت بحذاء ذي كمب ونامم حديد هو أحسان

هذه ، كانت « روبة » هي إحدى الغنيمات التي أرسلها شعبان إلى المدينة . . وكانت من أهله ! .

وفي الحق أن أحدا لم يكن يعرف له منه وأصله فهو في الجمار يصبح البنادق أو يبيع الحنثيش . . وهو في الفجر يصيد السمك . أو يصيد الذئاب والثعالب ويسبح حدها ، وسيعه في المدينة .

فإذا أقيم في القرية أو إحدى القرى المحيطة موبد أو ذكر ، وأقبل من بلاد بعيدة رجال صغر الوجوه ، طوان الشعر ، يطوحون تحت البيارات . . إذا حدث هذا ، انخرط شعبان في الموكب ، وتطوح في حلقات الذكر ، وهو نفسه في حركات متشبعة ، وطل يتوائب حتى يصرح بكلام محتاط لا يميل له ، فيقول السماس هسه أنه « يعرب بالسوريين » . . وأنه وصل ! .

وشعبان رجل طويل نحيل اللبس ، غريب الحركة ، عصبى الإشارة ، في السمره من وجهه أوار كثيرة ، كأنها جفرتها أدموع . . وهو شيط سرح ، يشيع السواد في أسنانه التهنشمه ، يتلوى دائما ، ويهز كل جسده إذا تكلم . . ولعميه الضيفتين نظرات حادة وبريق احاد .

وهو بكل يحوله وطوله وبدنه الملوأب ولونه الكليج ونظرانه الحاطنة الملتصقة ، كان يلذكي العلاحين بالثعالب الأرقق .

وكان هو نفسه يصغر لنعابين فتسبح ويمسكها ببساطه وهو يضحك قائلا :

« مدد يا رفاي مدد . .

والقرية تلذكي أن شعبان دخل بيوتا في القرية ليخرج منها أنعميين ، فأخرج أنعميين ، ولبد هو . .

وفي هذه أنعميت هاشت باب جميلات .

ومن أجل هذا ، فقد طلت بيوت كثيرة في القرية لا تسمح له بالدخول ، ونصبت أن تعيش فيها أنعميين ولا يعيش فيها شعبان .

هكذا كانت سيرة شعبان في القرية . .

ومنذ غادر القرية في السادسة عشرة وعاد اليه بعد عامين ، فل في عهد هذا أكثر من عشرين عاما يقيم في القرية لبعض الوقت يصغر لنعابين والسباد ويصيد الذئاب والسمك ويصلح البنادق ، ثم يحتج فجاء بمود وحده ، أو مع سيارة من السابيح والمخاديب فيقيمون حلقات الذكر ، ثم جعفي في حديث . .

عن أنه عندما غادر القرية لا حرمه عاب طويلا ثم عاد فجاء بلس أسرف الأحمر ويطلق على نفسه الشبح شعبان ، ويمسك مسحة من حرر أسود ، ويصكف أسنانه الطوال في المسجد .

وفي الأيام الأولى حاول أن يدخل بيت محمد أبو سويلم ، ولكن وصيعة رده عند الباب ، وطلبت منه ألا يدخل ما دام أبوها ليس موجودا . . دنى رأسه إلى الوراء وأرخت حاجبيه ، ومد يده إلى صدره وصمعه بدعوي أنه يداركها وهو يقول بشهقة :

« الله . .

وعرب وصيعة بعيدا هسه ، حين وجد يد يمدان إلى صدرها ، ودخلت إلى وسط الدار ، بعد أن أغلقت الباب في وجهه . . وتركته يجلس على المصطبة في شمس العصر .

وحين أقبل محمد أبو سويلم بعد المغرب ، ووجده جالسا أمام المصطبة ، غامله بجعاه وسأله عما يريد منه . . ثم قال به في لحظة أن القرية . . في عمها هذا . . وسط الحصة . . أن تقيم المواد ، فهي لا تمك أن تقدم طعاما للرجال المجالبي الذين يمشون تحت أسبارق . . وطلب منه محمد أبو سويلم بعد هذا ألا يفتح على مصطبة ، وأن يبعد عنه ! .

ولم بعد شعبان يفكر في دخول دار محمد أبو سويلم ، أو الحوض على مصطبة .

ثم بدا يتردد على دكان الشبح يوسف ، ويفف أمانه مع أنعميين ، يروي لهم عما شاهد في رحلاته ، ويضحكهم . . ويشرد قليلا ليدخل في حديث لا ينتهي عن الزراعية الجديدة ، ويمسك مصطبة . . فلا تحفظ على المصطبة (بدي يكيك للقرية) ويقول كلاما جازحا عن المصطبة المحوز ، وروجه الشابة ! .

وكان الغنسان يستمعون إليه حائرين أول الأمر . .

وكان أشيخ يوسف نفسه يظن في عصب إلى هجومه السافر العريف على المصطبة ، وإلى لهجته التي لم يجرؤ أحد على التحدث بها من قبل حتى عبد الهادي ! .

وفي الحق أن أشيخ يوسف وأنعميان أنعميين تعودوا أن يقولوا أمام باب دكانه كانوا يكرهون دائما فيما يطلع شعبان من عدم اهتمام بالمصطبة ، أو أنامور أو أنعميين ، أو الحكومة نفسها . . فهم جميعا تحت مذبذبة ! . كان شعبان يقول هذا دائما بأعلى صوت .

على أن شعبان قد وسع جدا لحرمة الغنيمات له . . وبدأ الناس في القرية يتلذذون منه كمن يتلذذ صبح شفا حارقا ، لا يصعبه أحد غيره . .

وظلت القرية أياما تمجد شعبان وهي نتحدث عن هجومه بالعلمه ..
 وخلال هذه الأيام كان الشيخ حسونة قد ذهب إلى المركز مرتين
 وعاد وهو مغموم .. فقد كلم بعض أصدقائه في المركز ، وجلس في
 الإجراخانه هناك مع صاحب الإجراخانه ، وتحدث إلى صديقه القديم
 القاضي الشري ، وقبل المحامي الشاب الذي كان نائباً عن قضايتهم قبل
 أن يحكم حزب الشعب .. والتقى بعض أهل القرية المحبوه الذين
 يعملون في المدينة ككتب في المدرسة أو المساحة أو السبابة أو المدرسه
 الأميرية .. وعرف منهم أن الرضاوية مستحق بعد أيام ، ولا فائدة من أي
 كلام ما دام حزب الشعب هو صاحب الحكومة !

وتأكد الشيخ حسونة من أن الرضاوية تنوي كائنات لشعادي أرضي
 الملاك الكبير ، أو المقربين من حزب الشعب .

وعرف أيضاً أن أهل القرية المجاورة أرسوا الفود ومثاب البرقيات
 والعرائض إلى الحكومة والصنعة المعارضة .. ولكن الحكومة مصممة
 على شق السكة الرضاوية مهما يكن من اعتراض .

وخلال الأيام التي تحدث فيها القرية بإيجاب من شعبان ، كنت
 أيام الرى الجديدة قد بدأت ، وخرج عبد الهادي إلى الساقية يديرها
 في أول أيام الرى ، فلحق به شعبان يقول له أن ديات وأولاد الساقية
 اشرقية كانوا يريدون ضربه ، وأنهم على أية حال مترهبون له ليقنوه
 أن أدار الساقية إلى ما بعد المغرب ..

وخلال هذه الأيام نفسها ذهب علواني إلى أنشوخ يوسف
 وهمس في أذنه أن شعبان اتفق معه على قتل أصدقائه من أن تنسحب
 السكة الرضاوية .. وأضرب علواني هامساً إلى الأمورية سبعة - ولا تحتاج
 إلى أكثر من خمسة عشر جندياً بأحد من شعبان عشرة ، وأن على الشيخ
 يوسف أن يشترك مع عبد الهادي ومحمد أبو سرط ومحمد أفندي في
 دفع الخيانت الخمسة عشر .. انجاب قتل العدة .. وسيموم أنشيخ
 شعبان بترتيب كل شيء ..

وحين سمع الشيخ يوسف هذا ، جرع - وملاه حوب لا يعرف من
 أين أتيت ، وزعق في علواني أنه لا يريد أن يسمع منه كلاماً من أنشيخ
 شعبان هذا أو الشيخ قرد !

ووقف علواني أمامه مذهولاً ، فنقص عليه أنشيخ يوسف بهره من
 كفيه ، وسأله بالحاح وتابيه عن كل ما يدور في أذهانه به وبين
 شعبان ..

واعترف علواني للشيخ يوسف أنه روى لشعبان كيف سرق محتاز
 الصعدة .. وإذا ذاك صرخ الشيخ يوسف :

- طبت عور من هيا يا عراوى يا أهل .. عور .. اوعى اشوب
 حلفتك .. جانتك شوطه ما احبيكم ! .. عور ما تقمىنى قدامى كده رى
 العمل الردى !

وإصراف علواني في بدم وهو يتمتم :
 - والله يا شيخ يوسف أبا برصه رى ما تقول كده قلبى معروض من
 الواد الشيخ شعبان ده !

فازداد الشيخ يوسف حقاً وظل يصرخ :
 - شيخ أبه وهاب أبه .. شحشحت عضائك من يدري ! عور
 باقول لك ..

ولم يكذ علواني يتنهد من ذكاه الشيخ يوسف ويصيح ساعته حتى
 أمسك به بعض الحفراء ، وذهبوا به إلى المركز .. للتحقيق معه في مقتل
 حصرة ..

وعحب الشيخ يوسف عذب سماع هذا الكلام .. فلم يكن يتوقع أن
 تصح مجاوبه بهذه السرعة ، وسأل نفسه لماذا تثار قضية حصرة في
 هذه الأيام ، ولماذا يقبض على علواني الآن ، لماذا يتم علواني بقتل حصرة .

لماذا يتم علواني ؟
 ولكن هل قتلت حصرة حقاً ؟؟ ..

ووليت إلى ذهن الشيخ يوسف .. صورة شعبان - وتذكر ملاعب
 النعمة .. فامتلاً بالحق والمين ..

ولما حيت أمامه صورة لعلواني في الحديد وتحيله وهو يقرب
 بالكرج ، ويصيح في فمه بون أنجيل ، ويلقى على الأرض ليدوسه
 أنساكر بالأحذية العظيمة ، ثم يحمل آخر الأمر إلى المشفى فيصرخ
 لحظة بأنه نرى ، ولكن الحبل يكف حول عنقه ، فيهرى بلا حراك ، وقد
 أطعته منه الانسامة ، وفأش فيه كل شيء : الذكرات والأصل
 والحياة ..

ودعت نفسه أشفاقاً على الولد العربي المسكين الذى لا أهل له
 في القرية ولا سكن ، ولا أحد على الإطلاق يكنى عليه أن راح أو جاء ..
 ودعمت الشيخ يوسف وجهه بيده .. وتهد .

وأخس بالعراع من حوله حفاة .. وأسند وجهه بين راحتيه .
 وعحب لنفسه : أنه لم يكن يعرف أن علواني حزر عليه إلى هذا
 الحد ..

وهكذا رفع الشيخ يوسف رأسه من بين يديه كات اندمغ تملاً
 المعصون من وجهه أسجل ! ..



لم يمس العمدة القرية ان سبأها وميه مروت النائم
لمرج من الرجال المحوسبي في سجن المركز ..

وماد الرجال مسد حين ، يستقبلون احباء الميرة
يا مركة من جديد .

ومن الحق ان العمدة استطاع ان يخطط رسم خطة الانعام ، يصطبع
بعضه مشغودا بسله الارض فمياض سوات ، لم هاد بحمل الشرف
الاحمر ، وكراهية الارض انتى حاب عليها ، عاد يهدي بالأوارد والمدايح
اسويه .

والحق شعاع مع العمدة على ان يتخذ من المواقف ما يحبه بطلا
يكسب ائمة التي لم يكسبها من قبل ابدا .

ويأمل ضرب بعض رجال الحكومة في دوار العمدة ، وجرى
وراهم نابضة ..

وبسم هذه البطولة - العارضة - استطاع ان يتحدث الى الناس
في القرية فيصدقوه ، ويؤمنوا به .

وبدا يحتج كلاما لا اصل له .. ليوقع الخلاف بين الدين يعاون
من نفس النساء ويحاربون نفس الصدو .. وليتصرف على اتعاهات
آساس ضد العمدة ، وعلى كل الأسرار ..

ومرغ شعاع ان علوانى انتى العربى هو الذى سرق القمح والذرة
من محارب العمدة ..

وحاجة قضى على علوانى بتهمة قتل خضرة ..

وحاجة بدأ الأصدقاء ينفلون ، ويتباعدون ..

الأصدقاء الذين عاشوا معا اجدل سنوات انصر .. وتعلموا معا ،
ومازالوا يناضلون كفا الى كتف دفاها من الارض ..

ومعما قص على علوانى اجلت القرية كلها تتسادل فى عصب لمادا
يعتل قنى كلوانى وفاة كحصرة ؟

وقالت وصيفة انها هرفت خضرة جيذا ، وقد حدثتها خضرة عن كل
شئ .. ولا يمكن ان يكون علوانى هو الذى قتلها .. لا يمكن !

لا يمكن ان يكون هو علوانى او أى رجل غيره فى البلد ..

ونظرت ام وصلعه الى الأور يندرج وسط ابداء ، ورمعت عسى .
من العث هنت بها على الأور ، وضعت تسوقه بجدر حتى دخل كله حظيره
المشبه الاورة واجدة .. صنعت عليهما وامسكتها ، وطلبت من
وصيحه ان تحضر لها سكبيا تدبج به الاورة قبل ان يجي انصر ، ويردح
وقت الطبخ .. فالشيخ حسونة هو ضيفهم على العشاء الليلة !

وتلكات وصيفة وهى تبحث عن انسكين ابى حوار الزريبة فى مدح
الدار ، وعادت تعمل لامها ان علوانى لا يمكن ان يقتل خضرة .. واذا داند
اسحرت انها تأمرها الا تتحدث مرة اخرى عن علوانى او غيره من الرجال.
واضطرت وصيفة قليلا امام صراح امه المجابهة . ولكنها استعادت
نفسها بسرعة ، واستدارت اليها تسالها فى عاطلة ، لمادا تصرح هكذا
فى وجوه الناس ؟

وههمت الام بصوت كبير :

- انى يطلع شعاع ابن ستمه شابع فى اسلك كلها انتى بيعتى رى
خضرة .. لايه على علوانى شوط ، وشوط من محمد افندى ، ولأينه
على عبد الهادى ودبابه كمان ..

وشهقت وصيفة وضربت صدرها بضف ، وفاض لوبها ، واجهشت
بالسكاه وهى تقول :

- الشيخ شعاع ! .. الشيخ شعبان هو الذى قال كده .. جه قطع
لسانه ! ان شاء الله ينصاب يريح النقطة ا .. يا حوسنى .. آه يا نارى
لو اشوفه قدامى ذلوقت ..

وامتعت الى باب الدار ، فصرحت فيها انها تأمرها ان تمود ،
وتحرس ..

وسكنت الام قليلا ، لم قالت فى اذان والاوره ترعق فى يدها :

- اكفى خالصر مجبور بقى .. لنا رب ..

ثم كسمت رأسها ورمعت وجهها الى فوق وهى تقول فى هرامة :

- يا رب ! ..

واجهشت الام بنفسها باليكاه .. وضعت تسن السكين على حافة
ابجرة ، والاورة فى يدها ترعق ..

يجر ان وصيفة لم تستطع ان تحرس ، معد ظلت تذهب وتجرى فى
وسط الدار ، وعينها على الباب المفتوح تعدل الى الطريق فى انتظار
مرور شعاع ..

ومر عبد الهادى من الطريق ، فتزايلت وصيفة ، وتفرغ وجهها ،
وشمرت انها تكاد تقع من طولها .. ولم تعرف كيف تصنع .

ومحبا عبد الهادي ، فتوقف ، وقال باهمال مصطع :

— مواف يا وصيفة .

ورأى لونها تماما ، وشعره بأذيتها تلهبان ، وبأنفاس بعينه حارة يرتفع مسلاحة من أعماق صدورهما ، وتضعف ..

وقفت عند الهادي ينظر إليها وهي ترتعد :

— هدهدي ؟ حرايه ؟ ما ترددي بي .. مالك .. ركك ععرت ؟
الله .. حراكك إيه ؟ أنتي فيانه ؟ حالكك أنورينه ؟

وفي أنحي أنها كدت ترتعش ، ووجهها محتقن تماما ، كآبة مريضة بالميلانيا .

واستطاعت أن تقول له آخر الأمر بصوت مجهود :

— روح يا عبد الهادي روح لحاكت .. روح أحسن شعبان ولا حد
شعومي واقفة قدامك كده يبقى الكلام سدق ! يبقى شعبان كلامه
سدق !

وجرت إلى داحسل الدار ، ومازالت الدموع تنهمر من عينيها
بلا توقف .

وأدرك عبد الهادي أن شعبان قال كلاما عنه وعن وصيفة ، فمضى
محمدا يسي به شرا .

وعبد الهادي على الرغم من كل شيء ، مازال يفكر في الزواج من
وصيفة ..

وبشارة العطن الأبيض الجديد في الحفول تحول إلى بشة العرحة
والأمل ، وهو يعتقد أنها تحول إلى وصيفة نفس الأمل ونفس أنقرة .
هو ينوي أن يجمع العطن بعد أسابيع قليلة ، ليبهه لأحد الحواجات
الذين يزورون القرية في مواسم العطن ، وعندما تقضى ، يؤهل مال
الحكومة ويدفع مهر وصيفة ، ويتزوج ..

وعبد الهادي يمشي سطويا على حلمه هذا السعيد ، منذ ماذ من
سحب المركز ، فقد كلم محمد أبو سويلم ، في الموضوع أول ليلة في السجن
وبهره أبو سويلم ، لأن السجن ليس هو المكان الصالح للانفصاف على
أرواح ، ولكن عبد الهادي كلمه مرة ثانية في طريق العودة ، فوافق
وأحله إلى ما بعد جمع العطن .

على أن عبد الهادي لم يكد يرى حال وصيفة ، ويسمع ماقلته ، ولم
يكد يشعر بحيرتها وعداها واضطرابها العظيم ، حتى أقسم أن يكسر
رغبة شعبان أمام دوار العمدة نفسه .

ومضى عبد الهادي ليضرب شعبان ، ومن يتعرض له ! ..

وحين كان يمشي مدعما إلى دوار العمدة باحثا عن شعبان ، مر من
طريقه بدكان الشيخ يوسف ، وسمع صوته يرتفع ، وسمعا على أحد
الفتيان الذين عادوا إلى القرية بلا عمل .

كان الشيخ يوسف يعين الولد وأمه ، ويعمره بشعره الطويل
كشعر أمسات .. ويسحر من نهجته انماهرية المألعة كسوان آخر
الزمن ، والفنى ينظر إلى الشيخ يوسف في اهتمام ، ويمر يده المروقة
حلل رأسه العازية ، وبطمش على ثياب أحصلا المصعرة المصوعة
بالأكسجين في شعره الأسود اللامع ، ثم يؤكد للشيخ يوسف أن شق
السكة انماهرية الجديدة سيكون في مصعبه أبعد لأنه يوجد عملا لأولاد
أبند العاطلين .

وظل الشيخ يوسف يصرح :

— يا واد أهم .. بتي حيه الحكومة نافصاكم ؟ ! .. بقى حيه يعنى
لنسه حانطور على أولاد البلد العواضية طشان تضلهم في الزراعية ؟ !
وما تحميشي له من عواضية البندر .. أعمال الطرق راحوا فين ؟ !
هوه أشعل بالساهل كده ؟ ! .. يواد ذا الناس يتجرى عليه وتشتى
ويبرسه ماتلاقيشي .. أنت مش كنت خدام في مصر .. تعرف تعميل
إيه ه ؟ ! حاتمصل بلاط الزراعية ؟ .. حاتمصل في الزراعية ؟ !
حاتشتمل إيه في الزراعية يس ؟ تعرف تمسك فاس ؟ .. تعرف تفحت ؟
حاتكو وضع الدب زى ماوجتوا قلبى .. جاتكو زينة تزيحكم .

ونظر عبد الهادي طويلا إلى الفتى ..

كان وجه الفتى جامدا برنويا .. وكانت عيانه لالفتين .. وكان يهر
كنعه في رفض لنكل مايسمع .

وقال له عبد الهادي باستنزاز :

— وانتراطين بتوع أبوك ما هم حيرجوا في الزراعية يا حضرة
لمدى يابو شعر ياتاع مصر يا اللي بتفهم ! .. أرض أبوك حاتكلها
انراعية .. حاتكلوا مبي انتو والحاموسة ؟ حاتشتري تين للحاموسة
ولا حاتشتري الطمع التي تنطفعه من شمس عرق .. حاتشتري أمش
والعيش (البز) ؟ ..

ثم أكمل عبد الهادي مغلدا لهجة أهل مصر :

— ولا حاتشتري .. حسا ؟ ! .

وضحك الشيخ يوسف طويلا ، وضرب كذا بكف .. ثم هز رأسه
مائلا :

— نفى بدمت دول ناس ؟ .. بقى دى بلد ؟ ياخويا النبال العواظية
كلهم اتقلب محب .. قلب محب الواد شعلان .. راكبه عفرية اسمه
الشعل .. الواد شعلان مهمهم ان الحكومة حاشلهم فى الزاوية ..
ماغيش خير ولدين ثلاثة كانوا صابغية فى مصر هم اللى فاهمين الدور
والباقي حلاص اتقلب محبهم ..

وزمى هـ الهادى وهو يصر على استنائه :

— شعلان ؟ طب يشعلان ياين ستمهم .. والله لو كان هجره اوردب
برسيم لاشتره والله حبة حبة يا شعلان الكلب .. صبرك على يا شعلان ..

مقال الفتى وهو يتنأى للأصراخ :

— وباله شعبان ؟ .. الشيخ شعلان عمل عملة عمر البلد ماسمعت
عليها ولا كانت تحلم بيها .. ضرب لكم رجالة الحكومة وكترشم لوحده ..
دى مش حياة .. اداهم صرب ..

وكان الفتى يتحدث بهجة قاهرية ..

وضاق به هـ الهادى وقال بصدق وهو يتدبر ساخرا بلهجة :

— حلوا .. اداهم صرب ..

ثم لكره هـ الهادى وهو يقول مشمشوا :

— بس ماتتفشمشى كده رى العوازى ..

فصاح الفتى متحديا وهو يتسحب :

— ماحدش خرج من ايده يعمل الى همه الشيخ شعبان .. انتم
خايرين من الشيخ شعبان .. دى شطة ..

مهب به الشيخ يوسف :

— شطة ؟ شطة ايه ياك تشبط رقبتيك عن حتتك ! .. ياك تشبط
انت واللى همك .. اسمع يا واد انت ياغازية .. اوعى تهوب ناحية
الدكنة دى تانى ؟ ايه ياخويه كلام العوام ده .. اداهم ضرب ؟ ..
شط ؟ .. حطوا .. حاله حلا فى شدتك ! ..

ومشى الفتى الجبل الطويل ، يهر رفته الرفيعة ويحى رأسه
اللامع الى الارض ، وعياه الضيقتين ترسلان على التراب نظراب تالفة ،
وطهره مثقل بأحلام العمل والمال .. وكل ما يمنحه المال !

بيما اخذ الشيخ يوسف يصق متعبا لما دهب القرية منذ آقبل
اليها شعبان هذا ..

لقد حاده منذ لحظات هذا الولد مظل يحدته من الممبل الذى
توحده الزراعة سباطين ، وشرع لا مناسبة يتحدث عن مقدرة عبيد

الهادى فى لبب العصا ، ويحاول ان يبال منها .. ورغم انه هو نفسه
يستطيع ان يسبب العصا حيرا من عبد الهادى وظل يرمى فى هذا الاس ..

وعندما سمع عبد الهادى هذا الكلام ضحك طويلا .. فاحتد
الشيخ يوسف عليه واستمر يقول لعبد الهادى ان البلد اتقلب محبا
واعب حالها .. فعلى هذا انصباح جاده وحل سبعين خسر من الناحية
البحرية وقال له انه سمع ان عبد الهادى عندما كان فى سجن المركز ،
عامل اهل القرية المسجونين معه واتفق مع رجال الحكومة على ان يسجل
مامورية شق الزاوية ، مادام لا يملك أرضا فى حوض التربة ولن
يصبه ضرر ، ولهذا فهو لم يضرب كالاخرين فى سجن المركز ، وأخرج
حبه معهم رغم انه هو الذى قطع الجسر اول الناس .. وعاد الى القرية
بضحك ولا يبالي ..

وحين سمع عبد الهادى هذا ، ضحك مرة اخرى .. ولكن الشيخ
يوسف استطرد قائلا ان الامر لا يضحك ، فشحان هو الذى أفتح الرجل
الابله بهذا ، وجاء الرجل بكل نلاحة يروى الامر كأنه حقيقة !

وسكت الشيخ يوسف قليلا ثم قال اب الرجل الذى يقول هذا
الكلام عن هـ الهادى ، دافع عنه هـ الهادى حدة مرات عندما حاول
بعض جيرانه ان يشتموا رأسه العلى ، وحاول ان يعلمه لبب العصا ،
ولكنه لثقل جسمه وثقل عقله ، ولفرط فبهله لم يفلح !
وهو عبد الهادى رأسه قائلا ناهمال :

— هو ده اللى اتكلم هـ ؟ .. فرسته .. يا اخى دا غلبان .. خليه
يكل فيش .. الله يسهل ت ياا الشيخ يوسف .. دول خلاية .. ان
كان هو ، ولا الواد التانى اللى كان هـ دولوقت يتقصع زى العوازى ..
دول ناس هق لا هنا ولا هناك .. خليم يقولوا ..

ثم سكت عبد الهادى قليلا ليقول بشت :

— ان ماستشني أقطع جندرك يا شعبان انت والمعدة النجس بشامك ..
ما افشاش عبد الهادى ..

وعاد الشيخ يوسف يحب لما يصتمه شعبان ..

هو يتقرب من عيوالى ، ويدخل عليه نانه صديق ، وانه يريد ان
يقفل معه المعدة لصحة اهل البلد .. وطمش الى علوالى ، وعترف
له معاخره انه سرق الدرة والقمح من سخان الصدة ..

ونعد هذا الاعتراف بلبيل .. يقضى على العرين المسكين بنعمة قل
حصرة ..

وتعهد عبد الهادي في اشعاع على حلواني ، ومضى شعبه قائلا وهو يظر في الغشاء :

— يا ولداه عيت يا شيخ العرب .. والله كان مالي عنيسا البسد يا جدد ..!

واستطرد الشيخ يوسف يروي لعبد الهادي في حبيب قصة ميان آخرين اوقع بهم شعبان ..

عند ايام ثلاثة ، جاء الى الدكان بعض الغتيان الطيبين من ابلين لغتهم المدينة بعد ان طردتهم المصنع .. لم يكن شعبان قد اطلع في اقتناعهم ان الرأية يمكن ان توجد لهم عملا ، فقد كانوا يحافون على الأرض ، ويحشون عن طريقة للدفاع عنها .. وكانوا يصرفون ان كلام شعبان من العمل ليس جدا .. قلن يستطيع واحد منهم ان يحصل في الرأية ..

ان يعمل واحد منهم العاس ليحطم به الحياة التي يتمتع بها اب او ام او أخ او عم أو خال ..

لم يكن عند هؤلاء الغتيان الطيبين اي استعداد لان يشق انراية .. لان يدمر الأرض التي لعب عليها وهو صغير ، والتي يعيش فيها عندما يطرده المصنع ، والتي يحبها عليها ويموت رجال وسساء تحري في مرفوعهم نفس الدماء !

ومعنا كان هؤلاء الغتيان يبحثون عن طريق للدفاع عن الأرض ، اقنع شعبان بعضهم بسرقة حديد الرأية .. وحكوا للشيخ يوسف ، انهم اتفقوا مع شعبان على ان يأخذوا الحديد ، وبثروا به نبعه ، ومعلم الثمن عليهم ..

ولم يكن بعض يومان على هذا الحديث امام الدكان حتى ارسل هؤلاء الغتيان جميعا الى حجر البحر لبحر سواحسور الليل من المصنعي اماكن نائية ، بلا بحر ، ولا طعام ، وتحت لهب الشمس وسيات الصود ! ظل الشيخ يوسف يروي هذا لعبد الهادي ، وهو يرثي للغتيان يتعدون على الشيطان المبيدة ..

ثم قال :

— ادي اول دفعة من غفر النحر .. وبأ عالم بقي من رابع في الدفعة الثانية .. وغفر البحر ايه دلوقت يا اخواني .. الكلام ده كان من شهر .. حد ياخذ غفر بحر دلوقت .. آه بالحكومة !
وغاض لوب عبد الهادي لحة .. ثم لمحت عيناها ودارت في رأسه

الاكتار ، ان اعمدة يستطيع ان يجمع كل رجال الغرية اذن ويرسلهم في تراحيل !

وحدة تسمل عبد الهادي سمعة وتحرق اين يمكن ان يحد شعبان الآن .. ورد عليه الشيخ يوسف مشائلا ان كان شعبان قد ارتكب معه شئت ..

ولم يحب عبد الهادي ..

وامسك الشيخ يوسف بقعة كانت على أرضه فكانه ، ورفعها الى فمه وشرب ، ومسح شعبيه بطور كفه وهو يقول :

— يا اخي يا جبد الهادي ، ما حكاية الا حكاية محمد ابو سويلم مع الشيخ حسونة .. ذا الواد شعبان حبس ابله كلها .. ابث عارف منزلتهم حد بعض ، ومع كلا كانوا خلاص خسروا بعض لولا لطف ربك ذو الحلال والاكرام !

واقبلت امرأة تشتري ملحا بكوز من الثرة ، فقال لها الشيخ يوسف وهو يفحص الكوز الصغير :

— شوفي فيه .. دي قرقره دي مش كوز ! ..

فقلت له بباس وحسرة :

— والتبي مامندي فيه .. هو حد لاقيه ..

كعمل الشيخ يوسف قليلا وهو يفحص الكوز .. واحيرا هر رأسه ورعى الكوز الى داخل الدكان فوق كيزا اخرى ، واعطاهما الملح ..

وعاد الشيخ يوسف الى عبد الهادي يكمل به ما يدا به حديث فيما حصل بين الشيخ حسونة ومحمد ابو سويلم .

وما حصل .. حصل بالامس لقط في متدرة الشيخ يوسف نفسه اذ اقل محمد ابو سويلم على الشيخ حسونة فوجده مضطبا .. وكان محمد ابو سويلم هو الاخر يعانى حرجا .

وبدا الشيخ حسونة متعابه .. فسأل محمد ابو سويلم لساذا يشيع به — على الرغم من صداقتهما القديمة — انه انما ذهب الى المركز لا لسمى من اجل القرية كلها من مساله الرأية ، وانبت ليقنع اصديقه هناك بان يغيروا طريق الرأية حتى لا تمر في حقته هو ..

وانحصر محمد ابو سويلم في وجه الشيخ حسونة قائلا في استنكار :

— اتاقت عليك كده ؟! كلام ايه ده يا رحالة .. سامع يا شيخ يوسف حصرة الباطر يقول ايه ! .. بقى انا اقول كده ؟! بقى اب اقول عندنا شيخ حسونة انك رحت المركز توالس مع الحكومة ؟ بقى ده كلام

ياحدها.. ويدخل عليك الكلام ده ناشح حسوة ؟ يا حصرة الباطر !

وصاف السح حسوة نبعحه محمد أبو سويلم فرعى :

.. أبوه ابك قلت كده .. انت حاتاروبى يا احي ؟ ! أبوه انت قلت !

فقال محمد أبو سويلم :

.. دهدي ! قلت قلت .. الى فى ففك انفعه بفى .. ان كان فى

ففك ربح انفعه .. هه .. مادام بتبقى كده ، وصاور تونك سا المحس .

مرد الشيخ حسوة فى شيق :

.. انا حابوط المحس .. هو انا باوط المحاسي .. انا ربه المحاسي

مش حابوط المحلس .. اما قلت انسه صحح !

فهاج محمد أبو سويلم :

.. نا قفيل الانسه ؟ انا يا شيخ حسوة ؟ ! نى كنا نفول عليك

راجل متور ويتهم نفوم ففهمى انى قلت هيبك كلام ؟ على كده بقى فبقى

انت قلت كلام فاضى عى ببقى !

وحى الشيخ حسوة من الحق فصاح :

.. انا باقول كلام فاضى ؟ ! انا يا محمد ؟ ! انا قلت كلام على بنتك ؟ !

دى مصرة وشعنه عيال ! لكن انت مش فطان ! انا الى فطان ! !

انا استحق اكثر من كده الى سست اولادى لوحدهم ورجعت البلد

دى ، قال ايه فمشان نفع بلد واحدة فى مسألة الراحة ..

وصفى محمد أبو سويلم قائلا :

.. بقى انا يا ملأح افهم الدور وانت انى اسبك متعلم مشور لسه

ما فففى ؟ .. هوه معقول انك تقول كلام فاضى عى بنتى ؟ .. لكن

ماقولك ان انى بلعت الكلام الى مزعلك ببقى برضه انك اتكلمت على

بنتى .. بقى يدخل ففك الكلام ده يا حصرة الباطر ؟ ! يا سنة مهية

يا اولاد ! ! مش فشان الى قال لك ؟ ! هوه كلام فشان خال ففك ،

وففقت له صدرلك ؟ ! واچه ففكى ، كنت حا ففك رفته بالفاس لى

فشان الشراقى .. ما حاكم الواد ففك ففك كده بقول لى ان ففك

مستحب لحد الهادى ، وحا ففكه بالصا ، من حرة حركة الحمر ..

قلت له يا شيخ فشان ما اصطلحوا سوا ودحكوا سوا وانفربوا سوا ..

قال لى ولو يكن .. دياب نى مستنى لما الدره بطول كمان ففوة وهو

ومحمد الفدى مرتين الفشة على ادى .. سالت دياب ومحمد الفدى

حلوا بترية انوهم ان الكلام ده ما حصل وما حرى من اصله ، وان ما فقه

سهم وبى عبد الهادى اياها ففك ، بس فافشى ففكته ففك من يوم

ما ففوا انه مستحلف لهم .. الفصد فففى وراهم وورا ضد الهادى لحد

ما ففوا ان ففك هو الى ففك الكلام .. والعصبة انهم فى الاول

ما ففوا راصين ففوا الى الى قال لهم .. بس ففوا سعا من واحد

ما ففكش .. فففى ففى ففوا الى الفراف ؟ ! فففى ففى فففى

الباطر ؟ اشى حال لو ما ففكش ابك انى ففك لسا فى الاول انك فففى

من الواد فشان ومشى فففى له ؟ اشى حال لو ما ففكش اسه الى فففى

من الاول على فشان ده ؟ ! نى انا ففك ففك ففك مع الففوة ؟ !

يا هار اررق يا شيخ حسوة .. وولف ففك كده فففى فففى ؟ !

هو الى فففى ايه يا اولاد ؟ ! فففى وطوب ؟ .. هو الدم ده فففى ؟ !

فففى الففوة دى ايه .. داها احوال يا حسوة واكثر من الاحوال فففى

يا وقفة فففى ؟ ! يا شيخ دا ان ففك انك الى فففى وانا فففى

العراف فففى وفففى فففى من فففى ؟ !

واحتلج صوت محمد أبو سويلم ، وفففى .. لم افففى بالفموع ..

وفففى قلب الشيخ حسوة فى فففى ، وفففى .. وفففى .. وفففى

فففى فففى فففى .. واصففى فففى فففى .. فففى فففى الى

محمد أبو سويلم وفففى فففى

.. فففى فففى .. ان فففى لك .. الفففى فففى

اكثر من كده .. !

وفففى الفففى ، وسالت فففى واخففى ..

وعندما فففى محمد أبو سويلم قال :

.. ملا فففى الفففى .. ملا فففى الفففى ..

فم فففى الشيخ فففى على الفففى فففى ..

ولم فففى الشيخ يوسف فففى من رواية هذه الفففى لحد الفففى فففى

افففى الشيخ الفففى فففى الى الفففى ، ليقول فففى ان فففى الفففى

فففى بالفففى وادوات الفففى ، وان فففى فففى مع الفففى الفففى

افففى من الفففى ..

وبوففى الشيخ يوسف وعبد الهادى وفففى فففى

.. فففى فففى ؟ ! طب وايه الفففى فففى ؟ ..

واسففى الفففى الفففى فففى فففى فففى فففى فففى فففى

افففى فففى فففى فففى ..

وفففى فففى فففى فففى ، وفففى فى فففى الفففى ، وفففى

فشان ان فففى فى فففى ، ولكى فففى فففى ، وفففى فففى

مع الرجال من المرور في حقله .. وكان محمد امدي هناك ، مسدده بانراخ وامره الا يتصرف لاحد .. وانسحب دياب في ادمان ، ووجهه يتشنج ملي دموع لا تنهمر ، وقد اصغر لونه الاسمر ، واحضر ، وترك الرجال يذهبون القطر الأبيض الضر الذي يشرح الصدر ويسر الحاطر. وحين رأى دياب قطعه بهوى على الأرض ، ويحتلظ بالتراب ، رفع يديه وخط بهما وجهه ورأسه ، واطلق صرخات بانسة موقنة :

والتمت انشيع يوسف الى عبد الهادي قتلا في صوت كسر :

.. شيب يقي ، الحكاية وصلت لايه ؟! شايق يقي شعبان ١٢

ما حلالي ؟! ..

والفتت امرأة في الطريق كلمات الشيخ الشناوي عن حديث الزراعية فاعلقت صرخة .. وترددت الصرخة ، وخرج النساء من الدور يسألن عن الخبر .. وبعد قليل كانت القرية ترن بالصوت الفاجع بطلقه النساء ..

وتجمع بعض النساء امام دكان الشيخ يوسف ، فصاح فبين ان ينصرفن فرحال القرية يعرفون شعلهم مع حديث الزراعية ..

ودمع الشيخ الشناوي مع امرأة شاة ، حتى لا تنقض وضوءه ، وهرق في انساء الوالي بلطن ورمع عليهم عصاه ، مهددا بال ضرب .. ووقفت امرأة بدنية عمور تشتم النساء بصوت حاد جاب :

.. باندل سايبه .. هو انتو مالكوش رحاله ؟ مانسيوا الرحالة يعرفوا شعلهم .. حاططوا انتو تحتشروا في يتوع البندر االى جابين مع الحديد .. هاورين تلتوا في الرحالة العرب ؟! طب اطموا على حوص الترة انحكو في الرحالة .. اطموا ..

ولمير العبياء وجه النساء .. ولدا بعضهم ينصرف في تمثر ، بينما وقع الشيخ يوسف يقرب كما يكف وهو يصيح :

.. ؟ه يا بلد مالهش لا كاسر ولا كاسر !! قعدتي تحققي في الكلام ، وفطحت شعلان في الكلام الفاضي والحكومة بتشتعل .. لها حق الحكومة تعمل قيسا زى ما يمحصها .. ما تحري يا وليه اتنى وهبه وتسيبوا التساريف للرحالة ..

وانسحب انساء الباقيات ، وتجمعن في حلقات متناثرة على ايواب الدور ا بينما اخذ الشيخ الشناوي يقول انه سمع ان شعبان سيعين شيخا للفرهاء ..

فاكمل الشيخ يوسف بنفس لهفته اللاذعة المعتدة .. ان كله حائر في الله .. ثم انتمض صارخا :

.. ياشيخ !! وهيه دى بند .. بفي دى بند ..
اما عبد الهادي فقد سكت ..

اخذت شبعته لتطيان على بعضهما في عصبية ، واتسمت حذقته ، وترددت انعاسه في افعه بصوت مرتفع ، واختلجت عضلات خذديه ، وهو يصر على اسنانه .. وظلت العروق تبض على جاتبي جيبته ، واحيرا تكس رأسه واسندته على عصاه الطويلة ..

وبعد قليل تحرك عبد الهادي ليتصرف .. فطلب منه التيسيع يوسف ان يبقى لحظة ، ولكنه صمم على الانصراف دون ان يقول الى اين يمضي ..

وانتبه مسرعا الى بيت محمد ابو سولم .. وعلى الباب لكنا قليلا ، ولحق وصيغة تجلس على قاليب من الطوب امام الكائون ، والدخان يتصاعد في حفات كبيرة من حطب القش ، وعيناهما تدمعان ..

واوشك عبد الهادي ان يقف ليقول لوصيفة ان الرجال من المركز اتقوا بالحديد ليشرعوا الأرض من ابها ومن الآخرين ،

ولكنه هو رأسه ومضى ،

وصيغة تعرف الحكاية كلها ..

ولا يوجد في القرية رجل او غلام او امرأة لا يعرف الآن ان الحديد جاء من المركز ليذفي في الأرض المليئة بالقطن ، وأعواد الذرة احضراء .. كل انسان في القرية يعرف ان الأرض لن تصبح ملكا للقرية ..

وعبد الهادي لا يملك أرضا في حوض الترة ، فأرضه كلها على الجسر .. ولن يتنزعوا منه هو شيئا .. ولكنه مع ذلك حزين ضيق الصدر ، يكاد يتزائل الى اغوار نفسه ، فهو يعرف اهم حين يتنزعوا على رجل واحد في القرية فكانوا ضربوا القرية جميعا .. ولئن اعتدى رجل واحد من القرية على الحكومة لأحسدت به كل القرية ، واذا سكت هو اليوم وأرض محمد ابو سولم ودياب تنتزع ، لسيروته هو غدا في داهية بعيدة ..

وما زال عبد الهادي يذكر انه حين قطع الجسر ليروي أرضه لم ياحدوه وحده ، اما اخذوا معه محمد ابو سولم .. وعذوبه وشربوه وأذلوه .. ان الحكومة عودت أن تعامل رجال القرية كأنهم هم رجل واحد .. وانه الآن ليشرع ان الحكومة لا تخطئه حين تعاملهم جميعا كأنها هم رجل واحد ، فهو مثله سمع بمقدم الحديد ، يعاني في أعماقه كل مرارة أذنة ..

انه لا يستطيع ان يتصور حال محمد ابو سولم ، لو اخذوا منه القطن واللرة ..

— جد يا عبد الهادي .. دره درج بدري ايه .. كله قبل ما تاكله
الزراعية ..

وأطلق محمد أبو سويلم صحكات متتعة .. كالزعرور !
وعلى كل التسمية ترددت قهقهات متتيرة ، تسبع من اصعاق
الصخرة .. من حيث تسع الدموع والمحجوب والدم !
اما عبد الهادي فلم يضحك ..

كانت عيابه تطران الى بعيد ، ورجال الحكومة يقعون أمام الحديد
الذي يظا الزرع ويهشمه .. وإلى جوار الحديد يقف شعبان والعجم
عبد المعاطي ..
وتعتم عبد الهادي ويده على عصاه :

— الواد شعبان ايه حشتره ؟ ! نتي هيه الصكابة كده !؟ هي كده
دا بدل شيخ غفر صحيح ! ..
وقال الشيخ حسونة ، بأداة كبيرة :
— يا اخي حملك شوية .. ماتبقاش شراس .. كله يتعطل ..
تتمدل ..

لزمح عبد الهادي بشيق :

— مين اللي حا بعلدها بس ؟ ..

واذ ذلك همس محمد أبو سويلم في اذن عبد الهادي بكلمات ..
وبدا قطوب وجهه يفرج شيئا فشيئا .. وأخيراً أشرق وجه عبد الهادي
وانتمس ، وهو يظر الى محمد أبو سويلم والشيخ حسونة في أمل
واصواب ..

وهز عبد الهادي راسه وبظرائه تتألق

معال محمد أبو سويلم ، باعتزاز وثقة وهو يضحك ببساطة :

— آمال يا عبد الهادي ؟ .. انتو برغسه لسه صغار .. حاكم نا
حاضرة الناصر نابا راقق في الشئلة دي .. من أيام الانجليز يا وله ..

وبعد صلاة العشاء بوقت طويل أطلعت الأنوار في دوار العمدة
وفتحت القرية أبوابها التي أطفأها الليل .. ومن وراء الأبواب التي
فتحت في حذر ، تسال الرحال في الطريق الصيق إلى حوض الترمعة .
كانوا متشاهين : كلم ، يلس الثياب السوداء ! وكل شيء من
ورائهم ساكن إلا الكلاب تسبح ، وأمامهم حشرات المحول تطلق أصواتها

ان عبد الهادي في الحق يحب أرضه أغرية كلها : أرضه هو الذي
احتفظ عرقه بترايبها ، وأرض الآخرين ..

وهو لا يطيق أن يمسي ويصبح فإذا الأرض أربابه بالحصرة ، تعدو
أرضاً صلبة خرداء يمر فيها البس والغريات ..

ان قوة خفيه لا يعلما تعمر قلبه كلما فكر في أب الأرض يستترع ،
وإن هذه القوة انجمه اني تعمر قلبه بلا رحمة لتدفعه إلى أن يرمع
عصاه لجعل هذه الأرض على ابدوام خضراء ربابية مزدهرة ، تعمد للذين
يسحون عليها طون النهار طعامهم على الأقل !

وهكذا اندفع عبد الهادي ، وقد تعجرت من اصعاقه طاقة هائلة
يتعش به بدنه .. طاقة تمكنه من أن يكسر الحديد على رأس العمدة ،
وشحمان ، والحكومة ..

واهتمت العصب في يده ، وأحس بها عبد الهادي قوية حاسمة ..
كالبنديفة .. وأطلق راكضاً إلى الحوض الذي أشرقته .. إلى
المكان الذي كنس فيه رجال الحكومة حديد الزراعية .

كانت أشعة النهار تصفر ، والريح الفاترة تمرى فيها أول وهشات
الخريف .. والفران السوداء لهوم في الفضاء فوق الحقول ! ..

وهل واس حقل محمد أبو سويلم فوق كومة من التراب ، كان
الشيخ حسونة ومحمد أفندي ودياب يجلسون .. بينما وقف محمد
أبو سويلم ينظر إلى الرجال والحديد وأد لاح له عبد الهادي
بأداة محمد أبو سويلم ، فلم يرد عبد الهادي وسال عن الطريق ، واندفع
في الحقل إلى الرجال ..

وأحس محمد أبو سويلم أن عبد الهادي يمكن أن يتحدى على الرجال ،
ففي هيئته أشر .. والشر يفي له ! ..

وقفز محمد أبو سويلم من فوق الكوم ، ولحق بعبد الهادي فامست
به وطلب منه أن يهضم معهم فوق الكوم ليرادوا ..

ولم يذهب معه عبد الهادي إلا بعد أن قال له محمد أبو سويلم في
همس :

— ما احنا وبننا الشئلة .. طول بالك انت يس .. بالراحة .

وعلى الكوم جلس عبد الهادي محقق .. ولم يحاول أن يظر إلى
أحد .

كانت كيران مشوية من الذرة الحديد ، قد التبت أمامهم وهم
يأكلون في ثبات .

وقدم إليه الشيخ حسونة كوزاً من الذرة قاتلاً :

الحصنة في فراغ شامع من الظلمات يحقق سمات يدب إليها أبرد
لاول مرة .

واقتراب الرجال تحت شعاع النجوم من حفل محمد أبو سويلم
ومن بينهم رجال كانوا منذ لحظات يشتكون ألمص من حبوب في الكلى،
ويطأون آلاما مصصة من التهاب البرول . . ولكنهم مع ذلك مضوا في
حطرات فائقة : تتلاحق أعضائهم والغرم في صدورهم أكيد لقوى . .
أقوى من الألم ! . .

وهمس محمد أبو سويلم لرجل طويل ملأه يسرع الحظي متقدما
الصوف !

— طول بالك يا عبد الهادي . . أوجع ورا أنت شوية أحسن
يشوفوك يفسروبا عيار نار ! . . مش هاورين عيار واحد يضرب . .

وتراجع الرجل الطويل في أسوأ . .

والى جوار حديد أنزاعية في وسط أنجول ، دعت شعب هيبه ،
ورفع رأسه قليلا وهو ما يزال راقدا . . وقال :

— افوذ بالله . . حاكم الحق مسكونة . . سماع الوشوشة

يا عبد العاطي ! المعارب ظفوا ل ! ! . .

وسكت شعبان قليلا ، وصدرة يحقق من الرعب ثم همس :

— حاسس بالنفس اللهب يا واد يا عبد العاطي ! ! ! المغرب !
المغرب ! ! واد يا عبد العاطي . . ياوله . . يا عبد العاطي ! .

ولكن عبد العاطي لم يجيب . .

وأخذ شعبان يتنم بشنيه لعبد العاطي ، وقطع الشتيمة وأخذ
يمس بأوراد دون أن يجرؤ على رفع صوته في الظلام الترامي ، بينما
كان عبد العاطي يستلقي على الأرض غير بعيد عنه ، وقلبه يدق في
انتظار الرجال . .

وتحسس عبد العاطي بندقيته وندقية شعبان وأمسك البندقيتين
بيده جيذا وتظاهر باليوم العميق ، وأخذ يطلق الشخير . . وفي لحظات
كان الرجال ينقضون على الحديد . .

ووثب شعبان ووقف مروما وقد أدرك أنهم الرجال لا المغارب ! . .
ثم انحنى على الأرض ليبحث عن مدقته ولكن عبد العاطي كان
ممسك بها ، وقد ماتت يده عليها ، وهو راقدا بلا حركة يطلق الشخير
المرتفع ، كما اتفق مع محمد أبو سويلم قبل المغرب . .

وبدا رجال القرية يحملون قطع الحديد ، ويندفعون بها إلى التربة
المرية ، ويتدقونها في الماء .



فوجيء شجاعا بالرجال ولم يفتح في انزعاج يذبحته من يد
عبد العاطي فصاروا ان يرفع قصيب من الصديد ليختم به رؤوس
الرجال .. غير ان عبد الهادي انحنى عليه وسد فيه ، ثم دفعه ، وحمله
على ظهره - كعب الدرة - تماما ،

وجرى عبد الهادي وهو يحمل شعبان في شيق يلدغ ، ووقع
امام شاطيء التربة وهره قتيلا بين يديه ثم قلب به ابى اصمك التربة ..
وكانما هو قطعة من حديد انراعية الذي ارسلته الحكومة لتفحصه
الأرض .

وحمل كل رجل قطعة فوق ظهره واحد يترج تحتها فليلا في
الظلام ، وما ان يذوقها في التربة حتى يصبب قاتمته ، وهو يشع بمثل
القوة التي يتصبها دالبا حين يسمع فيه « ابو رند الهلالي » ..

ولماتت صرعات شعبان من اصمك التربة ، وعى شططا بعض
الرجال يضحكون ويهددون شعبان بالا يعود والا قتلوه بالبنسة ..
كانرس ! ..

واطلق شعبان آخر صرخة وهو يتشبث على ماء التربة قائلا في
استعالة « الحقوي » فعن له احد الرجال :

- حلي العمدة يهتف .. حتى الحكومة تهتفك .

وعندئذ تأكد الرجال ان شعبان قد غطس تماما في الماء عادوا الى
رسي ما في من قطع الحديد والادوات وهم يصبجون ان شعبان
قد مات ! .

لم يشع لهم ان يعرفوا ان شعبان قد غطس قتيلا كما يعمل الصيادون ،
ثم ظهر على سطح الماء بعيدا عن مكان الرجال ، ليعيش في قرية اخرى .

ولم يكن الرجال يعرفون من انشاء الحديد كله في التربة ، حتى
عادوا وهم يتصديجون متبطين ..

وكان عبد العاطي ما زال متناوفا بطق الشبح كما اتفق معهم
وضحك محمد ابو سويلم قائلا :

- يا حائك الغم يا واد يا عبد العاطي .. تقولني تطلب ياخي ! واد
عمار عليك ؟ زى الشمس تمام ..

وضحك الرجال وبعضهم يقول :

- آي يا واد .. شخر كمان شخر ! ..

وعادوا الى الدور ، شادرون بمظهر بعضهم وهم يحملون الحديد ،
ويعتدل شعبان وهو محمول على ظهر عبد الهادي ، ثم وهو يهوى في

التربة .. ويضحك بصفه حاسه من عبد العاطي الذي اسمر يشع .
حتى بعدما اراح شعبان !

كانا على طواف الطريق يمشون في حمة مرحة ، محمولين على
رئيس الضحك ، وكانهم لم يكنوا من قبل ! ..

وم يكن ارحال سلمون دورهم ، وم نكد الابواب مفتح لهم حتى
اعطيت الزغاريد .

غير ان صراحا هفيفا من بعيد مرق هرج الزغاريد .. وتصاعدت
من حد الدوار صيحات هلع .. هذه اصيحات المروعة التي انسه المتناهه
اننى لعن ذلك من حلال العجر والانيار : موت انسان ! .

ووجعت القرية لحظة ثم سرى نسا ان العمدة المعجور مات .

ماب في الثمانين .. وصاح احد الرجال :

- كل ظالم وله مهدة .. وبسبوا على ايه .. ذا عصره يبعي
مائة وخمسين سية ؟ ! .

واطلق صوت شاب : يا ريتا يعيش نحن ما هاش !! .

وراحه صوت آخر :

- ايوه .. كل ظالم وله نهدة .. كل ليل وله آخر يا ولاد . لفرني
ناب .. ادى احنا حطنا من الزاوية وم العمدة ومن شعبان سوا ،
في ليلة واحدة ! .

وهذه الدقوب لمسي الوقت .. هم يكن احد في الضربة يستطلع
ان يصدق ان هذا كله يمكن ان يحدث في ليلة واحدة .

وبحظة بعد لحظة زحبت موجة كبيرة من الفرح لعمر القلوب .

واضحت الاكف تصفق على انغام الزغاريد وانسماء بعض مع
الرجال :

ب ليلة بيضة الليلة دي

والفرح حانا البيلة دي

وهو محمد ابو سويلم رأسه والابتسامة تملو وجهه وقاد مناد :
.. يا ولاد هو حد يشمت في الموت ؟! لكن القصص .. سرود
واحد .. كل شيء وله آخر ..

ولمات اخره اول شعاع من الفجر وهي ترقص وتزغرد .. واطل
في الفجر .. اصدق الماء .



في مصعده العربيه . وقف اقارب العمدة يستعملون
المكرس . وليس شيخ البلد ، ان عم العمدة ، صباهه ،
واحتلاسه الكثير الى وضعت بصاية تحت المرنه
بعد ان فرشتها روجه # بانجلده # .

وبعد صلاة العصر اتحد شيخ البلد مكانه على رأس اقارب العمدة
فعمد وحده من دونهم في منطقة الكراسي اللامعة الممتدة فوق بساط
احمر باهت يحتل مساحة صيقة من اول المضيقه .

اما محمد أبو سويلم فعمد احتار مكانه على دكة من الدلك الحشيشه
انمديده ، انحط عليها العلاهون وغية العرب من فلاحى البلاد المجاورة ،
في آخر المضيقه .

وكانت هذه الدلك مصفوفة على أرض الخشبة بلا بساط ولا حصير
والى جوارها فرشت الحصر ، ووضع عليها السكتب البلى الذى جمع
من بيوت اميان القرية .

كان شيخ البلد قائدا على كرسى كبير مذهب في مواجهة باب
المصيفه وهو يفكر يرهو فيما قاله المأمور على النيقوس : ان يقوم هو
بأعمال العمدة . . ان يكون هو نائب العمدة . .

وبدا يصعب تمام كما كان يصعب اعمدة في مثل موقعه : فهو يقوم
صعب قومه ، او يتقف منتصباً امام الكرسى ، او يمشى خطوات بعيدا
من الكرسى حسب مقام الرجل الذى يقبل للعزاء ، وحسب رغبته في
ان يبدو هذا القادم محترما او نصف محترم ؟
واخس شيخ البلد انه الرجل الاول في القرية الآن .

ولكنه مع ذلك اسرح مع مواقف العمدة ، واحدا يقارن بين نفسه
وبين العمدة انراجل . .

كان العمدة رجلا آخر ، اخس اشعر - رهبا .
وكثيرا ما كان يسلط على الناس وهو قاعد ، ولا يقوم الا للعرس
الغوى ، فادا وقف ليستقبل احدا قام معه الجميع .
اما شيخ البلد . . فهو يقوم ، وبسوى ، وتقدم ، ولا احد شعره له .

وقرر بينه وبين نفسه الا يترك الكرسى المذهب الكبير ليستعمل
معرها ، الا اذا شاهد احدي عربات الحظوظ مصله من المركز .

يحب ان يستعد ليكون عمدة . . بهيئة العمدة ! . .
والقى نظرة متفالية من كرسيه المرتفع الى القاعدين على الدلك . .
كانوا يسمعون الشيخ ابراهيم اشهر مغرأ في الداحية ، ويطعمون
صباحات الاستحسان ويطعمون منه اب يعيد بن الاول ويريد . . كأنهم
في مولد لا ماتم ! .

وقد انبهم شيخ انهد بسمه . وتحسن جلالة الكشمير . ثم
عقد يديه خلف ظهره ، ووقف يمز بذنه استحيل . ويطبق بهم في
حسب ان يسكتوا وان يطعموا السحالي ، وهم يسمعون اعراب
واظما بعضهم السجائر . . ثم بداوا يسمعون . ويتبادلون انظرات ،
ويتهمسون . .

وقال ذباب لجاره في صوت مسحق :

.. يمشط قوي كده ليه ؟ جرى له ايه شيخ البلد ؟ ا يعنى بقى
من الحكام ! .

فاجابه جاره هامسا :

.. انا عارف له اصغر اوش ده ؟ . . ذا كل حين ومن منى ما واحد
معتدري ينفلب وسميح الشيخ ابراهيم في المعزى ! ذا بقى له خمس سنين
ماقرانى من اللب ذا كله .

وما كد شيخ البلد يعود الى مكبه حتى اترامع صوت الشيخ ابراهيم
برتل آية حديده بأعذب نعم .

وصاح احد العلاهين من منى الدكة :

.. ايوة يا شيخ ابراهيم يا مشيح . . وانسى امراها يا باند سمع
وترنج كمان ابو خنبل يا مقع . .

وابتسم الصلاخون من بونه وابتسم الشيخ ابراهيم نفسه وهمس
فلاح آخر :

.. ادى انغرايه مسحيح . . ادى الصبيحت الى بالمى . . مش
انغمها تنوها الى عاملين رى الصمغادع . . ادى اعراب مش الى
سقراه سيدنا ! .

وصاح الشيخ انشاوى وعى وجهه امارات احترام كبير للشيخ
ابراهيم :

.. صوا علىى واسمعوا يا اولاد . . ايوة ناعم الشيخ ابراهيم رب .
يفتح عليك .

وأمنت الجميع سبعة ، بينما كان شيخ البلد يميل برأيه الى امام وحسده عارف في الكرسي اكثير المذهب .

كان يحاول أن يستمع الي رجال جاموا من المركز للمراء ، والشيخ حونه يحسن بينهم ، وكلهم يتحدون بصوت كالهمنس .

بعد احسن شيخ البلد بان عيه ان يشترك معهم في الحديث ، او على الأقل فلحسن السمع ، ينور ا .

وسمعه يتكلمون عن صحف تصدر في القاهرة وينقلها صدقي ، فتصدر في اليوم الثاني باسم جديد .

وسمعه يتكلمون - باكثر - اسما رجال يعيشون هنالك في القاهرة ولا يعرف منهم الفلاحون كثيرا .

وهذه كلمات حرة قالها صاحب الاحزانة الكبرى .. كلمات عن طه حسين وحريه الجهاد .. والحاميه .. وشيء اسمه انديمقراطية .. وحرية الفكر !

وحرك شيخ البلد في كرسيه ومال نصف جسده ورفع حاجبيه كما يريد ان يشت في اذنيه ، وفي قلبه ، كل كلمة يسمها .

وتكلم الحامي الذي كان نابيا عن الدائرة - قبل حكومة حزب انشعب - فاجذب شيخ البلد كرسية الى امامه وأخفى ظهره وامتنعت رقبته اكثر من قبل ، وهو يقول بصوت هانس دون ان يعفل بقراءة الشيخ ابراهيم :

- سمعنا يا حضرة الأستاذ .. سمعوا الكلام اضلو بناتكم ده .. احنا مش داريين الدنيا ماشية ازاي !! .

وتهدج صوت الحامي وارتفع قليلا من الهنس - وهو يتكلم عما تصنع الحكومة بخصوصه فهي تهدد الموكلي في مكاتب الحامين ، وهي تحاول ان تنقب أراضي حوصوها وتحرق متاعهم ، وقد سمعت المساء بالعلم من مساحب كبيرة من الأرض ، وأطلقت رجال البوليس يطردون الفلاحين هيا وهالك ..

واستمرسل الحامي في صوته المتهدج يتحدث عن الازمة التي لن تخرج الا اذا كث في مصر حكومة ديمقراطية ، ثم استنطرد بصف اعمال الحكومة اوحيشية وبروي ما رآه وما قرأه من المظاهرات في المسورة وطبعا وبني سويف والفيوم .. وكيف حاولوا هناك قتل رسم الامة عدة مرات فلتقى به طمة السكي نائب حريء اسمه سينوت حنا ..

ومعني السائب بروي كيف حاولت الحكومة مع زعيم الامة من

رحلته وحاول امتاعه في بيته ولكنه خرج متحديا سلطانها وسلطان الانطير ، وفق صفوف الحسد فاضطروا الى الصوم على ارضية المحطات .. ومع ذلك صمم هي ان يعلن ارادة الشعب ولتمتع القوة العاشقة ما تشاء .

ولم يكد الحامي يسهي من كلامه حتى اندفع الشيخ حشونة بصوت حار يذكره بتخبط سلاسل مجلس السواب ويطلب منه ان يشرح بالتفصيل موقفه ويصا واصف رئيس المجلس الطل الذي اقتحم دار البرلمان متحديا قوة الرصاص بعدد اداع النواب اهم لا يعترفون بحل مجلس انواب ولا باعاده الدستور ولا بفخاذه الدستور الجديد .. دستور حزب الشعب !

وبدا الحامي يشرح في كبريه ، فاحتلعت القلوب ..

وهو شيخ البلد رأسه ، وسحب الكرسي المذهب الثقيل ، فازداد اقتربا من الحامي ، وشعر بحفقات قلعه تتعالي .. وشاعت في نفسه حماسة بحالها الأمل .

وامتلا شيخ البلد احساسا بطولة الذين حطموا السلاسل ، وناموا على ارضية المحطات ، وملأوا الشوارع في القاهرة وطبعا والمنصورة والفيوم وبني سويف ، ولم يحفلوا بالخاص .

وهو رأسه متحصرا لانه لم يكن يعرف هذا كله ، وكان يمتني وراء العدة ينفذ سياسة الدين وضعوا الحديد في مجلس النواب ، وأطلقوا الرصاص على الناس في الشوارع ..

واضطربت نفس شيخ البلد قليلا وحاول ان يسأل الحامي من كلام قاله الحامي ولم يفهمه هو .. كلام قاله الحامي من وجوب إعادة الحياة النيابية واطلاق الحريات لتفجر الازمة الاقتصادية ..

ولم يعرف شيخ البلد كيف يصوغ سؤاله .. ولكنه قال عجاة :

- طيب وبيا حضرة الأستاذ ايه رايت في القطن بقي ؟ مش عابضوف له يوم زى زمان .

وهو الحامي كتفه بسحرية وقال مستهزئا ان صدقي باشا اقتصادي حمار ذو كمادات والانطير في حكمهم لمصر يعتمدون على امثال هؤلاء الكذابات ! ..

وأدرك شيخ البلد من انشامات السحرة ومن تحرته انه لا صلاح للفطن ولا لأي شيء في مصر ما دام صدقي يحكم البر ومعه رجال يركون ظهور الناس ، ويهزون أرجلهم .

وأحسن شيخ البلدة أنه كان هو من قتل ، يعرف شيئا كهذا ، ولكنه كان فقط يريد أن يفهم من المحامي أين انطرق إلى الخلاص ! .

ولكنه سكنت لحظة ، وسكت المحامي وأبدن من حوله . . وصوت الشيخ إبراهيم يرتفع يتلو الآيات بالقرارات السبع ويعيد الآله الواحدة بأنعام وبعثات مختلفة ، والصلحاء يتصيحون أكثر من ذي قبل . . وقال أحدهم :

— الله يا شيخ إبراهيم ! داحيا مش عايش يا ولاد .

معاوية آخر :

— آه يا شيخ إبراهيم . . أنهى يدوت لما كل يوم عمدة عثمان نسمةك يا شيخ . .

بما ارتفعت من حارج المصيبة شتائم قاسية تطيحها جللة عزبه حطوط . . ووقعت القرية بعيدا والشتائم تصب على رجال يعنون أمام حبل طويل ربطت فيه حمير المزعزين بعيدا عن المصيبة .

وأخذ الرجال يعدون الحمر التي حملت العرين من بلاد بعيدة . فواصت العرب سيراها إلى باب المصيبة ، بعد ما انفسح أمامها الطريق من ركوب المزعزين . .

وقتل أن تعف البقرة أمام الباب ارتفعت همهمة باسم محمود بك وإمامور ، وهب شيخ أنبلد من مكانه ، وجرى مرمى إلى باب المصيبة وقد تعلل — فحاة — عن كل هيئته التي ظل يدخل فيها مسل دخل المصيبة .

وحرج وراه إلى الباب محمد أمدي والشيخ الشماوي وبعض أعيان القرى المحاورة ليكونوا في استقبال المأمور ومحمود بك .

وهمس أحد الملاحين لصاحبه في زهر واضح :

— المأمور ؟؟ يكونشي دري بحكمة حد يد الزراعة ! .

فأجده حاره هاهنا :

— دهدي . . ما يدري ! . .

وبدا كل من في المصيبة يقف . . إلا المحامي أبدي كان نائبا للدائرة فلم يتحرك لا هو ولا أبدين حادوا معه من عصمة الإقليم ، ولا الشيخ حسونة .

وهمس المحامي قائلا أنه لا سلام مع رجال الحكومة أو رجال حربها أو المتعاونين معها كما يعرف الجميع ! .

وأستمر الشيخ إبراهيم يقرأ الآله التي كان يقرأها . . وكان يقرأ « بالسبع » ! .

وعندما كان إمامور يحيط باب المصيبة ، وهو يشد بدلته العسكرية على بدنه الضيق ابتكرش والعلامون يطرون إليه في حذر ورهبة اضطرب إليه :

« وانظر إلى حمارك » . .

ووقف المأمور في المدخل والكل ينظر إليه وإلى بدنه السمين وصوت القريء بعيد :

« وانظر إلى حمارك » . .

وتقدم المأمور إلى منطقة الكراسي المذهبة ، وإلى جواره محمود بك في طربوشه أدفع الشاهق ، وجلاب بلدي أبيض يسدل عنهما على جسده العار .

ومن وراءه الشيخ الشماوي ومحمد أمدي وشيخ البلد ، وبعض أعيان أسلاب المجاورة .

وبدا الواقعون يتشعرون من أمانتهم لمأمور ، ولحمود بك .

وجلس المأمور في صدر المصيبة . . مكان شيخ البلد ، وعن يمينه محمود بك ومحمد أمدي .

وتنزل الناس من أماكنهم ، وهبط بعض الذين كانوا على الكراسي المذهبة فجلسوا على الكعب ، وترك بعض أبدين كانوا على الكعب أماكنهم ليجلسوا على الدفك الخشبية وذهب أنشيخ الشناوي يجلس على دكة وسط العلاحين .

والتى شيخ البلد بنفسه على طرف كرسي أخضر مذهب من شمال الأمور . .

وشعر شيخ البلد تكرياء وهو يجلس إلى حوار المأمور ومحمود بك . واستنقذ عيون الملاحين على المأمور ، والشيخ إبراهيم مازل يرتل بالسبع ، ويبد كلمات الآية :

« وانظر إلى حمارك » . .

وأحسن المأمور بالنظر لتجه إليه ، ورفع هو بصره قليلا إلى القريء، ليحاو الآله . . ولكن الشيخ إبراهيم كان مشغولا بإعادة الآية وترتيبها بأحبل ما يمكن من صوت . . ونكل ما يعرف من طرق ، وحيل ! .

أما شيخ أنبلد فقد ملأه الراحة ، وهو يتأمل إلى حوار كنفه تكف المأمور . . وأخرج من حبه صة سحائر ، أشتريتها مائة الفضة ليفدم منها للأكر من المزعزين .

ووقف أمام المأمور وقدم له سيحارة ، وسيحارة أخرى لمحمود بك .

وعاد بمعد في مكانه على طرف الكرسي الى جوار السامور وهو يبادي :

— قهوة لسعادة المأمور يا جدد .
والشيخ ابراهيم م زال يبعد في الآية :
« وانظر الى حمارك » .
وانتسم المأمور من المركز مع المحامي ..

ومال المحامي على جاره وهمس في اذنه واجهبا الضحكات ، وهما يبطران الى المأمور ومحمود بك ، والآداب تنقطع كلمات الآية ..
وسرت نفس المهمة في العلاجين ، وميرهم محلوطة على المأمور وبدأ بمصهم يكتف الضحك .

واحس شيخ البد بخرج كبير ..

ونظر الى السامور فوجده مغطيا يمش دخان سيجارته بمصيبة وأنفاسه تتردد عالية في صحيرة .. والى جواره محمود بك محتقن الوجه من الغضب ..

وهزل شيخ البد الى المقريء وهمس في اذنه :

— شوف لما آية غير دي لقي مرضك .. عدى الآية دي بقى .. نلاش نعرنا ناسح في آية وانظر الى حمارك دي .. لاحسن انناس يتبعس حالمامور .

ولكن المقريء نظر اليه باعمال واستهجان ، وتكتت يدها على صدفيه ، وحاجاه يرتفعان بمضون جهته ، وانطلق يركل :

« وانظر الى حمارك .. » .

وأحدث الهمسات الساخرة تترايد بشكل ملحوظ في منطقة الكراسي المدهية ذات العظيمة الخضراء الكالحة .

لمصاح محمود بك في ضيق :

— خلاص يا شيخ ابراهيم ! ما ميش في القرآن غير دي ! من ساعة مادخلنا وانت عامل تلت وتعن في الآية دي ا همه مصلطيك !

وانفجرت الضحكات صريحة قوية من اجاسين على الدلكه .
فوقف المأمور قائلا في صوت حاسم :

— صدق الله العظيم ! طب يا ابي ما تقرأ آية وحشرناهم الى جهنم يوم القيامة وهذا .

ورد المحامي ضحكا :

— ما ميش في القرآن آية كده ، انتم حائلوا قرآن حديد ضد الودع !
وسكت المقريء .. مقصبا .

وسكت الصالحون في فوق الدلكه .
وحس المأمور صدم الوجه ..

وحجم الصدم على الجميع لحظه ..
للجاسين على الدلك وهو يقول :
— طب يا بلد ! مش انتو بتوع حديد الزراعية .. مش انتو بتوع يحيي الودع ..

فقال الجاسي بطلاقة :

— ليسوا هم فقط ! دي مصر كلها كده يا حضرة المأمور .. وللا انت زعلان طشان حكمة يحيي الودع دي جذب في وشها المأمور الى فاف والحكماء كمان ؟! آمال الناس يعني حاتقول يحيي صدي ؟ حاتقولوا يحيي حزب الشعب ؟ ولا يحيي الانجليز ؟ .. انتم فاهمين انكم رايحين تحكموا البلد بالحديد والبار ؟! لا .. دا بعدكم يا حضرة المأمور ! هيه البلد دي تناصتكم ؟ انتم فاهمين ايه ؟ هيه بلد مين ؟ دي بلدنا : بلد العلاجين دول اولاً .. كذبة بقى شغل قطاع الطرق ده ..

وبهت المأمور ..

بيما شاعت الراحة والتفة في قلوب الجاسين على ادلكه فهوا رؤوسهم في رضى وهم ينظرون الى مالمهم السابق وهمهوا :

— قول له ! يمكن فاكزين ان البر ده بتاع حزب الشعب .
ولم يتكلم المأمور لبعض الوقت ..

ولكنه لم يشأ أن يرد ، حتى لا يدخل في مناقشة فيقلب المائم الى اجتماع سياسي .

وبعد صمت طويل متواتر قال المأمور لجاة بصوت كالتفكير :

— من الي ومن حديد الزراعية اسامح ؟ .

وهمس احد العلاجين :

— هو هزا دا ولا بتحقيق .

فقال له حاره في سخرية هاسية بالمأمور :

— شوف شوف ! وانظر الى حمارك .. بس يا بتاع وانظر الى حمارك .

وكتما الضحكات في كهمها .. بيما بقى الآخرون حادين ينظرون الى النائب السابق لم الى المأمور وقلوبهم تحرق من خشية المحول .
ووقف شيخ البلد واقسم للمأمور أنه لا يعرف من الذي رمى .
حدد الزراعة والحفير الذي كال يحرس الحديد يقول ان المعصارت اناموه ، ورموا الحديد في الترفة .

ومضى شيخ البلد يقسم أن العمدة المرحوم كان في صحة جيدة ولكنه عندما عرف الحكاية مات بحسرتها . . .
وقدم للأمور سيخارة جديدة ، متلفاً .
وبعض الأمور من فوره قائلا .
- طيب أنا حافرف أربي البلد دي وأحبها عبرة .

وأصرف وكزشه يهتق قبل أن يشرب القهوة ومعه مسيبحارة لم تشتعل وأصرف معه محمود بك وهو يهدد .

وقام وراءه الشيخ الشنوي مهزولا مبتدرا وتبعه شيخ البلد .
وقدم محمد أمدي يسير وراءهما مودعا نظرا إليه حاله الشيخ حسوبة مؤثب ولكنه لم يلاحظ صداه محباً . . وعاد محمد أمدي إلى حاله على الفور همس خاله في أذنه بكلمات قارصة وأمره أن يحتشم نفسه ، ويحط على الكرسي بدلا من الهزولة حشف الأمور .

وركب الأمور إلى حوار محمود بك في أمرية انحطوط ، ووقع شيخ البلد وبعض أقارب العمدة على باب الضيعة يرفعون أيديهم إلى رؤوسهم شاكرين للأمور سعيه ، ولكن الأمور لم يرد . .
ووجهوا الشكر إلى محمود بك ولكنه لم يحب . .
وعندما بدأت أمرية تتحرك ، أطل الأمور على شيخ البلد ، وسأله بالكلام ! .

ومضت العربة في طريق العودة والصغار والسماء أمام الدور يهيمون في وحل واستغراب !

- الحكومة . . الحكومة كانت في الحري ! . .

وماضت القرية بعد ذلك تتحدث لأيام عن ماتم العمدة بلباسه الثلاث وعن الشيخ إبراهيم وعن زيارة الأمور وكلامه ، وتطلق ضحكاتها وهي تستوضح حالة الأمور حين يخاصه في مدخل الضيعة . . صوت المقرء يرنل :

« وانظر إلى حمارك » .

وكانت القرية تقطع هذه الأحاديث لتتكمّل طولاً عن اللبيلة التي رمت فيها إلى التزعة يحدد الرراعيه وشيمان .

وأصبح نك الأيلة تسمى في القرية « ليلة الحديد » . يوماً بعد يوم صارت كليلة حرق الانجليز - نكشا داعيا في هود الفرنه . .
وظل ذباب كلما النعى بعد أن يذكي بذكره نصراح شعب حين أتى.

مع الحديد في الرعة . . ثم يبعش شعباً ، وأبعثه والحديد أعداء القرية الذين تحصنت منهم القرية في ليلة واحدة . .
وكان الغلاخو كلما دفعوا رؤوسهم عن القنوس يمدون صيوت الأمور وهو يتكلم عن ليلة الحديد ، ويهدد نناديب القرية ، ثم يصحكون غير حائلين بما يمكن أن يصعبه هذا الأمور الحديد ذو الكرش الكبير والدين العليظ ! .

على أن الشيخ يوسف فقد اهتمامه بكل هذا . وانشغل بالتكبير في أمر العمدة الجديد ! .

من يكون العمدة الجديد ؟
يجب أن يكون من عائلة أخرى غير عائلة العمدة القديم .
أن عائلة العمدة القديم متعرفة متخاصمة ، ولا أحد أتيا يملك الرماح المطلوب من الأرض . . ولكن الشيخ يوسف يعرف أن هذه العائلة تنفق حتما على اختيار شيخ البلد . . فأفرادها يهتمون ، ويضربون بعضهم ، ويتخاصمون أمام الحاكم والواحد منهم لا يطي أخاه . . ولكنهم ككلاب يهتمون ليتجأوا معا . . عندما يظهر غريب .
وتحدث الشيخ يوسف في الأمر مع محمد أبو سويلم ، عقبال محمد أبو سويلم بأصرار :

- والننى شيخ البلد ماهو شايغها ، لما حتى نتقع عيه بشطيه . .
ولم يكن محمد أبو سويلم قد أفكر بعد في رجل نالذات يمكن أن يصبح هو العمدة ، ولكنه فقط كان يقول دائما :

- هابري نعد من السلسال المحس ده . . قال يقولوا أن أحواز بنات العمدة حم من البلد دي والبلد دي ، وانفقوا مع العيلة كلها ايمهم يسبوا العمودية للشيخ البلد يا أخى دا بعده ، والله العيلة دي ماهي طيلها ثاني . .

وذهب الشيخ يوسف إلى المركز ذات يوم فاشترى سبلا حديداً لعمامته ، وعاد يطلب من الكشمير فلسه ، وظل يطرح أكامه متحذلاً ، ويرفع ذراعاه ، وتكتف عن كم طويل لعلة جديدة صفراء ،
وقعد يوماً مع الشيخ حسوبة وأحد يمسز يده ليكشف عن كم العائلة ، ويتعشى الحلاب الكشمير والصديري الشاهي . ثم قال في سعب .

- شاف يا حضرة الناظر ؟! أهو كل ده للعمودية ! يا سلام كده عليه أنا حتى لو بقت عمدة ؟! . . داما أظني في العمودية قوى يا حضرة

الباطر ! والسبب أنا مطلي فيها !! لما بعولوا لى كده يا حصرة اعمده ،
تتلى كده حباله عليه .. شايف بنى لى العمد .. هـ هـ هـ .. آهو
انه حصرة الباطر ، وانا حصرة العمد .

وكانت العاطة تتعجم فمه لى حجل وتردد .. وهو يحاول جاهدا
ان يستر قسمة فى صحنكات متكسرة يسوقها لى شعبه .

ولم يرجع الشيخ حسوة لكل هذا فقال :

— خبير ايه يا شيخ يوسف ؟! دى العمودية قات عملت : عموديه
ايه يا راجل ؟ عمودية ايه وهباب ايه اتى شاعل به نفسك ؟! يا شيخ
وفر فلوسك يا شيخ انت وهاب بهم هـ صدمتين بالأولاد ، بدل ما هم
دايرين بهدومهم مقطعة ؟ ايه انلى لبس عمد ؟ كلام ايه ده ؟ ايه الكلام
اسعاب ده !!

وصدم الشيخ يوسف من هذا الكلام ، ولكن الشيخ حسوة كان
حاسبا جاحلا لا يحسنل ، ونظرائه تبعته فى حدة واستعجاب !

وبعد لحظات من الصمت ، تكلم الشيخ حسوة طويلا من محمود
بك وكيف يلعب بالقرية كمادته .. فهو يشتر فرصة حلو العمودية
ليشعب لعبا ويأخذ مالا من هذا ومن ذاك وفى النهاية يسمى ليكون هو
بعض عمدة .

وطل الشيخ يوسف يسمع لى حجل ..

ولم يعد يتحدث لى أمر العمودية مع أحد ..

وفكر لى صمت ان يدبر مالا لمحمود بك كما صبح الاحرار . ولكن
عبد الهادى شعر به فسخر منه .. فاقسم الشيخ يوسف الا تشكله
مرة أخرى فى الموضوع ،

وشطج فكره لى علوانى ! ..

لو ان علوانى فى القرية لكن هو الوحيد الذى يطرب لتعجب
الشيخ يوسف .. ولتجسس وهز ذراعيه واصباح بكلمات كثيرة مختنطة
تعلل النفس بالكرباء والمرء والأمل !

انهم هيا كلهم يكسرون النفس .. فافان علوانى ؟!

ولكن علوانى الآب لى سحن المركز !

رما كانوا يضربونه ويسقونه بول الحيل .. بلا ديب !

وعادت الحسرة على علوانى تقيس فى احماق الشيخ يوسف وهو
يستعيد فى حباله كل ما صنعه العمد المبت لى القرية !
واسترجع موقف محمود بك من العمدة والقرية .

وولبت الى ذهابه صور عديده لما اركبه محمود بك فعال لمسحه
ان الشيخ حسوة وعبد الهادى على حق ! ..

ولكن المهم الا يسمع لاحد من عائلة العمد القديم بان يكون عمد ..
وخلع الشيخ يوسف جنبابه الكنسر والعانة الصعراء الجديده
والصديري الشاهي وعاد يلعب مته بالثال القديم ويجلس فى دكانه
يقرا « سيرة ابو زيد الهلالي » ، ويقت طويلا بالصفحات التى تروى صر
« ابو زيد الهلالي » على تلك الأيام .. ثم يتنلى حباسا وهو يعز انصد
البطل بعد هزيمة ، وسقوط سجمه بعد اقول !

ومضت الأيام بالقرية دون ان يعرف أحد فيها من هو العمدة
الجديد .

وفى الحين ان امر تبين عمدة جديد لم يكن يشعل الصلاحين لى
الحقول ، فقد كانوا يقولون لبعضهم انه لا يتم ان يتكشع صمدة ؛
ويجىء آخر ؛ فالعمدة الجديد ان يرفع سعر الفطن ، ولن يمدل مواهب
الزى ، ولن يفر مشروع الزراعية .. مادامت الحكومة لى مصر ياقية
كما هي .. فى يد حزب الشعب !

لم يكن أحد على الاطلاق يفكر ليسن هو العمدة الجديد الا ثلاثة
رجال أو أربعة يريد كل واحد منهم ان يكون صمدة .. ومن ورائهم قلائل
يعنيهم الموضوع ! ..

لما بتبني القرية فقد كانت تمك لى موقف الحكومة بعد ان
ومت القرية حديث الزراعية ، وفيما يمكن ان يصنع المامور بصمد ان
اندر القرية فى مأم العمد .

وقالت وصيفة لامها انها حلمت حلما اخافها ..

وقاطعتها امها مزعجة قل ان تحكى الحلم :

— ما تعريشى لى وشى ! ربا يحمله خير ! ربا يعوت السبة دى
على سب ! هيه يعنى الحكومة حاسكت على للة الحسديد ! نانا انا
مشغولة على ابوكى ! يا هالم الحكومة ناولية تعمل ايه فى رحالة اسلند ..
على الله السنة دى تعوت بس بالطول ولا بالعرض .

كان قد مر أكثر من أسبوع على للة الجديد ، وبنات عائلة احمد
تعمل بالخمس الثانى لونه .

وحضر ازواج بناته من البلاد المحاورة ..

وامام مقبرة العمد ، التى تقع فى اول الجانة ، صمسه عى

معية المغانم ، وراء أسوار تمير المفتخرين بعد الموت .. هناك أمام المصرة ، بعد صلاة العصر ، جلس المفلون والى حوارهم على الحصر .. أولادهم الصغار .

واحد المفلون يطوحون رقابهم في حركات منتظمة متحمسة وهم يتلون في سرعة « سورة يس » و « سورة تبارك » .

وأخيرا قرأوا الفاتحة في صوت واحد ، وهم يلتفتون للطبائير والتين الترسومي من يد شيخ البلد .. رحمة وبورا على العمدة .

وعندما انصرفوا همس شيخ البلد في اذن أحد المفتريين ، وطلب منه ان يذهب الى الدوائر ليتلو القرآن هناك من فوره ، وسيفعل الشيخ التشاري يسندة في القراءة ، بعد صلاة الغضاء .

وفي الطريق من الحانة الى القرية قال شيخ البلد للعائدين معه ان المأمور ارسل إشارة تلويحية اليه - بصمته نابيا بصمده - يحبره بال الهجانة مقلون الى القرية ، وان التحول مبوع بعد اذان المغرب .. ابتداء من اليوم .

وسكت شيخ البلد قليلا ، فجميع الناس حوله يسألوه في اهتمام عن الهجانة وعما يسي المأمور بكلامه « ان التحول ممنوع » .

وقال شيخ البلد في لهجة أمرة ان الهجانة مقبولون لخدمة الامن في البلدة ، بعد ان اضرب .. واسترسل الحكومة مرة أخرى جديد الزراعة ، وعلى أهل البلد ان يلزموا دورهم من العرب .

وساد صمت تغطيه الغاس تتلاحق من الرهبة .. ولم يكن في الغضاء غير شعاع العصر الضاحب ، وغربان تطير صبا وصباك وهي تنق ؟!

ومشي شيخ البلد ، وبداه معتودتان وراء ظهره ، وخيزرائته انطوية تحت ابطه .

كان يسبق الناس في طريق العودة الى القرية ، وهو يقول بانه ان هذه هي أوامر الحكومة ، وهو يلعبها بصمته نابيا للحكومة .. وكل من يعرفه شمله .

وبعد قليل ارتفع صوت من ورائه قائلا :

- بعض هجانة على ايه ؟ احنا همسا حريصة ا وحامصوا لسا ايه الهجانة نصى ؟!

والصت ابيه شيخ البلد ، ورفع الحريزة الطويلة في يده قائلا :

- اسمع ياولة ؟ واد انت يا نصى ا انا هيا نائب الحكومة ا اب ماهم ؟ بلاش لخاصه ا انا ما عديش غير ضرب الوطا .. هناك نقى من

الرمس ذاك ! ايوه ا حكني حاجة ثانية ا سمعني كلكم يا بلد .. انا حكني كده ا ناقول لكو امة ا انا هيا نائب الحكومة وممثل عن الامم .. ثم اندفع شيخ البلد في طريقه ..

وبدأت حمرة الاصيل تغمر الاشعة انصغراء .. آخر اشعة اشجار ، وشيخ البلد ومن ورائه الرجال والمفلون يدخلون القرية ..

ومن بعيد تعالت دغمة واحدة صراحت متوالية معززة .. وانفجحت الطريق جاموسة تعري ، ومن ورائها حمار يضرب السراغ برحديه الحظيئين .. واصطدم غلام صغير اثناء جريه المضطرب بابور يسرب .. فزعق الوز وصقق بأجنحته . وأمثلا الغضاء بأصوات اللذر ومباح صراخ النساء والأطفال والحيوان . والكل يصيح :

- الهجانة وصو يا وقعة غيرا يا حدعان ا الكرايج اشتعت في البلد ا اجري يا واه ..

وكان بعض الرجال يقبلون لاهتي صفر الوجوه .. فيختلطون بكل الأشياء الهاربة من امام الكرايج !

وخلال الكلمات المضطربة انشئ تساقطت من افواه الهاربين صرير شيخ البلد ما حدث ..

هبط رجال الهجانة بالكرايج ، ومروا على الرائب في انحنفون على الجسر انفلتوا ضرب على العلاحين ، وامروهم بالرجوع الى الدور .. لم تزلوا الى القرية يسوقون امامهم الرجال والأطفال والبهائم ، واحدا يهربون كل من يقابلهم في طرقات القرية وامروا الناس ان يلزموا بيوتهم .

شربوا كل من قالمهم حتى الشيخ يوسف صربوه واحصوا مكانه .

وذهل الرجال الذين كانوا مع شيخ البلد ، وسيطرت عليهم حمرة جرمة .. بينما وقف شيخ البلد يحاول ان يحصل اليوم انطابية ، وما دام هو معهم فلن يمسهم أحد بسوء .. وهو نائب الحكومة ، كما يعرفون ، ويعرف الهجانة ا .

وعندما كان شيخ البلد واقف في مدخل القرية نابيا يهديه الرجال وامرهم ان ينصرفوا الى دورهم آمين ، طلع الهجانة من داوية الطريق ، والكرايج الطويلة تفرقع .

وهمهم الرجال وعيونهم قلقة تورع نظراتها على الكرايج السودانية المعروفة بالسلك الاصفر ، بينما تقدم شيخ البلد بخطوات ثابتة الى الهجانة قائلا :

— أنا نائب الحكومة هنا ! حاسب يا حضرة الشاويش كده وقول لي انت اسمك ايه ..

ولكن الشاويش اندى كان يتعذر انهجانه ، رفع يده بالسكراج وفرقت به فى الهواد وهو شيخ البلد ، وامره بان يسرع الى داره قائلا — باعتداد — انه هو الشاويش عبد الله ولا كلام به مع احد !

ووقف شيخ البلد يشرح لشاويش وثلاثة جيود معه ، انه نائب الحكومة فى البلد ، ولكن الكرياح هوى عليه وظل يهوى ، وهو يزعم ، حتى اصطر آخر الامر ان يجرى من طريق المحمدية ، ليصل الى بيته بجوار دوار اميدة عن طريق آخر ..

وغاب شيخ البلد فى زحام الرجال الذين هروا ، ودعهم يتعاملان بغيره فالتفت :

— شربوا مايب الحكومة يا جدد ا اخرى يدوله .. الحكومة صرت نايب الحكومة !.

وبعد لحظات كان كل رجل يسكن الى داره وهو يرتعد من المداحة ! وعندما اقبل اميل كان الخوف قد اخذ يرايل العوس وندات المور تطوف بالزؤوس حاملة الضحكات الى الضمء ..

فقد اخذت القرية تصبى من قصة الشاويش عبيد الله وشيخ البلد .

وكان جيران الشاويش يصيحون وهم يذكرون اصرار انشيخ الشاويش على ان يخرج الى الجامع لصلاة العشاء ولقاءه مع الشاويش عبيد الله .. لم يكد الشيخ الشاويش يسمع فرقة الكرياج فى الهواد ويرى مطر الشاويش عبيد الله ، حتى جرى عاندا الى داره وهو يلى البلد واهلها والجامع والصلوة .. والذين يسلمون فى الجامع !.

وفى الصباح كان الفلاحون يتحدون من جديد جديده اوسلته الحكومة للرداعية ..

وكان علوانى يعود من المركز بعد ان بان انه لم يقتل حضرة .

وسمع علوانى بما صمته الهجامة فتسائل ابن دات رجال الهجامة بالاسم ! ولم يجد جوابا ، وعاد يسأل : اين شربوا اشياى ! ولاح سؤاله للناس من القرية قريبا حقا ..

وتنسى علوانى بينه وبين نفسه لو انه كان ما يزال يملك الحمية التى ورثها عن ابيه والتى كان يقيم فيها اول صباه .. ولكنه باعها منذ زمن ، ليست فى الحقول التى يحرسها .. لو انه كان ما يزال يملك

هذه الحمية — وراء دور القرية — لاستضاف فيها رجال انهجانه ، وسفاهم الشاى !.

وقال علوانى :

— لو كنت انا هنا فى البلد ما كنتش ذا كله حصل .. حاكم دول عرب .. لكن ميرهم ياحدوا عابلاحين ..

واستغيبه الشيخ يوسف بحجوة ، وسأله عن حاله وعما حدث له فى السجن .. ولم يعمل علوانى بان يحكى للشيخ يوسف ، وانما اختتم مواساته لى رجال الهجامة غربوه .

وقف علوانى طويلا مع الشيخ يوسف يطلب حاطره على ما وقع له من الهجامة . فقال الشيخ يوسف بافشار وكبرياء :

— يا واد الزمنا بتوع البلد اضربوا فى بنى سويك واسمورده وابعيرم ، واضربوا فى مصر قدام البرلاس !.

فقال علوانى لهجة مطمئنة :

— همى كل حال دول عرب باب الشيخ يوسف ! دول مشايخ عرب .. حرب اجاود .. لكن اسى فى المركز قالوا هم اضربوا الفلاحين .. بزوا ضرب فى الفلاحين .. اذى الضمة !.

فاجبه الشيخ يوسف بوجعة :

— ياك تسعمل فى بطك !؟ شعله ايه المرا دى .. يضربونا ليه؟ خلتان اورداعية .. عشان كلام الناب والحكومة يمشى على رقابنا ؟ هه اء .. وهيه الحكومة عاملة لهم ايه عسى لما يسمعو كلامها قوى كده لبستهم حيزر ؟ اكلتهم عيش قح ؟ مئت لهم المركب فى الشراى ؟ جاتكو المم حرب !؟ لو ما كانوا شرب عرب ، لو كانوا يعرفوا غلوة الارض وحلاوتها وشفاها لو كانوا يبرزعوا ويقلعوا كانوا علفوا . بقى لى واحد منهم بيردع وجات الزراعية حلت يقطه كان جابستك ا كانوا يعملوا ايه جاتكو ايم يغير علمك يا صنف العرب ..

فقال علوانى مهدتا به :

— معلنش يما الشيخ يوسف .. بكره ياحدوا هالبلد .

فقال الشيخ يوسف وهو يتحسس آثار الكرياج تحت ملابسه :

— ياك تاحدكو قاره بحق حاه المصطفى يا شيخ .

ثم استرسل يقول فى قدم :

— عسى لو اخرجت القراطين اسى حيلتى وفتحت ابدكدة دى فى مصر !؟ يا ريتى عملت كده وحلمت من وضع القلب ده ا وهيه دى بلد تسكن !.



ثم أنبل الحريف على قريتي !!

ولم تكن الدرة الحديدية قد أصبحت بعد في أيديهم ،
فيما دور الصالحين قد حلت نصيبا من الكبرياء
بديهي . .

وكانت أجس بعد كل عصر تحت ظل النخيلة على ساقية عهد
الهادي ، فكر في المدرسة الثانوية التي سادها لأول مرة بعد
أسبوعين ، وفي انطمية الجديدة التي تملأها هممة حزبية من أمسيات
الحريف ، واسترجع كل ما قرأ من كتبه وروايات خلال أجدة
الصيف . .

ولم يزل يرجع إلى بيتي . . والشمس تنحدر عبر البحر ، إلى
الأفق الذي يغيب وراء أشجار التوت المتوجة بطيور صغيرة يفسد
تنطلق عند الغروب ، تجري هنا وهناك في الغطاء ، وخمسة أجسها
مدوب في هممة المساء .

لم يكن يستطيع أن ينتظر على الجسر إذا حتى تحتل الأشعة
لجمره فقد غشبه أبي على من أول الأداة لأبي تأخرت مرة على الجسر
في انتظار وصيفة إلى ما بعد صلاة العشاء فأمرني ألا أبرح البيت وحدي
طول الصيف . .

وعندما عاد الحريف على قريتي كنت أحواد الدرة قد أوتعت
وأصبحت أطول من أي رجل !!

وأحواد الأداة التي ترتفع مثقلة بالكيزان الجديدة على طول الجسر
كانت تمنى لنا نحن الصغار كل معاون المبدأ في المصيف وهدايا من
قصص قديمة عن رجال أقبلوا من قرى بعيدة وترسوا في حوض الدرة
ليضربوا أحد أهل القرية بالعار !!

ومن أجل ذلك فقد كنت أروح مكاني على الساقية ، حين يتحلى
الأم نوتة الدهن إذا كان عندما تعكس صفحته شحوب الأصيل والظلال .

وكانت وأنا على الساقية استرجع ما قرأت في الصيف . .

كنت استرجع دائما كتاب الأيام ، و « إبراهيم الكاتب » و

« ريت » .

وهي تلك أسئلة بالذات . . كان الشاويش عبد الله يحسن في دور
انعمده يفكر في أبيه الذي تركه في الصحراء البعيدة جنوب اسوان . .
وكان يفكر في أمه ويحدث نفسه في دم أنه صرب في هذه القرية
رجالا كانيه ، وساء كانيه . .

وصرب أيضا أطفالا صغارا كاحويه . . وكالأطفال الذين أحجم في
قريته .

كان الشاويش هذا أنه ما زال يسأل نفسه لماذا صرب هؤلاء أساس
جميعا بلا رحمة . .

لماذا جعل القرية كلها بالأمس تطوي يوما حريب يائسا . .

ولم يجب الشاويش عبد الله على نفسه .

واسما هم ومعه رجاله عبد الأصيل ، واستمدوا بلطوف في طرقات
القرية عندما تعيب أنشمس . .

وقبل الأصيل كان أفعالون يعددون إلى دورهم مسرعين يسوقون
البهائم من حوض أنجر وحوض أنجره ، ومن وراء البهائم فتيا
حافيات يتراخمن على التماط الروث . .

وعندما من العائدون من الحقل بالمكان الذي ستمشق فيه السمكة
الزراعية رأوا الحديد الجديد قد هشم مريدا من أحواد الخفراء وقد
احدثت على تراب الأرض قطع كثيرة من القطر الأبيض .

وزحفت الحشرة على العوس . . وفي كل صدر يتردد سؤال حائر
حزين . . ما أفعل . .

وقبل أن تغرب الشمس . . كان كل حي في القرية يعلق باب داره
قبل أن يظهر في الطريق كزجاج الشاويش عند أنه !

وكت أرى في قرنتي أطفالا عديدين أكل انداب عيوبهم كالغربة
التي عاش فيها صاحب الأيام .

ونسيب لو أن قرنتي كانت هي الأخرى بلا معائب . كالغربة التي
عاشت فيها « زبيب » .. الملاحون فيها لا يتشجعون على الماء ،
والعكوسة لا تحرهم من أرى ولا تحارون أن تتزع منهم الأرض أو ترسل
أنهم رجالا بملابس صفراء يصرونهم بالكراسج ، و لأضلال فيها لا يأكلون
الطين ولا يحفل اللذات على عيوبهم الخوة .

وتصيت لو أن قرنتي كانت هي الأخرى كقرية « زبيب » لا يترل
فيها من الرجال والنساء بعد أسون دم وعصيدة ولا يدهم أهلها الأرض
المعاشي في جنوبهم ، فيتتوى الأسان منهم نخفة ، ويظن صرخاب
بائسة فاجعه من حدة الألم ..

لم يسك .. يسكت الي الابد ..

كانت قرنتي هي الأخرى جميلة كقرية « زبيب » وأشجار الحمير
والنوت تمتد على جمرها وتسي ظلالها المتشابهة على ماء أسهر .

وكان السهر في الظهر يبدو تحت أشعة الشمس كصمعة من فصاة ،
ولي الأصل يبدو من ذهب ، وفي الليل كال محتلجا قائما يتسكع في
طريقه إلى المحول كالغربة في قرنتي .

وفي حوض التربة من قرنتي - حيث لتزع الحكومة الأرض -
كانت الحقول مجلدة بمساحات رائنة يضا من أعطن وعلى حوض
الجسر تمتد السماء بلا نهاية فوق خصرة مشوكة من حفول اللرة ،
تترافق ذوائها الشقراء ..

وكان النساء في قرنتي يحملن الحرار ، كسء الغربة التي عاشت
فيها « زبيب » وكانت لهن أيضا نهود .

ومن يسمن كانت وصيفة ضاحكة ريانة مفعمة بضا مجتعة تثير
الخيال .. أكثر مما كانت « زبيب » في الكتاب الذي قرأته ..

ولكن وصيفة كانت ضاحكة بعض الشيء .. ثاب شيء ما يحسن بعض
الدم على وجهها ، وينفي عن فتنة وجهها لوما في الديول ويميس كنوز
جسدها الإنثوي وأطلاق نفسها مع الحياة ..

على أن قرية « زبيب » لم تعرف طعم الكراييج ، كما عرفت قرنتي .
ولم تلق قرية « زبيب » اضطراب مواعيد السرى ، ولم تحسب
بول الخليل نصب في الأفواه .

ولم تعرف قرية « زبيب » زهو الصر وهي تتحدى القسطاء
والإنجليز والمعددة والحكومة وتشر لمص الوقت .

و « زبيب » التي لم تكن أبدا على الرغم من كل شيء جميلة كوصيفة
.. لم تذهب إلى قامة الطعن ذات يوم تعود إلى أمها باكية .. كما
صنعت وصيفة عندما رأيتها لأول مرة بعد أن انقطعت عن رؤيتها طوا
شهور الصيف .

كنت إذ ذاك قد سمعت عن الشاويش عبد الله وعرفت كثيرا مصا
صمعه بأهن قرنتي .

وكننت البينة لكثرة ما سمعت عنه وجلا طويلا كآباب ملينا مثل
كيس القطن ، شديد السواد كهاب الغرب ، أسنانه بيضاء كالجبين ..
لا يشفك ولا يتكلم ولا يجيد غير الضرب بالكراباج !

وكنت اسمع أشياء صعبة عنه ، مند هبط إلى قرنتي ..
عاهل قرنتي يملأون حياتهم بالحديث عنه حتى أصبح الشاويش
مبد أنه مجردا من أمثال القرية وحكمها وترواها ..

فاذا جاءت إلى القرية بائلة بديبه سمرء همسن أناس فيما بينهم .
« الشاويش عبد الله » ..

وإذا رفق وجل قالوا ضاحكين « يعنى الشاويش عبد الله ؟ »
والصغار في القرية حين يلعبون ينطق أحدهم مرما من التسوت
ويهوى به على زملائه قائلا « إنا الشاويش عبد الله ! » وربما وقف أمامه
صغير آخر يبرع من التوت وقفر وتوالب قائلا : « طب وإا صد
إنهادي ! »

ولم يكن لمبد الهادي لقاء مع الشاويش عبد الله بعد ، ولكن
الصغار كانوا يتخللون هذا اللقاء دائما ويتساولون ممن يبطا

وفي الحق أني ظلت اسمع قصصا غريبة من الشاويش عبد الله
.. ولكني لم أره .. فلم يكن يحتاج لي أن أخرج من البيت طول الصيف ،
وأقل الحريف وأوشكت الإجازة هي نهايتها وسمح لي بالخروج وحدي
على أن أكون في البيت ، قبل أن يبط الحرف على الغربة ..

وسمعت نقاة أن الشاويش عبد الله لم يعد يضرب أهل الغربة ،
وفرع الناس يقولون عنه أنه رجل طيب .
وحكى لي أحد الأولاد أنه رأى الشاويش عبد الله يضحك !

وسمعت أيضا أنه رأى الشيخ يوسف في داره وضحك معه .. وأنه
جلس ليلة مع الشيخ حسونة ومحمد اقتدى وعبد الهادي على مضطبة
محمد أبو سويلم إنهادي محمد أبو سويلم أسنة وصيفة ، وأمرها أن

تحضر الفهرة ولكن الشاويش عبد الله طلب استأجر فعدده وصيعة ،
وعندما ذامه الشاويش هيد الله شهد بارتياح قائلا :

— يدوم الحماض يا عرب ..

فضحك الجميع وانسطت وجوههم ، وأدركوا أنهم يحسون مع
واحد من الناس منهم !

ولميت أن الشاويش هيد الله أصبح الآن يترك الشيخ أنشاوي
يذهب إلى الجامع لصلاة العشاء ، ويسمح شيخ يوسف بفتح دكانه
حتى صلاة العشاء أيضا وأنه يجلس عادة على مصطبة محمد أبو سويلم
ويأمر رجلاه الثلاثة أن يطوفوا بامرئة ليدخلوا الناس الدور بهدوء ثم
يعودوا إليه على مصطبة محمد أبو سويلم .

وتهاشم بعض أهل القرية أن أنشاويش هيد الله نوى الزواج من
وصيعة وأنه لم يكلم أبها بعد ولكن الأمر معهود .. وقال الآخرون إنه
تكلم معه واتفا ولكن محمد أبو سويلم يكتم الأمر .

وحاشا أن أرى الشاويش هيد الله وأن أهرق كيف يتكلم هذا
الرجل الذي ضرب القرية كلها بكرياحه لأول يوم أقبل ! وهل هو
يفضح حقا ؟! .. وهل يمكن أن يكون له كالأخوين زوجة وأطفال ؟!

وأجسست بالحاجة إلى رؤية وصيعة ..

ربما لأنني لم أرها منذ زمن طويل أو لأنني سمعت أنها مستتروج
من الشاويش الغريب .. أو ربما لأنني مسافر عن قريب ..

وهل أية حال فقد ذهبت إليها ذات صباح .

كان الصبح يملأ طرقات القرية بشمس سبتيمير الفاترة والأسام
يهب على القرية وبيئة طلعة رفاهه .. وكان باب دار وصيعة مفتوحا
إلى آخره ككل الأبواب في القرية أثناء النهار .

وقبل أن أدخل إلى الدار سمعت أم وصيعة تستعملها أن تعود من
قاعة الطحين بما بقي من كيزان الدرة لتحصنه في الفرن وترسله إلى
الطاحونة .. فقد انتهى الحز ..

وتقدمت أما خطوة ، وصارت عتبة الباب إلى داخل الدار ، فرعقت
الأوثة التي كانت تسير متتابعة إلى الباب ، وصمقت بصاحبها قليلا! ..

وأخرجت وصيعة من قاعة الطحين في آخر الدار ووجهها محتف
بالصمت وأنى عينها دموع لم تنسكب بعد .

وسمعت صوتها يتهدج :

— ماقيش دره للتحميمه يا أمه ؟!

وحقق قلبى فجأة ومحت عيسى فوجدت أم وصيعة قد شحبت
وجهها تماما .

وربب إلى ذهني ما قاله لي أبي بالأمس عندما رصت أب تصلح لي
بذله أحد أحمى الكبار وتكب في طلب بذلة جديدة أذهب بها إلى
الدراسة الثانوية .. لقد نظر إلى أبي — إذ ذاك — بمطرب حذر وهو
يقول :

— يا أبى دا حتى القمعة يفت نادرة .. بذلة جديدة إيه من والساس
يتشتى على نعمة العيش ! ..

واستدبرت على أنعور ، من دار وصيعة ، ومشت على مهل وأنا
مقبض حزين قبل أن أسأل وصيعة عن حكاية الشاويش هيد الله .

وعندما تجاوزت العتبة إلى الطريق سمعت أمها تقول بأداس :

— طب كرمي الوردة دي ودوري بها على حد يشتريها كرمي تجيب كيلة
درة .. شوي كده محمد أفندي ولا الشاويش هيد الله أ يارب ..

لأرب .

وأزدحمت نفسي بشاوش عديدة محتطة .. وفكرت في ربهما هذا
حتى يملأ القاعة بالطحين .. ويجود على بالبذلة الجديدة ..!

حتى لا وكيف ؟!

ولذلك أن قاعة محمد أبو سويلم لن يدخلها الدرة هذا الأيام ..
والدرة الجديدة في حقله بحرقى الثمرة ستبطلها الزراعية وستلجم
أيضا حقل القطن ..

وميت أن أرى هيد الهادي على الفور وأن أتعهد إليه ولكني لم
استطع في ذلك الصبح أب أراه .

ومدت ألقب صفحات رواية « زينب » و « إبراهيم الكاكب » ولكني
لم أجد أبدا ما يجعل الفراء ..

.. لم أجد مائة قرشي .. وميت أن أصبح كالشيخ يوسف
والتيقظ نسي الشاردة من خلال قراءة كتاب كبير أصغر بروي قصة
الطولة والسر كرواية « هتر » أو « أبو زبد الهلالي » ؟!

ولى الأصيل عندما كانت الظلال اللينة بالهسمات تضرع الأشمسعة
الحرارة ، انحدرت أنا على الحسر عائدا إلى القرية كمنى .

كنت أفكر في أشياء كثيرة لا أبيتها ، والرحلة تزح إلى صدرى

محمد إلهى يروح مصر ويرجع ري ما هو... حتى ما يعول انسانى
 حاجه عن مصر ؟ اه بو كبت ان انى رحيلك يا مصر ؟ حاكم انى سى
 مصر كان فى الأصل حوانى ؟

وأستمر يقول - شيطا - فى نعم ، وهو يرمع حاجيه ، ونسم ،
 ذا التلى بنى مصر كان فى الأصل حوانى ...
 ولم إيهم بالتعدد ما يحبه عبد الهادى فى المدينة الكبيرة المصطحبه
 التى أعيش فى مداوسها بين واجبات الحساب واللغة الإنجليزية وعصى
 المدرسين !

وحاولت أن أحدث عبد الهادى قليلاً عما رأيته فى شوارع المدينة
 التى يحسب أن الذى بناها حوانى ...
 وحاولت أن أحدثه عن الذين يسرون فى الطريق واجمين ، وعن
 التلاميذ الذين يذهبون إلى المدرسة باخذية معزقة يدارون فيها رتوق
 الحوارب ، عن البطولات المعنوية ، والبديل الناحلة ، والى صاصى فى
 الشوارع !

ولكنى وجدت نفسى أحدثه عن وصيفة وأحكى به كيف يكت لابها
 ثم تمد فى قاعة الطحين ذره ...
 وقطع مبه الهادى ابتسامته ، وقطب ... وأطرق برأسه لحظة ...
 ثم رفع وجهه ونظر فى الفلال أتى تلميها أشجار التوت عن أنشائه
 القبل للهر وتحتط هناك بتمته السمء ،

وأخيراً قال بصوت خفيض :

- يا هم ما الدنيا كلها البيلت بيلة ... حد عارف إيه آخرتها ...
 ذا الناس من النوع قربت تاكل بعض ! والحكومة شاطرة كتعت لسا
 هجانة تذهب الدور من مل آذان العرب ! طلب ب هى السى يبرقوا
 فى الهرم عيسى عيك ' حد يبرق بالليل ... ما شيع والله ذا الناس
 يترقى الذره الأخضر من العيطان وحمصوه وبالكسوه هريك . قال
 الحكومة نعتا سمار ؟ طلب نمب ما دره ! وهوو معنى الضرب ذا
 حايشع الناس على رأى الشاوش عبد الله ؟ !

ووجه عبد الهادى قللاً لم أستطرد قائلاً :

- يا ولداه بابا محمد ابو سويلم ! طلب دا مش طالع له البسة دى
 لا ذرة ولا قطن ! الزراعية وأحدها كله ... ويمش ميني دايا اخوانى ؟
 قال حايحده تعويض ! وعلى ما ياخذ تعويض باكل ميني ؟ وحايمل ايه
 بقلوس التعويض ؟ حايحار ! وللا بعض حايحار ؟ حايمل ايه بالوس
 بعد ما خدوا الأرض ؟ حايشتري أرض ثانية ... ومن فى البلد بيع
 أرض ؟ !

فتمشاه مع طلال العرب ، وأحلام بالجهول تضطرم ها وهالك فى
 الإغماع مى ...

أحلام يحتط فيها أنظار القصص انى قرأها بمظاهرات أضرهه ،
 بالمدرسة الثانوية ، ووصيفه ، والمشيدين ادين احبهم ، وحارات لى فى
 الحطبة الجديدة ، وذكريت العذاب الذى لعينه أرحال فى سخن
 المركب !

كان الناس عد عادوا بلهائم من أنحول ... تمسكوا كما امرهم
 الشاوش عبد الله ...

وم بعد فى طريق أنجر فىرى ... والمساء .

ومن بعيد ارتفع صوت قوى جاف على سرات حورية :

بار الحطب دوم ولا بار المحبة يوم

بار الحطب تطفى وبار المحبة تدوم

كان هو عبد الهادى يخرج من حفل الدرة الذى يستعلى تحت
 البساقية من وراء بطن الجسر ، وهى إحدى يديه حزمة من الحطب
 أجباف وده الأخرى تسد الى ظهره حملاً من أذرعه مليئا بالكبران ...
 وألقى عبد الهادى حبه امام الصغيرة دون أن يقطع لفساءه ، وده
 بسعع الكبران من أحوادها ...

كتت أنا قد سرت خطواتى على الجسر فى الطريق الى البعيرة ، واد
 رأيت عبد الهادى ناديت فرحاً بتمائه .

وضرب مى ان أعود وافعد عن البساقية قليلاً ليشوى لى كوزون ،
 ولكنى صممت على الرواح الى البيت فما ينشئ ان أتأخر على الحمر
 حتى يقل الليل .

وصحبنى عبد الهادى ومغسبا الى القرية ...

... وفى الطريق علمت منه أن الشاوش عبد الله ضاع الى العسرة
 فى الحقن القرب ، بعد أول لغة فى القرية .

واهترت نفسى ، وتمسكت لو عدت الى الحيرة لأسهر فليسلا مع
 الشاوش عبد الله ...

وعلمت من عبد الهادى أن يستأذن لى أبى . فاعود معه .

وبعد الحرب كتت أظعن الحمر مع عبد الهادى وأجلس الى حوار
 البساقية . كان كل شيء من حولنا ساكناً ... وعاء الهادى يحدثنى عن
 سعري القرب ويقول وهو يصفق ببطيه :

- شى الله يا مصر ... أمانة يا شيع تسلم لى على مصر ... فى

ثم وجم قليلا .. ونظر في الظلمات هائلا لعنه :

— يا حكومة !!! .. يا حكومة بلا معنى ! .

واستمرسل يقول متحمسا بأبيات من موال أدهم :

يا حكومة دانا الأدهم .. والأدهم أجيبه مني

يا حكومة دانا الأدهم قتل لي م العيال ولدين

وسكت عبد الهادي وأخذ يهمهم بشتميه ههههه حزينه ثم انطلق يروي لي قصة أدهم الذي دوخ الحكومة وتحداه ولعب عليها ، وكان يهاجم الكبار ويأخذ من مخازنهم ويعطى للملاحين العقراء ..

وظل عبد الهادي ينظر أمامه إلى الظلال المسكبة على ماء النهر الداكن وعاد يقول لي حزن كانما يحدث نفسه :

— والله حسارة يا أدهم .. خذوا ثوبه خونة يا جديع ! ما كانوا يتندروا يعيشوا زراعية في بلدنا أبدا ويأخذوا الأرض كذه فخصين من حبة من الناس الحفانة ! ذا لما أئذره شح على أيمانك استعطت على مجازن الوسايا وخذت القمح ووزعته على التي مش لا يقين .. يا حصارث يا جديع .. قتلوك خذير يا بطل ! .

وأخذت عينا عبد الهادي لتتبعان ، وصوته يخلج .

ونفض واقفا وهو يشهد بنهم حزين فقرات موال أدهم لعكي من صراعه مع الحكومة ورجال الحكومة .

وبعد أن انتهى عبد الهادي هز رأسه قائلا :

— صحيح .. صحيح مني أجيب ناس لمعات الكلام يعكوه .

ولحاة رمي كيزان الليرة على الحطب دون أن ينزع منها اهتماما وسألي أن كنت أكل كوزا بعيره ، حتى يأتي الشباويش عبد الله والجماعة ، فلأترحت عليه أن ينتظر .

وإذ ذاك أمسك عودا تنسج في حضرة حمرة جمعية ونزع فشره بأسانه وذاق بلسانه ما تحت الثشرة .

وقال لي :

— خذ مصي المقلدة دي ، أحلي من القصب .

وتناولت منه هود الليرة ، ومال هو على كرم الحطب واشمل عودا من الكبريت .. ونفع لي الحطب .

ثم مشى قليلا بعيدا عن الحميرة إلى الجسر وأخذ يتأمل الطريق ولكه لم يستطع أن يتبين أحدا وقال لنفسه هههه :

— ولا مساروخ ابن يومه ! .. الحسر غاضي خالص .. يا خوي الجماعة غابوا ليه ؟ ..

كانت حقول أندرة تمتد باطرافها الصفراء في حوض الجسر تحب بصر عبد الهادي وهو ينظر في أعصاب أمانم الواسع ، وأنسام الحريف تسري بين أعواد الأندرة ، وتحدث فيها أصواتا كالوشوشة ..

وتهدد عبد الهادي ، وهو ينظر إلى الأرض الواسعة المغممة بالكبرياء ، ومن ورائها تبدو من بعيد حقول العطن في مساحات بيضاء يظلمها العروب ..

وتهدد عبد الهادي ، وعياه مقلتان على حقول الأندرة وقال :

— مقلتي يا وصيفة .. كل شيء وله أوام يا وصيفة ..

وعاد يجلس تحت الحميرة قلقا لغياب الشاويش عبد الله والجماعة .

ولكن انتظاره لم يطل فند سجع من بعيد ههههه عرف من حلائسها صحكات طلواي ..

وقام إلى الجسر وأخذ ينظر في الظلام .. واستطاع أن يميزياض جليباب محمد أمدي فصاح :

— الجسر متور يا رجالة ، اتري أنجر متور كله ومهرسه ! مراحب يا عرب ، يا عرب ..

وحملت البيا أسد المرب كلمات خافتة قائبا الشاويش عبد الله . كن موته هادئا ، ممعما ، حنونا .

ولميت لو أن الشاويش عبد الله تكلم مرة أخرى .. ولكن محمد أبو سويلم زرق من بعيد وهو يضحك :

— دهدي يا عبد الهادي .. أمال فين الراكية يا جدع .. تكوش جابب لما دره من انتحيميه .

وكان عود الكبريت الذي أشعله عبد الهادي قد انطفأ داخل الحطب ، وتركه عبد الهادي ينطفئ بلا كلمة ! .

وأرلعت الضحكات من بعيد وقال الشيخ يوسف :

— ولع الزكية يا جدع ولع .. مستني أيه .. هايريه دره بعيره . وحل عبد الهادي كيزان الليرة من على الحطب ، ثم أشعل عودا من الكبريت ، ورمع الحطب قليلا ، ووضع العود ، فاشتعلت نار بعيره ، وأخذ ينثر أعواد كبريت غير مشتملة في أماكن متفرقة من الحطب .. وسرت النار ببعض الشيء ، وتوقفت العمدان الأخرى فقال سرور — أهى النار كلها دقت أهه ..

وبدا يرعى على النار التي ارتفع لهيبها ، كيزان الليرة الحصراد دون أن يسرع إلا لعلها تكون أندرة بعيره . وتمتم صاحبها :
نار الحطب دوم ولا نار الحمسة يوم

وكانوا قد اقبلوا ، فعال علوانى ميتسما :

— سلاتك من المحبة وبار المحبة يا عبد..

وقال محمد ائندى بانطلاق محاولا ان يصيح نكته من التران :

— يا نار كوى بردا وسلاما على ابراهيم ..

ثم اخذ يطلق قهقهة سريعة سلاحة وهو يطر الى الشاويش
عبد الله ويلكزه .

فاتسم الشاويش عبد الله ٠٠٢ واذا ذاك تعالت ضحكات محمد
امدى ..

وسلم عبد الهادى على الشاويش عبد الله ورملائه المساكين الثلاثة
.. ثم سأل :

— امال عين حفرة الناطر ؟ ..

واجابه محمد ائندى ان خاله الشيخ حسونة لم يستطع الحضور ،
لانه مسافر لذا ياول قطار يقوم من المركز فى العصر .

فقال عبد الهادى :

— والله خسارة ؟ المساحة خلصت دفرى .. امال يا اخويه مدرسة
بلدنا ما تشتملنى ليه ؟

فقال محمد ائندى :

— دهدي ما بكرة تشتمل .. مدرستنا ومدرستهم حايشتملوا فى
يوم واحد .

وضحك عبد الهادى باستعجاب :

— يا عم انتو بتشتملوا الا فى العيش التمع والعلادة الطهنية ،
وايتسم محمد ابو سويلم ، وهو يقول فى ابتسامة تعطر بأكراة :

— اى والله ؟ اشتملوا انتو فى الزر المعمر يا عم ، واحما مش لاقين
شتمل فى المش والعيش الذكر ..

وايتسم الشاويش عبد الله والحدود الثلاثة ، وضحك محمد امدى
وتفقه علوانى .. وتقدم الى الساقية ورفع من على كتفيه الحرام

المخطط ، وفرقه على خشب الساقية قائلا :

— انفصلوا هيا على كبر الساقية .. انفصل هيا يا شاويش
عبد الله مالكى .. انفصلوا ..

وحين جلس الشاويش عبد الله والمساكين ، قال علوانى مستدركا
وكانه نسي شيئا :

— لكن قول لى بس يا انا محمد . انتو مش لاقين العيش والمسن
ليه ؟ امال احما يصي يقول ايه ؟ يبنى الى رى حالانى ده يقول ايه ؟

ولم يحب محمد ابو سويلم .. فالتفت علوانى الى الشيخ يوسف
وقال له كانه يكمل حديثا سابغا معه :

— هو انتو يبا الشيخ يوسف مش ناوى عالمودية برضه .. وحياء
مفام الشاويش عبد الله ما يتغلى فيها يا شيخ كده ويحيل غيرك انت ..

آه يا حفرة (عمدة) .. ياما انت عطلى كده فى الكلمة دى ؟ .. يا حفرة
العمدة ..

وكان الشيخ يوسف اذ ذاك يشد جلبابه الى اعلى من على ظهره
ويصيح باطرافه من تحت وينتبه لجيوس على كبر الساقية ، فوقع

معاه ليقول فى صرامة :

— ما تحشى سيرة العمودية دى تانى يا واد .. علوانى .. قطعهم
تقطع العمودية وسيرة العمودية .. انا باقول لك اهمه .. ان صب

تجيب سيرتها تانى يا واد انت يا عرباوى ..

وتوقف الشيخ يوسف من الكلام فجأة ، واحس ان لسانه سمع
حين قال يا عرباوى .. وتخرج ، وتضحك ثم جلس على اهور ، وهو

يرفع يديه . ويلوح ويقول للشاويش عبد الله ورملائه المساكين :

— اهلا يا عرب .. مرحاب يا عرب .. دا احما مالفين بركة غيركم
يا عرب .. اللهم صلى وسلم وبارك على النبى العربي سيدى الحلق
احمدين .. متورين النزل كله والله يا مشايخ العرب ..

وايتسم الشاويش عبد الله ، ورفع يده الى حبيسه شاكرا ، رجا
احد هوانى تفقه مالحا فى ظفر واعتزاز وهرة :

— ابووه كده يبا الشيخ يوسف اعدل . عرفت نفى انا احما الحير
والبركة ؟! مش عتشر كان عربى .. وانوزيد الهلالى عربى .. والزبر

مسالم كن ايه ٠٠٢ ايوه اتوزن كده .. بقى تقول لى يا عرباوى ويا شيخ
المصر .. بطل بقى .

وضايق الشيخ يوسف من لهجة علوانى وكظم فبطه ،
فتعجم عبد الهادى وهو يقلب الدرة على النار بعضا طوبه .

— وادهم يا جدرع ما هو فلاح ..؟

كان الذهب يعكس على وجه عبد الهادى البرئى .. وهيمس
تاتالان . واتجه علوانى الى حيث يجلس عبد الهادى امام انبار ، ثم
جلس مستندا الى مقدمة قدميه دون ان يمس الأرض بحمده وامسك

بطرفى جلبابه من ناحيتين متباعدين واخذ يرتع يديه ويحفهماسرعه

جلباب يحدث فرمعه يتدفق مها مع كل هزة هواء يزيد السار
شعلا .

ويدات الكيران تطلق واسودت اصمتها الحضراء . عند عبدالهادي
بدء الى البار واحتفظ كورا .

وصرخت انا اذ ذلك في ميد الهادي محطرا ان تحرق السار بده
مضطكا ، وهو يسحب يده من البار بهدوء وفيها كور ملتهب وقال لي
بهدوء !

— يعني هيه البار حاتمعل فينا ايه ؟ يا سيدي ياما انشويتا سبيك
بقى من شعل مصر ده .. حيننا ها .. ها في وسط الحريمة ..

وخفق صوته الساخر على نبرات حريمة ..

وحينما الشيخ يوسف وكان قد انته نوحودي اذ ذلك وطلب مني
ان اجلس على كبر السافية غير اني ترددت شاكرا وظلمت اقب مكاني
بجوار الجميزة . ارقب البار ، وارى ان كان الشاويش عبد الله يتنسم
او يتكلم .. كالناس !

وحس الشيخ يوسف في اذن الشاويش عبد الله ، وسسست
اسمى واسم ابى واذا ذلك ناداني الشاويش عبد الله .. وتقدم الى
أأخذ بيدي وأجلسني الى حواره .

وغمرني العرج وأنا اجلس الى جوار الشاويش عبد الله ، ولم
استطع ان اقوم فضولي .. فتحسست الكرباج التت في وسطه ..
ومد هو يده مبتسما ورلع الكرباج قليلا وتركني امسك بمقبضه
المعروق بالسلك وأنا اضطرب بين الرهبة والاشفاق .

ورأيت وجه الشاويش عبد الله يتسم .. كان وجهه الصامت
ملبيا بالانقسام .. وكانت قسامة هادئة ، وشغاه مطلقان على طيبة
خارقة وجعبت ان يكون هذا هو الرجل الذي ضرب فريتي صد ايام .
وراضني ان يكون هذا الكرباج الذي امسكه بيدي هو نفسه اندى
شوى ظهور النساء والرجال والأطفال !

وسألى الشاويش عبد الله في آية مدرسة انا ، فقلت له اننى
داخل المدرسة الثانوية بعد ايام .

انقل متسما ان له أخا مثلى كان يريد هو الآخر ان يدخل المدرسة
الثانوية في اسوان .. ولكن الشاويش لا يظن ان هذا ممكن !
وسكت الشاويش ، وشدت عناء في الظلام .

وتقدم عبد الهادي ما يعد ان قشر كوز الدرة، وقدمه الى الشاويش
عبد الله والدخان يفيض ويتجم من حالته الكيفاء .

وامسك انشوايش عبد الله بالكور الملتهب وقدمه الى .. فاصدرب
شاكرا ولكنه ألح ، ومي النهاية .. فطم الكور واعطاني قطعه كبيره
مسه .

واد امسكت بالكور لذعنى حرارته ، فتركنه بهوى من يدي وأنا
ادارى الى .. فابتسم الشاويش عبد الله وأحسده من على الأرض ،
ومسحه بيده بمساحة ، وقدمه الى قائلا لى يجب ان اتعود على
البار .. بالحياة عندما تكرر تصبح كلها من نار ..

واينسما جميعا ..

وأخذ بيد الهادي يقدم كيرانا اخرى للشاويش وللدين من حوله
.. وظلت الأيدي تتداول الكيران الملتهمه .

كانوا جميعا يغمسون الدرة ، وهم يلهثون ويوحون من سحرته،
ومضجكون .. ومن حين الى حين ترتفع كلمة لواء على عبد الهادي
واللذرة الذي يشبه كيزان الفصل .

وسرح خيالي في كل ما صنعه الشاويش عبد الله بفريتي .
وهيمت ان اسأله لماذا صنع كل هذا عندما أقبل في أول يوم ..
لماذا ضرب النساء والمجانز والأطفال والرحس ؟

ولكنى أخذت أتأمل الشيخ يوسف وحيات الدرة لتعتك بشدبه
وهو متهمك الى القضم .. وحاولت ان اسأله كيف صالح الشاويش
عبد الله .. ومضى .. وكيف شرب الشاويش هذه الشاي ..

ولكن الصبيح كانوا صامتين ياكلسون الدرة ، ولا شيء يرفع غير
وحوجة الانفاس .

وقطع صمنا لواء يتقل من مركب بعيد يمر بالنهر الصمر .
يا بيه وخبريني عالى جتوا يسين

والتفت الشاويش عبد الله الى النهر وأخذ يرقب الضوء الحافت
الذي يتعمد .

كان المركب قد حاوزنا دون ان نشعر به ومضى يتابع رحلة الليل
تحت ظلمات واسعة .. الى بلاد لا نعرفها نحن في فريتنا !

وتذكرت حلستي مع وصيفة في أول الصيف في هذا المكان بالذات،
والمركب الذي مر .. ووصيفة تلعب قدميها في الماء ، وتسالني عن مصر،
حالة ما يحملها مركب ذات يوم الى مصر .. أو ان تصبح فتجد أمها
حرة ملبئة بالقود .

وحافة البحت على صورتها عندما خرجت من قاعة الطحين لى
وتنزل لامها ان الدرة لا تكفى بعد الطعام !

ورحمت على صدرى كآبة غامضة ..

وكان انصبت جبلا لا يحقني فيه غير نعم بعيد من المركب الذى
يحمى من انفجعات ..

وحدة ارتفع صوب حزين بالقرب منى يتم ..

اشمعى جهام انيس وجسمانا حالوا من طين

واشمعى احمر حذاهم .. واحد شحاتين !

كان هو الشاويش عبد الله ..

وكن لصوته رنين ممتد كانه نضات قلب موجه .. وعلى اثره من
ان ابداه وطريقة نظمه كانت غريبة علينا ، فقد كان فى صوته الهادى
رجح رهيب كانما هو نصيحي كل الامم قريش وكل المخاوف من المجهول .
ولكن عبد الهادى لم يسكت ليتترك الشاويش يكمل الصاء بانعامه
المرية علينا ، بل وقف عند الهادى يصيح :

— ايوه يا شاويش عبد الله ايوه .. آى كده .. قول كمان ياسيدى
قول .. قل لنا والنسى عطشان والنيل فى بلادنا .. قول ياشيخ !
.. وحياة النسي لتقول كمان موال احضر من تنوع بالدمك ..

وقطع الشاويش عبد الله هممته ، واضنى مسحات متكررة ،
ودهمه الصحن فسكت ، وترك نظراته المعمة تضرب فى اسفل اهرى
الرجل ..

وقال علوانى وهو يقف بعيدا من النار :

— سامع يا عم الشيخ يوسف ؟ سامع يدا الشيخ يوسف المعنى ؟
ممى عرب ؟ سامع ؟ الى يدور حيث دلوقت يلاقيك مختار .. مسكين
مختار ..

فماطه الشيخ يوسف بضيق :

— ام ؟ مسكين ؟! يا احمى حاله سكية لما تحش رقتك .. مما
تسكت !

وصحى علوانى واستمر يقول بصوت مرتفع :

— معلوم .. مختار .. دهدي ! متى انت كس طش ان حصرة
الشاويش عبد الله يقى فى قلبه ريمة الما .. متى انت كس تفكر
كده ؟ لكن يا عم .. الحق هالكرياج !!

وتضحك علوانى مصغية ، وصبح الشاويش عبد الله حبه من
الحيرة ، ولم يقل شيئا .. ولكنه اطلق نساته وشعبه قطعة استنكر
بسماء امهر الشيخ يوسف محققا :

— جرى ايه يا واد يا علوساى ؟! جاتك الم ما ابردك ؟ دهدي !
ما تلاحظ السيرة العراى ..
فقال محمد ابو سليم :

— ما هو الشاويش عبد الله ما كاشى علمسه ان الدور حايصب
بصحية .. كان له حبيب علينا ! لكن دلوقت نقى .. حلاص ..
ما هو نقى من الرعدة العراى ،
وساد الصمت ..

ولم يعد يرتفع غير صوت الجمرات التى تتكاثر ، وعواى يعرس
ابرىق الشاى فى النار ..

ومن بعيد على الشاطيء الاحمر كدت ساقية تدور ، وترسل فى
الليل صريرا خافتا يفتضح بالآنين ..

وتهد الشاويش عبد الله .. وانتعت وراوه الى ناحية الساقية على
الشاطيء الآخر ..

وشعرت كان الشاويش عبد الله يطوى جسمه على سر كبير ..
وحاولت ان اسأله .. ولكنى لم استطع ..
فقد سعل محمد الهندى ليتقول كلام وكان يسكت طول الوقت ..

ولم اسمع ما قاله محمد امدى ، ولكنى سمعت احد العسكري يرد
عليه بهمس قائلا ان الليل هناك فى بلادهم واسع جدا حتى لكاه اب
لهذا النهر الضخم .. غير انهم هناك لا يعرفون السواقي ولا انقول :
فانليل يحرقى سدفا وسط الزمال والصحور فى صحراء لا حصول
فيها ولا خفرة ولا حياة ..

واتلمت الشاويش عبد الله الى العسكري الذى يتحدث مع محمد
امدى وسأله ان كان يشمر بوحشة هـ وسط هذه الحة لانها بعد
عن اهله !

ولم يجب العسكري .. ولكنه اطلق زفرة عميقة مشحونة :
— هيه !!!

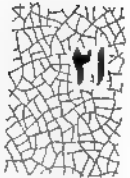
وتمت الشاويش عبد الله بكلمات حادثة لم يكذب سميها احد ..
كلتا كتبت منها صيغة الحرس لصدى من امه وأبيه ، وحمله لاهم
حاجوا به الى هـا ليدن قرية ثم يعرفها ابدا من قس ، وليس بينه وبين
اهلها عدا ..

وعرفت من تمتعته انه حين تعرف فيما بعد على الدين صرهم اول
يوم ظل ساهرا طول الليل يحرقه الدم ، حتى مد بكى بدموع العين ..

ووقفا جميعا ننظر ما يصنع الشاويش عبد الله .
 والتفت اليها الشاويش ، وطلب من زملائه العساكر ان يصحبوا
 الى دورها ، وأن يلحقوا به عند الدوار .
 وأنصرف .. مرتفع القامة ، والكرواج في يده وحطونه راسحا
 في الأرض المترنة ، ورأسه شامخة ينظر الى السماء .
 ومضيما وراءه في كبرياء ينتظر في قلق : ما يكون ؟ ..
 والتعبر يرتفع في دائرة من الأفق الشرقي ..



وهرسي كلماته التي عرمت في التسهلات .
 وألح على شعوري بأن الشاويش صد الله بملك سرا غربيا .
 وحاولت ان أسأله عن أشياء كثيرة وقبل ان أبدأ الكلام سألي هو
 ان كنت أعرف الانجليزية .. ولم يتركني لأجيب ، فقد طلب مني في
 هس ان أظنه الانجليزية .
 وسكت أنا .. وسكت هو .
 على حين كان أريق الساي يعود وعراي برمع عنه العطف ، فلما
 فتصمد منه العورات تملأ المكان الصامت تحت ظلماب الليل .
 وفجأة .. وجدنا أمامنا أحد الحفراء ينادي بانزعاج :
 - يا حفرة الشاويش هيد الله ..
 وانتمضي محمد أبو سويلم يسأله :
 - خير أيه يا واد يا عبد العاطي ؟
 فقال عبد العاطي بانزعاج :
 - الأمور جهه !
 ووقف الجميع في حيرة ، الا الشاويش عبد الله .. فمسك بهس
 متعاقلا ، وقال لعبد العاطي :
 - طب .. روح انت ،
 ووثب عبد العاطي يبحث فقاء .. وقال متعرجا :
 - دانا كان غرضي أقول لك يعني .. انه .. يعني .. طابع في
 البلد ومعه ثلاث عاكر بالخيل نازلين شرب في الحسق ! وكان ..
 يعني جاي يشتم عليك انتو .. ولما تقي شوية أولاد بيلموا قددام دكان
 الشيخ يوسف .. قال .. يعني .. القصد .. قال حاجات وحشه
 على حشرتك يا حفرة الشاويش ! .. ما بلاش يجي أحسن وانا أقول
 له انكم في بلد ثانية ! ..
 وكان عبد العاطي ما يزال يبحث فقاء .
 فبهده محمد أبو سويلم قائلا في انزعاج :
 - مانلا هرسي في عرق الهبابة ده يا وله ! .. عمال تحك في قعدا
 كيه .. حانك ألع ! ..
 واشتم الشاويش عبد الله لعبد العاطي بحما :
 - معنى الأمور كئي القنيل ! .. طب بس روح انت ،
 وانصرف عبد العاطي مضطربا .



فعدت أكثر فيما يمكن أن يحدث بين الشاويش
عبد الله والأمور الحديد .. والنيل الطويل يمتد
...!

ولكى في الصباح فمت مع الشمس ، وذهبت
إلى عاصمة الإقليم ، وهدت .

وفي القرية بدأت أسمع ما جرى في الليل بين الأمور والناويش ..
كان الناس يقولون كلاما غريبا ، ويقولون كلامهم أحيانا ، ليطلقوا
فصحاب ساخرة من الأمور وهم يتدأرون يوم دخل في مائم الصعدة
والشيخ إبراهيم يقرأ « وانظر إلى جمارك » ..

وسمعت الشيخ يوسف يقول أن ما يجري في هذه القرية ، ماجرى
أبدا وما كان .. حتى الشاويش عبد الله الرجل الطيب خرج من حده
أول يوم سقط فيه القرية ، ولقد عاد إليه هذه المرة لبعض الوقت ، ولكنه
حين قابل الأمور ركه ما يركب القرية كلها .. فقد عاد من الجسر يمر
طوله ، والأمور يسأله من على ظهر الحصان عن سبب ثيابه وهو
لا يعيبه !

وترك الأمور يشتمه وهو لا يرد .. وفي آخر الأمر تأخر خطوتين ،
ورفع الكرناج وتسع به الأمور ، وعاد يلمسه حتى شواه ! ..

ورأيت علواني يزيط وهو يتكلم بفخر عن شهامة العرب ، ويصيح
لبعض الشبان كيف أمسك الشاويش عبد الله بالأمور ورمها من ظهر
الحصان ، ومرغ به الأرض !

وسمعت عبد العاطي الجعري يقول أن الحكاية غير هذا ، وأنه وحده
يعرف الدور .. ولا أحد فيه يعرف ما هو الدور .. ولكنه لا يريد أن
يحكى !

أما الشاويش عبد الله نفسه فلم يعد يتكلم بعد ظل صامتة يسمع
ما يقوله الناس عنه وهو يتسم ، وهيتاه تنظر في الفراغ !

وعندما تكلم لأول مرة بعد صمته الهادئ الطويل ، قل أنه حزين
لأن الشيخ حسونة سافر وتركه البلد ..

ثم سكت الشاويش قليلا واستطرد يقول أنه يحاب أن يذهب هو
آخر من البلد ، ولا يراها مرة أخرى ! ..

وفي أنيل ، كان الشاويش عبد الله يجلس مع زملائه المصاكر
وبعض رجال القرية على مصطبة محمد أبو سويلم بلا كلام ، في الصبح
والحدر والمحاو .

وجاءت إشارة تليفونية من المركز تستدعي الشاويش عبد الله
وصاحبيه . وادركت القرية أنهم لن يعودوا بعد ..

وفي الصباح ، قبل أن يرتفع شعاع الشمس كان رجال الزراع
يعالون حوض الترفة ويهزون بقرسهم ومداويلهم على الأعواد المنقطة
بالطين واللدة .

بينما اجتمع على الجسر رجال من القرية يماثقون الشاويش
عبد الله ، وعلى الوجوه لمة وجزع !

وزعم علواني وهو يكي وصوله يغيص في الشبح :
« آه يا خسارتك يا شاويش عبد الله .. آه يا زين الصرب ..
يا بطل آه يا خسارة الترفة العزاة ! »

وسبح الشاويش عبد الله عيبه وركب .. ولم يقل شيئا ..
وتمتم الشيخ يوسف بصوت متهدج !

« بقي البلد ذي مالهاش نصيب دائما كله !!
ومضت الركائب بالشاويش وصحابه وهي تشير وراها دومة من
الفيار ..

واختفى صوت محمد أبو سويلم وهو يقول :

« وداد مش وداع ..
ولكنه وداع ! ..

الشاويش عبد الله لم يعد إلى القرية أبدا ..
ذهب الشاويش عبد الله وأصحابه من طريق الجسر ، وجاء إلى
حوض الترفة رجال يدحسون الزرع ويهشمون الأعواد !! ..

وبعد العمر أقبل من المركز ثلاثة جنود وصول من بوليس المديرية ،
وقالوا أنهم مقيمون في دوار الصعدة حتى يستأجروا مكانا يجعلون مسبه
نقطة بوليس !

ورنت كلمة نقطة البوليس في القرية كغربة مفرقة !
وبدا المحائز في الدور يتذكرون أيام السلطة العسكرية والحرب ..

ولذهبت امرأة هجور إلى الشيخ يوسف تسأله أن كان مصصاكر
القطعة سيأخذون الكهائم والدجاج والبيض والسمن والدقيق من القرية

ويربطن الرجال في سلاسل وحبال ويسوقهم امامهم راعيين انهم متطوعون ثم لا يعود الرجال بعد هذا الى القرية الى آخر انهم !.

ولم ينجبوا الشيخ يوسف . ولكنه نظر الى علوانى الذى كان يقف امامه وقال مضطربا ..

.. آدى آخره العماريل السوداء .. آدى آخره ماكنتاوي بالحكومة :
أصى النقطه جايه أمه ! الهى تحيلهم نقطه على عيهم ! الهى يا شيخ
ينصباوا بريح النقطه ! .. آدى آخره شهامة العرب وهماي العرب ..
رعلا قوى ملشان الشاويش عبد الله ؟ .. بتجيب عليه عسنا ما كان
بيديك قرش بعد ما عمل له الشاى ! ياله يميظوا عليك من يدري' ..
فقال علوانى بضيق :

.. خبر ايه ؟ ايه الكلام ده .. قرش ايه ؟ يمسى خدت حريتك فى
شتمه العرب دوقت ؟ انت راحر كنت بتعيط الصبح وانت بتطسرق
الشاويش عبد الله ! ولا دا كان شحك !ا ما تطلينى فى اللى انا فيه
.. يا ابا الشيخ يوسف .. بقى انا باقول لك اشترى لمجنيتى وانا
اسرح لك بهم تقوم تقول لى حرب ونقطه وعفريت اترك !ا واسقطه يبنى
حاتمىل لنا ايه أكثر من اللى احنا فيه ؟ هسه ؟ اياك انت حايض هلى
العمودية ! ..

ثم التفت علوانى الى المعجوز التى تسال وقال لها :

.. روحى يا وليه اتنى ! اسقطه حاتمىل لما ايه ؟ دا الملمس يعاب
السلطان . وايش ياخذ الريح من البلاط ؟!

وهذه المعجوز وبقي علوانى يحاول ان يضع الشسيح يوسف باس
يشترى فمما يقوم هو على رعيها ، وتطرح فيها البركة ..

كان يفكر فى عمل .. لى عمل بعد ما باع شيخ البلد حبل الطيح
الذى كان يحرسه طوال الصيف .

وقال علوانى وهو ينصرف يائسا من عبد الشيخ يوسف :

.. قلت ايه بقى ؟ يمسى اروح لمن ؟ لا ابويا محمد ابو سويلم عاوز
يشترى فم ولا عبد الهادى فايق للمسمم ولا حد حالىص .. يائس
دا ما ليش من نبي الا ودهى العلم ، فقال الشيخ يوسف معضيا :

.. انت حاتمىل فى الحديث الشريف كما .. الحديث يميل
ما من نبي الا ودهى المسم ! لكن الكلام ده مش فى السلك دى ! انت
حاتمىل واسك براس الانبياء ! مرة تقول انت من تسال الامامو على ؟
ومرة تحط واسك براس الانبياء والرسل ! .. دا ايه دا يا ناسي ؟

روح يا شيخ روح وحليلنى فى هسى .. جاك ريج لما يمسك ..

وبقى الشيخ يوسف وحده يفكر ..

انه يعرف ان النقطه هعما تدخل بلد لا ترمى لاحد وقارا الا للدين
لهم رجل فى الحكومة .

ونقطه البوليس هذه تقضى على كل امل له :

عمدات المديرية تكرت فى نفل مطه البوليس الى البلد ، ففى
طبعا لن تفكر فى تعيين عمدة ! ..

ومن الحق أن الشيخ يوسف كان قد عدل عن التفكير فى ان يكون
عمدة . ولكن حلمه بالعمودية كان يمزو رأسه فى بعض الأحيان .

على ان الشيخ يوسف لم يكن هو الرجل الوحيد الذى يحشى على
منصب العمودية من وجود نقطه بالبلد .. فشيخ البلد هو الآخر كان
يكنم أحزانه ، ويذارى .. ولكنه آخر الأمر . وقف على مصبة طريق
فى القرية ، يشكو ل محمد أنفى من وجود نقطه فى البلد .. فمسدا
يعنى شياخ هيته كاتب للعمدة ، وهو يعنى ايضا ان الحكومة قد
هدلت من تعيين عمدة ..

وتحشرج صوته وهو يقول :

.. من هسا ورايح كل واحد حايقول باللا هالمقطه ا بقى فيه حد
يستجرى ييجي يقول يا عمدة وللا يا شيخ البلد ١٩٠٠ والله رحسنا
بلاش يا ولاد ..

وفى دار محمد أبو سويلم وقفت وصيفة تحط صدرها وتقول
لامها ان نقطه البوليس جاءت للحد .. وبما يحرق من عساكر اسقطه !.
وكردت وصيفة وامها تقول فى حيرة :

.. لو كان لكى نخت كان قعد لك الشاويش عبد الله !

اما عبد الهادى فقد جلس امام داره يجر على أسنانه ، وتندب
عبياء وتحدث معه محمد أبو سويلم قليلا من الرجال الذين يهفرون
الزراعية ..

وسكت محمد أبو سويلم بعد هذا وظل عبد الهادى ساكتا ..

ولحظة بعد لحظة احدث الاصوات غميش فى الحلق ..

بينما كان عبد العاطى ينف امام الدوار فارغ القلب .. انه لا يعنى
بشيء من هذا كله .. انفسوا حاتم الهجانة ام قطه البوليس ، وسواء
مبوا فى القرية عمدة حديثا ام لم يعنوا .. هاس هذا كله لن يزيد او

— يا واد يا واد !! حلاص بقى فحترنا ! ما هي المصلحة جانه .. ر
عاد فيه عمدة ولا باب عمة ا ما جلد بقى ليه قيمة ولا سيمه ا آه
يا فخر .. طب واللاوريك ، أصل اح سد تحدف مانحشيش .
وانصرف عبد العاطى باستعفاف من امم شيخ البلد وعمد احتفى
تعاما رفق مرفقا بيوم رمى الساء صدفهم اللذات بروث الهائم :

— خير ايه يا شيخ البلد !! نعدف ايه ؟! انت بدى عيت هاورك
مطعفين جنبه رى المرحوم !!.

وحلس شيخ اسلك امام داره فى مواجهة الدوار بهر راسه تحت
شعاع العصر الهزيل الشاحب .. وهو يهتف بالشبان ..

وعندما اقبل النساء على قريته ، كانت ابواب الدور مغلقة ولا صوت
يرتفع ..

لا شيء الا الرهبة من داخل الدور ، والحدرد ، والحشوف من
الجهول !.

وطرقت ارجل الجبل ارض القرية تحمل حمولة رجال فى الطرايش
والملابس الصفراء المشدودة ، والنادق ..

كانوا اربعة من المسافرين على احصنة بيضاء يتقدمهم على حصان
اسود رجل بدين احمر الوجه ، فى بدلة عسكرية صفراء مفتوحة من
على رقبته ، وعلى وسطه حزام من الخلد منقوش سدس واصصح
للعيون !.

ومن شقوق الابواب وانوامد احد رجال القرية ينظرون ابنى انجيل
والرجال .. وبهائس الاطفال فى دهر !

— الحكومة !! الحكومة نزلت البلد بالجيل ا
وارتفعت همهمة من كل دار والعيون تزد من على وجه العصور

الاحمر ..
— يا نهار اسود .. الرجل ده شكل الاحيزار .. دى سنة مطية .

وانتهى الصول والمسافر من سيرهم الى دوار النعمدة وبرلوا من
الحبل وحلسوا فى البصرة الواسعة التى اهداها شيخ البلد لبيتهم ،
بعيدا عن مكان الحريم الى الدوار .

وحمل اليهم الطعام من داخل الدوار .. حملة عبد العاطى ، وهو
يتنعم .. ولكن الصول نظر الى التسمية المطاة بمكة من الحوص ،
وقال انه لا تأكل طعاما عند العمدة ..

فاعادها عبد العاطى بلا كلمة ، الى داخل الدوار ، وعندما حاولت

ينفص من الترابيط الاربعة اتى يملكها على الجسر ، ويرومها ذرة فى
الصيف وقولا فى الشتاء .. وهو يأخذ مرته كمعبر ويعيش بلا حزم ..
الا حبات غنمصة تطوف بعتنه من حين الى حين فيصرح وحده : « رب
يستر .. يا محي ! » ..

وهيد العاطى يريد ان تدمر له اللقمة .. ولقد يشرد احيانا فيتمنى
ان يحدث شيء ما يهر حياته فيطلق فحركات لا تتفاهل المسرارة ولا
الذكريات ولا القلق العاض .

وتطلع عبد العاطى ابنى شبالة الدوار ، وكاتب نصف وراءه ارملة
العمدة .. وهى امرأة صميرة تروجا العمدة على كسر ولم تسحب منه !.
كانت تلس اسود ، ولا تخرج الى الطريق ، ولا يدخل مسدا
رجل ..

وهى لم تر الطريق عند حملها العمدة من بيت ابيها الى بيتها
الكبير ، الا بعد ان مات زوجها العمدة ، فتعودت ان تقف فى الشباك
تتأمل الناس ، وتتكلم مع عبد العاطى ..

ورفع عبد العاطى رأسه وحاجبه ممازلا — وفى لذه صورة اولاد
النادر حين يمازلون — وفردت صوت يرتفع مصيا بجملة :

سراية يا سراية بدى اربك فمير ..
فغير من غير ماهية فلشان حاطر الجحيم

ورثت فحكة ارملة العمدة وتمايلات ، بينما وقف شيخ انبلد
يرفق محققا :

— فلشان حاطر الحميل !! حميل .. حميل مين يا اخوانى !! ايه
يا واد يا عبد العاطى ؟ حميل ايه بانك يرك عليك حمل ما تقوم ! البلد
كلها فى ايه يا اخوانى وانت فى ايه !! فعال هـا ..

وحرت ارملة العمدة من الشكالة الى الداخل .

وتقدم عبد العاطى من شيخ البلد باستحفا ، ورفع شيخ ال له
يده ليصغره ولكن عبد العاطى اسك يده يد شيخ البلد وقذفها بعيدا
وهو يقول :

— اوعى تقرب ناحيتى ! ؟ تضربنى بالآك على سدى ليه ؟ ليه
ينى !؟ ما حدث له ضرب عليه ؟ بقى ما صدقنا تحصى من العمدة تيجي
انت كمان فخرنا ؟؟ .

واهتز شيخ البلد من العيظ وهو يحس بيد عبد العاطى قوة تكاد
تهرس يده .. ووقف يصيح فى امرأة :

أن تأخذها معه المرأة التي ناولها له من داخل الدوار ، لكراها عبدالعاطي ودخل معه ، الى مكان الحرم ووضع الصبي أمام أرملة العمدة .

ووقف ولم يتحرك .

وبعد قليل ناداه شيخ البلد فلم يحب .

ونادي الصول بصوت أجش وهيب :

- يا عمير . ياواد انت يا عمير !

فاقتل عبد العاطي مريكة .

وبعض الصول بعد أن استراح قليلا ، وبهوى وراثة المسمار الأربعة تطاولوا بالقرية ومن ورائهم عبد العاطي .

كانت الطرقات حافلة لا حياة فيها كالأرض الحراب . وشجع الصول في أول الطواف بما يملك من هبة فامتلا رصا عن نفسه ، وظل يتقدم في طرقات حافلة بين أبواب مغلقة لا يرتفع من ورائها صوت . ولا شعاع !

وحطوة بعد حطوة كان قد أبع رضاه عن نفسه ، وبدأ يستثمر احساسا جديدا .

كان صامتا . ومن ورائه المسمار والحجر صامتون .

واحس في القرية الهامدة المظلمة بوحدة مغبسة ، فوضع يده في جيبه وأخرج علبة السجائر ، ووجدتها فارغة .

وسأل أب كان في القرية يقال يبيع السجائر .

وحجز عبد العاطي إلى دار الشيخ يوسف وطلب منه أن يشتبع الدكان بأبي الصول ، وأن يظهر كل ما عنده من أنواع السجائر ليختار منها الصول .

وقام الشيخ يوسف مترددا إلى وحل ففتح الدكان وأمسك طيب السجائر في ضيق وتوحي .

وعندما من الصول بالدكان . اختار علبة على عجل ، ودون أن يسأل من ثمنها أعطى للشيخ يوسف قطعة مغبسة بقرشين .

وحمل الشيخ يوسف في النعطة انصعية وسكت ، وشجع الصول سطرة طرقة ولم يعكر إلى أن يذله بالآتي .

ونظر الصول إلى العلبة وتحتجأ وأشعل سيجارة وأطلق دخانها من بين غياشيعه ، وأطلق مع الدخان من بين شعته صوت مرتفع كصوت الكش الملووف .

وعندما عاد الصول من دورته ، جلس في الدوار على كثة كبيرة،

ووقف المسمار ، حتى أدان لهم أن يجلسوا . ثم أعطى عبد العاطي قطعة نصيه بعشرة قروش وطلب منه أن يشتري حلوة طحينية ويضا وأربعة من القمح !

ولم يكن في القرية أحد يبيع أربعة القمح !

وذهب عبد العاطي يحط على باب الشيخ يوسف مرة أخرى وطلب منه حلوة طحينية ، وروى له حكاية البيبي وأربعة القمح !

بشاول الشيخ يوسف القروش العشرة من عبد المسمار وقال متشعيا :

- هو سرقني في قرشين صاغ بنية حق علبة السجائر . وأنه لاسرقه أنا في أربعة ! والله لأعمل إلى عمره ما أنعمل في البلد . . . جابيع جيش قمح ! . . . بقى ياخذ عنة سجائر بقرشين صاغ . . . وبأ عالم . . . يمكن يطاموا براني !

وغرط الشيخ يوسف قطعة من الحلوة الطحينية قسم منها بإسانته حتى استنوت حروفها ، وأعطى عبد العاطي قطعة أكلها عبد العاطي متلذذا سعيدا ، ثم مص أصابعه من أثارها . . . ولف الشيخ يوسف ما تبقى من قطعة الحلوة ودفع بها إلى عبد العاطي . . . ودخل إلى الدار ، وهاد بأربعة أرغفة يدسة من أجمع ، وأربعة أرغفة من الدرة . . . وهدة بيشات !

وانصرف عبد العاطي فقدم الحلوة والبيبي والأربعة لتصلول ، وحين رأى الصول الأربعة الجافة ثار في عبد العاطي . فأربعة الصبح مقددة ، وقال له وهو يرمي بالخيز في وجهه أنه لم يطلب ستة أرغفة من الذرة وسكت قليلا ورم شاذبه المصوغ اللامع ثم قال

- اسمع يا ولد . . . انت من بكرة . . . تشوف لي واحدة تكون نضيفة . . . واحدة تمض وتطخ . . . فاهم !

فقال عبد العاطي وهو ينظر إلى خاتم ذهبي كبير يشع قصصه الاخضر في أصبع الصول :

- والله يا حضرة لعمري ما من دناش الحاجات دى هنا . . .

أفقام الصول محققا وقام معه شيخ البلد ، وتقدم الصمول من عبد العاطي وشربه بالكعب على صدقه وهو يصرخ :

- انت واد لمش قليل الحبا . . . والله لأريك . . .

وطرب شيخ البلد وقال :

- قوى ! واد تحس عديم الرباية . . . ربيه يا حضرة الأمدى !

وعاد الصول يجلس على الكتفه وهو يسأل عبد العاطي .

– اسمع يا ولد .. انت امك اسمها ايه ؟

وحقق عبد العاطي مستكبرا وهو يقول :

– امي ؟ وايش دخل امي في شغل المعز نفى ! اشن دخل امي في
الحكومة ؟

وارتفع صوت شيخ اسد يقول :

– اسمها رهانه .. امه اسمها رهانه يا حصرة العمدى .

– معمم عبد العاطي وهو يجمن في وجه الصول وشيخ اسد .

– لا مانسأش رعدة .. رهانه دى مبي ؟! دى بين أم شيخ

السد !!

فقال الصول متوهدا :

– طيب يا ابن زهدة ولا هبانه ! انقص ! ادخل هات العشا اللى

جوا ولعالي ؟! بعد أمشأ اهرق شععى وبالك .

ودخل عبد العاطي فجعل الصيصية من حديد ، وحاولت امرأة

العملة ان تسأله عن شكل الأفندي ابدى يجس في المدرة ، ولكنه

حمل الصيصيه وهو يقول لعنه بعيد :

– ايه شكله معقرت وراكاه المفاريت كلها ! . قال واحدة نصبغة

تخدمه قال ؟! انت لافكرنا ايه يا حصرة الصول ؟! انت هاكسرها ايه

يا افندي !!

وقبل ان يعود عبد العاطي بالصيصية ، التهم الصول قطعة كبيرة من

الحلاوة الطحينية .. ولم يرفع لطمعها .. ثم التهم قطعة أخرى ..

ولف القطعة الصغيرة الناقية باشمأز، وعبد العاطي يدخل بالصيصية ..

ووضع عبد العاطي الصيصية امامه على مضدة من ابرخام مفدوشة

(انسيقار) ، وحمل الابريق والتشيط ، وصب على يد الصول .

وقبل ان يصب على يد الصاكر قال له الصول

– خذ الحلاوة اديها للقال وقول له دى حلاوة مزجة وري الزمت !!

وخذ عيشه ده والبص رحه له وهات منه العشرة صاع وقول له لوباع

حلاوة زى دى مرة لانية حاكروب بيته .

ومضى عبد العاطي يحمل ما بقى من الحلاوة وحمل الارعمسه

والبيص وهو حائر فيما يقول للشيخ يوسف .. وفي الطريق فتح ودفقة

الحلاوة وقسم قطعة أخرى .

وحفظ على باب الشيخ يوسف وهو يقول لعنه معظما من موال:

خطت عذاب قال لى الباب يا وعدى !

وعندما فتح له الشيخ يوسف اعطاه الحلاوة والبص والارعمسه .

وسمه رساله الصول .

وتناول الشيخ يوسف الأشياء من عبد العاطي مستكبرا ، وتحسن

قطعة الحلاوة قليلا في صوت خافت مرتعش :

– يا لينة غيرا ؟! بعد ما طلع انلى طمحه يرجع بي انبامى ! وهودى

حاجه من الحلاوة !! ما لهما كلها ؟ حد ادى البريره ايه الله ؟! يارد

له فيها ..

ثم مضى يلص المطة ورجال المطة وان من ابدى جابت فيه ، وهل

اسد جميعا ..

وهمس عبد العاطي وهو يصرف .

– وقال ايه .. هابر واحدة تخدمه ! مافكرنا معلنى ؟!

فقال الشيخ يوسف وهو يعلق الباب :

– نكرة يلاقى عشرة ! حاكم دى بلد ! بلد ما يعم بيها الا رب ..

واصرق عبد العاطي وهو يفرق في الصول وما يضمنه .

وسع الدوار فدخل المدرة متعطل ..

وعلى باب المدرة وجد شيخ اسد يمسك بالابريق ويصب على يد

الصول ، والصول يتمخط ويتمضمض ويصق !

ونظر عبد العاطي الى شيخ البلد شمامة .. ودخل المدرة فوضع

العروش العشرة على الكتفه ورفع الصيصية في صلب .

وعندما كان الصول يسبح قدمه بالموطة العمراء ذات الخطوط

الصفراء المتشبكة خرج عبد العاطي بالصيصية عن رأسه فسأته الصول

– قال انت ايه البقال ؟! اداك انطوس من سكان ولا برطم ؟! قال

ايه !

فقال عبد العاطي باستعجاب :

– الموس ايه مالكتة .. وهو يمسك عليك !!

وحلص الصول بدجن سيحارة .. وكانت خبشيمه تطرد الدجج

بصوت مرتفع ، وكان يشخر كذكر البط السمين .

واحد يلص في اسنائه ، ويتحشا .. وسدد قليل تمطى وتثيب

ونظر الى الكتفه وهو يقول:

– الواحد يملب نفى باحد له تصببة على الكفة دى وري ما تبي

تبحى !

ثم نادى بصوت حاد .

— وانت يا عسكري انت وهو حدوا بالكم كويس .. واحد يعرف هاذك عبي باب الدوار والباقيين يلغوا البلد ا واني يتحديك بحاجة من حاجية المركز يتكح . واثلي بسمك الكحة من بعيد يكسح حامد .. وانت يا عسكري ياثلي قدام الدوار اول ما تسمع كحة يحي جري لصحيبي! ..

وهسي لسمه .

— يمكن النيه الامور يعرف النيله .. دا لو الود وده كن حرف ابله دى وحلها !

وخروج المساكين .. وشيخ البلد .. والصول يصعب حداثه ، ثم اتقى ببدبه على الكسة .. ولعل .. وتصادف شعيرة بسرعة ..

كان راقدا بملابسه العسكرية ولكنه قدم هبة يحك جنده ويحضر الكبة ويشتم العلاحين وبيوت العلاحين ومعد ابلهين .

وحاول ان ينام مرة اخرى ، ولكنه قهر من على الكبة يحك جنده ويطلع سترته ويتشكى في جسده من الحشرات التي لسمته .

وفي الصباح رحلت مع ابي الى حاصه الاقليم لندكتور الميون .. وكنت على طول الطريق افكر في المدرسة الثانوية اتنى سادحتها بعد ايام قليلة .

وبعد ان انتهيت من زيارة طبيب الميون ، مصت بنا العربية المحطوط حتى وقعت أمام باب المديرية .. وفكرت قليلا في الحديث الذي كان يدر دور دائما بين طبيب الميون وابي ..

كان طبيب الميون عضو شيوخ سابق كرفع مع سعد . وكان يقول لابي دائما انه لا الانجليز ، ولا الملك فؤاد ، ولا حزب الشعب، ولا المدافع . ولا كل مصانع السلاح الأوروبية ، ولا كل قوى العالم تستطيع ان تخرس صوت شعب مصر أو تحكمه على الرغم منه ! ..

ستظل الأمة مصدر السلطات هي الرغم من كل شيء .. وسيظل الشعب معبرا على ان يكون صاحب الكلمة ؛ ولربما أصبحت البنادق في ان ترهب ، ولكن الرصاص لن يخرس صرخات العدل والحرية ..

ولقد تمتع القوة العاشية في ان تترع الأرض من العلاحين ، وفي ان ترحم السجون بالأحرار ، وفي ان تصنع الأزمة فلا يفكر أحد الا في القلعة .. ولكن الناس يذكرون ان الحرية هي التي توفر الطعام ، وأن الدستور هو الذي يضمن الحقوق ، وأن احتيازهم الحر لن يحكمون ، هو الذي يضمن شروطا انسانية للحياة ! ..

ركان طبيب الميون يقول ساحرا ان حزب الشعب قد وصع دستورنا وصع برلمانا .. ولكن لا أحد في مصر يعتقد ان هذا هو برلماننا ، ولا أحد في مصر يثق في كلمة يقولها نائب من حزب الشعب حتى لو كانت كلمة حق ! .. ذلك ان شعب مصر يدرك ان حزب الشعب حذرة يريد بها تفصيل الناس ليتفخ فيهم قضاء العدو ! ..

وكان دكتور الميون يقول هذا كله وهو يضع في عيني شيئا لرجا على مرود زجاجي ..

وتركي الطبيب ونظر الى ابي وهو يكلم قائلا ان المهم ليس هو ما يقوله الحاكم ، فان كلام كثير ، ويستطيع الطغية البارع ان يقول احسن كلام .. وأما المهم هو بسم من يطلق الحاكم ! لاسباب من بسم ؛ والذي يحدد هذا كله هو ان يعرف من هو الذي اختار هذا الحاكم ؛ وكيف تم الاختيار ؟ وانرجل الحامي لم الحقل والشوارع يدرك هذا اكثر مما يدركه ارباب الكعابت .. ومن اجل هذا فهو لا يثق الا في الذي يختاره للحكم بإرادته الحرة .. وهذا عدل .. لان الذين يختارهم الشعب يحكموه يقتضون دائما فيما يواجهون على الارادة الحاققة للابن الناس ، ومن هنا تتيق فيهم القوة والصلابة .. ثم انهم يحلون مصعبة الملايين التي انتفضهم هي مقياس ما يأخذون وما يعززون وما يصدرون من قوانين ! ..

ثم قال الطبيب ان الطلاب الذين يتظاهرون في مصر يدركون هذا .. وهم اقوى الناس واسل الناس في هذه الايام ! ..

كنت .. ونحن نقف بالعربة أمام باب المديرية — افكر في هذا الكلام الباهر الذي قاله طبيب الميون، وحادثت ان أحدث به مع كساب سائق العربة ولكنه قال لي فجأة ان ابي دخل الى المديرية ليسمعني في دمع نقطة البوليس من القرية . وسكنت قليلا ثم التفت الى وقال لي صوت رهيب ان وجود نقطة البوليس في البلد مصيبة كبيرة .. فالمسكين ان أقاموا ، خسرت كل البنات .

وكان وجهه الحجل الاصفر يختلج ورموش جفينة تحرق .. وكس واصعلا لي ان السائق يعاني احساسا روبا بالحجل والعدا والمهانة والصحر ..

لم تكن لي في القرية ارض ، ومع ذلك فقد كان مهتما بالزراعة ولم يكن له امرة ولا بنات وعلى الرغم من هذا فقد كنت كلماته في خسارة البساتن تقطر بالمرارة والحزينة والحق .

وأندفعت كلمته في عروقي بحراره ثم احتملها ، ووثبت أمام عيني
 هذه صورة وصيعة وتخييب هي الأخرى تحسراً .
 وصيعة .. والمساكن ؟

ولم أحتمل الفكرة .. ورايستي أسبحة والتمه وانكبرياء .. وكل
 ما شجرت به منذ لحظة ، وإن أسمع كلام طبيب الغيور ، وشجعت
 بأشياء منتهى تعف في حلتي .

واستمر السائق يقول لي أن البلد فقيرة ، والبيات والنساء لا يجدن
 المال ولا الدرّة ، ولا أحد في القرية يعرف العرش بينما المسكين
 يمشي العرش !

وسكنت قسلاً ، ثم قال لي في رهة أن المساكن يجب ألا يقيموا في
 البلد فربما اضطادهم البد واحد بعد واحد .. ربما أسعرب البد
 بواحد منهم فلم تتركه إلا ميتاً .. وعلى أية حال فيجب أن يعرف رجب
 المديرية أن الناس لا يكتبون عادة هي المسوان إلا إذا تنوا يدرون
 انتقاماً !

وسكب السائق هم كساب قسلاً ، وهو يمر رأسه وينظر إلى انصافه
 ثم هاد يقول لي أنه يعرف كل شيء .. فقد هاش في الإسكندرية وكان
 يعمل سائقاً للخطوط أيام الحرب وعرف ما يصعبه الجسود الأجانب
 فلما يهبطون مدينة كسرة فقيرة .. وهو يعرف ما يمكن أن يصنع
 مساكن يمشي العرش في قرية صميرة تشرع الأرض من أهلها .

وتبد قسلاً واستمر يقول أنه أشتمل في مائه شعبة ، فكان ساعد
 على عربات الخطوط ، ووقف جعراً في المدرسة ، وعاملاً في انصاف .
 وعاملاً في السجج ، وعندما قامت الثورة اشترك فيها وهو عامل في
 الإسكندرية .. وبعد الثورة اشترك في إضرابات العمال .. وسجن في
 أجل الإضراب وذاق الموت !

وفي السجن لقي صيلاً بمعون أشياء لم يكن يعرفها ، وسهم تعلم
 الكثير من الأسرار .. وخرج من السجن بعد بحث هن عمر ، وحل
 أن يشتغل .. فلم يجد أحداً يرضي .. لأنه سجن مرة من أجل الإضراب ،
 فعليه أن ينظر السنوات حتى يظف صحيفة السوابق ، وهو يعق هذه
 السنوات في القرية يسوق القرية الخطوط ويدخر المال ، مؤكداً أنه
 في يوم ما سيعود إلى الإسكندرية ليستأنف حياته هناك من جديد .
 وهو يعلم أن الرجل يجب أن يرتفع رأسه دائماً ويجب أن يذكر أن في
 الامكان دائماً أن يبدأ من جديد .. هكذا علمه الدين لتعلم في السجن !

وععبت للكلام عم كساب .. ووجدته مثل كلام طبيب الغيور :

يفتح العمل على كثير من الأشياء .. !

وعندما سكنت هو ، كنت لا أزال مبهوراً بانقواء الرأفة التي هي
 حياتي .

وتذكرت أن النساء في قرنتي لا يمكن القرش حمداً .. وعاد بنج
 على صورة وصيعة مندب لقيتها في أول الصيف ، وفوجئتها وأنا أعطي
 قطعة بعد خمسة ، وعونها وقدمها في الماء تحت سابعة مندبها
 أنها تسمى أن تصنع فتحد رلعه من قاعة الطهي ليقول أن كبرال الدرّة
 عندما خرجت منذ أيام باكية من قاعة الطهي ليقول أن كبرال الدرّة
 أسافية لا تكن لطيفاً .. !

مارال زين فاجع من كلماتها ، يسيل من أدنى إلى أعصبي ويهرس
 حتى الكبد !

أن السائق أدي يذفد على نيات القرية من المساكن بهم كل شيء
 جع .. بهم كل شيء من المساكن والبيات المقبريات .. فلما كما
 بهم طبيب الغيور كل شيء من الأرملة والبرلس والانتخابات وحرب
 الشعب !

أيمكن أن تقدر وصيعة جعاً ! !

وحاولت أن أقول شيئاً .. ولكن عم كساب سائق الصرية فحاجي
 بقوله وهو يشهد :

.. يا خسارة يا محمد أبو سويلم .. يا خولي عليك يا وصيفة !
 ووثب من مكانه المزعج في العربة ودخل المديرية مسرعاً دون أن
 يرى اضطرابي لكلامه الماجيء .. أيعمر عم كساب في وصيفة أيضاً ؟
 أيمكن أن تمكر فيه وصيعة ! !

أيمكن أن تصب وصيفة هذا الرجل الهادي أسجّل ذي أنوجهه
 الحجاب والشارب الرمدي الصغير ! !

أنا الثعرات البيض تدو واضحة في شاربه وشعره (نطـوـنـ)
 المتناثر من تحت طاقينه الصوف .. أنه رجل لا يتكلم ، وهو يعيش من
 صمت مع حسان العربة ، ولا أحد على الإطلاق يعرف هه شيئاً ..
 فهو لا يسهر على مصطبة محمد أبو سويلم ولا يكاد يذهب إلى ذاك
 المنحج يوسف .. ولا يكاد يكلم أحداً ..

أيمكن أن تتزوج وصيفة هذا الرجل الذي يعرف عمره من عمسر
 أبيها ، والذي أشتمل مائة شعله ، وعاش في الإسكندرية قبل أن تولد
 هي ، وحسن وهي طفلة ! !

وبرت أمامي صورة عبد الهادي ..

ولكن لماذا لا ياتر عبد الهادي بقرأ العاتية علي وصيفة ؟

وقيل ان بلغ القرية قطع محمد ابو سويلم الصمت بعبه ان الانبار
الذين يشعرون الزراعية وصلوا الى زعم محمد أمدي ، فهم الآن
يجهلون في أرض الشيخ يوسف انني يفسح محمد أمدي يده صبيها ،
ورب حفروا في أرض محمد أمدي غدا . . وفي أرض محمد ابوسويلم
عبه بعد غدا .

واقترح اني على محمد ابو سويلم ان يسجو بمحصول العلف من
الزراعية فيجمع منه ما يستطيع جمعه قبل ان يذهب الرجال .

ورحب محمد ابو سويلم بالفكرة ، وتحسب لتعبها بلا مدته ،
وطلب من عم كساب ان يفتح يحاول جميع بعض الاعار من في انعم
يساعدونه في جمع العلف .

ونزل محمد ابو سويلم وابا أعجب به كيف لم يذهب رأسه ، وبعب
الفكرة الجديدة قبل ان يعلها كما يصنع المدرسون في المدرسة ، وتما
عمدونا دائما الا نتجمل في العجبة الدائمة وفي الأمانة السلامة . . وكيف
لم يقع بنا قسم له مادام المقسوم هو ان تلتهم الزراعية قطه . وأحدث
اثير في راسي كلمات تملئها في دروس الدين والتهديب . . ككساب
نقول ان القناعة كل لا يفسد !

ولكن محمد ابو سويلم كان قد تركه العربية ، وقرر عم كساب من
مقده العالي ووقف امام وصيفة وعد إليها يده لعفر مستعدة الى
يده ، ولكنها لم تعد يدها . . واخر وجهها واركت ثم وسعت قدمها
عن العجلة ، فتحركت العرب ، واوشكت ان تسقط فأمسكها عم كساب
من خصرها بيديه ، واتزلا بسرعة . . ووجهها كاورد !

ولفحنى فيظ معهم واختلجت أجهن المنيبة بصرهم المس . . وانا
احذر في بدن وصيفة بين يدي عم كساب !

وعندما هبطت على الأرض انحت في دلال وغدرة ، وهي تبسم
.. والعمارات الشائقة ترقص في وجهها !

وعاد عم كساب يفرق الكراج في الغداء ، ويطلب من انحصار
في صوت شيط أن يسير !

وبعنا الدار ولم تكده نهظ من العسيرة حتى ذهبت انحت في
صد الهادي . . وما زالت النفحات العاصفة ثقيل على صدرى ! . .

امام دكان الشيخ يوسف وجدت صد الهادي ومحمد أمدي وعلوانى
يقفون ، والشيخ يوسف محتض الوجه . .

كان محمد أمدي يقول انهم دهبوا الرزع وطمعوا الأعداء المحصره
ملا رحمة ، والشيخ يوسف يجيبه ان هذا كله لا يجبه ولا يهجم ابدا ان
يدهبوا الرزع أو يحرقوه ، فهو ليس برعه ، وهو لا يسعيد من هذه
الأرض التي يفسح عليها محمد أمدي يده ، وهدامت الأرض مرهونه
تحت يد محمد أمدي فما شأنه هو ؟ ان كل ما يشعه حقد هو متى
ياخذ التعويض عن الأرض مادام الأرض المرهونه مازالت ملكا له . .

وكان محمد أمدي يقول له انه لا يستحق الا نصيب هذا التعويض
لان الرزع ملك لعمه أمدي ، والشيخ يوسف يفرق في محمد أمدي
قائلا انه يستحق التعويض كاملا فالأرض مازالت أرضه ، والتعويض
الذي لدعمه الحكومة من زرع الملكية حتى له وسيدفع منه ديونه لعمه
أمدي عى بيمه قديمة ! .

ولم يكن هذا الحديث كله يوجب عبد الهادي . .
كان يحرق على اسنانه ، وانعاسه تتردد قوية في اعنه ثم يقول للشيخ
يوسف :

.. خلينا نكلم بالراحة يا شيخ يوسف وما نطلمش في بعض ا انكلم
كويس مع محمد أمدي . .

واحتج علوانى على طريقة الشيخ يوسف التي تمصب الناس مصاح
فيه :

.. يعني يا واد يا هرباوى أفعل الذكوة واشترى لك لحم هشيش
تنسقط !

وابدى الشيخ حزنه من فهم ما يريد محمد أمدي منه . .
فقطع علوانى بان يقول مصرحا :

.. سيكوا من الكلام ده . . شقى بابا الشيخ يوسف . . بقى حقيقه
ربنا كده يا عم الشيخ يوسف انت ما حمشك تسبع حاجتن تعلق لأنا
الزراعية ! . . أدى الى حايره محمد أمدي . . هه انا فتنا لك أهله
بالفتش ! .

وأزاح الشيخ يوسف صماته من على مقدمة رأسه وحك منت
اشعر لم دفع العمامة ذات الشال الكبير المنسج فعمرت جمته ،
واستندت الى حاجبيه وأخذ يظر طولاً الى علوانى ويهر رأسه وأحيرا
قال له باشمزار :

.. ما أبغش لأنا الزراعية اراى ياواد يا هرباوى ؟ طب داهم انلى
ووجوا الدكان ؟ حايب . . امال افنحها ببنى على الشك ! . . على كوتر
قلل ، وبشعه ملح ، وورقة دخان على الحساب ! . . دا انار الزراعية
دفعوا الى امبارح بس قد الى دقتعه البلد كلها في شهر ! . . له اول
يوم . . يا هادي ؟ طب ذا انا كنت لسه ناقول وعسى ان تتركهوا ششاً

وهو خير لكم .. قال كنت رعلان من الزرامية . رعلان ايه ؟ حنة الأرض
الى عدى ، وحاحد بدلها طوس اذك ضيقتى ! ازل له نى ؟! وعلى
كل آهى كانت مرهوبة ، ولما الحكومة تاحدها احسن لى ألف مرة من
سيبانها كده غبرى يتمتع بها .. ادى باب .. وثانى باب الاعار بيتقبضوا
ويشتروا كل حاجة باطوس .. يمسى حايروجوا البلد كله ويمسوها
خير ! ازل من الزرامية ليه بقى ؟!

ولم يحتمل عبد الهادى هذا الكلام فزق فى انشيخ يوسف :

— كده على طول بين يوم وليلة شرت راك ؟! كدهه القرش قلب
مخك .. امال قريت فى الأرض ايه ونيت ايه ؟! يا اخى افكرت مشايخ
زمان الى قريت مهم ، كنوا يعملوا ايه مع الحكومة .. ماحدش من
جدودنا قال كل عى الى عملوه ايام حواي ؟! نسيت مهابلم فى الحدوى
والانجيل ؟ نسيت كلامهم على الالبسة ؟ نفى انت بعد الى عملته سنة
١٩ ، وبعد ما وفقت ضد حزب انشعب تيجي لخصيب تفعلك كده ؟

وقضى وجه الشيخ يوسف، وارتعشت شعثاه ونظر الى عبد الهادى
محققا ولم يقل شيئا .. ولوح علوانى بذراعه ليتكلم ، فصرخ فيسفه
الشيخ يوسف :

— هس !

ولم يمس علوانى بل زق موحيا الكلام لعبد الهادى :

— يا اخى يا عبد الهادى دى الطوس تغلب المفريت ..

فانصر الشيخ يوسف يقول لعلوانى :

— بالك تغلب ما تقوم .. اسمع يا واد انت اوى تيمى هه تدى !
فقال عبد الهادى وهو يتحرك :

— والله يا شيخ ما حد جاي لك هه تانى .. دا انت راجل غلس
وقلبك ردى ..

واندفع الشيخ يوسف يقول :

— اسمع يا عبد الهادى ! انا ساكت وناقسول لعسى يا واد اقصر
الشر .. انا باقول لك يمسى ! انا يمسى بعمل كده عملا فقله تعالى اذيع
نالى هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانهولى جميعا .. آه ..
انت مالك ومالى يا اخى .. الله ! انت شريكى ؟ جرى ايه ؟! ما كل واحد
يبقول يالا نفسى .. انت مالك انت ومال الزرامية يا اخى .. انش
حشرك فيها ؟! لا لك ارض هناك ولا حاجة .. هوه شكل للبيع يمسى ؟
ثم يعنى لما انا ما بيعش لانغار الزرامية ما هم حايشتروا من غيرى من

بلد تانيه .. ويعنى اعرس ان الزرامية منى حاجبانى .. حا اعمل ايه ؟
ايه العمل يمسى ؟ يمسى احسا الى حاتوقها .. ما ريمو الحديد من
الترعة ، واهى مشيت برقه على رقية احسن واحد ! احب جندف
قصاد الحكومة ؟ ما انشاورش عبد الله عمل شمول .. اهسو جاب
النفطة ! جاب العسكر !

ماحتد عبد الهادى قائلا :

— نفطة ايه وعسكر ايه ؟ طيب خليفهم يصمروا من اتبند كده ! غيرشى
همه يستهفوا الى زيك ! .. ما الواد عبد العاطى حكى لى على حكاية
الحلاوة الطحينية والسجائر وخبيتك مع الصول .. اسكت اسكتنى
بلاش كلام خايب .. باراجل دانت بتقول كلام يفرس ! يا نهسارك
اغبر يا شيخ يوسف الله يخبث يا شيخ ..

وتدخلت انا فى الحديث ، وقاطعت عبد الهادى قائلا ان النقطة
وحت من البلد وانها ستكون مجرد داورية ..

وتهللت الوجوه .. ومضيت انا وسط الاستفسارات احكى كل
ما اعرى من الامر ..

وقال محمد ائندى للشيخ يوسف :

— ايه رابك بقى ؟! غدرت الحكومة تحت نفطة بوليس فسين هنا ؟!
وحياة النسي يا شيخ لو قدمت النفطة لكات شانت الويل نقطسة
بخطرنا اهلا وسهلا لكن فصب هنا .. يا اخى بعدك !

وبهت الشيخ يوسف ، وترايل ، قانده محمد ائندى يقول :

— انت يا شيخ يوسف مش قلت من قيمة جمعة انك مش رايح تكلم
حد من بتوع الزرامية .. حتى كنت نارى ما فردش السلام .. ايه
الى خلاه جبيع لهم دلوقت ؟!

فقال الشيخ يوسف متزايل برود :

— دهدى ! اى قلت ! قلت ورجعت .. حيسد شريكى ! وانا ان
ما بعش ما غبرى لى بلاد تانيه رايحين بيعوا لهم ..

فقال محمد ائندى بازدراد :

— ايه الى قلت ورجعت ؟! ايه الى غيرة فى بلاد تانيه حايبيعولهم ؟!
ما بيعوا .. لكن انت ما بيعش ! تخلى الانغار يطعموا الكوة رايحين
حايين .. اقلبيه يا شيخ تقطع الزرامية واللى جلب الزرامية واللى
يسلم على تنوع الزرامية ! ..

ونظر اليه الشيخ يوسف قائلا :

— هيه ! تذكر تقول أنكلام ده قدام محمود بيه ؟ تذكر كده تطمع الزراعية وتقول كده ..

فتار محمد أمدي ولعي محمود بك ، وقال انه مستعمل لأن يصح اصبعه في عبي محمود بك هذا ..

ومضى يقول معرضا بالشيخ يوسف أن محمود بك بعد ما حصل في مسالة الزراعية ومسألة حسن الرجاء ، أصبح لا يمشي لا يوم أحد ولا يوم به أحد في البلد ، إلا من يرجو أن يكون عمدة !

وقال أنشيخ يوسف لمحمد أمدي وهو له يرتضى :

— والله ما أنا مستعنى كلامك ! مش جارد على الكلام العاقي ! مش رادد على حد من أصله ..

ثم دس يده فاخرج كتابا سميكًا أصفر وبدأ يعجب مصحفاته في فتور ويقرأ ..

وقال علواني مستكراً :

— ويقرأ قصة أبو زيد الهلالي ليه بقى ؟ .. سيبها أبو زيد ومتر والعاجات دي لنا احنا .. سيبها لعبد الهادي ! اقرأ لك مولد بقى ، ولا هدية يس ..

وشحك عبد الهادي فجأة بانطلاق .. واكمل محمد أنسدي صاهاً :

— ولا اقرأ جريدة حرب النصب ! ،

وكظم الشيخ يوسف فمظه ولم يرفع راسه عن الكتاب ،

وعندما انصرف محمد أمدي وعبد الهادي وعلواني ، رمى الكتاب في سبقي ، واخذ يعن غيرة البله ،

وعند قليل دخل الى داره بجوار دكانه ، فلبس الخلاب التكمير الذي اشتراه من احن المودية ، ولبس العانة الصفراء ذات الاكمام الطويلة ، والعمامة بشانها الحديد الأبيض الساتع .. وخرج من باب داره بفتح صدره متعدياً ، وان كان في اعماقه ليشمر بالهوان !

وعاد الى دكانه ، وصمم على أن يذهب الى محمود بك لينتق عه على السعي لتعيينه عمدة مقابل نصف الملح الذي سيأخذه من الحكومة بموجباً من ارضه المترعة للزراعية .

وعندما أصبح عمدة .. فهو قادر على أن يحرف شمسطة مع عبد الهادي ، ومحمد أمدي وحتى مع محمد أبو سويلم . وعلى أي حال فلان من تادب الولد العراوي علواني في أول يوم لتعيينه عمدة !

.. لادا لا بعيد موضوع حضرة ، وبسطة على علواني .. وعبي عبد الهادي ومحمد أمدي ان لزم الامر !

وعلم بطر أمامه في الطريق ، واستبها له ان أندرس يمشي يحشون أسطى اله ، ونكي راسه .. وظهر في دفتر الحسابات ..

انصرف محمد أمدي الى حوصي الرعة ليري ما صنع الرجال بعمله ، وكان طوان أنطريق يعكر في محمود بك هذا ،

ان محمد أمدي ظل يعتقد ان من الممكن أن يصعب هذا الرجل شيئاً لئيلك ، ودفع له من جيبه العاصي مالاً وانتظر أن يباحي اعره بانطامي الزراعية أو أخرج في رجائله ليسترد محمد أمدي ماله من أهل البلد .. ولكن محمود بك لم يصنع شيئاً . وشاع على محمد أمدي ما دفعه ولم يعد في نفسه استعداداً لأن يقول لأحد انه دفع مليماً لمحمود بك ، وداري الامر في قلبه ، ولكن فيه اجتماعه لمحمود بك ، واحد في كن مناسبة يعن هذا الاحتار ،

ولم يكن محمد أمدي يصل خارج القرية في الطريق لي حصوصي الترحه حتى كان علواني وعبد الهادي يسيران وراءه ..

واندفع هو الى حمه ،

أما عبد الهادي وعلواني فقد كان يسيران على مهل يحدثان .

وقال عبد الهادي لعلواني انه نوى بعد ان يسبح الفطن أن يشتري غنما يربها علواني وطلب منه أن يصير نفسه شريكاً في انسم نظير رعيها .

وطار علواني من الفرح وقال في امل :

— يا سلام .. أمه اواحد يلافي حته يبات عها ! يا شبح دا الواحد من هرم ما فيه كن قرب يعكر انه يشتغل في ازراعه .. سكي وانه يقيت مستصيب قوى وصعانه عيه نفس يا عبد الهادي ! سهار اسود ، ذي الخوذة تكفر صحيح يا احوالي ! .. ان ما كاشي احنا شليل نصي بقى بس يقى ايه العمل ؟ نصي الواحد بعمل رى الشيخ يوسف ! يا حمارك يا شيخ يوسف بقى ما بعد ما تقرأ دا كلسه ، وتجعش شعر عشر وأبو زيد ، تقوم تسع لآغار الزراعية ! دا كان حه ، تقطع رجل الى بسعي مهم ناحية الدكان !

وطلب عبد الهادي من علواني أن يقيم عنده وأن يساعده في جمع الفطن حتى يشتري الغنم .. ثم انسم عبد الهادي قاتلاً لعلواني

— پس اوعى يا عوامى تعمل فى الممن دى زى ما كنت بتعمل فى غم اليه .. ما انت انى قلت لى .. مجة تشط ولا حاجة نتوه .. الامر ما يخلش ..

واكمل علوانى صاحكا :

— اى اى ! ولا خلعه كده تتدارى ولا حاجة تعم اا ..

ثم سكت فجأة ، واكمل وهو جاد :

— لا .. لا يا عبد الهادى ! الكلام ده يصح مع ايه من . لكى بقى انا امص عليك ، احنا نمص فى بعض اا ..

وطأت بعض عبد الهادى ، وقال وهو ما يراى يصحك :

— يا واد دا كلام .. ان يا قولت كلام دحك اا ..

وحاولت ان اكلم عبد الهادى قبل ان يبلغ الطريق المؤدى الى حوص الثرعة لأمود انا الى دارنا ، ولكن علوانى سبغنى بوله :

— استنى يا عبد الهادى ! احاطع كده من غير مصايه ؟ لما احبب مصاية احسن الاولاد بتوع الزراعية يتحسوا بكلمة ا ولا يموا او يالسوا .. ولا يفرأوا اا حاكم انا عارب بتوع البندر دول اا ..

وذهب عوامى ، ووقف عبد الهادى ينتظره مكانا الى مصا قصيرة غليظة فى يده .. ووجدت الفرصة مناسبة للحديث مع عبد الهادى من وصيفة ، ولم اهرب كيف ابدأ لسانته بلا مدمات .. لدا لا يتسروج وصيفة ..

وقال بانطلاق :

— على ما ترجع الى المسامحة الجاية تلاقيها ممسرة الدار .. تلاقيها متورة وشاية هيل على كتفها يا جدد ا سافر انت من مطمن .. اطمن اقوى ..

وشجكتنا ولم أقل شيئا ..

ثم سالتى عبد الهادى متى اسافر فقلت له اننى مسافر بعد اربعة ايام .. فقال لى ناسف :

— يا خسارة ما لحتش اتقول لك المواويل اللي كنت هايز تسمعها منى فى اول المسامحة ا راحت المسامحة فى ملاعب العمدة وانترا الحكومة ..

ثم همهم :

— العايات كتير .. بكره الدنيا تروق .. والسكد ينزاح .. وسكت ..

وشردت فى الاجارة الى دهب ، والدراسة الى سدا بعد سدا .. وكبت اشعر بالفعالات مبهمة مديدة تصطرم فى الاعتناق منى والاسى العامنى يلا صدرى ..

واربع صوت عبد الهادى خربا مغمما يعنى :

نكره اسمع يا حساب حلى بالك من

ياللى علشيتكم سالت مداممما

واسترسل عبد الهادى يعنى الى آخر الجوار ، يسمعا كاز علوانى يتقبل بمصا طويوة وضخم على كتفيه واسند اليه فده ورأسه ، ومضى علوانى مع عبد الهادى الى حوص الثرعة ..

ونى حوص الثرعة كان محمد أبو سولم يسوق بعض الاولاد لجمع القطن ووقف مع ابنته وصيفة على رأسى حمله .. وغير بعيد منهم وقف محمد افندى ودباب ..

كان الرجال يملون بهمة ورئيسهم يراقب ، وهم يتكلمون فى الحقول اكثر مما توقت القرية .. وكانوا قد فرسوا من كسر الاعواد فى ارض محمد افندى وتقدموا الى ررع محمد أبو سولم ، ودباب يرقى ، وتكاد تشق جلبانه واحوه محمد افندى واحم لا يكاد ينطق اا ..

وبدا الرجال يدهسون ارضى محمد أبو سولم ويكسرون الاصصاود باقطنها ، والماعول فى ايديهم تخط ..

واحس محمد أبو سولم بعقله بطير وهو يرى قطنه يسوى امامه ويختلط بالتراب ..

واطلقت وصيفة صرخة مروعة مشحونة بالياس اا .. وكانت تهاب من القرية بحيلان صغائير اده من الثرعة وينظرون وسط الرجال نشحكر للكلمات البلية .. وظلمت احداهم من وصيفة ان لصبر وتغمر اا .. تانى لتشتغل وتأخذ للاثة قروش فى آخر كل نهار ، فتشترى كل ثلاثة اام كلمة من اللرة اا ..

واخذ محمد أبو سولم ينقل نظراته بين العطن الذى يسوى على التراب ، ووصيفة ، والفتيات اا ..

ان شقاه الاسود يند عزاء فى هذا العطن وحده .. وليكهم يدهسونه بلا حساب .. ولقد باع الحشنة ليشتري بشمها ذرة ، ولكنه فى حاجة ايضا الى ثمن القطن .. وهو ينتظر ان يمسك احد التواجبات فسيبعه للحصول باى ثمن .. كما تعود الخواجات فى آخر كل صف ! فالتن لم يستطع محمد أبو سولم ان يظفر من كل عمله بالى العام بلرة او قطن .. فمن اين يستطيع ان يعيش اا .. لو انه تركهم

يدعون القطن فيستترك لهم وصيفة لعمل كالأحراريات . يسمى مع الرجال الغرباء بكلمات دامية ، تفحك للإلفاظ البديهة ، ويجذبها هذا ودالك ! ومن يدري ؟! .. ربما غابت في أحد حوامل امرأة ودخل برأها رجل أو رجلان أو ثلاثة ..! بعد رأى محمد أبو سويلم بعينه عتياب يصح هذا .

عتيات كن لا يستطيعن ان يرفعن الراس امام رجل غريب .. من فرط الحياء !

وتقدم محمد أبو سويلم الى رئيس الأنعار ، يطلب منه ان يؤجل حفل القطن يوما حتى يجمع العطن .

وقال رئيس الأنعار :

— يعني نطبل لك شمن الحكومة عشاى نجمع أنت العطن بتمعت ..

ثم التمت الى الأنعار قائلا :

— افعت يا واد افعت ! هتكم شوية ..

كانوا كلهم من بلاد بعيدة متفرقة .. وقد تعود رئيس الأنعار ان يجمعهم ويسرح بهم في عمليات كثيرة .

وعاد محمد أبو سويلم يحاول ان يشرح لرئيس الأنعار ولكن الرجل ازاح طرفه وشبه المعنى الى وراء ومضى في ضيق وهو يسمح كرتيه المسترقى تحت الحجاب الواسع المشفى الورى ، ودفع وجهه الحليق النكور ، لم تجم ويصق ، ومضج ضاربه الرمادى الأستى أنسافر الضمرات وقال لمحمد أبو سويلم في حسم انه لا يستطيع ان يتأخر من واحد الحكومة تحاسبه باليوم ، وهى تستعمل الزراعية وقد ارفق موعد التسليم المحدد .

وقال محمد أبو سويلم :

— يا سيدنا لندى حرام عليك .. وهسهو يوم حاهممل ايه للحكومة ؟! ايه يعني لو متأخر الزراعية يوم .. طبع فا يوم الحكومة بسنة ؟ اشعنى حاية تندار وتجبكها في الزراعية ؟ يا لندى !! يسمى ترموا لنا شقا السنة بحالنا في التراب كنه قدام عتيبا ؟ ! يا سبة سودة يا اولاد ! .. معنى نطلع في آخر المواخر من غير درة ولا قطن .. معنى نطلع حبات عتيبا طول السنة وبعدن لا نطول لا انش ولا اسود .. الهى تسود عتشة الحكومة يا شيخ ..! هه دي كمان شبيطة الغر ؟! ما كفانة نقي ؟ رايح في .. هه الحكومة رايحة في ا عاوره اره تاني بعد اللي عملتوا لنا !!

والا ذاك صرخ فيه رئيس الأنعار :

— بس اخرس ..

وصاحت وصيفة في حجرة :

— يا خرايك يا ابا ..

وحقق رئيس الأنعار بعينيه المسحفين في وصيفه ، ومرت يدهن فوق جليابه واحد يمسح بطنه ، ويحتك مهبط كرتيه في حركة غابية ، ورفع حاجبيه ونقز بعينه لوصيفة .

ثم امسك بالشحم المدلى من تحت دقته ، وقاد لمحمد ابوسويلم :

— وزعلان ليه ؟! .. وبسى انت كنت حايح القطن بكسام يا خي ؟

يسى فطن الدائرة ؟ ما كان الحواجة حا بلهمه مك باتراب ؟ ما تخلى منك اللي دائرة تصوت دى عيجي تستعمل في الزراعة ! دى الزراعة حاة لكم مصححة يسى انتو الى بهام ..! دانا مشعل المباشر بنت من لداك ، ويوتهم انمعت !

ثم التفت الى وصيفة ويده على مهبط كرتيه وعينه قمز وقال :

— هه يا فمورة ! .. ما عيجي تستملى يا ت .. باين عليك جامدة وكويسة .. حاديا خمسة ساغ مش تلاله رى التانيين ؟ ايه رايتك ؟

وتقدم الى وصيفة وقد ورق صوته ، ومارالت يدها في حركات فاضحة نصت من فوق الحجاب وقال لها :

— ايه رايتك يا حلوة .. ايه يا غروسة ..

ودارت رأس، محمد أبو سويلم واشتعل كل حسنه واحيل ابتسه تقف كالخرايات مع رجال غرباء تفحك لمعاستهم ، وتتمايل بصفيحة ماء على رأسها ، وتدخل حفل المرة في انتظار رجل !

ولم يستحل محمد أبو سويلم أفكاره ، وأوشك ان يهوى على رأس الرجل . ولكنه قبل ان يقول كلمة سمع ضحكة فنى غلطة الصوت .. ريلم صاحب الضحكة كاتمه من على المزل ثمان وجهه ، كان هو نفس الهى الذى مضى وراء شعبان ذات يوم ، وطرده الشمس يوسف من ذكائه لانه حاول ان يقول كلاما غير طيب عن عبد الهادى .. ولكن الشيب يوسف لم يعد يطرده في هذه الأيام ، بل قدّم له صدره .

واهتز محمد أبو سويلم وهو يسمح ضحكة هذا الفتى واحتلم عبد الهادى من الحق .

ونظ الفتى ضحك وهو يقول في سخرية :

— والله وصفة مستاهل بريرة كمار اولو دخلت الذرة حائل كمان بريرة بوماني على الله ! .. بس عبد الهادى ما نترطش فيها ! ..

وقفر عبد الهادى على العور ، وقد ارتفعت العصا في يده وخبط بها رأس الفتى فوقع على الأرض ساكنا

وتحرك رئيس الأنهار في مكانه مرتكبا فدا الأنهار جميعا وقد
رفعوا المياح في أيديهم .

وايتمدت أعتيات ووقفن إلى جوار وصيعة وقالت احداهن :
« أومي حد يقرب من عبد الهادي .. دول بلاد بلد واحد يعرفوا
خلاصهم مع بعض .. خلتى عبد الهادي بأبيه .. حاه قطع لسانه
ما أبرده واد تح ! »

وكان محمد أبو سويم يعف على رأس الفتى الواقع على الأرض وفي
يده جاروف انفضته من احد أنفاس الحجر .. وتنادى علوانى بهر عساة
واذبح ذباب بالدي من ورانه محمد امدى .. ووقف الأولاد الصغار
الذين جمعهم محمد أبو سويم لجميع الفطن .. وفعوا يشترسون وفي
أيديهم الطوب .

ورقق محمد أبو سويم في أنهار الزراعية بصوت رهيب :
« إلى حانيد ايده حاكمها له .. إلى حانيد عود قطن حانيد
رقته ! »

ونظر رئيس الأنهار مروها وسط صيحات التهديد التي ارتفعت من
محمد أبو سويم ، وتناوبت من علوانى ودياب وعبد الهادي ومحمد
أعندى ، وبذل بصره إلى النساء اللواتي يشتعلن معه ويأخذن القروش
معه ، فوجد في يد كل واحد حجرأ نهيا لرميه على رأس من يتعرض
لأولاد بلدها .

وقال رئيس الأنهار متطلعا ، ويدها ترتعاب في توسل :
« الله .. الله .. بسم الله الرحمن الرحيم ! احب ايه يد رحاله !
.. انتو لامين بعض كده سوان ورحاله وحايين تحربوا انديا ! .. انتو
عاميينا محصوصي علشان تلموا علينا البلد ! لا حصول انه ؟ طلب وان
مالى ؟ واحا مالبا .. ذي زراعية الحكومة ! »
ثم انتمت إلى الأنهار قائلا :

« طلب بطلوا .. بطلوا لأولاد ! .. بطلوا حجر بنى .
وستي قبيلا وهو يسمح جهته ووجهه مشته :
« لا يلقى الحكومة تحرس الزراعية بتاعتها ياما يلقى زراعية ! »
واتحه إلى الطريق منكن الرأس حتى اصبح امام الفتيات .

ولم تخفى أيدي الفتيات ملاحجار .. كن مازن على اسمعزاز
تعدف كل طوب الأرض على رموس الرجال أممراده الذي يحمرور
الزراعية .. على رموس نفس الرجال الذين كانوا يضحكون ويحسمون
في الدرة معهن من ساعات !

وجاور الرجل العتيات واتجه إلى القرية . وترك عمال الزراعية
يرمون بمآولهم إلى الأرض ، ويتسبحون في سرور واضح .

وبدأت ترتفع يسمم الصيحات وهم يشيرون المآول الذي جلبهم من
بلاد بعيدة وطل في كل ماسة تشتط عليهم ، قائلا انه سمع !
وهجأة حين ظهرت له الميون الحمراء وقف يرتبش وزاغ .

وجلس الأنهار بعيدا على الأرض التي سووها من قبل واخذوا
ينظرون إلى الرجل الذي مسط تحت عصا عبد الهادي وهو يتحرك
محاولا أن يقوم .. ولم تقطع ضحكاته أبدا !

اما محمد أبو سويم فدخل إلى حقل الفطن ، ومن ورائه الأولاد
الذين جمعهم من القرية .. ودخل معه دياب وعلوانى ،
وعلى الطريق أمام الحقل وقف عبد الهادي يقول لوصيعة :
« أقعدى ياوصيعة انتي هنا على رأس المحيط . »

وفرش اكياس غرفة جلست عليها وصيعة ، تشتط ما يحى به الدين
بجمعوا الفطن .. ثم تقدم إلى الحقل ..

وتحرك محمد امدى قبيلا .. لم تردد لحظة ولكنه عاد إلى
القرية .

والتمت عبد الهادي إلى العتيات اللواتي يشتعلن في الزراعية قائلا :
« ياابا باننت انتي وهيه كل واحدة تربط وسطها بنسرة تيل
وتخش تجمع في معها .. »

واندمت العتيات بقطع اعواد التيل من على حافة حقل الفطن وبشرها
جاءلات من القشرة الطويلة حراما .. واخذن يوسعن الجلابب السوداء
من هلي الصدور المتهدلة المترجعة ليضمن فيها ما يجمع من الفطن .

واندفعن إلى الحقل يلتقطن من على الأعواد الخضراء كل حملها من
القطن الأبيض ويضعنه في الصدور : لصا على نص .

وصبح الأولاد نفس الشيء ..

وانطلق صوت احداهن بالفناء :

علاية .. علاية

دايت على دارنا سلم ولا انكلم

علاية

وردت الأخبار في قنصور

صلابة

فقلت وصيفة وهي تقف على رأس الحقل :

— لا مشي كده ..

وتقدمت إلى حقل القطن وارتفع صوتها حنونا صائبا بصي :

يا لولي بمرجان عالياة يوم

وانكف المكنى

هو اللي قتلنى

والشامر نفسى

على سود العيون

يا لولي بمرجان عالياة يوم

وردت الفتيات وادها بنشاط :

يا لولي بمرجان عالياة يوم

بسمنا جليل صوت عبد الهادي وهو يروح ويحيى في العمل :

— أيوه ..

وتقدم من الفتيات صالحا في مرج :

— خدي الفص ده يا بت .. اوعى توفعى حاجة عالارفس احسن

احلى وقتك شيرة ..

وقالت إحدى الفتيات بصوت وهي تنظر إلى وصيفة :

— وقتك شهد يا عبد الهادي .. مش كده يا وصيفة ؟!

واحمر وجه وصيفة ، وضحت عبد الهادي وهو يترب من وصيفة

وصاح محمد أبو سليم من بعيد :

— خسر إيه يا عبد الهادي ؟ إيه اللي فرل في وسط البات كده

وى جعش السات ماكفاية هليك شيل البات ليلة الفرح .

وضحك عبد الهادي وضحت البات والأولاد ..

وكان عبد الهادي إذا راقته هروسة في ليلة الزفاف ، ظل يتربص

الحمل أندى يسير يهودجها حول البلد وسط الزعازيد .. حتى إذا برك

الجمل أمام منزل الزوجية ليتقدم أحد اقارب العروس فيحملها إلى

أنداء كالعادة ، اقتحم عبد الهادي الزحام ، وحمل العروس وسط

صياح الطرب واغاني النساء ..

وقالت إحدى الفتيات ضاحكة وهي تعمر لوصيفة :

— والتبى يا عبد الهادي لاحلى علوانى هو اللي يحمل عروستك ؟!

وضحك وصيفة .. وردت صفحاتها البسيطة الزائفة ..

وقطع محمد أبو سليم الصفحات واستمر يرمى في حقه هاتلا
لعب الهادي :

— ماتينى يا جديج تأخد يا بت من بقية الجمعية ! واني يا بت يا وصيفة
ما تنطلى عبي رأس العيط نصبي انطلى اسي يجيب .. حبكى هسمد
الاكياس .. ايه اللي حشرك هه ؟!

وترددت الصفحات في العمل .. واحمر وجه وصيفة ، ونكس
رأسها ، والقت نظرة سريعة على عبد الهادي وهي تترد العمل بتدفع
عند الاكياس ،

وحقق قلب عبد الهادي ، واشرب امامه الدنيا لحظفة ، واحد
تعاينة لا تقارم إلى أن يفنى ، ويضحك في زحام من الناس ،
وقد علوانى مذابحا :

— أيوه ماتينى هه يا عبد الهادي هدى ! أنا جرى ..

وهربت الصفحات شاء الفتيات بسبب كآر يرتفع من بعيد هه جمال
الزائفة في يوم غريب من الهرة .

واحد الذين يجتمعون القطن يترددون من العمل إلى الاكياس من
بلف هدها وصيفة : يفسرغون ما حموا تحت أجساليب المنمحة ،
ويعددون ليتفعلوا مصوص انطلى من على أعواد في حصة وسره
وحذر ..

ولم يكد يجتمع تحت قدمي وصيفة ملء كيس من القطن .. حس
نادت أبها أن يسل لكس القطن في كيس ..

ولم يحبها أيوها ..

وترددت قليلا ، لم اضطرب صوتها وادت عبد الهادي ، وطلت
منه أن يضع هو انطلى في الكيس لأنها وحدها لا تستطيع .

وقال محمد أبو سليم في ابتسامة :

— طيب روح يا عبد الهادي انت ! هه ! .. روح حط القطن في
الكيس ! والله اللي انصح ماينجى نعي كيس !

واستدار عبد الهادي إلى وصيفة ، ومشى بين أعواد القطن ..
وامام عينيه ترقص العقول كلها والأشياء ، وفي صدره وأديه تتحاب
كل الأسماء التي احبها ..

وقيل ان يطلع عبد الهادي مكان وصيفة ترتفع من ناحية اميريه
صوب اجش :

.. انتو قاعدين تموا : قاعدين تموا وسايس اسيات تجمع العطن
بجمعه بصلوصي : واسوا قاعدين تموا :؟ قوم انت وهو افحت
انصحت لكم توبه :

وتهاسي انعمال من يعيد وهم يقومون متناهيين :
.. ياك سمعت لك انت توبه انت والي جاپوك :

كان هو رئيس الاعيان يقبل من القرية يسبح كرشه ، ويدعش وجهه
وقد مال طربوشه على جبهه ، وتطوحت فتائل ربه في حباله ،
ومن ورائه اقل الصول ، يركب حصانه ، وحمله المساكين يمشون
.. وروقت وصيفة .. وقعدت :
ويحد قليل عادت فوقعت ..

ولم يتحرك عبد الهادي من مكانه ،
وانضم حصان اصول حفل العطن ، فصرخت اعتجاب :

ودخلت وصيفة فلم تستطع ان تقول كلمة ، بينما اضطرب الاولاد
وجروا هنا وهناك .. وصاح اصول يا مصرم الا يتحركوا وسال :

.. من فيكم صاحب العبط ؟! من محمد ابو رعت ؟ !

وتقدم منه محمد ابو سويلم ، وربع رأسه متمسكا ..
وهاد اصول يسأل :

.. الله .. عين الواد ابو هباب ! ..

فقال محمد ابو سويلم لي صوت هدي حزين :

.. انا محمد ابو سويلم .. وماتشمنيش كده فدام بنتي ! .. انت
لعبا حد يشتت فدام بنتك !!

واهتز الصول على حصانه ووضع يده على مسدسه وقال :

.. انتي فاكركي رئيس الاعيان ! كلمة واحدة واخربت بالرصاص ..

واينتم محمد ابو سويلم في ثياب ، ولكن عبد الهادي صاح :

.. رصاصي ؟ يعني تاحدوا ارضنا وتصربوا بالرصاص كمان ؟ طب
وربنا كده ! وربنا الرصاص ده .

وانهمرت الكلمات من فم علواني قائلا لعبد الهادي :

.. تسلم يا عبد الهادي !

وقال دياب لعبد الهادي في اكار وحماسة :

.. ايوه يا حذع قل لهم زى ما قال الادهم :

وان عشت يا حكومة لاليسكم طرح وشيشان .

وقال علواني للصلول متحديا :

.. رصاصي ايه يا حصرة لمدني ؟ واحنا كمان ها احنا بصرب
بالرصاصي !

وتبعه دياب بانفجار وهو يسل بصره بين الصول ورئيس الاعيان :

.. مايمولوا اسلعه عارت من اليد قاعدين ليه بقى ؟ ده اني قدر

عليه رئيس الزراعة ! جاياب لنا الحكومة يخليها تصربنا بالرصاص انا
توربا الرصاص كده ؟ لا نشوف مين اني حيلب . قولي يا حكومة
كده واحنا بعول .

وبعت اصول وررع يده عن مسدسه ، وسال عرقه على اشارب
المصبوغ بانسواد فاحرج صديلا يجفف به وجهه .

والتمت محمد ابو سويلم الي عبد الهادي وعوانى ودياب وقال
بهدهود :

.. بس يا اولاد .. اسكتوا انوكم اذوف ايه العبارة ! لا نشوف
اخرتها ايه ونظر الى الصول قائلا :

.. انت هابز مي ايه يا حصرة الاعدى !

فقال له الصول :

.. انت يتحارب اوامر الحكومة وتتحدى بالقوة على املاك اميرية .

وردد دياب :

.. اميرية ؟ اميرية يعني ايه ؟ دي ارضنا احنا ؟ بقت ميري من امتي !

واستمر الصول يقول :

.. اطع من الارض دي يا اخينا وسيب الرجالة يهتوا ..! اطبع
احسن لك !

فقال محمد ابو سويلم بهزاره :

.. فطني يا لمدني ! فطني ! شقايبه ! انا يا قول لهم اسنوا النهارده

بس .. يا حادوا النهارده واحه لحد ما اجمع شوية العطن .. دي فيها
ايه !

وهرش الصول رأسه وقال :

.. تقدر تدع تامين ؟! تدفع جنبه يعني ؟!

فاصرع علواني يقول :

.. احنا قادرين بدفع ثمن كيلة ذرة لما حندفع السحام ده اللي يتقولوا
عليه !

واستدرك محمد أبو سويلم قائلا لنصول :

— ما ادعشتى حاجة ؟ تأمى ده ايه ؟ ادفع لىن ؟ حتاحدوا الأرض
وادفع لكم فلوس كمان ؟ مين ده ائى حياخد احبته !! ياك يجرى !

فقال الصول وهو مارال يهرش رأسه :

— ادفع ياراجل الجنيه .

فقال محمد أبو سويلم :

— دا مش مال ؟ يعنى ادفع ضريبة الما ؟ ياسيدى احسبوا وبلا
احسروا علينا ماندمشتى مال للحكومة دى .. والحكومة حارمة !!

ونزل الصول من على الحصان ، وتركه حصنه لآحد العساكر ..
وسار الى محمد أبو سويلم قائلا بهمس :

— ادفع جنيه ياراجل انت تسك امورك .. خليك بيه وحركه ! ..
تقدر تدفع جنيه والا لا ..

ورأى دياب حصان الصول يعمل براسه لياكل اعواد العطن ، فقال
بصكرى بضيق :

— مانعوش اللى يندبب ده كمان ! ..

وبهره العسكرية ولكنه ظل يرهق ، بينما كان محمد أبو سويلم
يقطع همس الصول ليصبح :

— يعنى هابز تاحد جنيه وتسك اشبعه !! يرطه يعنى !! لا معيش
.. اجيب منين الجنيه ده .. اجيب فلوس منين يعنى فلشان ابرطلت؟

وامتنع وجه الصول ، واصغر وصرخ فجأة :

— انت يا راجل انت مبتعشمش ؟ انت يا راجل بتقول كلام فارغ ..
اسمع انت بتتحدى على ملك الحكومة وتجرش البلد على كده ! انت

مش حارف ان الحكومة حتدفع لك تمويلى .. يعنى مالكش حق فى
العطن ده ! انت تشرقه من الحكومة ..

فوقف محمد أبو سويلم .

— انا بارسق الحكومة والا هى اللى تشرقسا !

وهوى الصول على وجه محمد أبو سويلم بكفه ..

ورنت الضربة بالى فضاء الحول ، وتربع محمد أبو سويلم على
الأرض التى ظل راسخا عليها مدى خمسين عاما ، وبوشت وصيفة.

فانفجرت صرخاتها متوالية معزجة كأنها انشقت فى أعماقها الأهوية ..
واطلقت تدمر نشلل أليد التى امتدت على أبيها .. وتستغيث بالناس

ان يندفوا انبها والقطن ..

ودمر الصول واضطرب لحظة .. وأمر العساكر ان يضربوها
وانته اليها وظهره الى محمد أبو سويلم ، وظل يشتمها ويصيحها بالعنف
محبة لم تسمعها هى من قبل ! ..

واضطربت فى صدر محمد أبو سويلم انفجالات منهية .. وبدأ
يعانى شعورا زريا بعصر قلبه ، وهو يقف عاجزا أمام رجل يضربه قدام
أسته ، ثم يشتمها ويظلمها بكلمات جارحة فاصحه ! ..

وحطت عيابه ، وبظرائه منصبة على ظهر الصول ، ورتبته
اللطيفة ..

وارتمت يده ، وتشتت كفاء حول رمة الصول انيطة المندبية
الشجر كرقبه الثور ، ولكن العساكر أحاطوا به وأمسكوا بذرعيه فى
حرف .. وجذبوه الى وراء .. واستدار الصول ، فضربه فى صدره
بخطاه العسكرية الثقيل .. وأمر العساكر ان يحسبوه هو ومن معه
من الرجال فى لفة التيلون بدوائر الصلدة حتى يسبى اعراق الزاهية من
ململم فى حفه ..

وتحرك العساكر بمحمد أبو سويلم ، وبقية الرجال ، وتركوا
العطن ملقى على الحصى ..

ومضى الصول فى ابعده على حصانه ، واندفعت وصيفة لمسك
بالصول بمدنها فى بطنها بدمه ..

وروقت وصيفة على الأرض ..

وعندما وقفت كان الصول مازال فى المقدمة والعساكر يمشون
بأبيه والرجال .. وكان الصول يمسك لآحد العساكر ان يرسل حميرا
لياحد العطن فى كيس لآه حق انكومه .

ومشيت وصيفة وراهم تظلم ، والنساء انوائى يعملن فى الزراعة
يمرشن ويدعون على الصول بالحية وقصف العمر وأنضه !

والتمت الصول الى وصيفة والنساء يشتمهن ويأمرهن بالعودة ..

وقفت عيابه على وجه محمد أبو سويلم ووجه الرجال إغراى من
وراء الشجوب اضطراب المرأة والحد ..

وارتحف .. وشد جسده وتقدم ..

وظلادته أصوات النساء ودعاء وصيفة ان تثل دباه ..

ودهمه خوف ساعت من العيب وأوشك ان يصرخ ويأمر ناطلاى
سراج الرجال .. ولكنه نظر الى أمام وتحسس شاربه المصبوع وتقدم من

ورائه صراح الساء وشحوب الرجال ، والحمد انصطم ..

وامام باب حجرة التليقون نزل من على الحصان دون كلمة ، ووضع
انرجال في النخرة ، وعندما اغلق عليهم الباب .. اذار الصول ظهره الى
ابواب صراح وصيفة يملأ نفسه محسباً بكلام محمد ابو سويم : ان
الرجل لا يحب ان يبار او يهتم امام اسمه !
وتران الصول الى اغوار نفسه وارتعد !

ولكنه سهل في شدة ، وربع فتمته ،

ولاحث امانه صورة سريمة لاسنه ، وسماور ! .. لو ان الله انعم
معه استجابة لعدة اسمه فيه وانظم معه فاوحى لتماور ان يضربه او
يشتمه امام اسنه !

واوتش من جديد .. ولكنه خبط الأرض بقدميه ، ووقف ثانيا
لعض ابوقت ثم نادى شيخ البلد وامر بالا يسمح للرجال بمصادرة
حجرة التليقون .

وقاس صوته وهو يقول انه راجع الآن الى المركز وسيعود الى
القرية في الليل .. ولن يقيم في القرية بعد ، واما سيمر عليها كل
ليلة !

وقفز الى ظهر الحصان وقرع من ورائه المساكين .. على خيولهم .

وتقدم به الحصان مكسب الرأس ،

وعندما غادر القرية ومضى به الحصان على الجسر ، كانت تدوى
في ايمانها كلمات محمد ابو سويم : انت لا تحب حبيب يشتكك هذا
بيتك .

وعادت صورة ابنته تطرب امانه ، وزحف فيه احساس مرهف
بالنصار !

وأتملات اذهاب برجع صرحاب وصيفة ، واتمض امانه كيانها اندى
ينوى في الآم ، ويشنو عليه في جرح ان تشل يده .

وكان يشكو من ضغط الدم .. وارتعب برعب هذه المرة !

وفكر في ان يعود ، فيأس باخراج محمد ابو سويم والآخرين من
حجرة التليقون .. ولكنه تركه الحصان يتقدم به الى المركز .

ومضى الحصان متهدلا مكسب الرقبة ، ومن فوه الصول يغتر
على وقع خطواته دون ان يرفع وجهه . وعندما رجع رأسه وهو يغتر
من المركز سقطت من حذيه على الأرض دمعة كبيرة .. دمعة دم ..
. انشعك من المصير !

وقف عبد العاطل امام حجرة التليقون يحيط كذا على
كف ويرعق في اشغافه من حوله :

— بقي ابوي محمد ابو سويم يحسن في اوده التلاقي .
واحدا اللي نحرسه ؟ يدهار اسر يارحاه ! .. في شيخ

المعر يحرى له كده ؟! في شيخ المعر يحرى له كده ؟! وعند الهادي
كمال ؟! يا سلام يا اولاد ! يا سلام على يدك الحكومة ! ..

ولم يتكلم أحد من الحفراء ..

كانت وجوههم داكنة ، حربية وكانوا يرسلون — في بدء — أنفاسا
ثقيلة ممعنة بالحسرة ..

وأخيرا قال رجل منهم :

— ياخي بس ياك مايجيش اشارة من المركز يطلبهم هناك !
ولاح هذا الحاضر للجميع مروعا حقاً ، فادع عبد العاطل قائلا :
— قال الله ولا فانك ياشيخ ! ..

وعاد الصمت يعم على الجميع ، والعيون ملقاة على الباب الحشبي
التقديم النثى الذي حشر وراه محمد ابو سويم وعند الهادي وداب
وعلواني ومعهم عامل التليقون ..
وصاح علواني من الداخل :

— أه يا حكومة ! .. من يوم ماثلثي البلد وانا قلبي يبط .. لكن
برضه كل شدة وتزول .. دا ابو زيد انجس يا حكومة ولي الآخر طاح
في اللي حسموه .

ورنت من وراء الباب الحشبي فسحكة عبد الهادي ودباب ..

ولم يسمع أحد صوت محمد ابو سويم ..
وارتفع صوت عبد الهادي يقول لعامل التليقون :

— وانت حاس نفسك معانا ليه .. ياخسدي اطلع انت وان حث
اشارة من ها ولا هنا حاخدها لك آنا ..

وعندما كان عبد الهادي يتكلم من وراء الباب ، كان عبد الصاهر
الواقف في الحراسة يقول لزملائه الحفراء :

— دا الصول من حدره عاورني احبيب له ها القطب اللي انجم
من شيط ابويا محمد .. قال دا قطن الحكومة ؟! عاوز نحطه في بطنه
ياهم ! انلني يا حكومة انلني ! ..

وتحرك عبد العاطي متخفلاً الى جعل محمد ابو سويلم ..
ومر الحفل وجد رجال الزراعة يهرون بسرعة عجيبة على امواد
القطن .. واخيلج وهو يرى القطن الابيض يسقط على الأرض ، وهمهم
لعمسه :

— ما عيش رحمة ! يا سلام ! ..

وصمدا طلع كيس القطن وجد محمد امدى يجلس وراءه .. وحيدا
وراسه بين يديه ..

وربط عبد العاطي الكيس امدى لم يكده يمتلئ ، وبدأ يحاول ان
يحمله على ظهره قائلا لحمد امدى ان الصول يريد ان ياخذ القطن
للحكومة .

وقال له محمد امدى :

— ارمي الكيس في دارنا .. انا حاشتره وادفع ملوسه لدار ابو
محمد . يا راحل ذا ماعدهشي رحمة اندرة .. وابقى قون للصول
انك على ما طمعت الميط ما القيتشي القطن ..

ورمي عبد العاطي الكيس ، واطلق انغاسا تعمل التصير عن الراحة.
واقترح على محمد امدى ان يجمع هو الا ان ما يستطيع من القطن
قبل ان تذهب اقدام عمال الزراعة ..

وقبل ان يجيبه محمد امدى كان عبد العاطي ينتقل الفصوص
ويضمها في صدره بعد ان ربط خصره بحبل من التيل وجده الى حوار
الكيس ..

ونادى على الفتيات اللواتي يعمن في الزراعة ، فأتفن عليه
يساعدنه في حماس كبير ، تاركات عملن في الزراعة .

وزرع رئيس الامار فيه فقال محمد امدى نمر وهدوء :
— سبهم ! .. ذا حفرة الصول الى حازر كده .. حازر يحيى للاقى

القطن في الدوار !

وحملق رئيس الامار قللا لم تمت :

— طيب يا سيدي .. يمي ادفع الاخرة للناس ويشعلوا في جمع
القطن ! طيب يا سيدي .. ما دام حفرة الصول حازر كده ! .. امره !

واستطاع عبد العاطي والفتيات ان يملأوا الكيس .. واخذ عبد
العاطي يذك الكيس بقدميه والنات مسكات باطراف الكيس .

وعندما انتهى من ذك الكيس ربطه قائلا بمرور :

— بقى تنظار هه بوه ! .. بالا يايت امدى على شهرى اسندى

ورفع الكيس بمساعدة الفتيات ومحمد امدى .. وسار بمقوس

اظهر حتى بلغ دار محمد امدى فوضعه على المصطبة في مدخل الدار
صالحا لفسه :

— والله عصارم عيك يا محمد امدى .. والله مرجسة يا جدد ! اى
كده !

وصلى عبد العاطي الى ادوار مروى لبحراء وللمحوسين مكار
من امر القطن .

وقال محمد ابو سويلم بصوت حمض :

— لك الشكر يا محمد امدى ..

اما محمد امدى ، فمد يده من الحس مكس الرأس مشغلا بالانكل
.. كان يربى في ذهنه كلمات ينكسها في تعراف الى الباب الضام
يشكو فيه من القرض على رجال من القرية وحسبهم بلا سبب .

ولم يفكر في ان يسأ الى محمود بك هذه المرة .. ولاحت له صورة
محمود بك كربة كالسول ، وكالذين امرؤا بان تشق الزراعة في وسط
الأرض وتنتزع العقول وتسحق اعوادها الحضره ! ..

وقرر ان يرسل صورة من التلغراف الى الصحف التي تهجم
الحكومة .. والى كل الكتف الذين تطاردهم الحكومة .. وفكر في ان
يرسل صورة أخرى لوزير الحقائقية ، وصورة رابعة لرئيس محكمة
الاستئناف .. ولتقب المحامين ! ..

ولكنه تذكر ان الحكومة افنت نقابة المحامين .. هكذا قرأ في احدى
انصحف منذ عام ! ..

وحين استقرت في ذهنه كلمات الرقبة .. اسرع في مشيه ، ولم
يفكر قسما يمكن ان يعذب له .. وفي ذهنه ان يضع عليها توقيع اهل
السلط ..

ووصل داره ، واندفع الى امه ، فطلب منها ان تذيب اذرة واربخز
« طرخة » من طحين القمح ، وان تحضر الصينية ، وترسله الى الرجال
المحوسين في الدوار .

وكانت امه — كساة كثيرات في القرية — تنسى ، وتقطع بكاءه
احيانا لتعزى راسها وترفع يدها الى السماء وتدعو لاسما داره
والرجال ! ..

وصعد محمد امدى الى حجرته فوق المسطوح .. ودرل صرعه
تجنس حبه ، بعد ان لس الحذاء والطربوش والبطاب السدي
الكشمير ..

وأنذرع إلى بيت محمد أبو سويلم .. وقالت: في الطريق متعبه
فحاولت أن تهدر معه ، ولكنه اصغر فيها يلسها ويلعن الدين خلفوها ..
واجهر وجه البتة واصطربت وقالت لفسها :
— ماله كده ياه .. ها أنا عري مشاعته عظيم قوى كده .. عمره
مأكال كده ! ..

وامام داب محمد أبو سويلم وقف محمد افسى سقل نظره بين نساء
داكيات يحلسن من حول روضة الرجل ..

كانت كل واحدة مهن تروى الاعلام الجميلة التي وأنها في أول الصيف
.. وكانت احدثهن تقسم انها عندما رأت الصول ورجانه يدخلون البلد
على ظهور الخيل ، فأكدت انه مادامت الحكومة دجبت افسى فواقعة البلد
زرقاء .. ولم يسمع محمد افسى صوت وصيفة .. ولم تستطع ان
تتبع وجهها بين النساء .. واضطرب محمد افسى ، وشعر بدموعه
تكاثر تحفه .. وعادت الكلمات التي اعد لها للرقية لتسبب في ذهنه ،
وانعت من اعمقه كلمات جديدة ملتهبة وانهدت في افكره مكان الكلمات
القديمة ، وتكر في ان توقع هو نفسه الرقية ولبحر مايجرى ! واخيرا
لاحتله وصيفة .. خرجت من قاعة في داخل الدار ومشبب الى امها ..
ورأها لا تكاد تستطيع ان تثبت خطبوتها .. وكانت تتحسس بدنها ،
وتتوهم .. وكان خدعها متورما ، وعينها مقروحتين وفي احفانها
ذبول ، والصفرة الشاحبة تضر وجهها كله ،

وناداه محمد افسى فشتت اليه بانكسار ، ولم تكن تستطيع
ان ترفع عينها ..
ووقفت على الباب معه بلا صلاة ، صفراء كأنها عروقتها توقعت من
النضات ..

وسأله عما يريد بصوت مبجرح

وكان محمد افسى هو نفسه كسيرا ، متعب القلب ، تحمل سرات
صوته تهدها حزينا كالشبح ..
وقال لها انه اشترى القطن الذي جمع من حقن ايها ، وهو يريد ان
يعطيها ثمة ..

وفتحت وصيفة عينيها لحظة .. ثم تكست رأسها قائلة :
— لا اشاور امي .. بعدن يا محمد افسى لما اشاور امي ..
والا لا ..

ثم غاض صوتها وسط الدموع .. وتوقعت قللا لم استمرت بقول
وهو انه بعد صولها زنين الباديات :
— والا لما أقول لاوبيا ..

وانهارت في البكاء ..

واستدار محمد افسى .. ومشي ، وصدره يعلو ويهبط ، والدم
يعلو في عروقه ..
وركب الجحشة وركض بها الى المركز ليرسل البرقية ..

وحاولت انا ان اتحدث الى وصيفة ، ولكني لم استطع .
دخلت دابرها مقتنعة الزحام الحزين من النساء العالسات على
الأرض : الرووس في الأبدى ، والجلاليب السوداء تغمر المكان ، وجذبت
وصيفة بينهن ترفد على رجل احدثهن ..

وملأني النظر بالرهبة .. ولم أجد كلاما أقوله ، وعدت من فوري
الى داري .. أمه للسفر .. فقد كان على ان أرحل بعد يوم واحد الى
المدرسة الثانوية في القاهرة ..

وحاولت ان اكلم انسانا من وصيفة ..

ولم أجد غير عم كساب .. سائق العربى الحظوظ ..
ولكن عم كساب ، لم يرد ان يتكلم .. كان يدخن السجاعة من
السجاعة ، ويشهد ، ويهر رأسه ..

وهكذا تكلم آخر الأمر قال لي ان محمد أبو سويلم مهما يحصل
له فهو يقدر على ان يبتدىء من جديد ..

ولم يكن هذا هو ما أريده من عم كساب ..

غير ان عم كساب لم يقل لي غير هذا ، ثم قام يصيح ظهر الحصان
وأخذه الى البهر ..

ودخلت الى أمي فوجدتها تحتن السلال .. وتفتار مها مسبله
كبيرة تضغط فيها ما أحمل الى القاهرة من زاد ، وملابس ..

ولم أقل شيئا وخرجت الى الطريق ..

ووجدت نفسي اندفع الى دكان الشيخ يوسف ..

كان يحلس في داخل الدكان ومعه الشيخ الشناوى يقرأ من مباحثه
الحكمة التي سيلقيها الشيخ الشناوى بعد يومين .. كانا يقرأان من
كتاب اصغر قديم تعود الشيخ الشناوى ان يقرأه معه خطب الجمع ..

وكان الشيخ يوسف يلس العامة ذات الشلال البضف الاسمر
والجلاب الكشمير والعائلة الصغراء .. وكل ما اشتراه ليكون مده ..

وكن يعب امام الدكان شاب حامى العديم ينظر ابعدهم مهورا ..

ورأيت الشيخ يوسف يرفع رأسه من الكتاب ويقول في سروري:
 - أبوه يا شيخ شنوي .. أبوه ياسيدنا .. أبقى لزمك شوية وانت
 بتخطب لي الحصة دي .. أطعوا الله والرسول وأول الأمر منكم ..
 يعني المصدة .. هه .. يعني اللي مايطاوعنيش وأنا هصدته يعني كافر
 وابن كافر كمان !

ثم استطرد في وهو رغبة !
 - أنا راجع من عند اليه محمود دلوقت .. وهوو معلش
 بالصمودية خالص ،

وانخفض صوته وهو يقول !
 - وحياتك انت ذا لاهب له اسهارة العين جيبه كده هاصبح ..
 وقال الشيخ الشناوي طبية !

- ياسيدي ربنا ينجح مقاصدك بحق جاء المصطفى عليه الصلاة

والسلام .. العالمة للبي ولأهل البيت .. العالمة ا .
 وفرا الشاب الزائف على الدكان العالمة معهما .. وعندما انتهوا

من قراءة العالمة واكفهم مفتوحة ، مسحوا وجوههم بكفوفهم ..
 والتفت الشيخ يوسف الى الشيخ الشناوي قائلاً :

- حاكم دي مشي بلد ياسيدنا .. دي بلد هاوره الرباية .. ان ما
 كنت ادبياتك تمام .. شوف ياخي محمد امدي ييميل ايه .. يخلى
 الراجل في الحبس ويلعب بعقل البنت ويدبها فترشين .. قال ايه ..
 قال اشترى الشوية القطن اللي لوصول حجرعلهم .. للمصيبة ان اصول
 خادهم .. وأنا شايفه يعني دي .. انت جات شاورتنى من قبسه
 شوية قمت لها اوعى لنفسك .. احسن لها تروح تشتغل في الزراعة
 بدل محمد امدي ماياكل بمقلها خلاوة .. ماهي بلد خيس !

وقل ان يفرج تغليب الشيخ الشناوي من أية كلمة ، تدخسل
 الشاب الذي كان يقف امام الدكان حامي القدمين .. فقال :

- كلام ايه ده يا شيخ يوسف ! يا جدد دا شارى القطن حق وحقيق
 بتي كل حاجة تلوعرهما كده ؟! بقي وصيفة حيتلعب على عقلها ؟! وعنده
 امدي سلاص بقى انهبل يمشي ؟ ياراجل اختشى ! .. ياراجل حط في
 عيبك حصوة ملح .. يا جدد اتحرر كده وماقلش العمل الحبو تحليه
 عمل سسو .. هيب هليك ! .. بقي انت شعت القطن بعيسك رايح
 للصول ؟! والله انك كذاب في اصل وشك .. من كتر الكذب القطن
 ماوماش من على دكانتك من اصله ! أنا شايفه يعني دي التي تتسلع
 داخل دار محمد امدي ! ياخر اسود ياخواني علي ذا كذب ! ..

وانحمر الشح يوسف في الشاب ..

- كذب .. احمرس مطع لسانك انت واللى معك .. فور ياراد
 من قدامي ، يالك تدع عيبك ؟! هو انت يامعوض مدور تمهراني ..
 دا كلام تقوله لي ؟! دا كلام تقوله لواحد مقامه عالي زيي .. جاتكو
 اللي في ملاينكو .. بند حلايف .. هو ياراد يامعوض علشان
 عبد الهادي ماضع لك جاموستك من السر تقوم تمشي وراءه ؟! والله
 لارسكي بالذ ..

وقل معوض وهو ينصرف !
 - انا ماضي وراء عبد الهادي .. عبد الهادي ما اتحسن وانت عمال
 تحري عالمدية ! والله يا شيخ مايحشعك غير عصابتين من عبد الهادي !
 وصي الشاب ..

وبقى الشيخ يوسف يهتز من الضيق .. وأخذ الشيخ الشناوي
 يقول :

- الاكاددة الواد ده عيبه كذب ؟! بقي هوه شاف القطن داخل دار
 محمد امدي .. اذا كنت انت شايفه رايح للصول ..

ولم يمتلئ الشيخ يوسف .. واحسن برغبة في الا يتحدث مرة اخرى
 في موضوع القطن .. فهو في الحق لم ير القطن يحمل الى الصبول
 وهو يعرف انه كان يكذب منذ لحظة ، وان الشيخ الشناوي يكذب الآن
 لبهامه ..

وعاد الشيخ الشناوي يقرأ خطبة الجمعة بصوت مرتفع .. ويردع
 عينيه في الكتاب أحياناً ليشال الشيخ يوسف تفسر جملة من العمل
 المدينة التي ظل يقرأها سنوات .. ويسمع لما يقوله الشيخ يوسف
 بصعاب ..

وتركت أبا الدكان .. وعدت الى داري ، اختلط في هرج الاستعاضاد
 للسعر ..

وانصرف النساء من صد ام وصيفة وهمست وصيفة لامها بارمحمد
 امدي يرغم انه اشترى القطن ويريد ان يدفع لها الثمن ، ولكن الشيخ
 يوسف اكدها ان هذا لم يحصل وهو يصعبها الا تاخذ مليها واحداً
 من محمد امدي ..

وشردت امها قليلاً قبل ان تقول لها !
 - له حق ابوكي الشيخ يوسف .. الناس تقول ايه ؟! تاخذ فلوس
 من محمد امدي له ..؟

قاستطردت وصفة تقول لامها ان الشيخ يوسف نصحها ان
 تشتغل في الزراعة ، وهو مستعد للكلام مع رئيس الاعمار ..

ولم تردد أنها في أن تقول لها :

— قومي روحي له ينملك .. البره الى اشتريها من الرونة
مشي راح يقضي كمان حمرتين .. بس ياك يدركي آخره حلوه ...

ثم دمعت عيناها وهي تقول :

— آه ياما تشحططا من بعدك يا محمد ...

وداهبت وصيحه الى الشيخ يوسف تسأله ان كس يجب ان نشتمل
في الرقاية !:

كانت تشمر في اصمقها بالهزيمة وتود الا تذهب لتتعب مع الرجال
العرباء الذين يقولون اي كلمة بلا مخرج .. وبعد فكر في ان تذهب
مع امها للاقامة مع اختها في عاصمة الاقليم ، ولكنها لم تقم على ان تترك
القرية وابوها محبوس في ادوار ...

وقال لها الشيخ الشناوي متطوها انها يجب ان تعمل في الرقاية
ولكن عليها الا تتكلم مع الرجال الغريبه ..

وتحمس الشيخ يوسف قديلا ان الرجال اعسرده ل ياكلوها ..
ووعدها ان يكلم رئيس الانصار بعد العصر لتستلم منها من الصباج
والعمل هناك بسيط وهو يفتيها من عد اليد لمحمد الفدي ، ومن سؤال
اللاثم !:

ووقفت وصيفة تنظر في التراب ، وتختلبل نفسها بحمل الماء لرحال
الذين يستحقون زرع ابها !:

وجاشت نفس وصيفة ، ولم تستطع ان ترفع رأسها ، ولكن الشيخ
الشناوي ظل يكلها ويدعو لها بالركة .. ولم يتوقف الشيخ يوسف
من اصمقها عينا ان تعمل لتتعاظ على سمعتها اني يهدده احد المسال
من محمد الفدي ..

وعندما رفعت وصيفة رأسها ، وادارت عينيها للمرورتين في وجه
الشيخ يوسف .. رأت وجهه قد اصغر فجة ..

وسمعت من ورائها صوتا قاصفا يقول :

— ايه الكلام دا اللي بتقول عليه باشيخ يوسف ... ايه الكلام ده
الى قلته لموش ..

والنعتت وصيفة وراها لتجد محمد الفدي طير الشر من عصبه
كان يعب امام دكان الشيخ يوسف لأول مرة منذ وقت طويل ..
ويتحدث بانفعال دون ان يلقي السلام ..

وكان محمد الفدي قد تعود ان يمر على الدكان دون ان يرمي السلام

وهو يقول لنفسه ان الشيخ يوسف اصبح لاسنهل من الواحد ان يرمي
عليه السلام !:

ولم يهبط الشيخ يوسف ..

وقال محمد الفدي مرة اخرى :

— ماتطق ...

كان محمد الفدي قد ذهب الى المركز فارسل الرقيات وعاد على
انعود دون ان يصبح دقيقة ، وهو بعد ان كتب برقية الاحتجاج ، يعود
يشعر بأنه قوى .. قوى الى حد انه يستطيع ان يواحه كل من في
الديرية بكلام قارس شديد ..

ولدخل الشيخ الشناوي متمعيا :

— خبر ايه يا محمد الفدي .. انت مالك جاي كده دري شر ...
حاترمي السلام ياخي !:

ولكن محمد الفدي لم ينعت اليه ، وظلت عينا ترمي الشر في
وجه الشيخ يوسف ..

وانسحبت وصيفة مضطربة ..

وانبهر محمد الفدي في الشيخ يوسف :

— انت ياراحل انت مش حابطل اللث تشمت ده ؟! في الراجل
مرومي في الحصى واحنا هيزين نشوف مصالحه نعوام تروح تقول لبت
الكلام ده ؟! اهي امها مش واخيه تاشوف ضمن القطن ؟! يعني يعملوا ايه؟
ياكلوا مئين ؟! آه ياراجل ياغبناني ...

وقال الشيخ يوسف مرتجعا :

— اسمع بقى لما اقول لك .. سيك من الكلام ده ! انتو شيايين
مسي كلو ليه .. يعني يامشي وراكو ياكسوا عليه تشرططوي .. الله ..
ياخي كل واحد يقول يالا انفسى .. خالك الشيخ حسونة ما راح
يعمي في الركي لحد ما حطلى الرقاية تعود بيده سنكو .. هيه حبت
من ارضكو الا حنة ريق لا هنا ولا هناك ، انا حارف انتو متخافين من
حربي ورا العمودية .. يعني اسميها لكو ؟! والله ماني سابها ؟! اسمعي
انتو بنهروا ورا مصلحتكو ؟! دهدي !:

وعاد محمد الفدي يزعق وهو ينظر باشمزاز الى الشيخ يوسف :

— كلام انه دا ياراجل انت ؟! انت تفهم بتقول ايه ؟! مصليحتنا
ايه ياراحل انت يا صلاي يا عديم المودة يا قليل الطهي !: انت اللي
عمرك ما فكتك الا في روحك .. اسمع اما اقول لك .. التحيط الماقي
تناكك ده لازم تطلع احسن واك واك العظيم ثلاثة وعرة الله ناسه

.. قسما بإبدان العلية مانعدي لك من ها وحاي غير اللمة .. هه!
والله والله أندعت البعثة !

ووجم الشيخ يوسف .. وفتح فمه وحميتب عيبه .. كأنه قدر
ان محمد أمدى يمكن ان يحمله يضخ اللمة بالفعل .
ولو مسح عليه محمد أمدى المداى فلن يستطيع ان يعول شيئا
لان البلد كلها أصبحت قده !

وأنذرع محمد أمدى بعيدا عن اذكار الى الطريق .. فوجد
عبد العاطى يقف بعيدا ومعه الصبيبة بالطعام .. الصبيبة التى حملها
من دار محمد أمدى للرجال فى الحبس !
وصاح عبد العاطى بطرب !

— والله عمارم يا محمد أمدى ! أى كده .. يكون فى علمك ياشيخ
يوسف .. من ها ورايح ماصدش غير النعمه بدوبها على دماغ ائى
مابعدش ! بدقهله !

ووقف الشيخ يوسف يتمتم وهو يرتعش ..

— طيب .. بكده كله يحاض يايد ! .. بس تيجي العمودية وانتو
تشوفوا صحيح يعنى ايه ضرب البليغ .. يعنى ايه بدغ البيع !

سيما تابع عبد العاطى سيره بالصبيبة .. وفتح فمه اتليقون
ووضع الصبيبة على الأرض ، وربع التكية الخوص ، لتصاعدت رائحة
الأوز المحمر ، وأرسلت أرغفة التبع ذخاها ..

وأنصع علوانى على الأرض ، وحلس بحوار الصبيبة وهو يرتعق
فرحا :

— عيش سخن وطن .. يا ودا !

يدوم الحماس يا جدهان !

ثم لكر ذباب واستمر يصيح :

— كل بأوله عيش قمح كل .. الواحد مايدقوشى حتى لو مات من
العيا .. اشتغل فى الطفر ياسيدى اشتغل ! .. بالله ياشيخ بقعد ها
كمان شهرين تلاته .. اشمط ألوز اشمط .. كل وانسط باخدع ..
كل وانطلى يادكر !

وشحط الجميع ، وقال عبد الهادى :

— بس نطلع احنا واشترى لك اللحم وانت تشمع عيش طرى ياشيخ
العسر !

وحكى لهم عبد العاطى مادار بين محمد أمدى والشيخ يوسف ،
فضحك محمد أبو سليم ، ونظر ذباب الى الجميع برهو قائلا !
— شايقين الشهامة !

معان عبد الهادى باعجاب :

— والله شهامة صحيح .. أهو كده يا محمد أمدى .

واستمر عبد العاطى يصف لهم مظهر الشيخ يوسف عندما هدهده
محمد أمدى بضرب النع .. كان الشيخ يوسف إذ ذاك يلبس القمصة
الصفراء ذات الأكمام أطويلة ، والجسب الكنيسير أوسع ، والمصمصة
المحددة ذات الشن الشيف .

وصاح علوانى ، وهو يضخ فى فمه لكمة كبيرة ملعونه من رعيق
الحمص !

— هو الشيخ يوسف بمى لابس القمصة كده على كتوف وعرضه ليه !
.. معرضها ليه بقى .. نخرشه ايه .. نخرشك ايه ياشيخ يوسف .
نخرشت تبنى عمدة ! يعنى نخرشت تقضى .. طيب روح ماتش قاض!

وضحك عبد العاطى طويلا وضحك الرجال ..

وبال علوانى على عبد العاطى هامسا :

— الورده عاوز شاي .. شوف لك تسريفة بمى فى الشاي !

وقام عبد العاطى .. ووقف يفكر قليلا ، ثم حك رأسه ، وأجده الى
الدوار ..

ووجد أرملة العمدة .. وحين رأت عبد العاطى نادته باسمه ..

كانت تلبس قميصا أسود قصير الأكمام مفتوح الصدر .. وغرس
عبد العاطى نظراته على ذراهما السمين الأبيض ، ونحرهما المكتنوف
وسدرهما الرخاح .

وطلب منها ان تأذن له فى عمل الشاي للرجال ، فوجت وسبسه
أرسيرواها الى حجرتها لتعطيه السكر والشاي .. والتفت عباها ،
واضطرب عبد العاطى ..

وبدا عبد العاطى يحدتها من علاقة الرجال بالشيخ يوسف ، وأصرارهم
على الا يشتروا منه ، وروى لها ماحدث بين محمد أمدى والشيخ
يوسف ، ورئت فسهكتها ، وثنت .. ودخلت حجرتها وأذاب
عبد العاطى .

وتخرج شيخ البلد الذى كان يحلس امام باب الدوار .. وبدا
عبد العاطى وحل بباده ، ثم قرع باب الدوار بعصاه وهو ينسأدى
عبد العاطى محفيا .. وعاد عبد العاطى يسأله عما يريد فى شيق وأصبح
فاتقص عليه شيخ البلد يشتمه قائلا :

— إيه اللي مدحك ها .. أوعى تانى مرة تحشى ها من غير أمرى .. حتى لو بددوا عليك من جوه .. أما برود .. كنت تقدر إياهم ارحوم المدة تهوب ناحية جوه ؟ جاتك الم ما ابودك !.. ان ها رى العدة تمام .. يمشى انعمدة تمام .. وعصم عبيد يعطى وهو يصرف فقال شيخ البلد :

— أوعى تبوا فيه .. انجر .. ماتحشى كده !.. انتو هاترين لى مالكوش عبدة ؟! هيه بلد من غير عبدة ؟! مال إياها يابيل إيه ؟! وأسمع عبد العائل وهو يقول :

— عبدة عبدة .. دا عامل عبدة ودا عامل عبدة .. جاتكو الم فى العمودية يتأتملك !

ونصت العربيه بهذا مضيا من ابني والإنتظار .. وصلنا أحمرت الدواب الصفراء من حقون الدرة تحت شمس الأصيل ، هبط على أعضاء صواب يستشعر ينثر الساموس فى قرىتى ، وخبطوا دقيقة تخطا على الوجوه ولا تراها العينين .

وكان أبى اذ ذاك فى حامصة الاقليم .. وأخذت انتظر هودته بالبدلة ، والقرية تنتظر هودته بالآباء .. ياترى متى يخرج الرجال ؟

وغابت الشمس وراء أشجار التوت على الشاطئ العربى ، ورايت الشيخ يوسف مقبلا من ناحية هربة محمود بك ، وكمه الواسع مشعر من العائلة الصفراء التى بدأت تتسخ .. واندلع الى داره وطلب من امرائه ان تمسك العائلة وشال العمالة ، قاتلا لها ان محمود بك وعدة خيرا ، وانتخابات العمودية لهذا فى الصباح ، بالمديرية .

وعدت الى دارى ، أرسل عيني الى الحصر ، وأذناي تحاولان التقاط صوت العربة الحظوظ ..

كانت البهائم كلها قد عادت من الزرائب على الحصر ، والطريق فارغ لاشي فيه .. حتى مالتيه البهائم من روث كانت النساء قد فرغن من جمعه ووضعه فى القاطن على رءوسهن ، ومضين الى الدور

وأخيرا أقلت العربة الحظوظ ، ورايت عم كساب يجلس على مقعده فى العتمة ، مرتفع الرأس مفتوح الصدر ، والاستسلام عملا وجهه .. وهبط أبى من العربة يحمل لفة ، وأخذتها متوقفا يدي ، وفتحها بسرعة ، وتناكلت أنها فى البدلة التى أصمدت لى ، واندفعت بها الى أمى التى كانت قد وضعت الأوز المحمر والأرز المحمر والغطا فى سلة كبيرة ، وشرعت تبحث عن قطعة من الخفى والتماش لتغطى السلة

الكبرة .. ورايت فناء تعمل فى الدار فصل بالسلة واشيط ، وعسى رأسها اللبنة الصفيح ..

وأخذت أمى البدلة فرجة ، وأتممت بسرور ، ثم وضعها بعناية كبيرة فى حقيبة المسلاس وطلبت منى الأخرج لاني يجب أن أتمشى وأنام ، فالعربة الحظوظ ذهبت فى الصباح لأركب قطار العاشرة الى القاهرة .. الى المدرسة الثانوية !

وكتبت أنا أهائى خيبة أمل وحسرة لاني لم أحقق حلمي ببدلة جديدة! غير انى اندفعت الى الطريق .. ورايت عم كساب قد حل الحاصل من العربة ، ومضى فى خطوات ثابتة متسبما ..

وسالته الى أين يمضى ، فقال لى مبشما ان أبسلك تحلصت من الصلوة ، ولنى يرى البلد مرة ثانية ، أما الرجال المحبوسون فى ابدوار بالمديرية تمتد اشارة لليعوبية للأفراج منهم الليلة ..

وكان عم كساب يمشى بخطوات واسعة ، وأنا الى جواره أرفع رأسى اليه وأستمع كلماته تساق مطبوعة من فمه المنسجم ..

واستطرد عم كساب يقول لى ان انديا كلها معبوة فى المديرية من أجل الرجال المحبوسين ، فالبرقية اتى أرسلتها البلد الى مصر حزب الحكومة هناك ، والكتاب الذين تضطهدهم الحكومة هاجمواها فى .. صحف المساء .. لأنها تقضى على الناس وتسحبهم بلا تحقيق ولا حرية !

كان عم كساب يشمخ برأسه وهو يتكلم .. وحاولت ان اقول له ان محمد أفندي هو الذى أرسل البرقية ، فوجدته يعرف ويتحدث بأصحاب مما صمعه محمد أفندي ..

وهمهم :

— أهه الى عمله محمد أفندي ده كويس .. مشنى يحرق لى ورامحمود بيه ؟! أهه ده الكلام .. أهه ابتدا يوم ! .. احنا ياما شولنا وياما حربنا .. هيه الحكومة تيجى الا بالست !.. دا لو محمد أفندي شاف والى شعاه فى اسكندرية وغير اسكندرية ماكنش مصره فكر فى الحري والى البهوات والرجوات .. هيه .. إياهم !.. الناس ما يتتطشنى بالساهر !

وبدت لى كلماته دسمة مثبثة بالذكريات والصحرة ، وبهم أسرار من الحياة لم أعرفها بعد أنا الذى تعلمت فى المدرسة وعرفت كيف أرسم القارات الأربع ، وفهمت خطوط الطول والعرض واتجاه الرياح فى الدسا ومر غيلان الله !

وأوقد عم كساب المصباح بالعود بين أصابعه ، ويده الأخرى تهر على
كنف وصيفة في ابتسام مطمئن ..

وسيطرت على الحيرة ..

فأنا لم أر من قبل أحد في قرىتي يضع يديه على كنف وصيفة ،

ولم أر من قبل وصيفة تنظر إلى دجل من قبل في قرىتي ، وهي
عينها هذا الرقيق ..

كان وأصحاها تنظر إلى عم كساب في أكتاف وعرس ،

وارتدت نظرائي من شعره الرمادي ، وشأبه العنصر الذي تعبر
منه الشجرات العديدة البهية ..

ولم أستطع أن أحتمل التفكير فيما يمكن أن يكون بينهما ..

وقفرت أمامي صورة عبد الهادي بوجهه الصالح ، وحدها المتحور
أبدي يقول هم أولاد الثرية أن ليه شجرة من الأسد تحرق الصدري ..!

وقلت أطر إلى وصيفة في صمت ، ولذكرت جلسنا هي الجميرة
في أول الصيف ، وتبعت أن أحلس معها الآن وحيدتين .. ولعنيت لو
انفت نفسها على مرة أخرى فبنتني .. وكان دمه قتلها على جيني
قد بدا يسرى في دمي باللهي ..

وقفت إلى مسافر إلى مصر من صباح غد ..

ولكن وصيفة لم تنتفت إلى ..

قلت حينها نظران إلى عم كساب والابتسامة تتألق على وجهها
كله ..

وهبط على حجل مافات .. ولعنيت لو وجدت نفسي بمسيرة ما
بعيدا من مبي وصيفة ..

ولم أطق أن أتصرف أمام عينها وأمضي .. ولكي نزلت دمي
بصعوبة وأنا أمضي .. وسكنت هممة من عم كساب ..

وعندما كنت أغدو عتبة أنياب إلى الخارج أرتفع صوت وصيفة
مختلطة بصوت أمها :

- طريق السلامة .. اقرأ لها العائنه في مصر . الهى يمسك
تهادة الحدامة !

وتسمرت على الباب .. وحاولت أن أستدير لأقول شيئا ..
ولكن وحمت لحظة ، ونفسي تخبى ، وتحركت ..

وسمعت عم كساب يقول في صوت هادي حاسم :

- لا .. ما بين شغل في انراعية .. سيكوا من كلام الشيوخ

وتابعا سيرنا ..

ومحاة وقف عم كساب أمام باب مفتوح ، ودخل !

ودعشت أنا ، وتقدمت وراءه ..

كان عم كساب يدخل دار محمد أبوسليم دون أن يتسحب كما هي
العادة أو يقول « ياساى » أو يا « أولاد » كما هي عادة الذين يدخلون

بيوتا غير ببولهم في قرىتي ..

وكان مدخل الدار عظيما ، تنكسر على جدرانها الطلال الضاحية ،

ومن عبيد في آخر الدار يشع ضوء لجة صليح ..

وكانت الدار ساكنة تماما كأنها قد رقدت أهلها .. وأصبح عم كساب
في وسط أندار فندى على وصيفة ..

وتقدمت وصيفة ، مرلومة الرأس ، يخطوات حريصة واللجة
الصليح على رأسها تلقى شععا يأت على وجهها الحزين ..

وابتسمت وصيفة تحت النشاع الضائت ، وحقن قلبى بشدة ، وأنا
أرى النشاع عينها ، وتألق وجهها بالعازات ..

وقال لها عم كساب بصوته الهادي :

- أبوكي طالع الليلة ياوصيفة .. أحنا مسفينين إشارة من المديرية
البلية ..

واعترت وصيفة ، وأسكنت بيدها اللجة الصليح .. وسرت
أرقصة الفرحه في دنها كله وانقلب تقول ورأسها يتر في نظرات
مضطربة إلى كل ما حولها :

- صحيح .. والنسى .. ارتفعت بعنى .. أغرقت بأمة ..

وتحركات وصيفة ، ونقلت خطواتها في اضطراب مساحك ، ثم
انقضت على وتبشى في جهنى ..

وشعرت بأدب شفتيها الدسستن على جبهتى ، وتعلمت جسدها
العائر اللعلى بطوق بدنى العنصر .. وتعمرتنى سعادة معاجلة ، واختلجت
وارتفعت ذقات قلبى ..!

وانطلق المصاح من يد وصيفة بينما ارتفع صوت أمها مقبلة من
الزريبة وبدأما متسختان بالروث وهي تقول :

- الهى يشرك بكساب .. الهى يجعل في دخلتك علينا قدم السمعد
نحتى دى المقرب ..

ودعشتني الحيرة وأنا أسمع هذه الكلمات ..

وأخذت أنظر إلى الطلام أمامى .. وأنشق ضوء حاطف لود كبريت

يوسف والشيخ الشناوي .. أنا بقمبول لا .. اوعى تستعلى في الزراعية .. اوعى تروحي ناحيتها !

ووصلت دارها بوجدت أمي تنظري على العشاء .. ولكني لم أنعش .. ودخلت لأنا ، وعندما وضعت رأسي على العرائش ، ووجدت نفسي وحيدا في الظلام .. انعذرت من هني الدموع بي صمت .. دون أن أعرف على التحقيق لماذا أبكي ! وظللت أبكي وأنا أكتب صوتي في خوف من أن يدخل أبي أو أمي أو أحد أحوالي الكبار فيحسني أبكي .. من أجل وصيعة !

وفي الصباح كنت أعد نفسي لركوب العربة المخطورة .. وفبقتني أمي ، ووصمت في يدي بضع قطع نصيبة من ذات العثرة فروش ، وطلبت مني أن ألتفت لدروسي وأن أأخذ بالي من دوشي .. ووضع عم كساب كل ما أحمل من زاد أمامه في العربة المخطورة ، وألقيت نفسي إلى حوار أبي وأخي الأكبر .. ولعل أبي وأخي الأكبر يتحدثن طول الطريق مما تصح الحكومه بالقرية والناس ، وسكنت أخى يتكلم بهماس من مقالات الكتاب . وبقيت أنا شاردة طول الطريق ..

وتحسب أبي لأن المديرية لم ترسل إشارة ليحلة الأمر للاجراج عن الرجال فقال أبي إن هذه الحكومه لا كلمة بها ، وهي لا تصح شيئا لمصلحة الناس إلا من خوف من اعمار الناس .. وهي أية حال فيجب أن يفرج منها المصريون كل ما افتصبته منهم .. وسكنت أبي ، وأخذت أنا أنظر بأعصاب إلى أخى أدنى يدرس في سنواته النهائية بكلية الطب ..

وكنت شاردة طول الطريق ..

وعندما افترج من المدينة الكبيرة داهمني أبي وأخي فدللت أنني أصبحت الآن رجلا في المدرسة الثانوية ، وليس السطرون أطول .. وتردد في حلقى صوتي الذي كان ما يزال نسا ، وطلت كلمات غالب بها شرودي ..

ودهب أبي وأخي إلى المديرية .. واطلق بي عم كساب إلى المحطة لانتظر هناك وفي فناء المحطة وقفت أنظر ووقف معي عم كساب .. كنت على طول الطريق أفكر في المدرسة الثانوية التي سأدخلها ، وفي أصرانات طلابها .. وكانت صور مما جرى في الصيف تمر أذكاري على الدوام .

لم استطع أبدا أن أحي من عيني صورة وصيعة وهي تنسم في عيني عم كساب .. وأخذتها أنا عي سفري فلا تجيب إلا بكلمات دعاها بعد أن تركت بينها .

وكانت صورها تخطف بصور عديدة لها أثناء الصيف ، وصورتها وهي تصح قدميها في الماء وتهمس في حلم أنها تنمي أن تصبح تنجد ٥ رلة ميانة برايل ٥ لم هسما لي أنها تنمي أن يحصوا مركب في أسبل إلى مصر لتعيش هناك ..

وصورتها وهي تخرج من قاعة الطحين صفراء مخطورة بعون لأمها أن اللرة لم يعد يكتي .. وفوق هذه الصور جميعا كنت تعصر قلبي صورتها بعد أن وسع أبوها في حجرة التليفون ..

لم أستطع أبدا أن أحي في صورتها تلك .. وبعد انقضت عيني ودعكتها .. ولكني كنت دائما أحلل زحام الصور أرى وصيعة رائدة في وسط الدار ، مقترحة الجعن ، متوردة الحد ، مبحوحة أصوت ، كسيرة مبرومة شاحجة .. ومن حولها النساء في السواد ..

وحاولت أب أهر رأسي لأعش منها زحام الصور .. ولكن الصور ظلت تلح علي .. ودمعت صوتي أكلع عم كساب وهو يرتفع انزاد من العربة وبشعة على رصيف المحطة ..

وسألته إن كانت وصيعة اشتعلت في الزراعية فقال لي أن مكسورة الرقة اشتعلت صباح اليوم ..

قالها ببساطة ، بصفته الهاديء النضف بالنعيط المكتوم ..

وأشعل سيجارة ..

ونظرت إلى عيني الرجل ، فلم استطع أن التفت نظرة . واصطغر بي ألم قامض ، ودهمتني المخاوف المهمة ، وتذكرت يوم وجدنا وصيعة عائدة مع أبيها من السوق فركت إلى حوار عم كساب ، وأوشكت أن تقع وهي تنزل فعلها عم كساب وأنزلها !

أمكن أن تكون وصيعة قد أصبحت كالأخريات !

أمكن أن تذهب إلى الزراعية فتضحك للكلعات البديئة ، وتمشي بلا تخرج ، وتتقص وسط الرجال ، وتدخل الحقول أحيانا وراء هذا الرجل أو ذاك !

ولم أستطع أن أحمل وحدي ثقل هذه الأفكار ، فسمسألت عم كساب إن كانت وصيعة يمكن أن تحسر !

وسكنت .. وهز رأسه !

وأرليت نظرائي عند رأسه الرمادي الراخر بالشعيرات البيضاء .

— أما حصل حنة دور في المديرية دلوت ؟ .. متى الشيخ يوسف ومحمود بك وقعوا في بعض ؟ يا سيدى كان فيه لجنة شياخات علشان مودية بلدنا .. وأجلوها .. القصد .. يا سيدى عمك الشيخ يوسف كان قاهم ان محمود بيه راح يساعده في المودية .. ليس الى علي الجبل كله ، ولبس الجزيرة الكتف والصمة الجسدية وراح لك عالمديرية ومعه راجلين ثلاثة من البلد ، وشيخ البلد معه كمان ثلاثة اربعة .. دخلوا لقيوا محمود بيه قاعد .. والشيخ يوسف بيه قاهمه معه وعامل يديله في فلوس ويخطف من هنا ويدبر من هنا ويدفع له على أمل انه سيساعده في المودية .. بس ياعم ويلاقى لك محمود بيه مرشح نفسه للمودية ورئيس لجنة الشياخات بيسأل تنتخبوا محمود بيه ..

ثم كتم هم كساب شحكانه .. واستمر يروى كيف اعترض الشيخ يوسف على ترشيح محمود بك واعلن في غلظة ان البلد كلهسا لا تحب محمود بك فهو يلعب بالناس ويأخذ منهم المال ليقض لهم الشغل ، ولكنه يعمل لنفسه ولا ينفذ وعوده !— وان ذلك انقض محمود بك لضرب الشيخ يوسف بالرجل في صدره وخبطه كفا على عمامته فطارت ..

وخرج الشيخ يوسف بسب ويلهن ، وخرج ورايه أهل البلد واتقسموا كلمم بالطلاق الا ينتخبوا محمود بك .. واقترح الشيخ يوسف ان يوحدوا الكلمة ويتفقوا على رجل واحد فاقترح شيخ البلد ان ينتخبوه هو قائلاً للشيخ يوسف الى ود :

— ما احنا اخوات برضه واوامرك كلها امشيها لك .. وكفاية عليك انت الدكان يا شيخ يوسف ..

ووافق الشيخ يوسف .. وحاولوا الدخول مرة اخرى على لجنة الشياخات . ولكن اللجنة اجلت اجتماعها عدة ايام ، فانصرفوا والشيخ يوسف يقسم ان يشكو محمود بك ويطلبه بما أخذ من مال .. ولن يسكت الا اذا وضعوا محمود بك في الحديد ..

وملائي السرور وأنا استمع لما يقوله هم كساب ، وضجكت كثيراً .. ولعنيت لو انى اعود الى القرية اليوم فاقضية واعيش فيما يكون هناك ثم اسافر في اليوم التالي ..

ولكن اليوم التالي كان الجمعة ، وامى لم تكن تحب لأحد منا ان يسافر يوم الجمعة .. اقبله سامعة نحس ! ..

وشردت فيما يمكن ان يحدث الآن .. سيهود الشيخ يوسف مغيظاً ، فيجد القرية تزحف فرجة بالانراج من الرجال ، وبعض هو فيروى لهم ما حدث من محمود بك ويعانق محمد ابو سوليم وعبد الهادى .. وربما

عائق علوانى ودباب .. وربما يكن من الدم ، وعائق محمد افندى ، لم يفتح دكانه ، وارسل الى علوانى بالشاى والسك .. ووقف داخل دكانه المفتوح ، يصقن ويقول : « آه يا بلد .. وبعد هذا يحك راسه ، ويلبس الصامة القديمة ، ويخلع كل ما اعتراه ليكون به عمدة ويفتح كتاب « هنتر » او « ابو زيد » ويقرأ فصولها في صوت مرتفع ! .. وجاء ابنى ووراه اخى الأكبر ، فطلب من هم كساب ان يستعد لوضع اثنياننا في القطار لأن القطار قادم ..

وتحرك هم كساب بحقيبة في يده وبسلة كبيرة في اليد الأخرى .. ومضيت أنا ورايه انظر في الفضاء الى وجه القطار الأسود الذى بدا يزحف من بعيد ..

وقال هم كساب مهمهما :

— بالسلاسة .. ان شاء الله الأجازة الحياية ثلاثي دار جديدة على الزراعة ، وماكينه .. وتلاقى وصيفة منورة أدار ! .. وباغتني كلامه .. واستمتع حيناً ، وسألته طالباً منه ان يعول في سرعة كل ما يعنى ..

وقال لي ببساطة انه قرر ان يشتري أرضاً على الزراعة من بقايا الأرض التي نزعتم ملكيتها ، فيبنى عليها داراً جديدة .. فإذا أخذ محمد ابو سوليم التوموس من أرضه التي نزعتم شلوكة هم كساب في بناء ماكينه طحين تكسب لهما ، ولتصبح لمحمد ابو سوليم من المسال والحياة الوفيرة اكثر مما كانت تمنحه الأرض ..

ووقف القطار ، فصعد هم كساب بالحقيبة والسلة وأنا ورايه اسأله ان كان حقاً سيتزوج وصيفة ..

فقال لي أنه اتفق منذ زمن .. لم تتم :

— لا أرجع البلد حاجرهما من الزراعة الى ملا وشما .. زراعية ايه الى بتشغل فيها .. ذا انا حابجها ا هي ماكينه الطحين لكسب وحش ! ..

وعدت اذكر ما كان يقوله لي هم كساب دائماً ..

كان دائماً يقول لي ان الرجل يجب الا يقع .. وانه يجب في اى ظرف ان يتعلم كيف يبدأ من جديد ..

وحاولت ان اتصور ما يمكن ان يصنعه عبد الهادى حين يعلم ان هم كساب سيتزوج وصيفة .. لقد قال لي عبد الهادى أيضاً ان وصيفة ستعمر داره ، واتنى ساعد في الصيف القادم لأجدها تنور الدار ! ..

وخيل الى ان عبد الهادى لن يرضى بالزواج من وصيفة بعد ان اشتغلت فى الزراعة ولو لساعة واحدة .. ولكنى فى الحق اشفقت عليه ، ورثيت له ..

ونزل هم كساب بسرعة ولم اقل له شيئا ..

وحضر القطار ، فوفقت مع اخى فى النافذة فسلم على ابنى .. وقبلنا يده عدة مرات ، ونفوسنا تهيش ، وقبلنا ابنى ، ودعا لنا بالستر ونجاح المقاصد .. وصغر القطار ..

ورثت نعماته الموحشة فى اذنى .. وفاض فى اغوارى الحنين وكل ما يشيره الوداع ..!

ومضى يشق بنا طريقا طويلا بين الحقول .. حقول واسمة يغمرها بياض الفطن ، وخضرة كيران الدرة .. تماما كالحقول التى تركتها فى قرىتى لهوى تحت الماعول ..

وعندما انتهت حقول الدرة ، بدأت تلوح لنا حقول واسمة من البرسيم الصغير .. ووجدت فتيات كثيرات ينتارن هنا وهناك ، منعنيات على الأرض يلتفتن من حشائش الحقول .. كنت اعرف انهن يجعلن السريس والجعفيش وحنب الديب واصنافا اخرى من النباتات الشيطانية ، ليأكلن بها الخبز الجاف .. فبكندا كان الفتيات والاولاد يصنعون فى قرىتى ..

وظل القطار يشق بنا الأرض دون توقف ..

وبدا يدخل محطات صغيرة تقوم عليها القرى بفداف يركاب ويلتقط آخرين ..

ولحرك منها .. ورأيت طريقا زراعيا يوارى خط السكة الحديد .. والتفت اخى الأكبر ، وقال لى ان التلاميذ الصغار يقفون على الزراعة الجديدة فى انتظار سيارات الاوتوبيس لتعود بهم من المدرسة الابتدائية فى مدينة قريبة ..

وسكنت اخى قبل ان يقول لى ان بلدنا يجب ان ترسل اولادها الصغار على الزراعة الجديدة الى المدينة فستمر بها سيارات الاوتوبيس .. وظللت انظر من شباك القطار وفكرى فى قرىتى .. وتوقف القطار عند إحدى القرى ، وسمعت اغنية حزينة تتردد نعماتها من احطرافات القرية :

يلرب اقبال حبيبى مالزراعية

ما المصر للعصر باطلع عا الزراعية

وحرك القطار .. وتأت منى كلمات الاغنية .. فنظرت اخى الى

مينسما وهو يقول لى ان هذه القرية تغنى للزراعية ، وقد دخلت الزراعية فى حياتها وغناها .. وسكنت اخى لم استطرد يقول انه مادامت الزراعية قد جاءت ، فهى تدخل فى وجود الناس ، وبمن أن يسقط عليها الناس ..

وقلت له ان عم كساب سيبنى ماكينة للطحن على الزراعية ..

فاستمر اخى يقول لى ان الأرض التى بقيت لمحمد أبو سويلم لن تصلح للزراعة بعد ، ومن الممكن ان يبنى عليها ماكينة لمبلغ التصويض مشتركا مع كساب ، ويستطيع من ايراد الماكينة ان يؤجر أرضا اخرى اكبر من التى كان يزرعها ..

واستطرد اخى يقترح ان يبنى الناس على الزراعية بيوتات جديدة نظيفة ..

ولم يقل لى كيف .. وعندما سألته سكت ..

واستمر القطار يمضى بنا فى ضجيج رهيب منتظم ، وعندما لاحظ لنا القاهرة بقبابها .. ورأينا من بعد ثلاثة اهرامات فى بياض الضباب ، بدا اخى يحدثنى عن هذا العام الدراسى ..

وزحرت فى صدري صورة المدرسة الثانوية ، واضرابات الطلاب .. بينما كان قلبي ما يزال ينبض بحزن على وصيفة وعبد الهادى وقرىتى ..

وعندما وصلنا القاهرة ، وتركنا القطار ، وتألت دقات قلبي ، واحسست بدمى يصرخ بى وينادى على اشياء مجهولة لا يستطيع ان اتيها ..

ودخلت وراء اخى فى رحاب المندفعين الى ميدان المحطة ، ومن ورائنا الشبال ..

وركبنا حربة حنطور الى بيتنا فى الحلمية الجديدة ..

ودخلت بنا العربية من شارع الى شارع ، والسائق يقرع بالكروية ويلقى شتائم لم اسمعها فى القرية فى كل شهور الصيف ..

واحمر وجه اخى ، ورأيت ينظر الى طرف هيئة .. لرى اذا كنت قد فهمت الشتائم التى يلقيها السائق ..

والحق انى كنت قد سمعت هذه الشتائم طوال اربعة اعوام من شوارع الحلمية الجديدة ، ومن تلاميذ المدرسة الابتدائية ..

وملأنى احساس عجيب .. فقد شعرت .. فى حب بالغ .. ان اخى يريد ان يحى اذن من هذه الكلمات التى يلقيها السائق على الناس فى

الطريق .. وكأنه يريد أن يمارس إلى آخر حد مسئوليته في تربيتي .
هذه المسئولية التي بدأ يحسها منذ ودعنا أبي في المحطة ..

ولكني كنت وأنا جالس إلى جوار أخي افتتح عيني على طرقات
القاهرة ، مفتونا بالضجيج ، والثرينات تجرها الحمر ، والسيارات
الفاخرة المتعددة الألوان ، والنساء في الفساتين ، والرجال بالبدل ،
والنرام ، والعفاة في جلابيب غير زرقاء .. والمساكر ! ..

وهزنتي المرائي العديدة التي طال عنها فيأبى أربعة شهور من
الصيف وكأنى أرى لأول مرة مدينة لم أهرقها من قبل .

وأزدحممت عيني بعشرات الآباء والأمهات والأولاد الصغار يشترطون
بين المتاجر .

وهمس أخى قائلاً :

— دخول المدارس ! ..

ورنت كلماته في أعمق بوقع غريب ..

وتقنمت بنا العربية في الزحام الذي يختلط بأحلامي ..

وشاهدت بوضوح أحلامي تخرج بزحام الناس ..

وظلت العربية تعضى بنا في شوارع القاهرة .. وعروقي تلجش
بأشياء مذبذبة من فريتي ..

أشياء لم أستطع أن أنساها أبداً ..



دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
بالمساهرة
فرع الصفاة